

الباب الثالث

أدلة الوحي في النبوة

الفصل الأول : العلاقة بين الوحي والنبوة .

الفصل الثاني : أدلة الوحي :

أولاً - أدلة الوحي العامة .

ثانياً - أدلة الوحي الخاص .

ثالثاً - أدلة الوحي الفردي .

obeikandi.com

الفصل الأول

العلاقة بين الوحي والنبوة

يتفق أصحاب الأديان السماوية الثلاثة على أنَّ النبوة لابدَّ لها أن تقدم معلومات للبشر ، لا يستطيع البشر بعلمهم الخاص أن يدركوا حقيقتها ، وإذا ما أدرك البشر حقيقة معلومة من المعلومات التي كان قد قدَّمها نبيٌّ من الأنبياء ؛ فإنَّ ذلك يكون دليلاً حقيقياً على نبوة ذلك النبي ، وبالتالي صدقه .

وطالما أنَّ الأنبياء يقدمون معلومات لا يستطيع البشر العاديون أن يقدِّموها ، وخصوصاً أنَّ جميعهم كانوا يتصفون بقلَّة الثقافة قبل نبوتهم ، فإنَّه لابدَّ إذاً من التصديق بأنَّ هؤلاء الأنبياء عندما يقولون بأنَّ معلوماتهم مصدرها الله تعالى المنزه عن كل ما لا يليق به ، فإنَّه يجبُ على البشر أن يصدقوهم قطعاً .

ولا يتعلق أمر النبوة فقط بالمعلومات المذهلة التي يقدِّمها الأنبياء ، بل إنَّ النبوة مجموعة من الأقوال ، والأفعال ، والتعاليم ، والتصرفات التي يقوم بها النبي بناءً على أوامر من الله تعالى . تلك المعلومات التي يتلقاها الأنبياء هي ما يطلق عليه المسلمون الوحي .

والوحي ظاهرة يتحدَّث عنها القرآن الكريم كثيراً ، وشرحها أيضاً محمد ﷺ لأتباعه كثيراً ، الأمر الذي أدَّى إلى فهم الوحي فهماً تاماً لدى المسلمين ، لكنَّ الوحي كظاهرة مرتبطة بالنبوة عند اليهود ، تجد أنها ظاهرة غير مفهومة تماماً .

فلقد أشار العهد القديم إلى أن الله كلم موسى عليه السلام ، في حين أن ملاك الرب خاطب الكثير من الأنبياء ، وأيضاً تجد أن آخرين من الأنبياء قد كلمتهم الملائكة ، كما تجد أحياناً أن بعض الأنبياء قد كلمهم الله في الحلم .

وعلى الرغم من أن الأنجيل لا تتحدث إلا عن الروح القدس ؛ فإن إيمان المسيحيين بالعهد القديم يجعلهم يعرفون ويؤمنون بما ورد عن الوحي في العهد القديم .

وهكذا نجد أن ظاهرة الوحي معروفة لدى أتباع الأديان الثلاثة ، على الرغم من أن الأديان الثلاثة مختلفة في مفصل المعلومات عن الوحي . ومن هنا يبدو من المعروف عند الموحدين أن النبوة والوحي ظاهرتان متلازمتان .

وهذا يتوافق مع قوله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء : ٧] .

وعلى الرغم من أن ظاهرة الوحي ظاهرة واضحة للبشر من خلال معاصرتها ، أو من خلال دراسة مظاهرها ، ومواصفاتها ، وخصائصها ؛ فإن الوحي ظاهرة ربانية احتفظ الله تعالى لنفسه بأسرارها ، وترك للبشر المقدرة على ملاحظة آثارها بهدف تسهيل مهمة الأنبياء .

فمن أسرار الوحي التي لا يعلمها حتى أشهر الأنبياء :

١- محدودية علوم الأنبياء :

فعلى الرغم من أن الأنبياء قدموا معلومات لا يستطيع البشر معرفتها ، فإن هذه المعلومات لم تتجاوز حدود المعلومات التي رسمها الله للأنبياء ، حيث وقف الأنبياء على عتبة الأسرار الإلهية عندما سُئلوا عن الأمور التالية :

أ - معلومات عن ذات الله .

ب - تحديد وقت يوم القيامة .

ويقول الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ٨٥ ﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ لَنَنْزِلَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿ [الإسراء : ٨٥ - ٨٦] .

٢- عدم معرفة سبب اختيار نبي دون غيره :

بيننا سابقاً أنَّ الأنبياء يمنحهم الله مواصفات وخصائص قبل أن يكلفوا بالنبوة ، ومن الممكن أن تجتمع هذه الصفات في رجل آخر معاصر لنبي ما ، ومثال ذلك يشوع بن نون الذي لم تظهر نبوته حسب العهد القديم إلا بعد موت موسى عليه السلام ، وذلك يعني أن يشوع كان يمتلك مستحقات النبوة ، فلماذا لم يكلف الله يشوع بالنبوة عوضاً عن موسى عليه السلام ؟ إنَّ جواب مثل هذا السؤال عند الله تعالى وحده الذي قال موضعاً سرية الإجابة في القرآن الكريم بقوله : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَافِ ﴾ [غافر : ١٥] .

كما ورد في الإنجيل نصٌّ مشابهٌ للآية القرآنية في معناها : « فمن أرسله الله يتكلم بكلام الله ، لأن الله يهب الروح بغير حساب »^(١) .

٣- تقنيات الوحي :

ونقصد بهذا التعبير مجموعة الأسئلة المتعلقة بالوحي ، والتي لم يستطع الأنبياء تقديم إجابات عنها للبشر .

(١) يوحنا (٣، ٣٤) .

فلماذا اختار الله أن يكلم موسى وإبراهيم ومحمداً صلى الله عليهم وسلم دون أن يكلم غيرهم من الأنبياء ؟ لا جواب .

وإذا أراد الله أن يوحى إلى نبيه ، فكيف تنتقل الأوامر ؟ لا جواب .

ولماذا يختار الله الوحي عن طريق جبريل لنبيّ بينما يوحى لغيره في الرؤيا ؟ لا جواب .

وكيف بدا جبريل عليه السلام على هيئة بشر ، وهو ملاك ؟ وكيف ظهر على هيئته أول مرة ، ولماذا ؟ وكيف ينزل من السماء ؟ وكيف يصعد إليها راجعاً ؟

هذه الأسئلة كلها وما يشابهها عن الوحي احتفظ الله تعالى بأجوبتها ، ولم يطلع عليها أحداً من خلقه ، حتى الأنبياء .

وربما ظنَّ بعضهم أنَّ عدم معرفة الأنبياء لمثل هذه الأمور هو انتقاص من نبوتهم ، لكن الأمر يبدو في صالح الأنبياء ، وذلك لأنَّ اعتراف الأنبياء بعدم معرفتهم لهذه الأمور يدلُّ على صدقهم المطلق ، وخصوصاً أنَّ جميعهم اعترفوا بأنَّهم لا يمتلكون أجوبة لمثل هذه الأسئلة .

وعلى الرغم من أنَّ المعلومات السابقة منعت عن الأنبياء ، إلا أنَّ الله تعالى جعل مظاهر الوحي تظهر على الأنبياء ؛ لتكون أدلة قطعية على نبوتهم ، وهكذا يستطيع البشر الاقتناع بالأسباب نتيجة لتأكيدهم من النتيجة .

فالأنبياء إذاً يجبُ أن تظهرَ عليهم مظاهر الوحي حتى يتأكَّد الناس من نبوتهم ، وطالما أنَّ الكثيرين من الأنبياء يعترف الناسُ بنبوتهم ، فإنَّ هؤلاء الأنبياء لابدَّ وأنهم قدموا أدلةً على أنَّ الله كان يوحى إليهم ، إلى معاصريهم على الأقل حتى آمنوا بنبوتهم .

وطالما أنَّ المعلومات التفصيلية عن حياة الأنبياء قليلة ؛ لذلك فإننا

سنعتمد في بحثنا عن مظاهر الوحي المبدأ التالي :

كل مظهر وحي عام يكون متوافراً عند أنبياء التشريع الثلاثة ، في حين أن مظهراً يتوافر عند نبين فقط هو مظهر وحي فردي ، أما إذا انفرد نبي بمظهر وحي دون غيره من الأنبياء ، فإن ذلك هو دليل وحي خاص .
بناءً على هذا المبدأ في الدراسة فإنه يمكن تقسيم مظاهر الوحي كما يلي :

أولاً : أدلة الوحي العامة .

ثانياً : أدلة الوحي الخاص .

ثالثاً : أدلة الوحي الفردي .

* * *

الفصل الثاني

أدلة الوحي

أولاً - أدلة الوحي العامة

دليل الوحي الأول

مظاهر الوحي الشكلية على الأنبياء أثناء الإيحاء إليهم

من المعروف أنَّ الوجوه تعكس دائماً الحالة الذهنية والنفسية للبشر ، فعندما تنظر إلى وجه شخصٍ ما ، تخبرك ملامحه عن هدوئه ، أو ثورته ، عن سعادته أو غضبه ، عن ملله أو تفاؤله .

فإذا كان البشر يستطيعون قراءة وجوه بعضهم عند حالات مؤثرة معينة ، فمن باب أولى أن تظهر على الأنبياء مؤشرات تدلُّ على حدوث حدثٍ عميق الأثر في أذهان وقلوب هؤلاء الأنبياء إبَّان فترة الإيحاء إليهم .

فالوحي إذاً يجب أن يترافق مع ظهور مؤشراتٍ شكلية على الأقل على أجساد أو وجوه الأنبياء ؛ ليعرف الناس أن نبيَّهم يُوحى إليه في هذه اللحظة .

الأمر الذي يستدعي منا البحث في آثار النبوات القديمة لمعرفة أعراض الوحي على الأنبياء ، ولما كانت الكتب السابقة لا تتحدث عن

لحظات الوحي ؛ لذلك فإننا سنعتمد المأثور عن محمد ﷺ لتوضيح أعراض الوحي على وجوه وأجساد الأنبياء ، طالما أنَّ الأنبياء لابدَّ وأنَّ الله قد أوحى إليهم ، وهذا ما أكدّه الله تعالى في القرآن الكريم بقوله :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَشْكُرُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء : ٧] .

ومن خلال دراسة نبوة محمد ﷺ يتبيّن لنا أنَّ أعراض الوحي ومظاهره على وجه وجسد محمد ﷺ ترتبط ارتباطاً وثيقاً مع طريقة الوحي ؛ التي كان الله يُوحى بها إليه .

لذلك فإنَّ كلّ طريقةٍ من طرق الوحي لمحمد ﷺ كانت تتلازم مع أعراض خاصة ، يمكن لأصحابه عندها أن يحددوا فيما إذا كان نبهم يُوحى إليه أم لا ، بل وبإمكانهم تحديد طريقة الوحي ، وحتى في أيِّ مرحلة هي !!!

* * *

طرق الوحي ومراحلها وعلاماتها

١- الرؤى الصادقة :

الرؤيا أبسط طريقة للوحي ، وهي أن يُوحى الله إلى نبيّه أثناء النوم ، وتتوافق الرؤيا مع تعرقٍ شديدٍ يصيب النبيَّ .

قالت عائشة رضي الله عنها : « كان أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ في الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح »^(١) .

(١) مسلم رقم (١٦٠) .

ويقول محمد ﷺ واصفاً حالة الرؤيا : « كنت أرى الرؤيا أغرى منها غير أنني لا أزمَلُ (أُغْطَى وأُلف كالمحموم) » (١) .

ولم يعرف عن موسى عليه السلام ، ولا عن المسيح عليه السلام أنهما كانا يوحى إليهما بالحلم ، وعُرفت حالة الوحي بالرؤيا عند يوسف عليه السلام ، وعند أشعيا ، وعند حزقيال ، وحتى سليمان . . . ، هذا وتعتزف التوراة بالرؤيا كطريقة من طرق الوحي للأنبياء (٢) .

٢- الوحي عن طريق جبريل وهو على صورته الحقيقية :

جبريل ملاك ، له ستمئة جناح ، يملأ حجمه السماء والأرض . « قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي قال في حديثه : فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسا بين السماء والأرض ، قال رسول الله ﷺ . فَجِئْتُ (فزعتُ ورُعيتُ) منه فَرَقاً ، فرجعت ، فقلت : زملوني زملوني ، فدثروني ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ ۖ ﴿١﴾ قُرْآنٌ ذَرِئُ ۖ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَيْرُ ۖ ﴿٣﴾ وَيَأْبَاكَ فَطَهْرُ ۖ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزُ فَاهْجُرْ ۖ ﴾ [المدثر : ١- ٥] . وهي الأوثان ، قال : ثم تتابع الوحي » (٣) .

وأعراضُ هذا النوع من الوحي هو إحساسٌ قاتل بالبرد ، يظنُّ النبيُّ فيه ألا شيء يستطيع أن يدفئه ، ويستمر بالارتعاد حتى بعد أن يتدبَّر .

هذا ولم يُعرف هذا النوع من الوحي عند أحدٍ من الأنبياء سوى محمد ﷺ ، حيث شاهد جبريل عليه السلام على هذه الصورة ، ثم رآه

(١) مسلم رقم (٢٢٦١) .

(٢) العدد (١٢ ، ٦) .

(٣) مسلم رقم (١٦١) .

مرّة أخرى في رحلة المعراج عند سدرّة المنتهى . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ [النجم : ١٣-١٤] .

وقال رسول الله في ذلك : إنه رأى « جبريل عليه السلام له ستمئة جناح »^(١) .

٣- الوحي عن طريق جبريل عليه السلام على صورة بشر :

وهذه الطريقة هي أخف أنواع الوحي ، حيث يظهر جبريل للنبي دون أن يراه غيره من الناس ، فيكلّمه بما يريد أن يقول دون أن يعتري النبي حالة خاصة ، تدل على أنه يوحى إليه إلا أنه يصمت ، فلا يردّ على أحد حتى ينتهي الإيحاء إليه . قالت عائشة رضي الله عنها : « إنما ذاك جبريل عليه السلام كان يأتيه على صورة الرجال »^(٢) .

ونتيجة لهذا الصمت يعرف أصحابه أنّ محمداً ﷺ كان يوحى إليه .

وعلى سبيل المثال نورد حديث معاذ بن جبل : « قال : كنت رديف النبي ﷺ ، ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرّجل ، فقال : يا معاذ بن جبل ! قلت : لبيك رسول الله وسعديك ! ثم سار ساعة (لا يتكلّم) ثم قال : يا معاذ بن جبل ! قلت : لبيك رسول الله وسعديك ! ثم سار ساعة (لا يتكلّم) ثم قال : يا معاذ بن جبل ! قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك ! قال : هل تدري ما حقّ الله على العباد ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم ! قال : فإنّ حقّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، ثم سار ساعة (لا يتكلّم) ثم قال : يا معاذ بن جبل ! قلت : لبيك رسول الله وسعديك ! قال : هل تدري ما حقّ العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ قال :

(١) مسلم رقم (١٧٤) .

(٢) مسلم رقم (١٧٨) .

قلت : الله ورسوله أعلم! قال : ألا يعذبهم»^(١) .

وعندما شاء الله تعالى أن يظهر جبريل عليه السلام في صورة بشر لأصحاب رسول الله ﷺ حدثت تلك الحادثة .

فلقد شاهد أصحاب رسول الله جبريل عليه السلام ، ومنهم أبو هريرة ، وعمر بن الخطاب الذي قال : « قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم طلع علينا رجلٌ شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد! أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحجَّ البيت إن استطعت إليه سبيلاً . قال : صدقت! قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه! قال : فأخبرني عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت! قال : فأخبرني عن الإحسان . قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : فأخبرني عن الساعة قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل! قال : فأخبرني عن أماراتها . قال : أن تلد الأمة رببتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة ، يتطاولون في البنيان . قال : ثم انطلق ، فلبثت ملياً (أخذت عمر الدهشة) ثم قال لي : يا عمر! أتدري من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم! قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .

وفي رواية أبي هريرة : « . . . ثم أدبر الرجل ، فقال رسول الله ﷺ :

(١) مسلم رقم (٣٠) .

ردّوا عليّ الرجل ، فأخذوا ليردّوه ، فلم يروا شيئاً ، فقال رسول الله ﷺ : هذا جبريل جاء ليعلّم الناس دينهم «^(١) .

وجبريل عليه السلام هو الملاك الذي أخرج بني إسرائيل من مصر ، وعبر بهم البحر ، وحال بينهم وبين الفراعنة^(٢) ، وجبريل عليه السلام هو الذي شرح الرؤيا لدانيال^(٣) ، وجبريل عليه السلام هو الذي ظهر لزكريا ، وبشّره بابنه يحيى (يوحنا)^(٤) ، وجبريل عليه السلام هو الذي نقل أمر الله لمريم عليها السلام حتى تحمل ، وتلد المسيح عليه السلام^(٥) .

وتتكرر في الأناجيل الإشارة إلى الروح القدس ، لكنّ تناقض مدلولاتها يفقدها قيمتها الحقيقية ، وخصوصاً أنّ العلاقة بين الروح القدس والمسيح لا تبدو واضحة في الأناجيل كلّها .

لكنّ هناك إشارتان تسترعيان الانتباه ؛ الأولى : وردت عند لوقا (٢٢ ، ٤٣) حيث اعتزل المسيح عليه السلام تلامذته ، وأخذ يركع ، ويصلي ، فظهر له ملاكٌ يقوّيه ، وكان عرقه مثل قطرات دمٍ تتساقط على الأرض .

حيث يلاحظ من هذا النص أنّ المسيح عليه السلام أوحى إليه الله تعالى عن طريق الملاك ، وبالطبع ليس هذا الملاك سوى جبريل عليه السلام ؛ لأنه المتخصص في نقل الوحي للأنبياء ، فظهر على المسيح عليه السلام علامات الوحي التي تحدثنا عنها ، وهي التعرّق الشديد ؛

(١) مسلم رقم (٨ و ٩ و ١٠) .

(٢) العدد (٢٠ ، ١٦) .

(٣) دانيال (٨ ، ١٦) .

(٤) لوقا (١ ، ١٩) .

(٥) لوقا (١ ، ٢٦) .

الذي كان شديداً لدرجة أن قطرات العرق تساقطت على الأرض .

والإشارة الثانية : وردت عند يوحنا (٣ ، ٣٤) : « فمن أرسله الله يتكلم بكلام الله ، لأن الله يهب الروح بغير حساب » .

وجاء في القرآن الكريم : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَافِ ﴾ [غافر : ١٥] .

إن تطابق معنى النص الإنجيلي مع الآية القرآنية يعطي مدلولاً واحداً ، وهو أن مصدر الكلام الصحيح واحد ، وهو الوحي الذي أرسله الله تعالى لأنبيائه .

أما عن العلاقة الغامضة في الأناجيل بين روح القدس والمسيح عليه السلام ؛ فإن الآية القرآنية التالية توضح هذه العلاقة : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة : ٨٧] .

وروح القدس الذي أيد الله به المسيح عليه السلام هو جبريل عليه السلام ، حيث كان يمشي معه دائماً .

وروح القدس أيضاً هو الذي كان ينقل الوحي إلى محمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ١٠٢] .

وهكذا تتضح العلاقة بين روح القدس والمسيح عليه السلام تماماً ، بحيث يبدو تحذير المسيح عليه السلام من التجديف على روح القدس الوارد في الأناجيل منطقياً ؛ لأن الكذب على روح القدس يعني الكذب على الله ، وهذا ما لا يرضاه المسيح عليه السلام أبداً^(١) .

(١) متى (١٢ ، ٣٢) ولوقا (١٢ ، ١٠) .

٤- طريقة الإيحاء السريّ المحدّد المظاهر :

يبدو أنّ الطرق الثلاثة السابقة الذكر للوحي تعتبر أكثر سهولة من الطريقة الرابعة التي نحن بصدد الحديث عنها ، وذلك لأنّ هذه الطريقة من الوحي هي أصعب أنواع الوحي على الأنبياء ؛ بناءً على وصف محمد ﷺ لها قائلاً : « هو أشدُّ عليّ . . . » .

ويبدو : أنّ سبب صعوبة هذا النوع من الوحي ناتج عن كونه تكليماً مباشراً من الله تعالى لأنبيائه ، الأمر الذي يتطلب أن يكون في التوراة وصفاً لهذه الطريقة من الوحي وأعراضها على كلّ من إبراهيم ، وموسى عليهما السلام ، على اعتبار أنّ كلاهما قد كلمه الله تعالى تكليماً .

وحقيقة الأمر أنّنا نجد في التوراة إشاراتٍ إلى أنّ الله تعالى قد كلم إبراهيم دون ذكر تفصيلات عن هذه الطريقة من الوحي^(١) .

لكنّ التوراة تورد تفصيلات أكثر فيما يخصّ تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام ، حيث تقول : « وكان صوت البرق يرفع جداً وموسى يتكلّم ، والله يجيبه بقصف الرعد . . . »^(٢) .

لكن كلتا الحالتين لا تعطينا تفصيلات ، نستطيع من خلالها أن نأخذ حتى أقلّ فكرة عن طريقة الوحي ؛ التي نرغب في تلخّس حقائقها .

أمّا نبوة محمد ﷺ فإنها تقدم لنا ما يكفي لإدراك تلك الحقيقة ؛ التي نحاول الوصول إليها .

فلقد سأل الحارث بن هشام النبيّ ﷺ : كيف يأتيك الوحي ؟ فقال :

(١) التكوين (١٧، ٩ و١٥) و(٢٢، ١) .

(٢) خروج (١٩، ١٩) .

« أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس ، وهو أشدهُ عليّ ، ثم يفصم عني وقد وعيته ، وأحياناً ملكٌ في مثل صورة الرّجل فأعني ما يقول »^(١) .

ومعنى هذا الحديث : أنّ وحي الملك على صورة الرجل نوعٌ من أنواع الوحي الذي تكلمنا عنه سابقاً ، أمّا النوع الآخر ، وهو الذي يأتيه على شكل صلصلة الجرس ، فهو النوع الذي نتحدّث عنه هاهنا .

فقلوه : مثل صلصلة الجرس يعني : أنّه صوت متدارك ، يسمعه ، ولا يشبته أول ما يقرع سمعه حتى يفهمه من بعد ذلك ، وإذا كان حقيقياً ما تقوله التوراة عن صوت الرعد الذي كان موسى عليه السلام يسمعه ؛ فإنّ ذلك يعني : أنّ صوت الجرس ، أو صوت الرعد كلاهما لا يستطيع فهم مدلولهما إلا نبيٌّ فكلنا يسمع الجرس ، ولا يرتاح لسماعه خصوصاً إذا علا صوته ، وكلنا يسمع الرّعد ويرتعب منه خصوصاً إذا تتالى على أسماعنا ، ومع ذلك لا تتولد لدينا أيُّ أفكار ، أو محفوظاتٍ ، أو مدلولات بعد سماع الجرس ، أو حتى الرّعد ، وذلك أمر طبيعي لدينا ، أما عند الأنبياء ؛ فهو يعني الوحي قطعاً ؛ لأنّ تمثّعه بالنبوة يجعله يفهم ما يوحى إليه ، بدليل أنّه يقول بعده ما لم يستطع أن يعلمه قبل سماع هذا الصوت .

وعلى الرغم من أنّني أرجح أن يكون موسى عليه السلام كان يسمعُ صوت صلصلة الجرس ، وليس صوت الرعد ، وذلك لعدم دقة التوراة في وصف مثل هذه الحالات ، حيث لاحظنا أنّها أهملت وصف الوحي عند إبراهيم عليه السلام ، في حين أنّها وصفت حالة الوحي فقط عند موسى عليه السلام ، الأمر الذي يجعل التوراة غير دقيقة عند وصفها لمثل هذه المواضع الحمّاسة ، فضلاً عن أنّ التوراة لم تصف العلامات التي

(١) مسلم رقم (٢٣٣٣) .

ظهرت على كل من إبراهيم وموسى عليهما السلام ، عندما كان الوحي يتأتى إليهما .

وبالطبع فإن القرآن الكريم لا يتحدث ولا يصف ، بل لا يخوض في مثل هذه التفصيلات ، وذلك لكون القرآن الكريم كلام الله المعجز ؛ الذي عهد الله تعالى إلى محمد ﷺ مؤيداً بالوحي ليقوم بتعليمه ، وتطبيقه ، وشرحه إلى البشرية كلها ، وفي الوقت نفسه تعهد الله تعالى بحفظ دين الإسلام كله إلى الأبد من قرآن كريم ، وسنة نبيه ﷺ التي جمعت بتفاصيلها الدقيقة لتكون عوناً للمسلمين على فهم دينهم .

لذلك فإنك - أيها القارئ الكريم - لابد وأنك لاحظت أننا نستشهد عند بحثنا في مظاهر النبوة بأقوال محمد ﷺ التي قالها عند حوادث معينة بشهادة شهود شاهدوا الحادثة بكل كيانه ، ووجدانهم ، وعقولهم ، الأمر الذي تفتقر إليه التوراة والأنجيل (وقد تحدثنا عن ذلك في فصل سابق) .

وعلى العموم فإن تكليم الله لأتباعه مهما كان شكله ؛ صلصلة جرس ، أو صوت رعد ، فإنه لابد وأن يكون له علامات على وجوه وأجساد الأنبياء ، تجعل أتباعهم يعرفون أن الله تعالى سيصدر أوامره بعد هذه العلامات مباشرة .

فما هي هذه العلامات ؟

الحقيقة : أن علامات الوحي لا يرد وصفها إلا عند محمد ﷺ فقط ، لكن ذلك لا يعني أن محمداً ﷺ كانت تظهر عليه هذه العلامات فقط ، دون إبراهيم وموسى عليهما السلام .

فإذا كانت هذه العلامات تظهر على محمد ﷺ ، وكان أصحابه بدورهم يصدقونه فيما يقول ، فإن ذلك يبدو ضرورياً لموسى عليه

السلام ؛ الذي كان بنو إسرائيل يكذبونه في معظم ما يقول !!
وهنا يمكننا أن نقول أن علامات تكليم الله لنبيه كانت ثابتة تبدو عليه
كلما أراد الله تعالى تكليم نبيه ، لكن هذه العلامات كانت تتخذ أشكالاً
متميزة تظهر على محمد ﷺ بوضوح ، وكأنها تتطور من مرحلة إلى مرحلة
حتى نهاية الوحي وفق الآتي :

١- البداية : ترُّبُّد الوجه :

سواء كان الرسول ﷺ منفرداً أو مجتمعاً مع أصحابه ودون سابق
إنذار ، يترُّبُّد وجهه ، والترُّبُّد يعني : أن وجهه ﷺ يصبح لونه كلون
الرَّمَاد .

قال عبادة بن الصامت : « كان نبيُّ الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي كُرب
لذلك ، وترُّبُّد وجهه »^(١) .

٢- التعرُّق الشديد :

كان العرق يترافق مع حالة الوحي الآتية لرسول الله ﷺ ، لكن ما يبدو
للعيان هو على شكل قطرات عرق واضحة على جبهة رسول الله ﷺ ، في
الوقت الذي لا يعاني فيه أحدٌ من مشاهديه من الحرِّ أو التعرُّق ، وتصف
السيدة عائشة زوجة رسول الله ﷺ تعرُّقه كما يلي :

« إن كان ليُنزَلُ على رسول الله ﷺ في الغداة الباردة ، ثم تفيض جبهته
عرقاً »^(٢) .

(١) مسلم رقم (٢٣٣٥) .

(٢) مسلم رقم (٢٣٣٣) .

ويبدو أنَّ التعرُّق ينتهي بمجرد التحوُّل إلى احمرار الوجه ، حيث لم يصف (يعلى بن أمية) أنَّ تعرُّقاً كان مستمراً على وجه رسول الله ﷺ ، كما سنلاحظ بعد قليل .

٣- تنكيس الرأس :

عندما يشاهد أصحابُ محمد ﷺ نبيَّهم قد تربَّد ، وتعرَّق ، وأنزل رأسه باتجاه صدره دون إرادة منه ؛ فعلوا مثله مهابةً للوحي ، واحتراماً لقدسية الوحي ، يقول عبادة بن الصامت : « كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي نكسَ رأسه ، ونكسَ أصحابه رؤوسهم ... »^(١) .

٤- احمرار الوجه والغطيط :

كان أصحابُ رسول الله ﷺ عندما ينكس نبيهم رأسه أثناء الوحي يضعون غطاءً على رأسه ، ويقفون بجانبه خوفاً عليه من أيِّ مكروه . وأراد أحد أصحابه ، وهو يعلى بن أمية أن يرى النبي ﷺ أثناء الإيحاء إليه ، فقال لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما : « ليتني أرى النبي ﷺ حين يُنزل عليه ، فلما كان النبي ﷺ بالجعرانة (اسم موضع في المدينة) وعلى النبي ﷺ ثوب قد أُظِّلَّ به عليه معه ناسٌ من أصحابه فيهم عمر ؛ إذا جاءه رجلٌ عليه جُبَّةٌ صوفٍ متضمَّخٌ بطيبٍ . فقال : يا رسول الله ! كيف ترى في رجلٍ أحرم بعمرة في جُبَّةٍ بعدما تَضَمَّخَ بطيبٍ ، فنظر إليه النبي ﷺ ساعة ثم سكت ، فجاءه الوحي (عرفوا ذلك من علاماته فغطوا

(١) مسلم رقم (٢٣٣٥) .

وجه رسول الله (فأشار (عمر) بيده إلى (يعلى بن أمية) قال ! فجاء (يعلى) فأدخل رأسه فإذا النبي ﷺ محمراً الوجه يغط ساعة ، ثم سُري عنه ، فقال : أين الذي سألتني عن العمرة آنفاً ، فالتُمس الرجل ، فجيء به ، فقال النبي ﷺ : أمّا الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات ، وأمّا الجبة فانزعها ، ثم اصنع في عمرتك ما تصنع في حَجِّك » (١) .

يتبين من الحديث السابق أنَّ يعلى بن أمية شاهد مرحلة احمرار الوجه والغطيط ، حيث يبدو أنَّ مرحلة الوحي قد أخذت بالتراجع ، فأخذ الوجه يحمرُّ بعد أن كان رمادي اللون ، لكن ذلك ترافق مع الغطيط ، والغطيط : هو ما يشبه صوت النائم الذي يردّد الكلام مع نفسه .

٥- نهاية الوحي :

ما أن ينتهي الوحي حتى يرفع رسول الله ﷺ رأسه ، وعندها تختفي جميع أعراض الوحي ، ليعلن تلقّيه أمراً جديداً من أوامر الله عز وجل ، كما لاحظنا في الحديث السابق .

يقول عبادة بن الصامت : « . . . فلما أُتلي عنه رفع رأسه » (٢) .

مما سبق يتّضح أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يعرفون من خلال وجه وقسمات وجه رسول الله ﷺ ، وتصرفاته ؛ طريقة الوحي التي يُوحى الله تعالى بها إليه ، بل ، ويعرفون المرحلة التي يمرُّ بها رسول الله ﷺ أثناء إحياء الله تعالى إليه .

هذا وإننا نعتقد أنَّ كلاً من إبراهيم وموسى عليهما السلام كانت تظهر عليهما علامات ، على الأقل مشابهة للعلامات التي كانت تظهر على

(١) مسلم رقم (١١٨٠) .

(٢) مسلم رقم (٢٣٣٥) .

محمد ﷺ إن لم تكن مطابقة ، وإنَّ عدم وجود دليل عليها في التوراة راجعٌ إلى نقصٍ أحدثه كتبةُ التوراة ، سواء كان ذلك عن قصدٍ منهم ، أو عن غير قصدٍ ، والله أعلم .

ومهما كان الزمن اللازم للوحي ، أو طريقته فإنَّ محمداً ﷺ كان يعرفُ بعد أن يُوحى إليه ، فيما إذا كان الوحي هو آية ، أو آيات قرآنية ، أو أحاديث قدسية ، أو حديثاً يجب أن يصوغه هو ، أو إعلام بغيب . وهكذا فإنَّ ظهور العلامات الشكلية على النبيِّ التي تُسفر بعدها عن معلوماتٍ جديدة ، لا بدَّ وأن تكون دليلاً على نبوّته .

* * *

دليل الوحي الثاني

معرفة ما تختلج به صدور الناس

إنَّ معرفة حديث نفوس البشر أمر يتحيل على البشر معرفته ، ومن المسلمَّ به عند البشر أنَّ أمراً كهذا لا يعلمه إلا الله وحده .

لكن من الطبيعي جداً عند الأنبياء أن يعلموا خفايا نفوس البشر ، وذلك لأنَّ الله تعالى يعلم أنبياءه بما يجول في خواطر الناس عن طريق الوحي^(١) .

فلقد أعلم الله تعالى موسى عليه السلام أنَّ فرعون سيرفض تصديق نبوَّته ، حتى بعد أن يقدم له المعجزات كافة ، وأنَّه سيكذِّبه بعد كل معجزة من المعجزات .

كذلك فإنَّ المسيح عليه السلام قد علم خفايا نفوس معلمي الشريعة عندما قالوا عنه في نفوسهم : إنه مجدف^(٢) .

وحدث أنَّ محمداً ﷺ خرج إلى المشركين ذات مرة ، فتقاتل الجيشان لكنَّ رجلاً من المسلمين قاتل قتالاً ملفتاً للنظر حتى أصبح حديث الناس يومها ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال لهم : « إنَّ هذا الرجل من أهل النار !! »

(١) الخروج (٧، ١٩) .

(٢) متى (٩، ٤) .

كاد بعضُ المسلمين أن يرتاب في قول رسول الله ﷺ ، لكنَّ أحد المسلمين شاهد ذلك الرجل عندما جُرح جرحاً شديداً فلم يصبر على جرحه ، فقتل نفسه ، وقتل النفس انتحار ، والانتحار عقابه نار جهنم ، وصدق رسول الله ﷺ (١) .

ومهما يكن من روايات فما كان لموسى ، أو المسيح ، أو محمد عليهم الصلاة والسلام أجمعين أن يعلموا خفايا نفوس الناس لولا الوحي والنبوة .

* * *

(١) معنى الحديث في صحيح مسلم رقم (١١٢) .

دليل الوحي الثالث

معرفة ما يدور بين أتباع النبي سرّاً

ينعزل أتباع النبي أحياناً فيتناقشون ويتحاورون في أمر ما يخص نبوة نبيّهم ، وسواء كان رأيهم خيراً أم شراً ، فإنّ نبيّهم يعلمه دون أن ينقل إليه أحدٌ منهم إطار ، أو مضمون الحوار ، وذلك بالطبع لا يعني سوى شيئاً واحداً ، هو أنّ الله تعالى أخبر نبيه بخبرهم عن طريق الوحي ، دون أن يكون لذلك أيّ تفسير آخر .

فبينما موسى عليه السلام مواعِدُ ربه ليأخذ التوراة ، فإذا بنو إسرائيل اتخذوا العجل إلهاً بدل إله موسى عليه السلام ، فأخبر الله موسى عليه السلام قائلاً :

« قُمْ انزل عند شعبك الذين أخرجتهم من أرض مصر . عادوا سريعاً عن الطريق الذي أمرتهم بسلوكه ، فصنعوا عجلاً مسبوكاً ، وسجدوا له »^(١) .

وعندما كان المسيح عليه السلام وتلاميذه في بيت سمعان الأبرص يتناولون الطعام ، جاءت امرأة وفي يدها قارورة طيب غالي الثمن من الناردين النقي ، فكمسرت القارورة ، وسكبته على رأس المسيح عليه السلام ، فقال التلاميذ همساً بينهم :

« ما هذا الإسراف ؟ كان يمكن أن يباع غالياً ، ويوزع ثمنه على الفقراء ! فعرف يسوع ، وقال لهم : لماذا تزعجون هذه المرأة ؟ فهي

(١) الخروج (٣٢، ٧) .

عملت لي عملاً صالحاً . فالفقراء عندكم في كل حين . وأما أنا فلا أكون في كل حين عندكم»^(١) .

أما محمد ﷺ فقد دخل مكة ، فجاءه أبو سفيان فقال له : يا رسول الله أريدت خضراء قريش ، فلن يكون هناك قريش بعد اليوم ! فقال رسول الله ﷺ : « . . . من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن ألقى السلاح فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » فقالت الأنصار (المسلمون من أهل المدينة) أما الرجل (يعنون محمداً ﷺ) فقد أخذته رافةً بعشيرته (لأنه من قريش) ورغبةً في قريته . ونزل الوحي على رسول الله ﷺ ، قال : « قلت : أما الرجل فقد أخذته رافةً بعشيرته ورغبةً في قريته ، ألا فما أسمي إذاً (كررها ثلاث مرات) أنا محمد عبد الله ورسوله ، هاجرت إلى الله وإليكم ، فالمحيا محياكم ، والممات مماتكم ! قالوا : والله ما قلنا إلا ضناً بالله ورسوله ! قال : « فإنَّ الله ورسوله يصدقانكم ، ويعذرناكم »^(٢) .

لاحظنا ممَّا سبق أنَّ بني إسرائيل اتخذوا العجل ظناً منهم أنَّ موسى عليه السلام لن يعلم ما فعلوا . . . لكن الله أعلمه .

وظن تلاميذ المسيح عليه السلام أنَّ معلمهم لن يعلم بما كانوا يتناجون ، لكنه علم ، وأعلمه الله .

وظن الأنصار أنَّ محمداً ﷺ لن يعلم ما يدور بينهم ، لكنَّه علم وأعلمه الله تعالى . . . ثم أعلمهم أنَّ الله تاب عليهم ؛ لأنَّ الله تعالى أعلمه أيضاً .

وهكذا فإنَّ معرفة نبيٍّ بما يدور في نفوس أصحابه أمرٌ لا يمكن أن يعرفه نبيٌّ من ذاته إلا بإخبارٍ وإعلامٍ من الله ، وذلك هو الوحي .

(١) متى (٢٦، ٦-١١) .

(٢) مسلم من حديث رقم (١٧٨٠) .

دليل الوحي الرابع

معرفة ما يدور بين أعداء النبوة

لكلّ نبيٍّ من الأنبياء أعداءٌ يعملون على محاربته هو وأتباعه ، ويتمتع هؤلاء الأعداء عادة بالخُبث الشديد ؛ الذي يجعلهم يفكرون بأساليب شيطانية للنيل من ذلك النبيِّ وأتباعه ، وعلى الرغم من ذلك فإنّ الأنبياء يعرفون ما يدبّر لهم أعداؤهم ، وتنقلب الخطة على رؤوس أصحابها ، فيهزم الأعداء ، وينتصر النبيُّ وأتباعه .

فلقد ترك فرعون موسى عليه السلام يرحل بأتباعه من مصر ، لكنه قرر في اللحظات الأخيرة أن يقضي على موسى عليه السلام وأتباعه ، فتبعهم ليقضي عليهم ، ولما اقترب فرعون وجنوده من بني إسرائيل المحاصرين بينهم وبين البحر ، جزع بنو إسرائيل ، واستجدوا بموسى عليه السلام ، فأوحى الله إلى موسى عليه السلام قائلاً :

« قل لبني إسرائيل ليرحلوا . وأنت ارفع عصاك ومدّ يدك على البحر فينشق ليدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على الأرض اليابسة . وأنا أقسّي قلوب المصريين فيدخلون وراءهم ، فأجهز على فرعون ، وجميع جنوده ، ومركباته ، وفرسانه ، فيعلم المصريون متى أجهزت عليهم أنّي أنا الربُّ »^(١) .

(١) الخروج (١٤، ١٥-١٨).

وضرب موسى عليه السلام البحر بعصاه ، فانشقَّ البحر ، وسلك بنو إسرائيل فيه ، فتبعهم فرعون وجنوده حتى توسَّطوا طريق البحر ، في الوقت الذي وصل فيه بنو إسرائيل إلى الضفة المقابلة ، وعندها ضرب موسى عليه السلام البحر بعصاه ، فعاد البحر إلى حاله ، وغرق كلُّ من فيه من فرعون إلى آخر جندي عنده ، ونجا موسى عليه السلام وأتباعه من كيد فرعون .

ولقد تأمر أحدُ تلاميذ المسيح عليه السلام مع رؤساء الكهنة ؛ الذين رغبوا أن يمسكوا بالمسيح عليه السلام بعيداً عن عيون المؤمنين به ، لكنَّ المسيح عليه السلام علم بتلك المؤامرة ، وقال : « الحقُّ أقول لكم : واحدٌ منكم سيسلمني »^(١) .

أمَّا محمد ﷺ ؛ فقد وادع اليهود ، وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وذلك عندما دخل المدينة المنورة ، وبناءً على هذه المعاهدة والموادعة توجَّه رسولُ الله ﷺ إلى يهود بني النضير يستعينهم في دية قتيلين قتلها عمرو بن أمية الضمري عن طريق الخطأ ، وفعلاً استجاب يهود بني النضير لطلب رسول الله ﷺ ، لكنهم لما خلوا إلى بعضهم بعض ؛ قالوا :

« إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدارٍ من بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلو على هذا البيت ، فيلقي عليه صخرة ، فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحَّاش بن كعب ، أحدهم ، فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلقي عليه صخرة ، كما قال ، ورسول الله ﷺ في نفرٍ من أصحابه ، فيهم أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، رضوان الله عليهم .

(١) متى (٢٦، ٢١) .

فأتى رسول الله ﷺ الخبرُ من السماء بما أراد القوم ، فقام ، وخرج راجعاً إلى المدينة ، فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه ، قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة ، فسألوه عنه ، فقال : رأيته داخلًا المدينة ، فأقبل أصحابُ رسول الله ﷺ ، حتى انتهوا إليه ﷺ فأخبرهم الخبر ، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم ، والسير إليهم .

وسار محمد ﷺ وأصحابه إلى يهود بني النضير ، وحاصروهم ، فطلبوا من رسول الله ﷺ أن يجليهم ، ويكفَّ عن دمائهم على أنَّ لهم ما حملت الإبل من أموالهم دون السلاح ، فوافق محمد ﷺ على طلبهم ، فاحتلوا أموالهم على جمالهم ، فكان اليهوديُّ يهدم بيته حتى العتبة ، ويحمله على بعيره ، وخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام^(١) .

وهكذا فإنَّ الأنبياء دائماً يعلمون بما يدور بين أعدائهم ، وليس هذا إلا وحيٌّ من الله ، لأنه عز وجل علَّام الغيوب .

* * *

(١) سيرة ابن هشام (ج ٣ ، ص ١٧٢) .

دليل الوحي الخامس

الإجابة عن الأسئلة المخرجة

كل واحد من البشر يتعرض لأسئلة أو مواقف تتناقض مع مبدئه ، أو أفكاره ، أو معتقداته فيقف محرجاً ، لا يستطيع الإجابة عليها ، لكن الأنبياء دائماً لا يستطيع أحد إحراجهم ؛ لأن هناك وحياً يخبرهم عن كل شيء يريدون معرفته .

قسم موسى عليه السلام الأرض المقدسة على بني إسرائيل ، لكن بنات صلفحاد اللائي مات أبوهن قبل التوزيع لم يصبن نصيب من الأرض ، حيث أخذ أعمامهن نصيب أبيهن ، فاعتزمت بنات صلفحاد ، وسألن موسى عليه السلام عن ذلك .

فقال الله لموسى عليه السلام : « بالصواب نطقت بنات صلفحاد ، أعطيهن ميراثاً فيما بين أعمامهن ، وانقل ميراث أبيهن إليهن »^(١) .

وأما المسيح عليه السلام الذي دفع إليه الفريسيون بعض تلاميذهم ليحكوا كلمة على المسيح عليه السلام ، فقالوا له : أيجل دفع الجزية إلى القيصر أم لا ؟ فأدرك المسيح عليه السلام ما يرمون إليه ، فقال : « لماذا تحاولون أن تخرجوني ؟ هاتوا ديناراً لأراه فأعطوه ديناراً ، فقال :

(١) العدد (٢٧ ، ٧) .

لمن هذه الصورة وهذا الاسم ؟ قالوا : لقيصر ! فقال لهم : ادفعوا إلى قيصر ما لقيصر ، وإلى الله ما لله ^(١) .

ويبدو أن الفريسيين يجنون طريقة إحراج الأنبياء ، فقد مارسوها مع المسيح عليه السلام ، وكرّروها مع محمد ﷺ ، فمن هذه الأسئلة ما حدث مع الرسول ﷺ ، وعبد الله بن عمر يروي ذلك ، فيقول :

« بينما أنا أمشي مع النبي ﷺ في حرث (بستان نخيل) وهو متكئ على عسيب (جريدة نخيل) إذ مرّ بنفر من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح (الوحي) فقالوا : ما رابكم إليه لا يتقبلكم بشيء تكرهونه ، فقالوا : سلوه ، فقام إليه بعضهم ، فسأله عن الروح ، قال فَكَتَّ النَّبِيُّ ﷺ ، فلم يردّ عليه شيئاً ، فعلمت أنه يوحى إليه ، قال : فقامت مكاني ، فلما نزل الوحي ؛ قال : ﴿ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(٢) [الإسراء : ٨٥] .

وهكذا فإنّ الأنبياء لا يستطيع أحدٌ إحراجهم ؛ طالما أنهم مؤيدون بوحى يسعفهم بالإجابات الحاسمة كلما لزم الأمر ذلك .

* * *

(١) مرقص (١٢ ، ١٥) .

(٢) مسلم رقم (٢٧٩٤) .

دليل الوحي السادس

الإخبار عن ملكوت الله

ملكوت الله هو العالم الذي لا يشاهده البشر ، من جنّة ، ونار ، وحساب ، ومخلوقات الله غير المرئية من ملائكة وجنّ . . . إلخ .

وبالطبع فإنّ التحدّث عن هذا الملكوت أمرٌ فوق مقدرة البشر على الوصف ، فإذا كان الأنبياء يصفون هذا الملكوت بدقّة متناهية حتى أنهم ليصفون مشاهد من العالم الآخر بطريقة مذهلة ، تجعلنا على يقين من أنّ مصدر هذا الوصف هو خالق هذا الملكوت المدهش .

لا تجد في التوراة حديثاً عن ملكوت الله لكن بقية أسفار العهد القديم شملت إشاراتٍ إلى بعض مشاهد ملكوت الله ، فقد ورد : « هكذا قال السيد الرب لهذه العظام : سأدخل فيك روحاً فتحيين ، أجعل عليك عصباً وأكسيك لحماً ، وأبسط عليك جلدأ ، وأنفخ فيك روحاً ، فتحيين ، وتعلمين أنّي أنا هو الرب »^(١) .

وورد أيضاً :

« زوالاً أزيل كلّ شيءٍ عن وجه الأرض ، يقول الرب : أزيل البشر والبهائم ، أزيل طير السماء ، وسمك البحر ، وأسقط الأشرار ، وأقطع الإنسان عن وجه الأرض »^(٢) .

(١) سفر حزقيال (٣٧ ، ٥) .

(٢) سفر صفنيا (١ ، ٢ و٣) .

وورد أيضاً :

« تَجَمَّعِي واجتمعي أيتها الأمة التي لا تنكسف قبل أن تتبددي كالتبن في يوم من الأيام ، قبل أن يحلَّ بك اضطرام غضب الرب ، قبل أن يحلَّ بك يوم غضب الرب . التمسوا الرب يا جميع ودعاء الأرض الذين عملوا بأحكامه ، اطلبوا العدل . اطلبوا الوداعة . فلعلَّ الرب يسترکم في يوم غضبه »^(١) .

وورد أيضاً :

« يقول الرب : انتظروني إلى يوم الحساب . بالعدل سأجمع الأمم ، وأحشد الممالك . أصبُّ عليهم سخطي ، وكلُّ حدة غضبي . فتؤكل الأرض كلها بنار غيرتي »^(٢) .

وورد أيضاً :

« وقال الرب القدير : سيأتي يوم يحترق فيه جميع المتجبرين وفاعلو الشر كالقش في التنور المتقد ، في ذلك اليوم يحترقون ، حتى لا يبقى لهم أصل ولا فرع . وتشرق لكم أيها المتَّقون لاسمي شمس البر والشفاء في أجنتها ، فتسرحون وتمرحون كالعجول المعلوفة ، وتدوسون الأشرار وهم رماد تحت أخامص أقدامكم ، يوم أعمل عملي ، أنا الربُّ القدير »^(٣) .

وقال المسيح عليه السلام لتلاميذه :

« وإذا امتنع بيت أو مدينة عن قبولكم أو سماع كلامكم ، فاتركوا

(١) سفر صفنيا (٢، ١-٣) .

(٢) سفر صفنيا (٣، ٨) .

(٣) سفر ملاخي (٣، ١٩-٢١) .

المكان وانفضوا الغبار عن أقدامكم . الحق أقول لكم : سيكون مصير سدوم وعمورة يوم الحساب أكثر احتمالاً من مصير تلك المدينة «^(١) .

وذات يوم ضرب المسيح عليه السلام مثلاً عن زوان الحقل ليشبه لتلاميذه ملكوت الله والحياة بعد الموت ، لكن التلاميذ لم يفهموا ذلك المثل فطلبوا منه أن يفسر لهم ذلك المثل ، فقال : « الذي زرع زرعاً جيداً هو ابن الإنسان ، والحقل هو العالم ، والزرع الجيد هو أبناء الملكوت ، والزوان هو أبناء الشرير ، والعدو الذي زرع الزوان هو إبليس ، والحصاد هو نهاية العالم ، والحاصدون هم الملائكة . وكما يجمع الزارع الزوان ويحرقه في النار ، فكذلك يكون في نهاية العالم » .

ثم استطرد قائلاً « إِنَّ الملائكة يجمعون من ملكوته كل المفسدين والأشرار ويرمونهم في أتون النار ، فهناك البكاء وصرير الأسنان . وأما الأبرار ، فيشرقون كالشمس . . . »^(٢) .

وأما محمد ﷺ فقد تكلم عن عالم الملكوت كلاماً أفاض فيه لدرجة أن أقواله عن الملكوت تكاد تكون صوراً حيّة مرسومة بالكلمات للسامع ، أو القارئ . . . فلقد قال ﷺ عن الموت :

« إِنَّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة »^(٣) .

وقال محمد ﷺ في عذاب القبر :

« إِنَّ العبد إذا وضع في قبره ، وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع

(١) متّى (١٠، ١٤) .

(٢) متّى (١٣، ٣٦-٤٣) .

(٣) مسلم رقم (٢٨٦٦) .

نعالهم . قال : يأتيه ملكان فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل (محمد ﷺ) قال : فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله . قال : فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة . قال نبيُّ الله ﷺ : فيراهما جميعاً . قال (راوي الحديث) وذكر لنا (رسول الله) أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً ، ويملاً عليه خضراً (نعماً غضة من الله تعالى) إلى يوم يبعثون «^(١) .

هذه حال المؤمن الناجي من عذاب القبر ، أما الكافر الذي لا يجيب عن أسئلة الملكان فإنه يعذب كما قال محمد ﷺ : « ... فلولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع »^(٢) .

وقال ﷺ عن يوم الحشر :

« يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً (غير مختونين) »^(٣) .

وقال ﷺ أيضاً في يوم الحشر كما يروي عنه سليم بن عامر :

« تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل . قال سليم بن عامر : فوالله ما أدري ما يعني بالميل أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين . قال : فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً . قال : وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه »^(٤) .

(١) مسلم رقم (٢٨٧٠) .

(٢) مسلم رقم (٢٨٦٧) .

(٣) مسلم رقم (٢٨٥٩) .

(٤) مسلم رقم (٢٨٦٤) .

ومما قاله رسول الله ﷺ في وصف حال أهل الجنة :

« أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون فيها ، ولا يتمخضون ولا يتغوطون فيها ، أنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة ومجامرهم من الألوة (العود الهندي شكل من أشكال البخور) ورشحهم المسك ، ولكل واحدٍ منهم زوجتان يُرى منهُ ساقهما من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ، ولا تباغض ، قلوبهم قلبٌ واحدٌ ، يسبحون الله بكرةً وعشيا »^(١) .

ومما قاله محمد ﷺ في وصف حال أهل جهنم :

« في جهنم كلاب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم السعدان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ! قال : فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم . . . »^(٢) .

« يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجزؤونها »^(٣) .

وقال أيضاً ﷺ عن حر جهنم :

« ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم . قالوا : والله إن كانت لكافية يا رسول الله ! قال : فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها »^(٤) .

« إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار إلى النار أتى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم ينادي منادٍ : يا أهل الجنة

(١) مسلم رقم (٢٨٣٤) .

(٢) مسلم من حديث رقم (١٨٢) .

(٣) مسلم رقم (٢٨٤٢) .

(٤) مسلم رقم (٢٨٤٣) .

لا موت ، ويا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ،
ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم»^(١) .

ويتشفع الله تعالى والملائكة ، ويشفع الأنبياء ، ويشفع المؤمنون ،
فيخرج الله تعالى من جهنم من شاء ، لكنه أرحم الراحمين فيخرج أيضاً
من جهنم قبضةً من أهل جهنم ، كما قال محمد ﷺ : « فيقبض قبضةً من
النار فيُخرجُ منها قوماً لم يعملوا خيراً قطُّ قد عادوا حمماً فيلقِيهم في نهرٍ
في أفواه الجنة يقال له : نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة في
حميل السيل . . . »^(٢) .

بناءً على عرض الأنبياء لعوامل ومشاهد ملكوت الله المذهل يبدو لنا
أنَّ هناك سؤالاً يطرح نفسه ، ونجد أنفسنا مضطرين للإجابة عنه ، وهو :
هل الإخبار عن ملكوت الله دليلٌ على نبوة نبيٍّ من الأنبياء ؟

الجواب : نعم ؛ هو دليل على نبوة كل نبي يتحدث عنه .

والسبب في ذلك أنَّ ملكوت الله ، وهو العالم الذي لا يستطيع
الإنسان معرفته ، تختفي معارفه وراء جدارٍ صلبٍ عريضٍ شاهقٍ ،
لا يستطيع الإنسان أن يتخطاه ، لكون الإنسان محدود القدرات العقلية من
جهة ، ولا تتوافر لديه معطيات تجعله يصل إلى اكتشاف ما وراء هذا
الجدار الصلب العريض الشاهق .

ولتوضيح الفكرة نضرب مثلاً عليها ؛ ما يتصوره البشر اليوم عن
وجود كائنات مفكرة على كوكب آخرٍ من الكواكب المتشرة في أرجاء هذا
الكون الشاسع الواسع .

(١) مسلم رقم (٢٨٥٠) .

(٢) مسلم رقم (١٨٣) .

ينطلق أصحاب هذا التصور من نظرية علمية تقول : إنَّ الكواكب الكثيرة المنتشرة في الكون لابدَّ وأنَّ واحداً منها على أقلَّ تقدير قد توافرت له الحرارة المناسبة ، والهواء ، والماء ، وهي عوامل ضرورية لظهور كائنات حيّة مفكرة ، أو حتى غير مفكرة .

بناءً على هذه النظرية أطلق كتّاب الخيال العلمي لخيالهم العنان ، فتخيّلوا كائنات مفكرة بأشكالٍ مختلفة أحياناً إنسانية الملامح أو إنسانية معدّلة ، وربما تصوّرها بعضهم ذات قوى خارقة ، أو ذات قوى أقل من قدرة البشر العادية ، وتصورّها بعضهم الآخر ذات أشكالٍ حيوانية مخيفة أو أليفة ، وربما تخيّلها بعضهم ذات أشكال طائفة أو ديناصورية ، أو بحرية ... إلخ .

ومهما كان شكل هذه المخلوقات المفكرة التي تخيلها كتّاب الخيال العلمي فإنَّ المنطق العلمي يسقط كلّ هذه التخيّلات ، وذلك لأنَّ هذه التخيّلات مبنية على معطيات كوكب الأرض مع الإنسان الذي يعيش عليه ، ومن ثَمَّ فإنَّ فرضيتهم تنطلق من وجود كوكب يبعد عن شمسنا كبعدنا عن شمسنا ، وحجمه ، وسرعته ، وميله على محوره يماثل أرضنا ، وشمسه كحجم شمسنا ، وافترضوا أنَّ هواءه كتركيب هوائنا ، وأنَّ ماءه كمائنا ، وهكذا ...

فإذا علمنا أنَّ كوكب الأرض متلائم تماماً مع الإنسان الذي يعيش عليه الذي يتلاءم بدوره تماماً مع الشمس التي تسطع عليه ، عرفنا أنَّ هناك الكثير من العوامل الثابتة التي جعلت الإنسان إنساناً على ما هو عليه .

فلو فرضنا أنَّ الأرض زادت سرعتها إلى الضعف لتوجب على الإنسان أن ينام ٢٤ ساعة ويستيقظ أربعة وعشرين ساعة ، الأمر الذي يعني تضاعف متوسط عمر الإنسان بحيث يصبح متوسط حياته ١٢٠ عاماً على

سبيل المثال ، وذلك لكون عالمنا الحالي سيتضاعف نتيجة أنَّ السنة الواحدة أصبحت ستين لكون الأرض دارت مرّتين حول الشمس ، الأمر الذي يعني أنَّ مقاييس الزمن ستختلف ، ودورة الفصول الأربعة ستختلف ، وبالتالي ستختلف طبيعة كل كائن حيٍّ على الأرض ؛ لأنَّ دورة حياة النبات والحيوان والإنسان مربوطة ارتباطاً عضوياً بحركة الأرض .

هذا ما يخصُّ متغير واحد ، فكيف إذا تغيّرت كافة العوامل المتغيرة بين الكوكب والشمس والكائن الحي ، فإنه لا بدَّ أن يكون التغير كبيراً لدرجة تعجز عنه قدرات الخيال البشرية عن معرفته ، أو على الأقل توقّعه ، وذلك لأنَّ الخيال لا يأتي من فراغ ، بل لا بدَّ أن يأتي الخيال من معطيات ثابتة ينطلق منها عقل البشر .

بناءً عليه فإن حديث أي نبي عن ملكوت الله ليس خيالياً ، ولا تخيلاً ؛ لأنَّ التخيل يحتاج كما أسلفنا إلى معطيات ، فإذا علمنا أنَّ الإنسان لا يعرف شيئاً عن ملكوت الله ، فمن أين جاء النبيُّ بذلك الحديث عن الملكوت ؟

سيما وأن البشر لديها مسلمات بأن الموتى لا يقومون ، وأنَّ الملائكة لا يظهرون للبشر ، كما أنَّ أحداً لم يعد بعد الموت ليخبرهم بأنَّه عذب في جهنم ، أو أنه أدخل الجنة بسلام . . .

فمن أين جاء النبيُّ بذلك الحديث عن الملكوت ، طالما أنَّ الحديث عن الملكوت ليس خيالياً ، ولا يمكن كما بينا سابقاً أن يكون خيالياً !!

إذاً من أين جاء النبيُّ بذلك الحديث عن الملكوت طالما أنَّ الأنبياء لا يكذبون بحرفٍ واحدٍ لا قبل نبوتهم ، ولا بعدها ، كما أنَّ الكذاب يحتاج إلى منطلقات يبني عليها كذبه ، وهذه المنطلقات مبنية على

معارف أساسية يعلمها الناس كافة ، وتحتاج إلى شهود زور ، ولم يحدث أن تحدّث نبيٌّ عن ملكوت الله ، وأشهد على ما يقول شهوداً ، كما أنّه يتحدث عن ملكوت الله الذي ينكره الأغلبية ، وكان على ذلك النبي أن يتجاهل هذا الموضوع حتى لا يثير نقمة أعدائه على الأقل ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنّ قانون المصلحة الذي تعارف عليه البشر يقتضي أنّ النبيّ الذي يتحدث عن ملكوت الله لابدّ أن يكون له أهداف تعود عليه بمنافع يجنيها من وراء هذه الدعوة ، فما هي مصلحة أيّ نبيّ في التحدّث عن ملكوت الله الذي يخشاه هو لدرجة البكاء خوفاً من هول هذا الملكوت الرهيب .

ثم ما هو الشيء الذي يجعل الأنبياء جميعهم يتحدثون عن ملكوت الله من آدم مروراً بالمسيح ، وانتهاءً بمحمد عليهم الصلاة والسلام أجمعين .

إنّ التحدّث عن ملكوت الله من قبل الأنبياء أجمعين لا يمكن إلا أن تكون معلوماته صادرةً فقط عن الله وحده الذي زوّد بها أنبياءه أجمعين عن طريق الوحي ، فأعلم أنبياءه بها لإنذار البشرية على مرّ العصور من عاقبة الانحراف عن الطريق الذي رسمه الله تعالى لعباده ، ومن هنا نطّيع أن نعرف أنّ الأنبياء لا يستطيعون كتم أيّ رسالةٍ أمرهم الله بتأديتها وحيّاً حتى ولو كانت الرسالة سبباً في ثورة أعدائه عليه ، أو انقلاب أتباعه عليه .

وأخيراً وجواباً عن السؤال الذي طرحناه بدايةً : هل الإخبار عن ملكوت الله دليلٌ على النبوة ؟

نقول : إنّ الإخبار عن ملكوت الله هو دليل نبوّة ، لأنّه عالمٌ لا يستطيع أحدٌ من البشر أن يتخيله حتى النبي نفسه قبل نبوته ، ومما يؤكد أنّ الإخبار عن ملكوت الله دليلٌ على نبوّة كلّ نبيٍّ من الأنبياء أنّ مسلسل الأنبياء كلّّه تحدث عن ملكوت الله حتى لو افتقرت نصوص العهد القديم

عن إيراد الحديث عن ملكوت الله على لسان بعض الأنبياء ، فذلك يعود إلى ظروف كتابة العهد القديم فقط .

والآن وبعد أن أُعْلِمَت البشرية عن وجود ملكوت الله ، فلا يبدو أنَّ العقل السليم عاجزٌ عن الاقتناع بوجود هذا العالم الآخر .

وذلك انطلاقاً من فكرة بسيطة مفادها : أنَّ السفّاحين الذين عرفتهم البشرية ، وهلكوا دون محاسبة ، أو محاكمة ، أو إدانة ، من غير المعقول أن تنتهي جرائمهم عند حدّ الموت والفناء في تراب القبور ، في حين أنَّ ضحاياهم ماتوا ظلماً دون أن تقتص من ظالمهم البشرية .

الأمر الذي ترفضه طبيعة البشر التي تسعد عند تحقيق العدالة بين البشر ، إذ لا بدّ من أن يكون عند الله تعالى خالق البشر قانونٌ عادلٌ يضمن للمظلومين القصاص من ظالمهم حتى بعد الموت ، وبذلك يتحقق مبدأ ردع الظالم على الأرض وسعادة المظلوم بإنصافه من ظالمه بعد الموت ، الأمر الذي يهدى نفوس المظلومين بأنَّ إلههم سيستقم لهم من عدوهم الذي سيتساوى معهم في المنزلة بين يدي الله تعالى في الآخرة يوم الحساب .

ففي يوم الحساب سيحاسب فرعون ونيرون وسيحاسب جانكيز خان وسيحاسب بونابرت ، وسيحاسب هتلر ، وسيحاسب ترومان . . . وكلُّ مجرم أحلّ لنفسه إزهاق أرواح البشر دون وجه حقّ . . .

وبالطبع فإنَّ الحساب يقتضي المكافأة كما يقتضي العقوبة ، فالعقوبة هي النار والمكافأة هي الجنة ، ولما كان العقاب شديداً لذلك يتوجب أن يكون العقاب على روح وجسد الظالم ، كما أنَّ المكافأة تقتضي أن تكون كبيرة للشعور باللذة الروحية والجسدية لأصحاب الجنة .

الأمر الذي يتطلب إعادة إحياء الخلائق كما كانت في دنياها حتى

تتعرف الخلائق على بعضها ، فيستطيع المظلوم أن يتعرف على ظالمه ،
ويطلب من ربه القصاص العادل ، ومن هنا توجب أن يكون في الآخرة
بعث جديد .

ولما كان الناس المبعوثون عادوا إلى حياتهم كلهم دفعة واحدة منذ
آدم عليه السلام وحتى يوم البعث ، الأمر الذي يعني عدداً لا نستطيع
تصوره لكبره ، لذلك فإن ملكوت الله لا بد أن يحوي مخلوقات موجهة
لهذه الجموع الغفيرة من المخلوقات التي تعمل على توجيه هذه الجموع
بناءً على أوامر الله تعالى .

ولما كانت نتيجة الحساب جنة الخلد لأهل الجنة ، ونار جهنم لأهل
جهنم ، فإن المخلوقات الملكوتية يجب أن تكون على نوعين نوع يتولى
أهل الجنة ونوع آخر يتولى أهل جهنم ، وبالطبع فإن النوع الذي سيتولى
تعذيب أهل جهنم هو من طبيعة تتلاءم مع حر جهنم ، بحيث لا تتأذى هي
نفسها من معالجة المعذبين فيها .

وهكذا فإن يوم البعث حق ، ويوم النشور واجتماع الخلائق حق ،
ويوم الحساب حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والملائكة حق ، وخزنة
جهنم حق ، وكل ما جاء على لسان الأنبياء حق لا بد وأنه واقع . . .

فاحذروا يوم الحساب يا بني الإنسان !!!

* * *

دليل الوحي السّابع

الإخبار عن الماضي البعيد

يُعتبر الإخبار عن الماضي في عصرنا علماً ، حيث استطاعت البشرية أن تجمع وثائقها لتنتج علماً جديداً هو علم التاريخ ، لكن ذلك لا يعني أبداً أنَّ البشرية استطاعت أن تعرف تاريخ الإنسانية كلّهُ منذ آدم عليه السلام ، وحتى هذا اليوم .

حيث تطالعنا الأبحاث الحديثة عن اكتشافات جديدة لحضارات قديمة لم تكن معروفة للعالم قبل هذا الاكتشاف .

لكنَّ الأنبياء ليسوا مهتمين بالتاريخ من أجل معرفة التاريخ في حدِّ ذاته ، بل الأنبياء يهتمُّون بالتاريخ النبويِّ فقط من حيث إيمان الشعوب بالله الواحد ، ومدى تجاوب الشعوب مع الأنبياء المرسلين إليهم .

فالأنبياء يتحدَّثون عن تاريخ شعبٍ من الشعوب من خلال علاقتهم بنبِيِّهم وحالتهم الدينية ، وحواراتهم معه ، ومدى إيمانهم به ، أو رفضهم له ، وكيف كان ثوابهم ، أو عقابهم ، وحيث إنَّ البشر عادةً لا يعرفون كلَّ الماضي حتى ولو قصدوا معرفته ، فإنَّ الأنبياء عادةً يخبرون أخبار الأنبياء بحسب المواقف التي يحتاج أتباعهم لمعرفة ، وذلك لضرورة الموعظة ، والهداية ، والإيمان .

وذلك يعني أنَّ الأنبياء يذكرون قصص الأنبياء السابقين ليس للتسلية ، ولا بهدف اللهو ، بل بهدف الموعظة من جهة ، ولإثبات وتأكيد

نبوتهم ، كما نسعى أن نثبت في بحثنا هذا .

لقد أخبر موسى عليه السلام أنَّ سدوم ، وعمورة ، وأدمة ، وحبويم مدن كان يعيش فيها أمم كفرت بالأنبياء وبالله تعالى ، فأبادهم الله كما أباد قوم نوح من قبل^(١) .

كذلك أخبر المسيح عليه السلام أنَّ سدوم وعمورة مدن أبيدت ؛ لأنها كفرت بالأنبياء ومرسل الأنبياء^(٢) ، كذلك أخبر عن هلاك قوم نوح عليه السلام^(٣) .

أمّا محمد ﷺ فقد أخبر عن كافة الأمم التي هلكت وأبيدت نتيجةً لكفرها بالله وبأنبيائه .

فقد ذكر محمد ﷺ تفاصيل عن قصة إبادة قوم نوح ، وإبادة قوم مدين (مديان) وكيف أباد قوم لوط (سدوم) وهي أقوام أبيدت يعرفها أهل التوراة والإنجيل .

لكن محمداً ﷺ تحدّث عن شعوب عربية أبيدت نتيجة كفرها بالله ، وأنبيائه ، حيث شتت الله شعب سيل العرم الذي هدم الله لهم السدّ ، فكان سبباً في هجرة اليمينين إلى أنحاء الجزيرة العربية والشام .

أما عاد الذين سكنوا الأحقاف في اليمن ، والذين كانت لهم القصور والبساتين التي أشادوها ببسطة أجسامهم وقوة أبدانهم الذين عبدوا الأصنام ، وتركوا عبادة الله الواحد . فبعث الله لهم النبيّ هود ؛ الذي دعاهم إلى عبادة الله الواحد ، لكنّهم رفضوا دعوته ، وطالبوه بأن يأتيهم بعذاب الله الذي كان يخيفهم منه ، فأرسل الله سبحانه أسود استبشرت عادٌ

(١) التثنية (٢٩، ٢٢) .

(٢) متى (١٠، ١٥) .

(٣) لوقا (١٧، ٢٧) .

به على أنه سحب ممطر ، لكنهم فزعوا عندما شاهدوا الرياح التي ترافقت مع السحاب الأسود تقلع جمالهم ، فتقذفها في الهواء ، فدخلوا بيوتهم خائفين ، وأغلقوا أبوابها . لكنَّ السحاب لم يمطر بل كان رياحاً رملية استمرت ثمانية أيام وسبع ليال طمرت البيوت بمن فيها وأبيدت عادً ، ونجا هود ومن آمن به ؛ حيث لم تنالهم الرُّمال ، فارتحل معهم إلى حضرموت وأكمل بقية حياته وأتباعه فيها .

كذلك مدائن صالح الواقعة على طريق القوافل بين الحجاز والشام المعروفة حتى هذا اليوم ، حيث أشادت ثمود البساتين والقصور التي نحتوها في الجبال ؛ لتمنع عنهم نوايب الدَّهر ، لكنهم تركوا عبادة الله ، وتحولوا إلى عبادة الأوثان ، فأرسل الله إلى قوم ثمود نبيَّه صالحاً ، ورغم إيمان بعض المستضعفين به إلا أنَّ زعماء ثمود كذبوه وطلبوا منه معجزة ، فاستجاب الله لصالح عليه السلام طلبه ، لكنه حذره من أن عقوبة الكفر ستكون إبادة ثمود كلّها . وبدوره حذر صالح عليه السلام قومه لكنَّهم أصرّوا على طلب المعجزة فكان أن خلق الله ناقةً وابنها من صخرة ، وذلك على مرأى من القبيلة كلّها ، واشترط صالح عليه السلام على قوم ثمود ألا تشرب ناقةً إلا وحدها مع ابنها فخصصوا لها يوماً لتشرب ، ويوماً لشرب نوقهم ، ويوماً لكلثها ، ويوماً لكلا نوقهم .

حذر صالح عليه السلام المعاندين لنبوته من أن ينالوا الناقة بسوء ، وإلا كانت عاقبتهم وخيمة ، قرر الكفرة قتل صالح عليه السلام وأصحابه في ليلة واحدة وهم نيام .

لكنَّ الله تعالى أخبر نبيَّه بما يكيدون ، فلجأ وأتباعه إلى مكان أمين ، لكنَّ قوم ثمود قتلوا الناقة وابنها ، وعادوا إلى بيوتهم دون أن يعثروا على صالح عليه السلام وأتباعه .

عاد الكفرة من قوم ثمود إلى دورهم ، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ،
فأصبحوا في ديارهم جائمين .

وهكذا نجد أنَّ هؤلاء الأنبياء لم يكونوا ليعلموا أخبار الأقوام السابقين
لولا أنَّ الوحي أخبرهم بهذه الأخبار .

* * *

دليل الوحي الثامن

الإخبار عن المستقبل البعيد

مما لا شكَّ فيه أنَّ معرفة المستقبل أمرٌ فوق طاقة البشر ، ولو كان ذلك ممكناً لاستطاع الواحد منا معرفة مصيره أو مصير أولاده أو أمته ، أو الأمم الأخرى .

لكنَّ معرفة الغيب أمرٌ ربانيٌّ بحثٌ لا يعلمه إلا الله وحده ، ولما كان الأمر كذلك فإنَّ أيَّ شخصٍ يستطيع أن يخبر أخباراً ستحدث في المستقبل ، فإنَّ هذا الشخص لابدَّ أنَّه نبيٌّ إذا صدق في أخباره تلك . (وذلك ضمن شروط خاصة أخرى إضافية) .

لقد ترك جميع الأنبياء وراءهم أخباراً تدلُّ على صدق نبوتهم بعدهم ، وذلك إثباتاً لنبوتهم حتى بعد موتهم ، وذلك على مراحل زمنية مختلفة . فقد أخبر موسى عليه السلام أخباراً تحققت على فترات زمنية مختلفة :

أ- أخبار تحققت بعد موت موسى عليه السلام مباشرة :

لم يسمح الله تعالى لموسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة ، لكنَّ موسى عليه السلام أخبر أتباعه أنهم سيدخلون الأرض المقدسة بقيادة يشوع^(١) . وفعلاً دخل أتباع موسى عليه السلام الأرض المقدسة بقيادة يشوع بعد موت موسى عليه السلام مباشرة^(٢) .

(١) التثنية (٣١ ، ٧) .

(٢) يشوع (١ ، ١) .

ب- أخبار تحققت بعد موت موسى عليه السلام بحوالي أربعة قرون :
لقد أخبر موسى عليه السلام أنَّ بني إسرائيل سيعبدون الأصنام بعد دخولهم الأرض المقدسة^(١) .

وفعلاً أخذ بنو إسرائيل يعبدون الأصنام بعد أن انقسمت مملكة بني إسرائيل إلى قسمين شمالي وثنى بقيادة يربعام بن سليمان عليه السلام ، واستمروا على وثنيتهن حتى سقطت مملكة الشمال على يد الملك الآشوري سرجون الثاني سنة ٧٢٢ قبل الميلاد .

أما مملكة الجنوب فقد تحولت إلى عبادة الأوثان حتى تم القضاء عليها على يد نبوخذ نصر الكلداني سنة ٥٨٦ قبل الميلاد .

وعمل الآشوريون ومن بعدهم الكلدانيون على سبي وتشتيت بني إسرائيل ، كما أخبرهم موسى عليه السلام^(٢) .

ج- أخبار تحققت بعد موسى عليه السلام بستة عشر قرناً :

فلقد أخبر موسى عليه السلام بني إسرائيل أنَّ الله أخبره بأنَّه سيقوم لبني إسرائيل نبياً من أخوة بني إسرائيل صادقاً ينقل إليهم وحيه ، يتوجَّب عليهم أن يسمعوا له ، ويطيعوه ، وإلا سيكون حساب بني إسرائيل عسيراً^(٣) .

ولقد ظهر النبيُّ من إخوة بني إسرائيل الذين ينحدرون من إسحاق في نسل أخيه إسماعيل عليه السلام ، وصدق موسى عليه السلام ، فأنكر

(١) التثنية (٤، ٢٨) .

(٢) التثنية (٤، ٢٦) .

(٣) التثنية (١٨، ١٥ و ١٨) .

اليهود نبوة ذلك النبي الذي وعدهم موسى عليه السلام به ، وأمرهم باتباعه ، وحذّرهم من رفض نبوته .

كذلك المسيح عليه السلام فإنّه أخبر أخباراً وقعت على فتراتٍ زمنية مختلفة .

أ - إخبار المسيح عليه السلام لتلاميذه عن حوادث قريبة الوقوع :

أرسل المسيح عليه السلام تلاميذه وقال : « عندما تدخلان المدينة يلاقكما رجل يحمل جرّة ماء ، فاتبعاه إلى البيت الذي يدخله ، وقولا ربّ البيت : يقول لك المعلم : أين الغرفة التي سنتناول فيها عشاء الفصح مع تلاميذي ؟ فيريكما في أعلى البيت غرفةً واسعةً مفروشةً وهناك تهيتانه » . فذهبا ووجدا مثلما قال لهما^(١) .

ب - أخبار وقعت بعد المسيح عليه السلام بعدة عقود :

فقد حدث أن دنا إليه تلاميذه يوجهون نظره إلى أبنية الهيكل ، فقال لهم : « أترون هذا كله ؟ الحق أقول لكم : لن يترك هنا حجر على حجر ، بل يهدم كلّهُ »^(٢) .

أكدت الحقيقة والواقع أخبار المسيح عليه السلام عن هدم الهيكل فقد أمر القائد الروماني تيطس بتدمير القدس وإحراق الهيكل سنة ٧٠ ميلادية ، وفي سنة ١٣٥ ميلادية جاء أدريانوس إلى القدس ليزيل معالمها ويبنى على أنقاضها معبداً وثنياً (لجوبيتار) وليس ذلك فحسب بل أمر برحيل اليهود عن البلاد المقدسة ، وبذلك انقطعت أقدام اليهود عن

(١) لوقا (٢٢، ١٠) .

(٢) متى (٢٤، ٢٢) ومرقص (١٣، ٢) ولوقا (٢١، ٥) .

الأراضي المقدسة ، الأمر الذي كان المسيح عليه السلام قد أخبر عنه سابقاً متوعداً اليهود بالعقاب الشديد نتيجة حبهم لسفك الدماء^(١) .

ومنذ ذلك الوقت أصبح اسم أورشاليم (إيليا كابيتولينا) التي حُرِمَ على اليهود دخولها . إلى أن أطلق العرب المسلمون على إيليا كابيتولينا التي كانوا يسمونها اختصاراً (إيلياء) اسم بيت المقدس بناءً على تسمية محمد ﷺ لها بناءً على كلام جبريل عليه السلام الموحى إليه . (كما ستحدث عن ذلك في فصل لاحق) .

جـ - أخبار المسيح عليه السلام عن حادثة ستقع بعد قرون :

قالت امرأة سامرية للمسيح عليه السلام : « أرى أنك نبي ، يا سيدي ! آباؤنا عبدوا الله في هذا الجبل ، وأنتم اليهود تقولون إنَّ أورشليم - بني السامريون لهم هيكلًا على جبل جرزيم قرب مدينة نابلس - هي المكان الذي يجب أن نسجد لله فيه . قال لها يسوع : « صدقيني يا امرأة ، يحين وقتٌ يسجد الناس فيه للأب ، لا في هذا الجبل ، ولا في أورشليم »^(٢) .

فإذا كان المكان الذي يسجد الناس فيه لله سوف ينتقل إلى مكان ثالث لا يقع في جرزيم ، ولا في أورشليم ، فأين سيكون هذا المكان ؟ استمرت اليهودية والمسيحية تتوجه عند صلواتها إلى القدس لفترة طويلة بعد المسيح عليه السلام ، ولا زالوا يتوجهون في قبلتهم إلى القدس .

فإذا لم تتغير القبلة فإنَّ المسيح عليه السلام لم يكن صادقاً في إخباره

(١) متى (٢٣ ، ٣٥) .

(٢) يوحنا (٤ ، ٢١) .

عن تغيير القبلة ، لكن الذي حدث أنَّ القبلة تغيرت ، وأصبحت القبلة هي الكعبة الموجودة في مكة التي يتوجب على اليهود أو المسيحيين على الأقل أن يتوجهوا في صلواتهم إلى مكة تصديقاً لكلام الإنجيل الوارد على لسان المسيح عليه السلام .

كذلك فإنَّ المسيح عليه السلام قد أخبر عن ظهور الباراكليتوس بعده ، وقد ظهر الباراكليتوس بناءً على رأي المسلمين والمسيحيين معاً (كما سنحلل كلمة الباراكليتوس في فصل لاحق) . وهذا يعني صدق المسيح عليه السلام في إخباره عن الغيب ، وليس في ذلك شكُّ أبداً .

أما مُحَمَّدٌ ﷺ فقد أخبر من الأخبار المستقبلية عن أمور وحوادث تناولت جميع العصور والعهود التي ستليه ابتداءً من عهد نبوته وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ففي حين أنَّ الأنبياء السابقين لنبوتهم انتهت أخبارهم المستقبلية عند ظهور نبوة محمد ﷺ فإنَّ أخبار محمد ﷺ غير محددة بزمانٍ محدّد ، أو عصرٍ محدّد ، أو قرنٍ محدّد ، فأخباره تشمل الأبد كلّهُ ، وهذا لم يتوافر لنبيٍّ قبله .

أ- الأخبار المستقبلية التي تحققت في أثناء حياة محمد ﷺ :

لقد أخبر محمد ﷺ عن فتح مكة قبل فتح مكة بثلاث سنين ، وأخبر أنَّ الفرس الذين هزموا الروم في فلسطين سيهزمهم الروم بعد بضع سنين ، وفعلاً بعد ثماني سنوات هزم الروم الفرس (سنأتي على فتح مكة وانتصار الروم في فصل لاحق) .

وفي معركة مؤتة التي حدثت في الأردن من أرض الشام ، حيث أرسل محمد ﷺ جيشه لحرب الروم الذين جمعوا لجيشه الصغير جيشاً قوياً يفوقه أضعافاً مضاعفةً ، وقد ائتمر الجيش بأوامر رسول الله ﷺ حيث

أمرهم بتوالي الإمارة عليه بدءاً من زيد بن حارثة ، وانتهاء بعبد الله بن رواحة .

وفي الوقت الذي كانت المعركة بين جيش المسلمين وجيش الروم تدور في مؤتة كان رسول الله ﷺ يصف مجريات المعركة من المدينة قائلاً : « أخذ الراية زيد بن حارثة ، فقاتل حتى قتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار ، وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال : أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل شهيداً »^(١) .

وكان ما حدث به رسول الله ﷺ بالضبط ولكن عندما استشهد القادة الثلاثة انتخب الجيش خالد بن الوليد الذي استطاع خرق الحصار الذي فرضه الروم على جيش المسلمين الصغير ، وانسحب من جموع الروم الغفيرة ، وعاد بالجيش إلى المدينة .

وقبل معركة بدر أخذ رسول الله ﷺ يحدّد مواقع قتل المشركين لأصحابه ، وبعد انتهاء المعركة وانتصار المسلمين كانت مواقع القتلى كما حدّدها رسول الله ﷺ^(٢) .

ب - الأخبار المستقبلية التي حدثت بعد وفاة رسول الله ﷺ بعقود :

توفي الرسول ﷺ في السنة الحادية عشرة للهجرة في (١٣) ربيع الأول يوم الإثنين ، الموافق (٨ حزيران سنة ٦٣٣ ميلادية)^(٣) .

(١) سيرة ابن هشام (ج ٤ ، ص ١٦) .

(٢) مسلم معنى الحديث رقم (١٧٧٩) .

(٣) تاريخ الأمم الإسلامية (ج ١ ص ١٥٧) .

لكن أخباره التي أخبر عنها ﷺ أخذت تتوالى بعده لتصدق نبوته الصادقة أصلاً ، ولكن بالدليل الواقعي الحياتي .

والمدهش في نبوة محمد ﷺ أنَّ أخباره عن المستقبل تتوالى توالياً تراكمياً ، بحيث يعيش كلُّ إنسان خبراً قد أخبر عنه محمد ﷺ في الوقت الذي يكون هو قد أخذ علماً بالأخبار التي حدّث عنها رسول الله ﷺ وقرأ عن وقوعها في سجلات التاريخ .

ونستطيع أن نميّز بين نوعين من أنواع الأخبار عند محمد ﷺ :

أ - أخبار مستقبلية عقدية .

ب - أخبار مستقبلية قرنية .

فالأخبار العقدية هي الأخبار التي تحدّث عنها محمد ﷺ وتوالى تحقيقها خلال العشرة عقود المؤلفة للقرن الأول الذي يلي وفاة محمد ﷺ وسنذكر لاحقاً مثلاً عن كلِّ خبرٍ من الأخبار وليس على سبيل الحصر .

في حين أنَّ الأخبار القرنية هي الأخبار التي تحدّث عنها محمد ﷺ وتوالى أحداثها خلال القرون التالية لوفاته ، وحتى يومنا هذا ، وسنعطي أمثلة على ذلك وليس على سبيل الحصر .

وبالطبع فإنَّ هناك أخباراً تحدّث عنها محمد ﷺ ، ولم تتحقق حتى هذا اليوم لكنها ستتحقق كما تحققت أخباره السابقة دون أدنى شكٍّ ، ولما كانت هذه الأخبار لا يفيد ذكرها هاهنا ؛ لذلك فإننا لن نتناولها في بحثنا هذا .

١- تحقق أخبار في العقد الأول (من ١١-٢٠ هجرية = ٦٣٣-٦٤٢ م) :

فقد قال محمد ﷺ : « . . . تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ، ثم فارس فيفتحها الله ، ثم تغزون الروم فيفتحها الله . . . »^(١) .

(١) مسلم من الحديث رقم (٢٩٠٠) .

أخبر محمد ﷺ هذا الخبر وهو لازال في المدينة يدعو الناس إلى الدخول في الإسلام . وعلى الرغم من أنَّ الرسول ﷺ قد نشر الإسلام في الجزيرة العربية كلها إلا أنَّ الجزيرة لم تخضع خضوعاً كاملاً إلا في سنة ١٢ هجرية .

وعلى الرغم من أنَّ معركة القادسية لم تقض على الفرس تماماً ، إلا أنَّها أدَّت إلى انهيار جيش الفرس وتراجعهم أمام جيش المسلمين الأمر الذي سهل فتح بلاد الفرس كلها ما بين عام ١٣ هـ الذي وقعت فيه معركة القادسية إلى معركة نهاوند التي انتهت فيه جيوش الفرس تماماً عام ١٨ هـ .

أما معركة اليرموك التي حدثت في حوران في الشام سنة ١٣ هجرية ، فقد كانت بداية انتصار حرر فيه المسلمون بلاد الشام تحريراً كاملاً جعل هرقل ملك الروم يقول : « سلام عليك يا سورية سلاماً لا لقاء بعده » .

٢- تحقيق أخبار في العقد الثاني (من ٢١-٣٠ هجرية = ٦٤٣-٦٥٢ م) :

قال رسول الله ﷺ : « إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإنَّ لهم ذمَّةً ورحماً - يقصد أم إسماعيل هاجر المصرية - »^(١) .

وعلى الرغم من أنَّ فتح مصر ابتداءً مع فتح فلسطين ، لكنَّ القضاء النهائي على الرومان تمَّ بعد أن هزم عمرو بن العاص جيشهم الذي قدم عن طريق البحر إلى الإسكندرية واستولى على الأسطول ، وذلك في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حوالي سنة ٣٠ هجرية .

(١) مسلم من الحديث رقم (٢٥٤٣) .

٣- تحقيق أخبار في العقد الثالث (من ٣١-٤٠ هجرية = ٦٥٣-٦٦٢ م) :

قال رسول الله ﷺ : « ... تقتتل فئتان عظيمتان ، وتكون بينهما مقتلة عظيمة ، دعواهما واحدة »^(١) .

وقع خلاف بين المسلمين انقسموا فيه إلى فريقين الأول يؤيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والثاني يؤيد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، وكلاهما كانت دعواه نصرته الكتاب والسنة ، وتطور الخلاف ليأخذ شكل المواجهة العسكرية بين الفئتين .

وفي يوم الأربعاء أول صفر سنة ٣٧ هجرية زحف الجيشان ليتلاقيا في الموقعة المشؤومة التي عرفت بموقعة صفين ، واقتتل الناس قتالاً شديداً حتى يوم الجمعة ، حيث رفعت جيوش الشام المصاحف ، وقبلت جيوش العراق بالتحكيم^(٢) .

٤- تحقق أخبار في العقد الرابع (من ٤١-٥٠ هجرية = ٦٦٣-٦٧٢ م) :

يقول الشيخ الخضري بك في كتابه تاريخ الأمم الإسلامية الجزء الثاني صفحة ٨٤ : « كان من رأي جند علي أن يبايعوا الحسن بن علي بالخلافة بعد قتل أبيه ، فبايعوه ، ولكن الرجل نظر إلى الظروف التي هو فيها نظرة صائبة فوجد جنداً لا يركن إليه وخصماً قوي الشكيمة ، وفوق ذلك كان يكره الفتن ، ويحب للمسلمين الألفة ، فلم ير خيراً لنفسه ، ولا لأمته من أن يتنازل لمعاوية ، وصالحه على شروط رضىها الطرفان ، وكتب معاوية بيعته ، وسلم إليه الكوفة في أواخر ربيع الأول سنة ٤١ هجرية ، وبذلك

(١) مسلم من الحديث (٢٨٨٨) .

(٢) تاريخ الأمم الإسلامية (ج ٢، ص ٦٣) .

تمّ ما قاله رسول الله ﷺ : « إنّ ابني هذا سيّد ولعلّ الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المؤمنين » .

وهذأت الأحوال وسمّى المسلمون هذا العام وهو السنة الحادية والأربعون من الهجرة عام الجماعة^(١) .

٥- تحقق أخبار في العقد الخامس (٥١-٦٠ هجرية = ٦٧٣-٦٨٢ م) :

قالت أمّ حرام بنت ملحان : « نام رسول الله ﷺ يوماً قريباً مني ثم استيقظ يتبسم ، قالت : فقلت يا رسول الله ! ما أضحكك ؟ قال : ناس من أمتي عرضوا عليّ يركبون ظهر هذا البحر الأخضر... »^(٢) .

لعلّ حديث ركوب البحر الذي أخبر به محمد ﷺ أثار دهشة الصحابة الذين سمعوا به ، حيث إنّ العرب كانت لا تعرف شيئاً عن البحر ، فعندما سأل عمر ابن الخطاب والي مصر عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن البحر قال له :

« إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلقٌ صغير ، إن ركن خرق القلوب ، وإن تحرك أزاع العقول ، يزداد فيه اليقين قلّة والشك كثرة ، هم فيه كدود على عود ، إن مال غرق ، وإن نجا برق » . فلما قرأه عمر بن الخطاب كتب إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الذي طلب الجهاد بحراً : « لا والذي بعث محمداً بالحقّ لا أحمل فيه مسلماً أبداً » .

لكن عثمان بن عفان رضي الله عنه أجاز لمعاوية فيما بعد ركوب البحر ، ففتح معاوية بن أبي سفيان جزيرة قبرص سنة ٢٨ هجرية ، ثم انتصر المسلمون على أسطول الروم في معركة ذات السواري انتصاراً ساحقاً...^(٣)

(١) تاريخ الأمم الإسلامية (ج ٢ ، ص ٨٤) .

(٢) مسلم من الحديث رقم (٢٩١٢) .

(٣) تاريخ الأمم الإسلامية (ج ٢ ، ص ٢٩) .

ولما تولى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الخلافة بنى الأساطيل حتى بلغ تعدادها ١٧٠٠ سفينة كاملة العدد ، وصار يسيرها للفتوحات البحرية ، ففتح جزر اليونان وجزيرة رودوس . . ثم تابعت الفتوحات البحرية للمسلمين حتى أصبح البحر الأبيض المتوسط يسمى بحر العرب نتيجة هيمنة العرب عليه . . .

٦- تحقق أخبار في العقد السادس (من ٥١-٦٠ هجرية = ٦٧٣-٦٨٢ م) :

أراد المشركون مهاجمة المدينة فقرر رسول الله ﷺ حفر خندق عميق للدفاع عن المدينة ، وبدأ المسلمون الحفر ، لكنَّ سلمان الفارسي رضي الله عنه استعصت عليه صخرة ، فنزل محمد ﷺ وأخذ المعول من يد سلمان ، فضرب الصخرة بالمعول فلمعت الصخرة من ضربته ، ثم ضرب فلمعت في الثانية ، ثم ضرب ثالثة فلمعت أيضاً في الثالثة فقال سلمان : « بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟ قال : قلت : نعم ، قال : أما الأولى فإن الله فتح عليَّ بها اليمن ، وأما الثانية فإنَّ الله فتح عليَّ بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإنَّ الله فتح عليَّ بها المشرق »^(١) .

ومع ملاحظة أنَّ هذا الخبر أخبر به محمد ﷺ وهو في موقع دفاعي بحث ؛ يتبين لك ثقة محمد ﷺ بما يقول !!

لقد فتحت اليمن في عهد رسول الله ﷺ ، أمَّا الشام ففي العقد الأول بعد وفاته ، وأما المغرب فقد وصل عقبة بن نافع رضي الله عنه إلى المنطقة الواصلة بين المحيط الأطلسي ونهر السنغال ، وقال : « يارب !

(١) سيرة ابن هشام (ج ٣، ص ١٩٩).

لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهداً في سبيلك » . وقد تحقق ذلك في عهد يزيد بن معاوية رضي الله عنه وعن أبيه ، وذلك في حوالي عام ٦٠ هجرية^(١) .

٧- تحقق أخبار في العقد السابع (من ٦١-٧٠ هجرية = ٦٨٣-٦٩٢ م) :
أخبر الرسول ﷺ أنه سيخرج من ثقيف « كذاباً ومبيراً »^(٢) .

بعد موت يزيد بن معاوية رضي الله عنه بايع أهل الشام ابنه معاوية بن يزيد ، في نفس الوقت بايع أهل الحجاز عبد الله بن الزبير رضي الله عنه .
لكنَّ معاوية بن يزيد بعد مبايعة الناس له بقليل صعد المنبر وقال :
« أما بعد فإنني قد ضعفت عن أمركم فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه أبو بكر فلم أجده ، فابتغيت ستة مثل ستة الشورى فلم أجدهم ، فأنتم أولى بأمركم فاختراروا له من أحببتم » . ثمَّ دخل منزله وتغيب ، فمات بعد ثلاثة أشهرٍ من خلافته .

وقدم مروان بن الحكم إلى الشام فجمع شملها وأجمعوا على خلافته التي كانت حاضرتها دمشق ، وفي مكة ابن الزبير خليفة ، وفي العراق عبد الله بن زياد ، وبقي الوضع كذلك إلى أن توفي مروان بن الحكم وتولى ابنه الخلافة وأصبح عبد الملك بن مروان خليفة ، وفي نفس الوقت هناك ابن الزبير خليفة في مكة ، وفي العراق ظهر المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي ادَّعى النبوة والوحي ، ولقب نفسه بالمهدي وهذا هو الكذاب وذلك سنة ٦٦ هجرية ، فجهاز المختار جيشاً قضى على عبد الله بن زياد ، لكن عبد الله بن الزبير عين أخاه مصعباً نائباً على العراق

(١) تاريخ الأمم الإسلامية (ج ٢، ص ١٣٧) .

(٢) مسلم من الحديث رقم (٢٥٤٥) .

الذي لاحق بدوره المختار فقتله ، لكن عبد الملك بن مروان قاد جيشاً وقتل مصعب بن الزبير واستقرت الخلافة أخيراً في العراق لعبد الملك بن مروان^(١) .

٨- تحقق أخبار في العقد الثامن (من ٧١-٨٠ هجرية = ٦٩٣-٧٠٢ م) :

ذكرنا أنَّ محمداً ﷺ قد أخبر أنَّه سيخرج من ثقيف كذابٌ ، ومبيرٌ ، وقلنا : إنَّ المختار المهدي هو الكذاب الثقيفي . فمن هو الثقيفي المبير ؟ تعني صفة المبير المهلك دون أن يرد في حديث رسول الله ﷺ ما يدعو ، أو يشير إلى الطعن في دين أو مصداقية ذلك الثقيفي المبير .

ورغم أنَّ علماء المسلمين أجمعوا على أنَّ الحجاج بن يوسف الثقيفي هو المقصود في حديث رسول الله ﷺ ، والذي نعت به بالثقيفي المبير ، فإنَّ علماء المسلمين أيضاً أجمعوا على أنَّ للحجاج بن يوسف الثقيفي فضلاً ودوراً كبيراً في استقرار الخلافة من جهة ، واتساع رقعة الدولة الإسلامية ووصولها إلى الصين شرقاً .

الأمر الذي يدعونا إلى القول : إنَّ ظهور المبير الثقيفي كان ضرورياً لاستقرار الدولة الإسلامية ، وتوحيد الخلافة فيها .

ففي سنة ٦٢ هجرية هاجم الحجاج بن يوسف الثقيفي مكة حاضرة ابن الزبير وقضى على خلافته ، الأمر الذي فشل فيه قواد الأمويين السابقين . فإذا مات عبد الله بن الزبير رضي الله عنه شهيداً فإنَّ الحجاج قضى أيامه الأخيرة متضرعاً باكياً رافعاً يديه إلى السماء طالباً الغفران من الله تعالى .

وإذا ذكرنا مثالب الحجاج ؛ فإنَّ واجبنا كملمين أن نعترف بفضل الكبير جرّاء ما قدّمه من جهدٍ لفتح بلاد المشرق ، فغفر الله للحجاج ، وجزاه عن المسلمين الخير .

(١) تاريخ الأمم الإسلامية (ج ٢ ، ص ١٣٩) .

٩- تحقق أخبار في العقد التاسع (من ٨١-٩٠ هجرية = ٧٠٣-٧١٢ م) :

قلنا : إنَّ رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الْمَشْرِقَ »^(١) .

وتعني كلمة المشرق كلَّ ما يقع شرق المدينة على إطلاق جهة الشرق ، وقد تحقق هذا الخبر تماماً عندما وصل قتيبة بن مسلم الباهلي إلى جنوب الصين التي صالحه ملكها ، فتوقف عن دخولها مؤقتاً .

وبينما كان القاسم بن محمد يفتح الهند والسند كان قتيبة بن مسلم يفتح الشمال الشرقي للسند حتى اتحد الجيشان بقيادة قتيبة بن مسلم ، واستمرت فتوحات الشرق مستمرة منذ عام ٨٦ هجرية حتى توقفت في عام ٩٦ هجرية في كاشغر في الصين .

١٠- تحقق أخبار في العقد العاشر (من ٩١-١٠١ هجرية = ٧١٢-٧٢٣ م) :

كان عدي بن حاتم مسيحياً ، نصحته أخته بمقابلة محمد ﷺ ، فذهب إليه ، قال : « فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخلت عليه وهو في مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : عدي بن حاتم ، فقام رسول الله ﷺ ، فانطلق بي إلى بيته ، فوالله إنَّه لعامد بي إليه ، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلاً ، تكلمه في حاجتها ، قال : قلت في نفسي : والله ما هذا بملك ! قال : ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بي بيته ، تناول وسادة من آدم (جلد) محشوة ليفاً ، فقذفها إليَّ ، فقال : اجلس على هذه ، قال : قلت : بل أنت فاجلس عليها ، فقال : بل أنت ، فجلست عليها ، وجلس رسول الله ﷺ على الأرض ، قال : قلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه يا عدي بن حاتم ! ألم تكن ركوسياً ؟ (يعني

(١) سيرة ابن هشام (ج ٣، ص ١٩٩) .

أريوسي من أتباع أريوس) قال : قلت : بلى . قال : أولم تكن تسير في قومك بالمرباع ؟ (كان يأخذ ٢٥٪ في حين يحق له العشور فقط) قال : قلت : بلى ، قال : فإنَّ ذلك لم يكن يحلَّ ، لك في دينك ، قال : قلت : أجل والله ! وقال : فعرفت أنَّه نبيُّ مرسل ، يعلم ما يُجهل ، ثم قال : ولعلَّك يا عدي إنما يمنعك من دخول هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلَّك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بغيرها تزور هذا البيت ، لا تخاف ، ولعلَّك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أنَّ الملك والسلطان في غيرهم ، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم ، قال : فأسلمت .

وكان عدي يقول : قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونن ، قد رأيت القصور البيض من أهل بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بغيرها لا تخاف حتى تحجَّ هذا البيت ، وأيم الله لتكونن الثالثة ، ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه ^(١) .

وفعلًا فقد فاض المال في يد الدولة الأموية ، فأرسلت الأموال من دمشق إلى مشارق الأرض ومغاربها دون أن يطلب أحدٌ مالاً ، فالفقراء عَفَّوا عن طلب المال ، والأغنياء لم ييخلوا بمالهم على المستحقين ، فكان أن تحقق الاكتفاء المالي لأفراد الدولة ، بحيث إنَّ المال فاض في خزائنها دون أن يطلبه أحد من عامة الناس لحاجة شرعية ، وتحقَّق الخبر الذي كان عديُّ بن حاتم ينتظره وصدق رسول الله ﷺ .

(١) سيرة ابن هشام (ج ٤ ، ص ١٩٥) .

ب-الإخبار عن أمور حدثت في قرونٍ لاحقة :

من الأخبار التي أخبر عنها الرسول ﷺ أخبارٌ وقعت في قرونٍ لاحقةٍ لوفاته ﷺ وعلى الرغم من أنَّ الرسول ﷺ لم يحدد مواعيداً لحدوث هذه الأخبار ، إلا أنَّ مجريات الأحداث والتاريخ هي التي سجلت شهاداتها بصدق أخبار محمد ﷺ عن حوادث المستقبل . ومن هذه الأخبار والحوادث :

١- من الأخبار التي حدثت في القرون الأولى (من ١١-١١٠ هجرية = ٦٣٣-٧٣٢ م) :

أخبر محمد ﷺ أصحابه بأنَّه بعد مئة عام لن يبقى أحدٌ منهم حياً حيث قال حرفياً : « لا تأتي مئة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم »^(١) .
والنفس المنفوسة هي كلُّ نفس كانت حيَّةً عند قول هذا الحديث الشريف ، وفعلاً لم يتجاوز واحدٌ من الأحياء عند ذكر الحديث القرن الأول أبداً ، فكلهم ماتوا قبل ذلك .

٢- من الأخبار التي حدثت في القرن الثاني (من ١١١-٢١٠ هجرية = ٧٣٣-٨٣٢ م) :

كان هارون الرشيد خامس خليفة عباسي تولى الخلافة سنة ١٧٠ هجرية (٧٨٦ م) وتوفي سنة ١٩٤ هجرية (٨٠٨ م) ، وما يهْمُنَا من أخبار الرشيد ما قاله في وصفه الشيخ الخضري بك في كتابه محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية - الدولة العباسية ص ١٣٥ حيث قال : « أما صدقته فقد كان كلَّ يومٍ يتصدَّق من صلب ماله بألف درهم ، سوى العطايا التي

(١) مسلم من الحديث (٢٥٣٩) .

كانت تهطل على الناس منه ، ولم ير خليفة قبله كان أعطى منه للمال » .
إنَّ هذا العطاء الذي كان يوزعه الرشيد رحمه الله على الناس ما كان شيئاً يفعلُه بإرادته ، بل بإرادة الله تعالى الذي ألهم محمداً ﷺ أن يخبر عن خليفة يوزع المال دون عدٍّ ، ودون مراجعة لتعداد ما أراد توزيعه ، فقد أخبر محمد ﷺ عن خليفة يوزع المال دون إحصاءٍ له فقال : « من خلفائكم خليفة يحثو المال حثياً لا يعدُّه عدّاً »^(١) .

وليس هذا الخليفة سوى الرشيد رحمه الله ، حيث لم يعرف خليفة قبله ولا بعده كان عطاؤه للمال بهذه الطريقة ، وبهذا الكرم .

٣- من الأخبار التي وقعت في القرن السَّابع (٦١١-٧١٠ هجرية = ١٢٢١-١٣٢٠ م) :

سقطت الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هجرية الموافق لسنة ١٢٥٨ ميلادية على يد الترك المغول ؛ الذين كان يقودهم هولاكوخان عندما دخلوا بغداد حاضرة الخلافة العباسية .

لقد أخبر محمد ﷺ أنَّ الترك أصحاب الوجوه المستوية الحمراء ذوي العيون الصغيرة والأنوف المنبطحه ؛ الذين يتعلون نعلاً من شعر ، ويلبسون ثياباً من شعر ؛ سوف يقاتلون المسلمين .

ومع ذلك تساهل المسلمون بإرثهم النبوي إلى الدرجة التي جعلت هولاكوخان يمتهم بالمسلمين ؛ لدرجة أنَّه قطعَ خليفته إرباً إرباً .

قال رسول الله ﷺ : « تقتالون قوماً صغار الأعين ذُلِفَ الآنْفُ ... » . وقال أيضاً : « يقاتل المسلمون الترك قوماً وجوههم كالمجانِّ المطرقة ، يلبسون الشعر ، ويمشون في الشعر » .

(١) مسلم من الحديث (٢٩١٤) .

وقال أيضاً « . . . قوماً نعالهم الشعر كأَنَّ وجوههم المجانُّ المطرقة ،
حمر الوجوه صغار الأعين »^(١) .

٤- من الأخبار التي وقعت في القرن التاسع (٨١١-٩١٠ هجرية =
١٤٢١-١٥٢٠ م) :

أخبر الرسول ﷺ بأنَّ القسطنطينية سيفتحها المسلمون ، فقال ﷺ :
« ينزل الروم بالأعماق ، أو بدابق ، فيخرج إليهم جيش من المدينة من
خيار أهل الأرض يومئذٍ ، فإذا تصافوا قالت الروم : خلُّوا بيننا وبين الذين
سبوا منا نقاتلهم ، فيقول المسلمون : لا والله لا نخلي بينكم وبين
إخواننا ، فيقاتلونهم ، فينهزم ثلثٌ لا يتوب الله عليهم أبداً ، ويُقتل ثلثهم
أفضلُ الشهداء عند الله ، ويفتح الثلث ، لا يفتنون أبداً ، فيفتتحون
قسطنطينية »^(٢) .

القسطنطينية كانت حاضرة الروم لفترات طويلة ، ورغم محاولات
الأمويين الكثيرة لفتح هذه المدينة إلا أنهم لم يوفقوا إلى فتحها بعدها عن
بلادهم وموقعها البحري ومناعة أسوارها ، وبقيت كذلك حتى فتحها
السلطان العثماني محمد الفاتح سنة ١٤٥٢ ميلادية وأطلق على المدينة
اسم (إستانبول) أي مدينة الإسلام . وتحققت أخبار محمد ﷺ عن
فتحها بعد ثمانية قرون تقريباً .

٥- من الأخبار التي وقعت في القرن العاشر (٩١١-١٠١٠ هجرية =
١٥٢١-١٦٢٠ م) :

عندما سقطت القسطنطينية سقط معها قيصر الروم ، وعندما سقطت
المدائن سقط معها كسرى الفرس ، لكن لقب كسرى ولقب قيصر انتهيا

(١) مسلم مجموعة من الحديث رقم (٢٩١٢) .

(٢) مسلم من الحديث رقم (٢٨٩٧) .

إلى الأبد ، الأمر الذي أخبر عنه الرسول ﷺ ، فلم يعد هناك قيصر في بلاد الروم ، كما لم يعد هناك كسرى عند الفرس .

قال رسول الله ﷺ :

« قد مات كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لَتُنْفَقَنَّ كنوزُهما في سبيل الله »^(١) .

وحتى يومنا هذا لم نجد أنَّ الكسروية قد عادت ، ولا القيصرية قد عادت ، لقد ورث المسلمون كنوز الإمبراطوريتين ، ووزَّعوها على المحتاجين وفق المخارج الشرعية الإسلامية .

٦- أخبار تتوالى أحداثها اليوم :

قال رسول الله ﷺ : « . . . يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ! يا عبد الله ! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود »^(٢) .

لقد بدأ وقت هذا الخبر : « يقاتل المسلمون اليهود » حيث قاتلوهم في عام ١٩٤٨ وفي عام ١٩٦٧ وفي أعوام الاستنزاف ١٩٦٨ وفي عام ١٩٧٣ وفي عام ١٩٨٢ أثناء اجتياح لبنان ، ولا زال الاقتتال يدور على جبهة جنوب لبنان وضمن فلسطين نفسها .

لكن النصر المبين قادم طالما الاقتتال يدور ، وعندها سيتهي اليهود تماماً ؛ لأنَّ الكون كلُّه سيتخلى عنهم حتى الحجارة ، وحتى الأشجار . فلا يبقى لهم نصير سوى شجر الغرقد ، وهو شجر مقدَّس عند اليهود ،

(١) مسلم من الحديث رقم (٢٩١٨) .

(٢) مسلم رقم (٢٩٢٢) .

حيث يعود سبب قداسته إلى أنَّ موسى عليه السلام قد كلَّم ربه من خلال العليقة التي تعني بالآرامية (حوريب) وحسب التوراة فإن جبل حوريب هو جبل العليقة ، والعليقة هي العوسج وعندما تكبر شجرة العوسج تصبح غرقداً^(١) .

فأبشروا أيها المسلمون ، واخرجوا من فلسطين أيها اليهود ، فرسول الله محمد ﷺ لا يتكلم من عنده بل من عند الله ؛ الذي حذركم على لسان موسى عليه السلام ، وحضكم على اتباعه^(٢) .

هناك الكثير من الأمور التي أخبر عنها محمد ﷺ ولم تتحقق حتى اليوم ، لكنها ستتحقق تباعاً وستعرف البشرية بأنَّ محمداً ﷺ لا يتكلَّم من عنده ؛ بل من عند علاَم الغيوب .

والشيء الملفت للنظر أنَّ أخبار الأنبياء عن المستقبل قد أقفل بابه تماماً بظهور محمد ﷺ ، وبقي باب الأخبار المستقبلية مفتوحاً لتصديق نبوة محمد ﷺ ، وهذا ما يؤكد أنَّه آخر الأنبياء كما قال ﷺ ، وهو الصادق المصدق من الناس ، والمصدق من الله عز وجل .

* * *

(١) الخروج (٣ ، ٢) .

(٢) التثنية (١٨ ، ١٩) .

دليل الوحي التاسع

الإخبار عن مصائر أتباعه

لا شك أنَّ أصحاب الأنبياء وتلاميذهم يرغبون في معرفة مدى رضا الله عنهم وعن اتباعهم لنبيهم ومعلمهم ، سواء طلبوا ذلك من نبيهم أم لم يطلبوا . فإنَّه من المعتاد بين الأنبياء أن يطلع النبي أصحابه المقربين على ما ستؤول إليه أوضاعهم ، وذلك إكراماً لهم من جهة ، وتصديقاً لنبوته من جهةٍ أخرى .

فقال الله تعالى لموسى عليه السلام :

« اذهب إلى يشوع وشدّد عزيمته ، وشجّعه ؛ لأنه هو الذي يعبر أمام هؤلاء الشعب »^(١) .

وفعلاً دخل يشوع الأراضي المقدسة بعد موت موسى عليه السلام .

كذلك فإنَّ المسيح عليه السلام أخبر تلاميذه عن مصائرهم ، ومن ذلك أنَّه قال لبطرس : « في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات »^(٢) . وفعلاً أنكر بطرس علاقته بالمسيح عليه السلام في نفس الليلة ، فصاح الديك بعد هذا الإنكار المتعمد^(٣) .

وكذلك فإنَّ المسيح عليه السلام قد أخبر بطرس تلميذه عن الطريقة

(١) التثنية (٣، ٢٨) .

(٢) متى (٢٦، ٣٤) .

(٣) متى (٢٦، ٧٣) .

التي سوف يموت بها^(١) . وفعلًا مات بطرس في روما بنفس الطريقة التي أخبره عنها بها معلّمه .

كذلك فإنّ محمداً ﷺ قد أخبر المقربين إليه عن مصائرهم ، فكانت كما وعدهم تماماً ، حتى بعد وفاته .

قال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر : « حين جعل يحفر الخندق ، وجعل يمسح رأسه ، ويقول يا بؤس ابن سميّة تقتلك فئة باغية »^(٢) .

وفعلًا قتل عمار بن ياسر ، وقتلته فئة مسلمة ، ومهما يكن من أمر هذه الفئة فإنّ عمار بن ياسر كان قد قتل مهاجماً على جيش الشام في سنة ٣٧ هجرية أي بعد وفاة الرسول ﷺ بـ (٢٦) سنة .

قال رسول الله ﷺ لأزواجه : « أسرعن لحاقاً بي أطولكنّ يداً » فظنت زوجاته أنّ صاحبة أطول يد سوف تموت بعد الرسول ﷺ وعندما ماتت زوجته زينب أولهن علمن أنّ رسول الله ﷺ كان يقصد أكثرهن تصديقاً وجوداً^(٣) .

وقال رسول الله ﷺ لأبي موسى الأشعري عندما استؤذن بالدخول على رسول الله ﷺ :

« افتح وبشره بالجنة على بلوى تكون ، قال : فذهبت فإذا هو عثمان بن عفان . قال : ففتحت وبشرته بالجنة ، قال : وقلت الذي قال ، فقال : اللهم صبراً . أو الله المستعان »^(٤) .

(١) يوحنا (٢١، ١٩) .

(٢) مسلم رقم (٢٩١٥) .

(٣) مسلم رقم (٢٤٥٢) .

(٤) مسلم رقم (٢٤٠٤) .

وقد كانت بلية عثمان بن عفان رضي الله عنه أنَّ الغوغاء أرادوا خلعه
من الخلافة ، فرفض ، فقتلوه إثمًا وعدواناً ، وذلك في سنة (٣٥)
هجريّة .

وهكذا الأنبياء لا يقولون إلا صدقاً ، ولا يجزون إلا بالصدق ؛ لأنه
وحي من الله تعالى .

* * *

دليل الوحي العاشر

الإخبار عن مصائر أعدائه

إنَّ معرفة الأنبياء لمصائر أعدائهم بعد موتهم لابدٌ إلا أن تكون وحيًا من الله ، وذلك لأننا متفقون على أنَّ معرفة المستقبل أمرٌ لا يستطيع البشر معرفته ، فمعرفة محصورة في علم الله الذي لا يُطلع أحداً على قدرٍ منه إلا الأنبياء .

ونقصد بتعبير أعداء النبي : كل من تصدى لنبيٍّ ليمنعه من تبليغ رسالته ، مهما كان أسلوبه في التصدي ، أو عصى ذلك النبيّ ، أو أنكر نبوّته ، أو نافق عند اتباع النبيّ ، وحتى الذي يرفض اتباع تعاليم النبيّ فهو عدوٌّ له حتى ولو آمن بنبوته ، حيث إنَّ اتباع تعاليم النبيّ هو الدليل الحقيقي على الإيمان بالنبوة ، ومن هنا نستطيع أن نفهم السبب الذي دفع موسى عليه السلام إلى أن يطلب اجتماع شيوخ أسباط وقادة بني إسرائيل ليتلو على مسامعهم ، مُشهداً السماء والأرض على أنّه حذر أتباعه من الفساد ، وترك تعاليمه .

قال موسى عليه السلام : « اجمعوا إليّ أسباطكم وقادتكم حتى أتلو على مسامعهم هذا الكلام ، وأشهد عليكم السماء والأرض . فأنا أعلم أنكم بعد موتي ستغدون ؛ وتحيدون عن الطريق التي أوصيتكم بها ، فينزل بكم الشرُّ في آخر الأيام إذا فعلتم ما هو شر في نظر الربِّ حتى تكيدوه بأعمال أيديكم »^(١) .

(١) سفر التثنية (٣١ ، ٢٨) .

ونتيجة لانحراف عقيدة بني إسرائيل ، وفسادهم ، وتركهم لتعاليم موسى عليه السلام ، ابتدأ محلل العقوبات عليهم عندما خرَّب الملك الآشوري سرجون الثاني سنة (٧٢١ ق . م) مملكة الشمال ، وزالت تلك المملكة إلى الأبد ، وظلَّت مملكة يهوذا تكافح حتى أسقطها البابليون سنة (٥٨٦ ق . م) على يد الملك البابلي نبوخذ نصر .

وفي كلتا الحالتين تمَّ نقل بني إسرائيل إلى ما بين النهرين إلى أن غزا قورش الملك الفارسي بلاد بابل ، وأسقط دولتها ، ومن ثم أصبح له السلطان على فلسطين ، وفي عام ٥٣٨ ق . م سمح قورش الفارسي لليهود بالعودة إلى فلسطين ، ومنذ ذلك الحين أطلق اسم اليهود على بني إسرائيل مع من دخل معهم في ديانتهم من أبناء الأمم الأخرى ، وأصبحت ديانتهم تعرف باليهودية^(١) .

وعاد اليهود إلى فلسطين ، وراح الأنبياء يتوالون بالظهور في اليهود ، وجوهر دعوتهم نبذ الضلال ، والعودة إلى شريعة موسى عليه السلام ، حتى ظهر فيهم آخر أنبيائهم المسيح عليه السلام .

لكنَّ اليهود على عمومتهم رفضوا دعوة المسيح عليه السلام ، وتصدَّوا لدعوته تماماً ، وعندما أدرك المسيح عليه السلام صدور اليهود عن دعوته خاطب المسيح عليه السلام جموع اليهود بما فيهم معلمي الشريعة والفريسيين المسؤولين عن الهيكل .

وكان خطاب المسيح عليه السلام طويلاً أخبر في نهايته عن خراب أورشليم ، وعقاب ينزل باليهود جزاءً لهم عما اقترفت أيديهم من

(١) اليهودية: د. أحمد شلبي ص ٩١ .

مخالفات شرعية ، وقتل للأنبياء ، فقال : « أيها الحيات أولاد الأفاعي ! كيف ستهربون من عقاب جهنم ؟ »^(١) .

« . . . ينزل بكم العقاب على سفك كل دم بريء على الأرض ، من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين المذبح وبيت الله . الحق أقول لكم : هذا كله سيقع على هذا الجيل ! يا أورشليم ، يا أورشليم ! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها . كم مرّة أردت أن أجمع أبناءك ، مثلما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، فما أردت . وها هو بيتكم متروك لكم خراباً »^(٢) .

وانتهت حياة المسيح في حوالي سنة ٣٠ ميلادية ولكن كما أخبر المسيح عليه السلام لم تنته حياة معاصريه (جيله) حتى قدم القائد الروماني تيطس الذي دمر المدينة ، وأحرق الهيكل ، وذلك في سنة ٧٠ ميلادية^(٣) .

وهكذا صدّقت أخبار المسيح عليه السلام أخبار موسى عليه السلام التي أظهرت أنّ إخبار موسى عليه السلام عن الشرّ الذي سيحيق بكلّ من يحدد عن الطريق الذي أوصاهم به ، سيتناول اليهود على عمومتهم ، وليس بني إسرائيل فقط .

وعندما ظهرت نبوة محمد ﷺ كان اليهود من بين مجموعة المعادين لنبوة محمد ﷺ ، والتي تكونت من المشركين ، واليهود ، والمنافقين ، والعرب المواليين للفرس ، والمواليين للروم في العراق والشام ، وكذلك الفرس والروم .

(١) متى (٢٣، ٣٣) .

(٢) متى (٢٣، ٣٥-٣٨) .

(٣) اليهودية : د. أحمد شلبي ص ٩٥ .

١- الإخبار عن اليهود :

عندما قدم محمد ﷺ المدينة عاهد اليهود فيمن عاهد على أمور ،
فألزمهم بأمور وأقرّ لهم بأمور ، لكنّ اليهود غدروا به ، وانقلبوا عليه ،
ونقضوا العهد معه .

فكانت النتيجة أن هجر من هجر ، وسبى من سبى ، وقتل من قتل ،
وأسلم من أسلم حتى خلت الجزيرة العربية منهم .

وأخبر محمد ﷺ قبل وفاته أنّه لن يسود دين على دين الإسلام في
الجزيرة العربية ، وحتى اليوم لم يدخل اليهود إلى الجزيرة العربية
ولا ساد دينٌ على الإسلام . قال رسول الله ﷺ : « لا يترك بجزيرة
العرب دينان »^(١) .

وكما توعد موسى عليه السلام اليهود توعد المسيح عليه السلام
اليهود ، وكذلك توعد محمد ﷺ اليهود .

لكنّ توعد محمد ﷺ جاء توعداً أبدياً ، وجاء ذلك في آيات قرآنية
كثيرة ، منها قوله تعالى :

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَنَ عَلَيْهِمُ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ مَنْ يُسُوْهُمُ سَوْءَ الْعَذَابِ إِنَّ
رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ﴾ [الأعراف : ١٦٧] .

وعندما نتأمل اليوم هذه الآية التي تقطع الأوصال خشيةً من قائلها
الأساسي الذي هو الله تعالى القادر على كل شيء ، نجد أنّ الكوارث التي
تعرض لها اليهود في أنحاء العالم على يد الشعوب المختلفة ما هي إلا
قدرهم المحتوم نتيجة عصيانهم ، ومخالفتهم لأوامر الله تعالى ، وقتلهم
الأنبياء ، وعصيانهم ، وتمردهم على خالقهم وعلى مُرسليه .

(١) سيرة ابن هشام (ج ٤ ، ص ٢٨٠) .

ولن نقدم نصوصاً إسلاميّة لتعليل سبب سخط الله عليهم ، بل سنقدم نصوصاً من العهد القديم لتعليل أسباب اضطهاد الأمم لليهود :

لقد ورد في التوراة رأي موسى عليه السلام في بني إسرائيل وعلى سمع منهم حيث قال : « فمن يوم عرفتكم وأنتم تتمردون على الربّ »^(١) .

ولقد سلكوا مع نبيهم موسى عليه السلام مسلك المعاجز مع أنه أنقذهم من استعباد وتقتيل المصريين لأبنائهم ، ومع ذلك أخذوا يعاجزون موسى عليه السلام .

وفي الصحراء أنزل الله لهم المنّ طعاماً^(٢) ، فطلبوا اللحم ، فأنزل الله لهم طيور السلوى^(٣) ، لكنهم رفضوا المنّ ، ورفضوا اللحم ، وطلبوا القثاء ، والكراث ، والبصل ، والثوم^(٤) .

وطلب موسى عليه السلام منهم أن يدخلوا الأرض المقدسة ، فجنبوا عن مواجهة أصحاب البلاد الأصليين ، وقالوا إنّ فيها قوماً جبارين أكثر طولاً ، وقامةً ، وعدداً ، ومدنهم حصينة ، فمنعه الله من دخول الأرض المقدسة حتى يخرج الجيل الجديد من بني إسرائيل^(٥) .

وعصى بنو إسرائيل موسى عليه السلام عندما عبدوا العجل^(٦) ، ومنعهم موسى عليه السلام من الزنى وعبادة الأوثان ، فمارسوها^(٧) ،

(١) التثنية (٩ ، ٢٤) .

(٢) العدد (١١ ، ٥) .

(٣) العدد (١١ ، ٣٤) .

(٤) العدد (١١ ، ٥) .

(٥) التثنية (١ ، ٢٨) .

(٦) خروج (٣٢ ، ٧) .

(٧) العدد (٢٥ ، ٩) .

وأوجبت شريعة موسى عليه السلام قتل الرجل المخالف للسبت رجماً ،
ومع ذلك خالفوا السبت^(١) .

ومن بعد موسى عليه السلام توالى الأنبياء على بني إسرائيل حتى
أصبح تكذيب الأنبياء عندهم أمراً عادياً جداً ، وأصبح قتل النبي أمراً سهلاً
لدرجة أن الملكة إيزابل بنت انبعل ملك الصيغونيين (ملك صيدا) الوثنية
والتي تزوجها آخاب بن عمري اليهودي^(٢) ، إيزابل هذه قامت بإبادة
وملاحقة الأنبياء على علم زوجها آخاب^(٣) ، وكان في عهد المسيح عليه
السلام قد قتل يوحنا المعمدان بمباركة من كهنة اليهود ، على الرغم من
أن يوحنا (يحيى) كان يطالب هيرودس اليهودي بعدم الزواج من أرملة
أخيه التي لا يحل له الزواج بها لأنَّ لأخيه نسلاً^(٤) .

وقبله قتلوا زكريا بن برخيا وهو غير زكريا والد يحيى الذي قتلوه بين
المذبح والهيكل ، حسب ما ورد في متى^(٥) .

ثم كذبوا المسيح عليه السلام ، ولم يتبعوه ، ثم لاحقوا أتباعه
وتلاميذه من بعده ، وتشتت اليهود نتيجةً لكفرهم ، وتكذيبهم بعض
الأنبياء ، وقتلهم للآخرين ، وانتهى بنو إسرائيل إلى أن ذابوا في بوتقة
الشعوب المجاورة .

ثم عادت اليهودية لتظهر في مملكة الخزر التي ساح الخزريون منها
إلى أوربة وإلى العالم أجمع ، وعادت النكبات تسكب على رؤوس
اليهود من أمم مختلفة .

(١) العدد (١٥ ، ٣٥) .

(٢) الملوك الأول (١٦ ، ٣١) .

(٣) الملوك الأول (١٨ ، ٤) .

(٤) لاوين (٢١ ، ٢١) .

(٥) متى (٢٣ ، ٢٥) .

واعتماد اليهود ندب حظوظهم كلما تعرضوا لنكبة من النكبات ، لكنهم سرعان ما يتناسون نكبتهم ، ويعودون إلى ممارساتهم القديمة مع إخفاء أكثر للحقد على الإنسانية كلها .

ورغم أن بني إسرائيل كسلالة قد انقضوا تماماً إلا أن وعيد الله لليهود لازال قائماً ؛ طالما أن اليهودية رفضت اتباع المسيح عليه السلام ، ثم رفضت اتباع محمد ﷺ الذي قال : « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار »^(١) .

إذاً فإن مشكلة اليهود مع النكبات تعود إلى تحريف دينهم الذي جعلهم يمتلكون صفات جعلتهم مكروهين بين الشعوب ، مما يتحقق معه وعيد الله لهم .

فلماذا كرهتهم الشعوب ؟ ولماذا توعدّهم الله بالنكبات ؟

حقيقة الأمر أن وصايا موسى عليه السلام العشر حوّرها كتبة التوراة تحويراً جعلها السبب في نكبة اليهود .

لقد حصر اليهود الوصايا العشر في اليهود أنفسهم ، وأطلقوها على غيرهم ، فقد جعلوا الله العليّ القدير الحيّ الخالق إلهاً حصراً لليهود ، وأطلقوا عليه اسم (يهوه) وقالوا : إنّ للأمم الأخرى النجسة إلهاً آخر .

وامتنعوا عن الحلف بـ (يهوه) وراحوا يحلفون كذباً بموسى ، والتوراة ، والسبت ، والهيكل . وجعل الكهنة برّهم فوق برّ الأب والأم .

ورغم أن الوصايا العشر حرمت القتل ، وحرّمت السرقة ، وحرمت الزنى ، وشهادة الزور ، واشتهاء وحسد ما لدى الآخرين ؛ فإنّ اليهود

(١) مسلم رقم (١٥٣).

حرموها على اليهود وأحلوا الزنى مع غيرهم ، وأحلوا سرقة غيرهم ، وقتل غيرهم ، وشهادة الزور على غيرهم ، وراحوا يحسدون ، ويحقدون على كل من أنعم الله عليهم من غيرهم من الأمم .

وخالفوا تعليمات موسى عليه السلام بعدم التعامل بالربى ، فحللوا التعامل بالربى مع غيرهم من الأمم^(١) .

نهاهم موسى عليه السلام عن الكهانة ، والسحر ، والعرافة^(٢) ، فكان اليهود أكثر الناس تعاملًا بالكهانة ، والسحر ، والعرافة بين الأمم كلَّها علماً بأنَّ عقوبة العمل بالسحر القتل^(٣) ، أمرهم موسى عليه السلام بتنفيذ العقوبات التي أمر بها فالزنى عقوبته الرجم^(٤) ، وعقوبة القاتل القتل^(٥) ، وعقوبة عقوق الوالدين الرجم^(٦) ، وعقوبة السارق هدر دمه^(٧) .

ونستطيع أن نقول على العموم أنَّ اليهود عطلوا تنفيذ نصوص التوراة في العقوبات ، علماً بأنَّ كل نص تضمَّن تحذيراً بأنَّ عدم تنفيذه يسبب غضب الله عليهم ، ومع ذلك تجاوزوا نصوص التوراة .

والأهم من ذلك أنَّ موسى عليه السلام أعطاهم صفات نبيٍّ ينتظرونه ، ويتوجب عليه اتباعه ، وحذرهم من عدم اتباعه^(٨) .

ومع ذلك لم يتبعوا النبيَّ محمدًا ﷺ ؛ الذي تنطبق عليه صفاتُ أعلمهم عنها موسى عليه السلام .

(١) التثنية (٢٣ ، ٢١) والخروج (٢٢ ، ٢٤) .

(٢) التثنية (١٨ ، ١٠) .

(٣) الخروج (٢٢ ، ١٧) .

(٤) التثنية (٢٢ ، ٢١) .

(٥) التثنية (١٩ ، ١٢) .

(٦) التثنية (٢١ ، ٢١) .

(٧) الخروج (٢٢ ، ١) .

(٨) التثنية (١٨ ، ١٩) .

إذاً لا يحق لليهود أن يلوموا البشرية على نكباتهم ، بل يتوجّب عليهم أن يلوموا أنفسهم إذا كانوا مؤمنين حقاً ، وخصوصاً أنّ موسى عليه السلام أخبرهم : « فإذا سمعت هذه الأحكام يا شعب إسرائيل ، وحفظتها ، وعملت بها ، فجزاؤك أن يحفظ الرب إلهك عهده لك ورحمته التي أقسم عليها لآبائك »^(١)

وأكد الله تعالى في كتابه العزيز أنّ سبب نكبات اليهود يعود إلى أنّهم لم يوفوا ما عاهدوا الله عليه ، فقال على لسان نبيه محمد ﷺ : ﴿ يَبْقَى إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ يَهْدِكُمْ وَإِلَيَّ قَارَهُبُونَ ﴿٤١﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أُنْزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيمَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِلَيَّ قَاتِفُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَا تَلْسِنُوا الْحَقَّ بِالْبُطْلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة : ٤٠-٤٤] .

وهكذا نجد أن علّة نكبات اليهود تعود إلى اتباعهم لدين مسخوه هم ، فنسخه الله بظهور المسيح عليه السلام الذي أوجب الله عليهم اتباعه ، ثم نسخ الله تعالى ديانة اليهود والمسيحية مرّة أخرى بظهور نبوة محمد ﷺ . وطالما بقي اليهود على يهوديتهم ؛ فإنّ النكبات ستحلّ بهم لا محالة بناءً على أخبار موسى والمسيح ومحمد ﷺ أجمعين .

٢- الإخبار عن مصائر المشركين بعده :

كان المشركون في عهد نبوة محمد ﷺ هم أكثر أعدائه عدداً ، وذلك طبعي ؛ لأنّه بعث فيهم ، وربما كان سبب عداوتهم له يعود إلى كون

(١) الشّية (٧، ١٢) .

محمد ﷺ ظهر منهم بناء على القاعدة التي قالها المسيح عليه السلام :
« لا كرامة لنبي في وطنه »^(١) .

ومع ذلك فإن كثرة عدد أعداء محمد ﷺ من المشركين لم تجعله يتراجع ، أو يتوقف ، أو يفتر عن دعوته لهم لاتباعه ، ولم يحدث أبداً أن دعا عليهم ، أو طلب من الله إبادتهم ، أو انقراضهم ، لا بل كانت دعوته لهم دائماً بالهداية ، وأن يخرج من أصلابهم السلالات الموحدة لله تعالى .

وكان في دعوته للمشركين متفائلاً دائماً ، ولم يقنط من هدايتهم أبداً ، ويعود السر في ذلك إلى الوحي الذي كان يخبره عن مصير كل واحد من هؤلاء المشركين حتى بعد وفاته ﷺ فمن المعروف على سبيل المثال أن سهيل بن عمرو الذي مثل قريشاً في المفاوضات التي جرت بينهم وبين محمد ﷺ عندما أراد دخول مكة ليؤدي العمرة هو وأصحابه ، ومنعته قريش من الدخول إلى مكة ، فتوقف محمد ﷺ وأصحابه عند الحديبية أسفل مكة وأخذت قريش تبعث موفدين للمفاوضة حتى قبل محمد ﷺ بشروط سهيل بن عمرو .

حقن المسلمون من هذا الاتفاق ؛ لأنهم أرادوا أن يدخلوا عنوة على قريش ، لكن محمد ﷺ قال : إن هذا الصلح هو بشارة فتح مكة ، وأن الله أمره بذلك ، فهدأت نفوس المسلمين ، لكن عمر بن الخطاب استشاط غيظاً من قلة أدب سهيل بن عمرو مع محمد ﷺ أثناء المفاوضات ، فذكر بعدها ذلك لرسول الله ، فقال محمد ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه عن سهيل بن عمرو الذي كان مشركاً وقتها : « إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه » .

(١) يوحنا (٤، ٤٤) .

ومات محمد ﷺ وعُتاب بن أسيد أمير مكة وقتها ، فأراد بعض المشركين الذين أسلموا بعد الفتح أن يرتدوا عن الإسلام وهم حديثوا عهد به ، وكثروا للدرجة أن عتاب بن أسيد توارى عن الأنظار ، وعندما اجتمع الذين أرادوا الارتداد عن الإسلام قام سهيل بن عمرو الذي أسلم عام الفتح فقال : « إِنَّ ذَٰلِكَ (موت الرسول) لم يزد الإسلام إلا قوَّةً ، فمن رابنا ضربنا عنقه » فتراجع الناس ، وكفوا عما همُّوا به ، ورجع عتاب بن أسيد للظهور^(١) .

وصدق رسول الله ﷺ فيما قال عن موقف سهيل بن عمرو .

٣- الإخبار عن مصائر المنافقين بعده :

لسببٍ أو لآخر فإنه لا تكاد دعوة نبيٍّ من الأنبياء تخلو من المنافقين ، وهم الأشخاص الذين آمنوا بالنبيِّ ظاهراً ، وكفروا به باطناً .

لكن نفاقهم هذا لا يخفى على نبيٍّ يكلمه الله وحياً ، لذلك فإنَّ نفاقهم هذا يرتدُّ إليهم ذللاً ، واحتقاراً ، ومصيراً أسود .

فمن المنافقين المعروفين في المسيحية (يهوذا الأسخريوطي) ومن المنافقين المعروفين في التوراة (شموع بن زكور ، وشافاط بن حوري ، ويجال بن يوسف ، وفلطي بن راخو ، وجديثيل بن سودي ، وجدي بن سوسي ، وعميثيل بن جملي ، وستور بن ميخائيل ، ونجلي بن وفسي ، وجأوثيل بن ماكي)^(٢) .

وهؤلاء الذين قالوا لموسى عليه السلام : إِنَّ فِي الْأَرْضِ الْمَقْدَسَةِ قَوْمًا أَشْدَّ طَوَالِ ذَوِي حِصُونٍ مَّنِيعةً ، لإرعابه من دخول الأرض المقدسة .

(١) سيرة ابن هشام (ج ٤ ، ص ٢٨١) .

(٢) العدد (١٣ ، ١٤ ، ١٥) .

ومن المنافقين الذين أخبر بمصيرهم ونفاقهم مسيلمة الكذاب والأسود العنسي أحدهما في اليمامة والآخر في اليمن (هناك من يعتبر مسيلمة كافراً وليس منافقاً إلا أنه بناء على تعريفنا للنفاق فإن مسيلمة قد نافق في إسلامه حتى خرج عنه) ، يقول ابن عباس رضي الله عنهما : « قدم مسيلمة الكذاب على عهد النبي ﷺ المدينة فجعل يقول : إن جعل لي محمدٌ الأمر بعده تبعته ، فقدّمها في بشرٍ كثيرٍ من قومه ، فأقبل إليه النبي ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس ، وفي يد النبي ﷺ قطعة جريدة (ورقة نخل) حتى وقف على مسيلمة في أصحابه ، قال : لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتها ، ولن أتعدى أمر الله فيك ، ولئن أدبرت (بعد موتي) ليعقرنك الله وإني لأراك الذي أريت فيك ما أريت ، وهذا ثابت يجيبك عني ، ثم انصرف عنه »^(١) .

وبناءً على الحديث السابق فإنّ مسيلمة طلب أن تكون له الخلافة بعد محمد ﷺ فرفض محمد ﷺ وأخبره أنّه سيكون مصيره الذّبح ؛ لأن الله تعالى أوحى إلى محمد ﷺ في الرؤيا شيئاً يدلُّ على كذابين يخرجان بعد وفاته ﷺ .

وكان النبي ﷺ قد قال : « بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمّني شأنهما ، فأُوحِيَ إليّ في المنام أن انفخهما ، فنفختهما ، فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي »^(٢) .

وبعد وفاة محمد ﷺ ظهرت ردّة مسيلمة حيث ادّعى النبوة وناصره ناس من قومه ، لكنه ذبح وذبحوا معه ، وكذلك الأسود العنسي الذي ادّعى النبوة وقام عليه أهل اليمن ، وقتلوه وأتباعه .

(١) مسلم رقم (٢٢٧٣) .

(٢) مسلم رقم (٢٢٧٤) .

٤- الإخبار عن أعدائه من الفرس :

في الوقت الذي أخبر فيه محمد ﷺ عن الفرس ، وخصائصهم بعد الإسلام ، كان الفرس أقوى الدولتين العظيمتين .

وقد أخبر محمد ﷺ عن خصائص الفرس بعد الإسلام ، وها نحن اليوم نراقب دولة إيران الإسلامية التي تعود قوميتها إلى الفارسية ، نراقبها لنلاحظ هل ينطبق عليهم ما قال عنهم محمد ﷺ عندما قال : « لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجلٌ من فارس ، أو قال من أبناء فارس حتى يتناوله »^(١) .

٥- الإخبار عن أعدائه من الروم :

يمكننا أن نقول : إنّ العرب كانت تطلق الروم على كلّ من انحدر أصله من أوربة مهما كان جنسه ، وكان الروم معروفين لدى العرب بحبهم للذهب والمادة ، لذلك أطلق عليهم محمد ﷺ لقب (بنو الأصفر) .

« قال المستورد القرشي عند عمرو بن العاص : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تقوم الساعة والروم أكثر الناس » فقال له عمرو : أبصر ما تقول ! قال : أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ ! قال : لئن قلت ذلك إنّ فيهم لخصالاً أربعاً : إنّهم لأحلم الناس عند فتنة ، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة ، وأوشكهم كرامة بعد فرة ، وخيرهم لمكين ، ويطيم ، وضعيف ، وخامسة حسنة جميلة : وأمنعهم من ظلم الملوك »^(٢) .

ويبدو مما سبق : أنّ الروم في عهد محمد ﷺ سوف يتحولون فتتغير

(١) مسلم رقم (٢٥٤٦) .

(٢) مسلم رقم (٢٨٩٨) .

طباعهم ، فيكونون أكثر الناس إسلاماً ، وهذا دليل من أدلة قيام الساعة ، فإذا تأملت الغرب وتاريخه وجدته يتعامل مع النكبات بهدوء شديد ، وحتى لو كسرت المصيبة فإنَّ سرعتهم في الاستفاقة منها كبيرة .

فعلى سبيل المثال عندما اجتاحت ألمانيا أوربة تقبلتها أوربا ببرودة شديدة حتى ظهر أنَّ ألمانيا لا يستطيع أن يقف في وجهها أحد ، ثم سرعان ما استفاقت أوربة فتجمعت ، ودحرت ألمانيا حتى دخلوا حاضرتها برلين .

وعندما أحتلَّت ألمانيا أذعنت لشروط المتصرين ، ثم استفاقت وأصبحت إحدى أغنى الدولتين في العالم ألمانيا واليابان . وكذلك فعل المنتصرون استفاقوا وعادوا لينوا بلادهم ، فازدهروا ، وتقَدَّموا ، وتطوروا... .

وأيضاً إنَّ خيرهم في مكيهم ، ويطيمهم ، وضعيفهم ، وهذا ما تجده لدى الغرب اليوم جمعيات تقدم الدَّعم لكل من مالت به الأقدار مرضاً ، أو نكبةً ، أو يتيماً ، وهذه الجمعيات جمعيات خيرية أهلية تمولها تبرعات المحسنين منهم .

وكما جاء أيضاً أنَّ الغرب يحمي كلَّ من لجأ إليه هارباً من السلطة في بلاده ، فيقدمون له المال والحماية والرعاية .

* * *

دليل الوحي الحادي عشر

استجابة أدعية الأنبياء

يتمنى كلُّ مؤمن بالله أن يستجيب الله له أدعيته ، وقد يستجيب الله له دعاءه ، أو لا يستجيب ، وذلك لأنَّ الله أعلم بمن يستحق أن يستجاب له ، أو لا يستجاب .

أما الأنبياء فقد كَرَّمهم الله باستجابة أدعيتهم ، وعلى الرغم من أننا لا نستطيع أن نعرف الحكمة التي أرادها الله من ذلك . لكن يبدو والله أعلم بأن منفعة الإنسان قد تدفعه للإيمان بنبي عصره ، وربما كان السبب في استجابة الله للنبي لإفادة من أراد النبي إفادته ، وربما كان الأمر إظهاراً لنبوة النبي بحيث يبدو دعاؤه على شكل معجزة .

ومهما يكن من أمر فإنَّ آثار الأنبياء تدلُّ على أن أدعيتهم تحققت سواء كان ذلك في حياتهم أو بعدها ، ومهما كانت نوعية الدعاء الذي دعوا الله لأجله ، فعندما عبد بنو إسرائيل العجل دعا موسى عليه السلام ربَّه حتى يرفع غضبه عنهم فاستجاب الله له : « وصنعتم لكم عجلاً مسبوكاً ، وزغتم سريعاً عن الطريق التي أوصاكم بها الرب ، فأخذت اللوحين وطرحتهما من يدي ، وكسرتهما أمام عيونكم ، ثم تضرعت أمام الرب كالمرءة الأولى أربعين نهاراً وأربعين ليلة ، لم آكل خبزاً ، ولم أشرب ماءً بسبب خطيئكم التي أخطأتموها حين صنعتم الشرَّ في نظر الرب ، وكدرتموه ، لأنني خفت من غضب الرب وغيظه عليكم

ليبيدكم ، فسمع لي الرب هذه المرة أيضاً»^(١) .

وعندما أمر الله موسى عليه السلام أن يُدخل بني إسرائيل الأرض المقدسة رفض بنو إسرائيل الدخول ، وتضرع موسى عليه السلام إلى الله ، فاستجاب له دعاءه ، يقول موسى عليه السلام مخاطباً بني إسرائيل :

« ولما أرسلكم الرب من قادش برنيع لتصعدوا وترثوا الأرض التي أعطاها لكم ، تمردتم على ما أمر به الرب إلهكم ، ولم تثقوا به ، ولم تسمعوا لقوله ، فمن يوم عرفتكم وأنتم تتمردون على الرب . فتضرعت أمام الرب مدة الأربعين يوماً والأربعين ليلة لأنه هددكم بالهلاك »^(٢) .

كذلك فإنَّ المسيح عليه السلام أطعم خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد ، وذلك بدعائه على خمسة أرغفة وسمكتين : « ورفع عينيه نحو السماء وبارك وكسر الأرغفة وأعطى تلاميذه ، والتلاميذ أعطوا الجموع . فأكلوا كلهم حتى شبعوا ، ثم رفعوا اثنتي عشرة قفّة مملوءة من الكسر التي فضلت »^(٣) .

وعندما مرض اليعازر أرسلت أخته مريم ، ومرتا إلى المسيح عليه السلام ليدعوه بالشفاء ، لكن المسيح عليه السلام تأخر عن الوصول إلى الوقت الذي جاء فيه فوجد اليعازر قد مات ودفن منذ أربعة أيام ، وبينما الناس يعزّون الأختين في موت اليعازر قدم المسيح عليه السلام إلى اليعازر فخرجت مرتا لاستقباله وقالت : « لو كنت هنا ، ياسيد ، ما مات

(١) التثنية (٩، ١٦-١٩) .

(٢) التثنية (٩، ٢٣ و٢٤) .

(٣) متى (١٤، ١٨) .

أخي ، ولكنني ما زلت أعرف أنَّ الله يعطيك كلَّ ما تطلب منه « (١) .

وذهب المسيح عليه السلام إلى المغارة التي دفن فيها اليعازر ، فقال لهم : أزيحوا الحجر عن المغارة فقال المسيح عليه السلام « أنا أعرف أنك تستجيب لي في كل حين . ولكنني أقول هذا من أجل هؤلاء الناس حولي ، حتى يؤمنوا أنك أنت أرسلتني » (٢) .

وصاح المسيح عليه السلام بأعلى صوته ليعازر : « اخرج ! » فخرج الميت مشدود اليدين والرجلين بالأكفان ، معصوب الوجه بمنديل فقال لهم : حلُّوه ، ودعوه يذهب (٣) .

وكذلك فإنَّ محمداً ﷺ كان دعاؤه مستجاباً في كل أدعيته التي دعا بها ، لكنَّ المدهش في نبوة محمد ﷺ أنَّ أدعيته يشاهد الناس الاستجابة لها بعد وفاته استمراراً لإظهار نبوته ﷺ .

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه :

« جاءت بي أمي أم أنس إلى رسول الله ﷺ وقد أزرَّتني بنصف خمارها وردَّتني بنصفه ، فقالت : يا رسول الله ! هذا أنيسُ ابني أتيك به يخدمك ، فادع الله له . فقال : اللهم أكثر ماله ، وولده ! قال أنس : فوالله إنَّ مالي لكثير ، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادُّون على نحو المئة اليوم » .

والمعروف عند المسلمين أنَّ ابن عباس كان فقيهاً في الإسلام لدرجة أنَّهم أطلقوا عليه اسم (حبر الأمة) فما هو السرُّ في ذلك ؟ وسرُّ ذلك دعاء رسول الله له . يقول ابن عباس : « إنَّ النبيَّ ﷺ أتى الخلاء ، فوضعت له

(١) يوحنا (١١ ، ٢٢) .

(٢) يوحنا (١١ ، ٤٢) .

(٣) يوحنا (١١ ، ٤٤) ، مسلم رقم (٢٤٨١) .

وضوءاً ، فلما خرج ؛ قال : من وضع هذا ؟ قلت : ابن عباس . قال : اللهم فقهه « (١) » .

كذلك فإنَّ أبا هريرة كان قد أسلم وأمه لازالت مشركة ، كلما دعاها إلى الإسلام رَفُضَتْ حتى أنه دعاها إلى الإسلام مرَّةً فشتمت محمداً ﷺ ، الأمر الذي جعله يبكي ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، وقال له : « ادع الله أن يهدي أمَّ أبي هريرة ! فقال رسول الله ﷺ : اللهم اهدِ أمَّ أبي هريرة . . . » .

خرج أبو هريرة مستبشراً بدعوة نبيِّ الله قاصداً أمه ، فوجد الباب مغلقاً ووراءه صوت خضخضة ماء ، فسمعت أمه خشف قدميه ، فقالت له أمه : مكانك يا أبا هريرة .

وكانت أمُّ هريرة قد اغتسلت ، ولبست ثوباً طاهراً ، ووضعت غطاء رأسها ، وفتحت الباب ، وقالت : يا أبا هريرة ! « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله » .

ورجع أبو هريرة إلى رسول الله ﷺ باكياً فرحاً هذه المرَّة ، وقال : « يا رسول الله ! أبشر قد استجاب الله دعوتك ، وهدى أمَّ أبي هريرة ! فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال خيراً . قال : قلت يا رسول الله ! ادع الله أن يحبني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ، ويحبهم إلينا ! قال : فقال رسول الله ﷺ : اللهم حببْ عُبيدَكَ هذا يعني أبا هريرة وأمه إلى عبادك المؤمنين وحبِّبْ إليهم المؤمنين ، فما خُلِقَ مؤمنٌ يسمع بي ، ولا يراني إلا أحبَّني » (٢) .

* * *

(١) مسلم رقم (٢٤٧٨) .

(٢) مسلم رقم (٢٤٩١) .

دليل الوحي الثاني عشر

اعتراف كل نبيّ بكلّ من سبقه من الأنبياء

من المتفق عليه أنّ الإنسان لا يستطيع بمداركه الخاصة أن يصل إلى معرفة حقيقة شخصية معيّنة ظهرت في التاريخ الذي سبقه إلا من خلال مراجع معينة موثقة ، وصادقة في رواياتها للأحداث من خلال شهود عيانٍ عاصروا تلك الشخصية ، حتى يستطيع الإنسان الحكم على صدق هذه الشخصية ، أو كذبها .

في الوقت الذي تجد فيه الأنبياء دون مراجع كافية على الأقل ودون تأهيل تعليمي يحدثونك عن أنبياء سبقوهم بالظهور الزمني بكل إجلال ، واحترام ، وإكبار ، ثم يأتي من بعدهم من الأنبياء ليؤكد صدق نبوة من سبقه من الأنبياء متحدثاً عنهم بكلّ إجلالٍ ، واحترام ، وإكبار!!! .

فمن أين جاء هؤلاء الأنبياء بتلك الأخبار ؟ وما الذي جعلهم واثقين من الأخبار لدرجة أنّهم شهدوا أمام معاصريهم بأنّ من سبقهم من الأنبياء كانوا صادقين ؟

ومن الذي دفعهم إلى تلك الشهادة في الوقت الذي لا يتطلب منهم تلك الشهادة لتأكيد نبوتهم ؟ ثم لماذا لم يتعال أيّ نبيّ من الأنبياء على من سبقه من الأنبياء ، فيضع نفسه في مكانة أعلى من مكانة النبوة ؟

لا تُعجز هذه الأسئلة فطنة المؤمن بالله وعظمته ، فالذي أخبر هؤلاء الأنبياء هو الله الأزلي الأبدي الشاهد الواثق عالم ما لا يُعلم . الذي أوحى

إلى أنبيائه بأخبار النبوءات التي سبقتهم تأكيداً لأنبيائه ، وتصديقاً لمن سبقهم ، وإيمان الأنبياء بقدرة ربهم يجعلهم لا يقولون إلا ما علمهم الله ، وهذا هو مفتاح اللغز .

فإذا تأملنا في العهد القديم نجد أنَّ جميع الأنبياء الذين ظهروا بعد موسى عليه السلام شهدوا لموسى عليه السلام ، وشهدوا لبعضهم البعض بالصدق والنبوة .

ونجد أيضاً أنَّ موسى عليه السلام قد شهد لمن سبقه من الأنبياء من إبراهيم إلى إسحاق إلى يعقوب^(١) ، كما شهد ليوسف عليه السلام أيضاً^(٢) .

كذلك فإنَّ المسيح عليه السلام شهد لنوح ، ولوط^(٣) ، وشهد لإبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب^(٤) ، وشهد لموسى^(٥) ، وشهد لإيليا^(٦) ، وشهد لزكريا ويوحنا (يحيى)^(٧) .

كذلك فإنَّ محمداً ﷺ شهد بصدق نبوة الأنبياء الذين سبقوه ، فشهد على صدق نبوة كلِّ من :

آدم - إبراهيم - إدريس (أخنوخ) - إسحاق - إسماعيل - إيلياس (إيليا) - إيسع (اليسع) - أيوب - داود - ذي الكفل - زكريا - سليمان -

(١) الخروج (٣، ١٦) .

(٢) الخروج (١٣، ١٩) .

(٣) لوقا (١٧، ٢٧-٢٩) .

(٤) مرقس (١٢، ٢٦) .

(٥) لوقا (٢٠، ٣٧) .

(٦) لوقا (٩، ١٨) .

(٧) متى (٢٣، ٣٥) .

شعيب - صالح - عيسى (المسيح) - لوط - لقمان - موسى - نوح - هارون - هود - يحيى (يوحنا) - يعقوب - يونس (يونان) - يوسف ، هؤلاء جميعاً عليهم الصَّلَاة والسلام أجمعين ورد ذكرهم على لسان محمد ﷺ الذي شهد لهم بالنبوة والصدق ، وذلك في القرآن الكريم ، وأخبار السيرة النبوية الشريفة .

والملاحظ في العهد القديم والجديد أنَّ نبياً من الأنبياء لم يشتم ، أو ينتقد ، أو يتقصص من قدر نبيٍّ من الأنبياء ، ولم يرد على لسانه شيءٌ من هذا اللهم إلا ما ورد في نصوص العهدين ، والتي لم ترد على لسان أيِّ نبيٍّ من الأنبياء ، بل على ألسنة الرواة . الأمر الذي يلفت النظر إلى ضرورة معرفة السر الذي يكمن وراء هذا الاحترام الذي يديه كلُّ نبيٍّ تجاه كلِّ نبيٍّ سبقه ، ويكمن التفسير في حديث محمد ﷺ الذي يقول فيه :

« ... الأنبياء أخوة من عَلاَّتٍ ، أمهاتهم شتَّى ، ودينهم واحد... »^(١) .

وأولاد العَلاَّت هم أبناء الأب الواحد والأمهات المختلفات ، والمعنى أنَّ الأنبياء مرسلهم واحدٌ ، حتى ولو اختلفت الأمم اللائي يظهرون فيها ، ودليل ذلك أنَّهم يدعون إلى دينٍ واحدٍ لذلك فهم إخوة .

هذه الأخوة التي برزت في الدفاع عن الأنبياء عند محمد ﷺ في أحاديث كثيرة ، تدفع كلَّ مؤمن بالله وبأنبيائه إلى المزيد من الاحترام والتوقير لكلِّ الأنبياء . من أجل ذلك أمر محمد ﷺ أتباعه بعدم المفاضلة بين الأنبياء فقال : « ... لا تفاضلوا بين أنبياء الله ... »^(٢) .

(١) مسلم رقم (٢٣٦٦) .

(٢) مسلم رقم (٢٣٧٣) .

ولا نستطيع أن نفهم هذه المفاضلة سوى أنّها المفاضلة التي تؤدّي إلى
الإنقاص من قدر المفضلّ في النبوة أما ما يخص ما كرمه الله به من
معجزات وفضائل ، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وحقّ كلّ نبي أن نذكر
فضائله ، وصفاته ومعجزاته... (١) .

* * *

(١) انظر حاشية الإمام النووي على حديث مسلم (٢٣٧٣) .

دليل الوحي الثالث عشر

تلازم النبوة مع قول الحكمة

يمكن أن نعرّف الحكمة بأنها أقوالٌ تظهر قواعد حياتية معينة ، توصّل إليها قائلوها عبر التأمل في تجاربهم الذاتية ، أو تجارب غيرهم من البشر ، بناءً على ذلك فإنّ الحكمة قد تكون سطحية إذا لم تتجاوز عصر قائلها ، أو تكون عميقة إذا ما تناولت أبعد من عصر قائلها .

أما الأنبياء فإنّ حكمتهم لا تنبع من تجاربهم الشخصية ، ولا من تجارب معارفهم ، كما أنّ حكمتهم التي يقولونها دائماً عميقة تصلح لكلّ زمانٍ ، ولكلّ مكان ، طالما أنّ هناك بشراً يسمعون لحكم الأنبياء ، ناهيك عن أنّ حكم الأنبياء تشمل أمور الدنيا ، وتشمل أمور الآخرة أيضاً ، الأمر الذي يدفعنا إلى القول بأنّ قول الحكمة ذات المواصفات السابقة هو دليل نبوة ؛ لأنّ الحكمة عند الأنبياء ناتجة عن الوحي ، وليست نتاج تفكير ، أو تجارب شخصية .

وعلى هذا لا يمكن اعتبار أرسطو أو أفلاطون أنبياء لأنهم قالوا حكماً ، ولكن قول سليمان الحكمة هو دليل على نبوة سليمان عليه السلام ؛ الذي اشتهر بالحكمة لدرجة أنّ أتباع الشرائع السماوية الثلاثة أطلقوا عليه اسم : سليمان الحكيم .

ويعود السرّ في ذلك إلى أنّ سليمان عليه السلام طلب في الرؤيا أن تكون إحدى معجزات نبوّته الحكمة ، فاستجاب الله لطلبه ، وأوحى إليه

في الرؤيا قائلاً : « فأنا أَلبي طلبك ، فأعطيك عقلاً حكيماً راجحاً »^(١) .

وبالطبع فإنَّ سليمان عليه السلام كانت الحكمة معجزة من معجزاته والتي اشتهر بها ، لكن جميع الأنبياء تمتعوا بنعمة الحكمة التي وهبها الله تعالى لأنبيائه .

كذلك فإنَّ موسى عليه السلام قد آتاه الله الحكمة ، ونستطيع أن نتلمس أقوال الحكمة في نصوص التوراة كما يلي :

قال موسى عليه السلام : « أحبوا الربَّ إلهكم بكل قلوبكم ، وكلِّ نفوسكم ، وكل قدرتكم »^(٢) .

وقال أيضاً : « لا تجربوا الربَّ إلهكم »^(٣) .

وقال أيضاً : « بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان »^(٤) .

وقال أيضاً : « إن نيت الربَّ إلهك ، واتبعت آلهة غريبة ، وعبدتها ، وسجدت لها ، فأنا شاهد عليك اليوم بأنك لا محالة بائد ، مثل الشعوب التي يبيدها الربُّ من أمامك ، كذلك تبيد أنت لأنك لم تسمع لصوت الربَّ إلهك »^(٥) .

وقال موسى عليه السلام محذراً بني إسرائيل من التكبر والعنصرية : « لم يعطك هذه الأرض الصالحة حتى تمتلكها لأنك صالح فأنت شعب عنيد »^(٦) .

(١) الملوك الأول (٣ ، ١٢) .

(٢) التثنية (٦ ، ٤) .

(٣) التثنية (٦ ، ١٦) .

(٤) التثنية (٨ ، ٣) .

(٥) التثنية (٨ ، ١٩) .

(٦) التثنية (٩ ، ٦) .

كذلك فإنَّ المسيح عليه السلام ورد في الأناجيل ما يدلُّ على حكمته ، والتي اخترنا منها قوله : « ولا تدينوا لثلاث تدانوا »^(١) .

وقال عليه السلام : « عاملوا الآخرين مثلما تريدون أن يعاملوكم »^(٢) .

وقال المسيح عليه السلام أيضاً : « ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه »^(٣) .

وقال أيضاً : « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى »^(٤) .

وقال أيضاً : « من فيض القلب ينطق اللسان »^(٥) .

كذلك فإنَّ محمداً ﷺ كان له من الحكم ما يذهل العقول ، وقد قال الحكمة كقول حكيم عاش عشرة آلاف عام ، ومن أقوال الحكمة نور ما يلي :

قال رسول الله ﷺ : « يهرم ابن آدم وتشبُّ منه اثنتان الحرصُ على المال ، والحرصُ على العُمُر »^(٦) .

وقال رسول الله ﷺ : « لو كان لابن آدم وادٍ من ذهب أحبَّ أنَّ له وادياً آخر ، ولن يملأ فاهُ إلا التراب ، والله يتوب على من تاب »^(٧) .

وقال رسول الله ﷺ : « ليس الغنى عن كثرة العَرَض ، ولكنَّ الغنى غنى النفس »^(٨) .

(١) متى (٧ ، ١) .

(٢) متى (٧ ، ١٢) .

(٣) مرقس (٨ ، ٣٦) .

(٤) لوقا (٥ ، ٣١) .

(٥) لوقا (٦ ، ٤٥) .

(٦) مسلم رقم (١٠٤٧) .

(٧) مسلم رقم (١٠٤٨) .

(٨) مسلم رقم (١٠٥١) .

وقال محمد ﷺ مخاطباً أصحابه كما ورد في حديث ابن مسعود :
 « ما تعدون الرّقوب فيكم ؟ قال : قلنا : الذي لا يولد له . قال : ليس
 ذاك بالرّقوب ، ولكنه الرجل الذي لم يُقدّم من ولده شيئاً . فما تعدّون
 الصّرة فيكم ؟ قلنا : الذي لا يصصره الرجال . قال : ليس بذلك ،
 ولكنّه الذي يملك نفسه عند الغضب » (١) .

وقال محمد ﷺ أيضاً : « يقول العبد مالي ! مالي ! إنّما له من ماله
 ثلاث : ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فاقتنى ، وما سوى ذلك
 فهو ذاهب وتاركه للناس » (٢) .

لقد ورد في القرآن الكريم سورة لقمان التي تتحدث عن لقمان الحكيم
 الذي لا تُعرف معجزة له سوى حكمته ، وربما كان لقمان واحداً من أنبياء
 بني إسرائيل ، وربما لا يكون ، لكن المهم في حكمة لقمان أنّها تكاد
 تكون درساً للآباء لتعليمهم كيفية تربية أولادهم ، كما يتبين لنا من خلال
 استعراض بعض آيات سورة لقمان عليه السلام :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ
 كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ١٢ ﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ
 الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣ ﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ
 وَفَصَّلَتْهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ١٤ ﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ
 تَشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ
 مَنْ أَنَابَ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٥ ﴾ يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ
 مِنْ قَالِ حَبْرٍ مِنْ خَرَدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنْ

(١) مسلم رقم (٢٦٠٨) .

(٢) مسلم رقم (٢٩٥٩) .

اللَّهُ لَطِيفٌ خَيْرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنِي أَقْصِرَ الصَّلَوةِ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا
 أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ
 اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ
 الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ [لقمان : ١٢-١٩] .

* * *

دليل الوحي الرابع عشر

إعلان كل نبيّ لتشريع يتّبعه ويطبّقه ويلتزم به

ربما احتاج تشريع شريعة معينة في بلد ما ، في زمان ما إلى الخبراء ، والإمكانات ، والوقت اللازم لإصدار تشريع محدّد ، لكن الوضع في النبوة يختلف تماماً بحيث إنّ شخصاً واحداً يأتي بالتشريع دون الحاجة إلى مراجعة ، أو مذاكرة ، أو مداولة ، الأمر الذي يعني أنّ التشريع الذي جاء به النبي لا يمكن أن يأتي به إلا خبيرٌ قادرٌ على ذلك في حين أنّ ذلك النبيّ لم يكن خبيراً تشريعياً كما كان يعرف عنه ، الأمر الذي يعني : أنّ الله تعالى هو الذي أوحى تشريعه إلى ذلك النبيّ .

وما أن يتنزل التشريع على النبي حتى تجده يسعى إلى تطبيقه بين الناس مبتدئاً بنفسه ، وملتزماً به قبل غيره من الناس . في حين أنّ المشرعين من باقي البشر هم أول الناس خرقاً لتشريعهم الذين وضعوه هم بأنفسهم ، فأعطوا لأنفسهم حقّ خرق هذا التشريع !!

فالأنبياء إذاً يأتون بالتشريع من عند الله تعالى الواحد الذي أرسل الأنبياء كافة ، وما الاختلاف الظاهر في التشريع بين الأنبياء إلا اختلافاً في فروع التشريع ، أما أصول التشريع فهي ثابتة عند جميع الأنبياء .

وعلى الرغم من أنّ موضوع التشريعات النبوية موضوعٌ صعبٌ ومعقّدٌ ، إلا أنّه على العموم يلاحظ أنّ التشريعات النبوية الفرعية جرى

تعديلها إلهياً ، بحيث تتحوّل من التعقيد إلى التبسيط ، ومن الخصوصية إلى العمومية .

لقد ظهر أول تشريع مع ظهور أول نبيّ الذي هو آدم عليه السلام ، فظُلّ تشريعه متبعاً بعده ، واعتمد من قبل الأنبياء اللاحقين له .

ثم تعدّل التشريع في نبوة إبراهيم عليه السلام الذي اعتمد تشريعه إسحاق ، ويعقوب ، وإسماعيل ، ويوسف عليهم السلام أجمعين .

ثم عدل التشريع في نبوة موسى عليه السلام ، وبقيت شريعة التوراة معتمدة عند الأنبياء كافة الذين ظهروا بعد موسى عليه السلام ، وحتى ظهور نبوة يحيى (يوحنا) عليه السلام .

ثم عدل التشريع في نبوة المسيح عليه السلام ، الذي كان آخر أنبياء بني إسرائيل ظهوراً .

ومن ثم عدّل التشريع في نبوة محمد ﷺ تعديلاً يتلاءم مع عالمية نبوته ، ومع تطور العقل البشري حتى نهاية العالم ؛ لأنّ محمداً ﷺ هو آخر الأنبياء ، لذلك فإنّ شريعته التي بعث بها تتميز بالصلاحية لكل زمان ومكان ، والسهولة ، وإمكانية التطبيق ، والانصياع لها من حيث إنها تقدم التبرير المنطقي لعقول معتنقيها .

ولا تجد في نصوص النبوات كلّها ما يدلّ على الشريعة التي كانت متبعة قبل موسى عليه السلام إلا نصّاً ورد في القرآن الكريم يظهر الشريعة الأساسية لكافة الأنبياء حيث قال الله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَنَّمُ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَيْلِ

وَالْإِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٦﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي
مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٧﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا
لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٨﴾ وَهَٰذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا
فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٩﴾ [الأنعام : ١٥١-١٥٥] .

فإذا تأملت هذه الآيات القرآنية تبين لك أساس التشريع لكافة الأنبياء ،
فهي أساس لما جاء به موسى والمسيح ومحمد صلى الله عليهم وسلم
أجمعين .

وبالتالي فإنَّ مصدر التشريع واحد ، ولا يمكن لأيِّ نبيٍّ أن يحصل
عليه إلا بوحي من الله تعالى ؛ الذي هو أعلم بمن يأتيه الوحي .

* * *

دليل الوحي الخامس عشر

معرفة كل نبي للحظة التي سيموت فيها

الموت هو الحقيقة التي لا يحتاج العقل البشري لدليل مادي على حدوثه ، فجميع البشر متفقون على أن الموت هو نهاية حياة الإنسان بغض النظر عن إيمانهم . أيضاً فإن البشر متفقون على أن أحداً لا يعلم ساعة موته ، ولا الطريقة التي سيموت بها ، ولا المكان الذي سوف يموت فيه .

أما الأنبياء فإن الموت بالنسبة إليهم أمرٌ معلومٌ ، وبالطبع فإن العلم بساعة الموت ليس ناتجاً عن علم ذاتي ، بل عن علم مخبر به وحياً من الله تعالى لأنبيائه أجمعين .

ومع الأسف فإن نصوص النبوة تفتقر إلى نصوص صريحة تشير إلى حقيقة تخيير الأنبياء بالموت إلا عند محمد ﷺ حيث لفت أنظار المسلمين إلى أن الأنبياء كلهم يخبرون في ساعة موتهم ، وتحدثت زوجته عائشة عن لحظة وفاته قائلة :

« كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح : إنه لم يقبض نبي قط حتى يُرى مقعده في الجنة ، ثم يخير . قالت عائشة : فلما نزل برسول الله ﷺ ورأسه على فخذي غشي عليه ساعة ثم أفاق ، فأشخص بصره إلى السقف ، ثم قال : اللهم الرفيق الأعلى ، قالت عائشة : قلت إذا لا يختارنا . قالت عائشة : وعرفت الحديث الذي كان يحدثنا به ، وهو

صحيح في قوله : إِنَّهُ لم يقبض نبيُّ قطُّ حتى يرى مقعده من الجنة ، ثم يخير . قالت عائشة : فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ قوله : اللهم الرفيق الأعلى»^(١) .

إِذَا فَإِنَّ الأنبياء جميعهم يخبرون بالموت بعد انتهاء رسالتهم ، فينظرون بقدرة الله إلى مقعدهم في الجنة مكافأة لهم على أدائهم لرسالتهم .

فإذا تعقبنا التخيير بالموت عند موسى عليه السلام في نصوص التوراة ، نجد أنَّ موسى عليه السلام قد صعد إلى جبل نبو^(٢) ، بعد أن فرغ من خطبة الوداع التي ألقاها على بني إسرائيل^(٣) ، وقال له الرب : « هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب إنَّ لنسلكم أعطيها . أريتكم إياها بعينيك ، لكنك إلى هناك لا تعبر . فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب بأمر الرب ، ودفنه الربُّ في الوادي في أرض موآب تجاه بيت فغور ، ولا يعرف أحدٌ قبره إلى يومنا هذا »^(٤) .

نستطيع أن نفهم من هذه النصوص أنَّ موسى عليه السلام خطب خطبة الوداع ، ثم صعد الجبل ليشاهد الأرض المقدسة قبل أن يموت ، ممَّا يدلُّ على أنَّ موسى عليه السلام أعلمه الله من قبل ذلك أنَّه سيموت .

لكن محمداً ﷺ أخبر الخبر الصحيح عن اللحظات الأخيرة لموسى عليه السلام قائلاً : « جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام ، فقال :

(١) مسلم رقم (٢٤٤٤) .

(٢) تنبيه (١ ، ٣٤) .

(٣) تنبيه (٣٢ ، ٤٥) .

(٤) تنبيه (٣٤ ، ٣ - ٥) .

أجب ربك . قال : فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها . قال : فرجع الملك إلى الله تعالى ، فقال : إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت ، وقد فقأ عيني . قال : فردَّ الله إليه عينه ، وقال : ارجع إلى عبدي ، فقل : الحياة تريد ؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت يدك من شعره فإنَّك تعيش بها سنة . قال : ثم مه ؟ قال : ثم تموت . قال : فالآن من قريب رب أمتني من الأرض المقدسة رميةً بحجر ! قال رسول الله ﷺ : والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر^(١) .

يظهر النصُّ التوراتي أنَّ موسى عليه السلام كان يعلم أنَّه سيموت ، لذلك فإنَّه ألقي خطبته الأخيرة ، ثم صعد إلى الجبل ، ثم مات هناك .

وعلى الرغم من أنَّ محمداً ﷺ قد أعطى تفصيلاتٍ أكثر عن الحادثة ، وأخبر عن موقع قبر موسى عليه السلام بالتحديد ، الأمر الذي كان يجب أن يدفع اليهود إلى معرفة مكان قبر موسى عليه السلام بدلاً من الاكتفاء بمقولة التوراة « ولا يعرف أحدٌ قبره إلى يومنا هذا . . . » ولو عرفوا قيمة نبوة محمد ﷺ لاستطاعوا معرفة قبر نبيهم بالتحديد .

كذلك فإنَّك تجد أن يعقوب عليه السلام كان يعرف بموته ، فقال وصيته لأبنائه وصعد إلى سريره وضمَّ رجله إلى بعضهما وأسلم الروح^(٢) .

كذلك فإنَّ يوسف عليه السلام علم بموته فجمع إخوته ، وقال لهم : « حانت ساعة موتي ، والله سيذكركم بالخير ، ويخرجكم من هذه الأرض »^(٣) .

(١) مسلم رقم (٢٣٧٢) .

(٢) التكوين (٤٩ ، ٣٣) .

(٣) التكوين (٥٠ ، ٢٤) .

هذا بالنسبة لموت الأنبياء ، أما بالنسبة للأنبياء الذين رفعهم الله إليه فإننا نجد أن النبي إيليا (إلياس) كان يعلم بأنَّ الله سيرفعه إليه ، فقال للنبيِّ إيشع (إيسع) : « سلمي ماذا أعمل لك قبل أن يرفعني الله إليه ، فقال : إيشع : ليكن لي من روحك النصيب الذي يجعلني خلفاً لك »^(١) .

إنَّ ما حدث مع إلياس عليه السلام يدفعنا إلى البحث عن النصِّ الذي أُخبرَ فيه المسيح عليه السلام عن رفعه إلى السماء!!!

فقد ورد : أنَّ المسيح عليه السلام ابتعد عن تلاميذه وأخذ يناجي ربه قائلاً : « إن شئت أبعد عني هذه الكأس ! ولكن لتكن إرادتك لا إرادتي وظهر له ملاك من السماء يقويه . ووقع في ضيق ، فأجهد نفسه في الصلاة . وكان عرقه مثل قطرات دم تتساقط على الأرض . وقام عن الصلاة ، ورجع إلى تلاميذه »^(٢) .

وورد أيضاً : أنَّ المسيح عليه السلام رفع عينيه إلى السماء وناجى ربه بكلام منه : « ... والآن أنا ذاهب إليك أقول هذا الكلام وأنا في العالم ليكون لهم كل فرحي ... »^(٣) .

وفي كلتا الحالتين نجد أنَّ المسيح عليه السلام كان يعلم بأنَّ نهايته اقتربت ، لكن تفصيلات الحادثة والحوار ليست دقيقة ، ولا نجد مصدراً غير القرآن الكريم يعطينا تفصيلات الوحي الذي أوحى به الله تعالى إلى المسيح عليه السلام .

(١) الملوك الثاني (٢ ، ٩) .

(٢) متى (٢٢ ، ٤٢) .

(٣) يوحنا (١٧ ، ١٣) .

قال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفُاعِكِ اِيَّايَ وَمُطَهِّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ اِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَاَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَاَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَاَعَذِّبْهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَاَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُؤْتِيهِمْ اُجْرَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٥-٥٧] .

* * *

دليل الوحي السادس عشر

عدم خوف الأنبياء من الملوك

الملوك هم قادة الشعوب المؤثرون في مصائر شعوبهم ، فإذا تمتّعوا بالحكمة ، والرحمة ، والرأفة ، والعدل ؛ كانوا سبب سعادة شعوبهم ، وإن تمتّعوا بالكبر ، والعجرفة ، والظلم ، والبطش ؛ كانوا سبباً في شقاء شعوبهم .

ومهما كانت حالة الملوك صالحين أم طالحين فإنّ الأنبياء عادة لا يهابون هؤلاء الملوك ، فالأنبياء يقولون ما أمرهم الله أن يقولوا دون أن يلتفتوا إلى ردود أفعال الملوك تجاه ما يقولون ، ولا بدّ أن يكون السرُّ الرابض وراء هذه الجراءة هو معرفة الأنبياء لتأثير أقوالهم على هؤلاء الملوك عن طريق الوحي .

فمن المعروف أنّ إبراهيم عليه السلام لم يخشَ على زوجته عندما أخذها فرعون مصر ، ولا عندما أخذها أبيمالك ملك جيران ، فكلاهما أعادا إليه زوجته دون أن يمساها^(١) .

كذلك فإنّ موسى عليه السلام لم يخف من فرعون عندما أعلن له عن نبوّته^(٢) ، وراح موسى عليه السلام يقدّم المعجزات لفرعون ، فيفاوضه فرعون ، ثم ينكث بوعوده إلى أن خرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل ،

(١) التكوين (١٢، ١٤) و(٢٠، ٨) .

(٢) الخروج (٥، ١) .

ووصلوا إلى البحر الأحمر ليجدوا أنَّ فرعون وجنوده قد لحقوا بهم لإبادتهم ، فارتعدوا خوفاً وقالوا لموسى عليه السلام : « أما في مصر قبور ، فأخذتنا لنموت في هذه البرية ؟ أما قلنا لك في مصر : دعنا نخدم المصريين ، فخدمتنا لهم خيراً من أن نموت في البرية ! فقال لهم موسى : لا تخافوا . قفوا ، وانظروا اليوم خلاص الرب . سترون المصريين اليوم ، ولن تعودوا ترونهم إلى الأبد »^(١) .

وصدق موسى عليه السلام ، وهلك فرعون وجنوده في البحر ، وعندما أمر موسى عليه السلام قومه أن يقاتلوا سيحون وعوج لم يخشاهم ؛ لأنَّ الله قال له : « لا تخف »^(٢) .

كذلك فإن داود عليه السلام لم يخف جليات (جالوت) عندما ارتعد بنو إسرائيل المحاربون خوفاً من جليات ، فقتله بالمقلاع ، وقطع رأسه بسيفه^(٣) .

كذلك فإنَّ يوحنا (يحيى) لم يخشَ الملك هيرودس الذي أراد أن يتزوَّج أرملة أخيه التي حرمت عليه ؛ لأنَّ لها بنت من أخيه حسب شريعة موسى عليه السلام ، وعلى العكس فإنَّ هيرودس هو الذي خاف من يوحنا^(٤) .

وكذلك فإنَّ المسيح عليه السلام شهد له أعداؤه بأنَّه لا يخاف من أحد ؛ لأنَّهم كانوا يعرفون أنَّ الأنبياء لا يخافون الملوك ، وإن كانوا قد

(١) الخروج (١٤ ، ١١ - ٢٣) .

(٢) التثنية (٣ ، ٢) .

(٣) صموئيل الأول (١٧ ، ١١) و (١٧ ، ٤٩) .

(٤) متى (١٤ ، ٥) .

سألوه سؤالاً يضعه في مواجهة مع الملك^(١) .

إذا نظرنا إلى تقسيم العالم القديم السياسي ؛ وجدنا أنَّ دولة الروم المسيحية تسيطر على البلاد المطلة على البحر الأبيض المتوسط كله ، ينافسها دولة الفرس المجوسية التي تمتد من العراق غرباً حتى الهند شرقاً .

وكان الوطن العربي يتقاسمه الروم والفرس ، حتى أنَّ الجزيرة العربية نفسها كانت مقسمة إلى إمارات منها من يتبع الروم ، ومنها من يتبع الفرس .

هذا التقسيم السياسي للعالم القديم هو التقسيم ؛ الذي كان معروفاً لدى عرب الجزيرة العربية في بداية القرن السابع الميلادي إبان ظهور نبوة محمد ﷺ .

وإذا كان الأنبياء لا يخافون الملوك فإنَّ محمداً ﷺ لم يهب كافة الملوك مجتمعين ، هذا وإنَّ التدقيق للمراسلات التي تمت بين محمد ﷺ من جهة وملوك الأمم المجاورة من جهة أخرى يظهر أنَّ عملية تبادل الرسائل مع الملوك كانت دليلاً مادياً على نبوة محمد ﷺ !!

أولاً : الرسالة إلى قيصر الروم :

حمل دحية الكلبي رسالة رسول الله إلى قيصر الروم عن طريق ملك بصرى الذي أوصل الرسالة إلى قيصر الروم هرقل ، والتي قال فيها محمد ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلامٌ على من اتَّبَعَ الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية

(١) متى (٢٢، ١٦) .

الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن توليت فإنَّ عليك إثم الأريسيين ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَٰةٍۭ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْأَلَا نَعْبُدُ ٱللَّهَ ۚ وَلَا نُشْرِكُ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ^(١) [آل عمران : ٦٤] .

تضمنت رسالة محمد ﷺ كلمة لازالت حتى يومنا هذا مجهولة الدلالة لدى غالبية المسلمين ، لكن عين الكلمة هي التي أثارت دهشة هرقل وأعلمته أنَّ الذي يحدثه ، ويعده ، ويتوَعَّده هو نبيّ مرسل من الله تعالى ، لكنَّ هرقل أراد أن يتأكد من حقيقة النبي الذي أرسل تلك الرسالة ، فما كان منه إلا أن أرسل طالباً رجلاً قرشين يعرفون محمداً ﷺ حقَّ المعرفة .

و شاء الله أن يكون أبو سفيان متواجداً في تجارة له في فلسطين ، فاستقدمه جند هرقل إلى بيت المقدس ، حيث يتواجد قيصر الروم .

راح هرقل يسأل أبو سفيان عن محمد ﷺ وأبو سفيان يجيبه ، وعندما انتهى قيصر الروم من طرح أسئلته ؛ عاد أبو سفيان ليسأل هرقل عن الأسباب التي دفعته إلى أن يسأل كل ما سأل ، فأجابه هرقل عن كلِّ ما سأل ، ثم قال : « إن يكن ما تقول حقاً فإنه نبيّ ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، ولكن لم أكن أظنه منكم ، ولو أعلم أنني أخلص إليه ؛ لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، وليلبغنَّ ملكه ما تحت قدميَّ » ^(٢) .

وهكذا شهد قيصر الروم بنبوة محمد ﷺ ، وعرف عندها أبو سفيان أنَّ أمر محمد ﷺ ظاهر لا محالة بناءً على شهادة قيصر الروم به ، ولقد صدق

(١) مسلم رقم (١٧٧٣) .

(٢) مسلم من الحديث رقم (١٧٧٣) .

قيصر الروم عندما شهد بنبوة محمد ﷺ ، لكن الذي حدث أن نبوة محمد ﷺ كانت أقوى من توقعات القيصر ، حيث ملك محمد ﷺ ملك القيصر كله !!!

ونعود الآن إلى كلمة السر التي تضمنتها رسالة محمد ﷺ أقصد كلمة الأريسيين !! فمن أين جاءت هذه الكلمة ؟

ترك المسيح عليه السلام أتباعه وهم مؤمنون به على أنه نبي مرسل ، ولكن الدولة الرومانية خضعت لضغوط اليهود ، فأصدرت قراراً يجري بمقتضاه ملاحقة أتباع المسيح عليه السلام ، فراح اليهود يجمعون تلاميذ المسيح عليه السلام في السجون الرومانية لردهم عن دينهم ، وعقيدتهم ، وإلا كانوا مشاعل ليلية لإضاءة حدائق الرومان ، التي كانت تجري فيها احتفالاتهم ، أو ليكونوا طعاماً لأسودهم الجائعة .

إلا أن أحد الذين اعتنقوا المسيحية بعد المسيح عليه السلام راح يدعو الناس إلى مسيح آخر ليس هو المسيح الموعود فحسب ، ولا زعيم لليهود فقط ؛ بل إلى مسيح هو ابن الله الذي نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ، ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر الأصلية .

كان هذا الرجل هو « بولس » الذي بذر بذرة ألوهية المسيح في أذهان الذين لهم معرفة بفلسفات واتجاهات كانت موجودة قبل المسيح ، فلاقت هذه الفكرة استحساناً وقبولاً عند هؤلاء الذين لم يجدوا في فكرة ألوهية المسيح سوى امتداد لفكرة أوزيريس الذي كان إلهاً ثم مات ليبعث حياً ، وليمنح الناس الخلود .

ومات بولس وبقيت أفكاره تتصادم مع القائلين بنبوة المسيح عليه السلام على مدى ثلاثة قرون إلى أن تحول دين الدولة الرومانية من الوثنية إلى المسيحية ، حيث بلغ الصراع أشدّه لدرجة أن إمبراطور الروم تدخل

ليحسم الخلاف ، فجمع الإمبراطور البطارقة والأساقفة فيما يسمى مجمع نيقية NICEA سنة ٣٢٥ م ليضع حداً لخلافات الطرفين .

وفعلًا عقد المؤتمر ، وكان عدد المجتمعين (٢٠٤٨) أسقفًا ، لكنَّ المؤتمرين انقسموا إلى فريقين :

الأول : يقول بالوهية المسيح ، وكان يرأسهم كاهن روما ، ويسانده ٣١٨ عضواً .

الثاني : وكان يرأسه أريوس ، ويدعمه (١٧٣٠) أسقفًا يقولون بنبوة المسيح عليه السلام ، وقالوا : إن الأب هو الله ، وإن الابن هو مخلوق مصنوع .

حار إمبراطور الروم في أمره ثمَّ انحاز إلى رأي كاهن روما ، فأمر بطرد الرؤساء الروحانيين من المؤتمر ، ثم عقد المؤتمر بحضور / ٣١٨ / عضواً اتخذوا قراراً بالوهية المسيح !!! وأصدر الملك قراراً يقضي بقتل أريوس وأتباعه الذين عرفوا في المسيحية باسم الأريوسيين أو الأريسيين .

وفعلًا قتل أريوس ومن كان على رأيه ، وأبيدت وأحرقت كل الكتب التي تسير في اتجاه يعاكس ألوهية المسيح^(١) .

ومن هنا فإنَّ كلمة الأريسيين التي وردت في رسالة محمد ﷺ إلى قيصر الروم كانت بمثابة كلمة السرِّ التي فهمها قيصر الروم ، ولفتت نظره إلى أن الرجل الذي أخبره الخبر يعلم ما هو ممنوع معرفته على عامة المسيحيين ، فكيف عرف هذا العربي الذي لا يدين بالمسيحية ، ويعيش

(١) المصححة د. أحمد شلبي ص ١٢٨ ، وكتاب هداية الحيارى لابن قيم الجوزية ص ٢٠٨ .

في وسط الصحراء بقضية أريوس ، ثم تكون له سلطة الوعد والوعيد بتحمل إثم ، كان قد ارتكب بحق أريوس الذي كان يقول بنبوة المسيح عليه السلام . من هنا نجد أنَّ قيصر الروم كان رأيه صائباً في استدعاء أكثر الناس معرفةً لمحمد ﷺ ؛ ليعرف الحقيقة التي تأكدت له ، وتوقع أن يملك ذلك النبي ما تحت قدميه ، ورغب في رؤيته ، وغسل قدميه اعترافاً منه بنبوته .

لكن عرش الحكم استأثر بقلب قيصر ، فلم يسلم ، ولكنه لم يؤذِ محمداً ﷺ ، ولم يأمر بأذيته .

ثانياً : الرسالة إلى ملك الحبشة :

الحبشة هي إثيوبيا اليوم ، وكانت في عهد محمد ﷺ مملكة مسيحية تدين بالولاء لقيصر الروم ، يترأسها ملك يطلق عليه في لغتهم اسم (نجاشي) وكان ملكها في ذلك الوقت اسمه (أصحمة) ، وكان الرسول ﷺ أمر الضعفاء من أتباعه أن يهاجروا إلى الحبشة هروباً من اعتداءات قريش على ضعفاء المسلمين ، ثم ما لبث محمد ﷺ أن بعث إليه رسالة مع عمرو بن أمية الضمري يقول فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة : أسلم أنت ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحسنة ، حملت بعيسى فخلقه من روحه ، ونفخه ، كما خلق آدم بيديه وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبني ، وتؤمن بالذي جاءني ، فإني رسول الله إليك ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلغت ، ونصحت ، فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى » .

نلاحظ في رسالة محمد ﷺ إلى النجاشي أنَّ هناك شهادةً بحقيقة المسيح عليه السلام ، وشهادةً بطهارة أمّه ، ونصيحةً فقط للدخول في الإسلام في حين أن رسالته إلى قيصر الروم كانت تتضمن وعداً ، وتوعداً ، وتحميل إثم ، فما هو السرُّ في ذلك ؟

يكمُن السر في ذلك إلى اختلاف مذهب قيصر الروم عن مذهب النجاشي ، فقيصر الروم يتبع المذهب الملكاني ، في حين أنَّ النجاشي يتبع المذهب النسطوري الذي يعتبر أنَّ المسيح بشر ، لكنَّ الله اتَّحد بالمسيح اتحاداً مجازياً ، فمنحه المحبة ووهبه النِّعمة .

وقد نشأ المذهب النسطوري سنة ٤٣١ م في القسطنطينية ، وكفّره الملكانيون في تلك السنة بناءً عليه ، فإنَّ مسيحيي الحبشة هم كفرة في نظر قيصر الروم .

ومهما يكن من أمر النجاشي ؛ فإنَّه اقتنع بنبوّة المسيح عليه السلام ، وآمن بنبوّة محمد ﷺ على الرغم من معارضة القساوسة الأحباش لملكهم ، لذلك أسلم سرّاً واضعاً شهادة إسلامه بين يدي محمد ﷺ ضمن رسالة وجَّهها إليه قائلاً :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله ، من النجاشي أصحمة ، سلام عليك يا نبي الله وبركات الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فلقد بلغني كتابك فيما ذكرت من أمر عيسى ، فوربَّ السماء والأرض إنَّ عيسى لا يزيد على ما ذكرت تفروقاً (التفروق هو العلامة الفاصلة ما بين الثمرة ونواتها) ، إنَّه كما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، وقد قربنا ابن عمِّك ، وأسلمت على يديه لله ربِّ العالمين »^(١) .

(١) كتاب هداية الحيارى لابن قيم الجوزية ص ٤٢ نقلاً عن الواقدي .

نلاحظ من ردّ النجاشي على رسالة محمد ﷺ أنّه لم يعترض على اسم عيسى عليه السلام على الرغم من أنّ الأناجيل القانونية الأربعة لا يرد فيها هذا الاسم للمسيح عليه السلام ، الأمر الذي يدعونا إلى القول إنّ النجاشي وفرقة كانوا يعتمدون إنجيلاً يرد فيه اسم عيسى منسوباً للمسيح عليه السلام ، وهذا ليس مستبعداً ، لأنّ الأحباش كان لهم إنجيل حبشيّ خاصّ ، ودليل ذلك أنّ الكلمة اليونانية التي تبشر بالباراكليتوس في الإنجيل اليوناني تعني في الإنجيل الحبشي (بن نعطيس) .

توفي النجاشي قبل فتح مكة ، فصلّى عليه محمد ﷺ صلاة الغائب ، وذلك لكون ملك الحبشة قد مات مسلماً .

ثالثاً : الرسالة إلى المقوقس :

عين هرقل قيصر الروم مندوباً له على مصر ، وكان اسم المقوقس الحقيقي (KIRES) أوقيرس الذي حكم مصر من الإسكندرية ، وإلى الإسكندرية بعث رسول الله ﷺ برسالة يقول فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم القبط ، ﴿ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ إِلَّا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] » .

حمل الرسالة إلى المقوقس حاطب بن أبي بلتعة ، فقرأ المقوقس الكتاب ، وحاور حامله حاطب الذي قال له :

« إنّ لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خير منه ، وهو الإسلام الكافي به الله

ما سواه ، إنَّ هذا النبي دعا الناس ، فكان أشدَّهم عليه قريش ، وأعداهم له يهود ، وأقربهم منه النصارى ، ولعمري ما بشارة موسى بعيى إلا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤنا إيَّاك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ، وكل نبيٍّ أدرك قوماً ؛ فهم أمته ، فالحقُّ عليهم أن يطيعوه ، فأنت ممن أدرك النبي ، ولسنا ننهك عن دين المسيح ، ولكننا نأمرك به .

كان المقوقس أباً من آباء كنيسة القسطنطينية قبل أن يوليه قيصر الروم ولاية مصر ، لذلك فهو متبحرٌ في أمور اليهودية والمسيحية وزعيمٌ من زعماء مذهب الملكانية ، ولما أراد قيصر الروم توحيد المذاهب المسيحية أرسل المقوقس ليعمل على تحويل الأقباط المصريين إلى مذهب الملكانية (الكاثوليكية) وفوضه في اتخاذ الإجراءات الكفيلة بتحقيق هذا الهدف ؛ لأنَّ أقباط مصر رفضوا مقررات مجمع نيقية السابق الذكر .

أوكل المقوقس مهمة تعذيب الأقباط إلى اليهود الذين لجؤوا إلى القتل ، والتحريق ، والتعذيب والإعدام لتغيير مذهب الأقباط الذين اتهمتهم الكنيسة بالهرطقة ، أما بنيامين الكبير وهو أكبر رهبان الأقباط ؛ فقد عذبه اليهود عن طريق خلع أسنانه الواحد تلو الآخر لإجباره على تغيير رأيه في طبيعة المسيح^(١) .

تضمنت رسالة محمد ﷺ الوعد والوعيد ، وتحمل إثم القبط على المقوقس الذي أدهشته تلك الكلمة الواردة في الرسالة ، وعرف أنَّ الذي يخاطبه هو نبيٌّ كما يقول ، فمن غير المعقول أن يخرج من وسط الصحراء رجلٌ يعده ويتوعده وينكر عليه تعذيبه للقبط دون أن يكون نبياً جديداً . . . ذلك النبي الذي ورد ذكره في العهد القديم ، والعهد الجديد . . . والذي

(١) المسيحية د. أحمد شلبي ص ٧٤.

يعرف عنه المقوقس الشيء الكثير بحكم علمه بالكتابين بالعهدين .

ومن هنا كان حوار المقوقس مع حاطب حواراً استكشافياً لمعرفة مطابقة صفات محمد ﷺ التي وردت في العهدين مع صفاته الحقيقية من خلال حاطب بن أبي بلتعة .

وعرف المقوقس أنّ محمداً ﷺ نبيٌّ دون أدنى شك ، فقال لحاطب :

« إني قد نظرت في أمر هذا النبي ، فرأيت أنه لا يأمر بمزهودٍ فيه ، ولا ينهى عن مرغوبٍ عنه ، لا أجده بالساحر الضال ، ولا الكاهن الكاذب ، ووجدت معه آلة النبوة من الإخبار بالنجوى ، ووصف لحاطب أشياء من صفة النبي ﷺ ، وقال : القبط لا يطاوعونني في اتّباعه ، ولا أحب أن تُعلم بمحاورتي إياك ، وأنا أضن بملكي أن أفارقه ، وسيظهر على بلادي ، وينزل بساحتي هذه أصحابه من بعده ، فارجع إلى صاحبك . وأخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في حقٍّ من عاج ، وختم عليه ودفعه إلى جاريةٍ له ، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية ، وكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لمحمد بن عبد الله ، من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك ، أما بعد فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه ، وقد علمت أنّ نبياً بقي ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك ، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم . وبكسوة ، وأهديت إليك بغلةً لتركبها ، والسلام عليك - ذكر حاطب لرسول الله ﷺ ما دار بينه وبين المقوقس فقال : ضنّ الخبيث بملكه ، ولا بقاء لملكه »^(١) .

(١) هداية الحيارى لابن قيم الجوزية ص ٤٣ .

لقد وصف رسول الله ﷺ المقوقس بـ « الخبيث » الأمر الذي يدعونا إلى التدقيق في رسالته وهداياه .

فمن جهة الرسالة نجد أنَّ المقوقس اقتنع تماماً بنبوة محمد ﷺ لكنه خاف على ولايته وبطش القيصر به إنَّ هو أعلن إسلامه ، لكنَّ فضوله دفعه إلى اكتشاف حقائق أخرى لا يعلمها عن نبوة محمد ، وأراد الإجابة عنها دون أن يسأل عنها ، وهذه الأسئلة هي : هل في شريعة محمد ﷺ جواز الجمع بين الأختين كما فعل يعقوب أم هي محرمة كما في شريعة موسى عليهم السلام أجمعين ؟ وهل هذا النبيُّ ملكٌ جبَّار ، أم نبيُّ ملك ؟ وهل هذا النبيُّ متشكف أم باذخ ؟

يمكننا استنتاج ذلك من خلال هدايا المقوقس ، حيث أرسل جارتين أختين جميلتين ، كلُّ واحدة تفوق الأخرى جمالاً ، وأرسل بغلةً ، وأرسل كسوةً ، ولا بدَّ أنَّ المقوقس أرسل من يزوده بأخبار ومصير هداياه!!

أخذ الرسول ﷺ ماريًا ، وأعتقها ، وتزوَّجها ، أما سيرين فقد أعطاها إلى حسان بن ثابت ، ولم يجمع بين الأختين ، ولم يغرِه جمالهما .

والبغلة ليست مركوب الملوك ، إنما هي مركوب الأنبياء فمحمد نبيُّ متواضعٌ ، مثله كمثل سائر الأنبياء ، وأطلق محمد ﷺ على تلك البغلة (دلل) ماتت عندما دخلت أمُّ حرام وهي راكبة عليها إلى جزيرة قبرص في عهد معاوية بن أبي سفيان ، وأما الكسوة فلم نستطع تتبُّع مسارها إلا أنَّنا نستطيع أن نقول إنَّ الكسوة كانت كسوةً عاديةً لبسها رسول الله ﷺ ، حيث تدل هدايا المقوقس على قلة قيمتها ، ولا تليق بهدية حاكم لمصر ، بل هي أقرب إلى هدية رجل عادي جداً ، مما يدلُّ على أنَّ المقوقس كان يبحث عن مدلول الهدية ، وليس عن قيمتها .

رابعاً : الرسالة إلى كسرى :

وجّه رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى وحمله كتاباً يقول له فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله فإنني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ، ويحقّ القول على الكافرين ، أسلم تسلم ، فإن أبيت ؛ فإنما عليك إثم المجوس »^(١) .

نلاحظ أنّ الرسالة إلى كسرى احتوت الوعيد الشديد مقارنةً مع الرسالة إلى قيصر الروم ؛ الذي يدعوه إلى عدم عبادة البشر للبشر ، الأمر الذي جعل كسرى يستشيط غيظاً من الكتاب ، لاسيما أنّ الفرس لم يكونوا يوماً يقيمون وزناً لجميع العرب ، فكيف يأتي التهديد من رجلٍ واحدٍ ليس له صفة الملك ، أو الإمارة ؟!! الأمر الذي دفع كسرى إلى تمزيق رسالة محمد ﷺ الموجهة إليه وكاد أن يقتل عبد الله بن حذافة السهمي .

وعاد عبد الله ليخبر محمداً ﷺ الخبر ، فقال رسول الله ﷺ : « مزّق الله ملكه » .

وبعث كسرى إلى عامله على اليمن الذي يدعى باذان والذي كان فارسياً يحكم اليمن بتفويضٍ من كسرى ، بعث له رسالة يأمره فيها بما يلي :

« إنه بلغني أنّ رجلاً من قريش خرج بمكة ، يزعم أنّه نبيّ ، فسر إليه

(١) نور اليقين للخضري بك ص . ١٤٤

فاستتبّه ، فإن تاب ، وإلا فابعث إليّ برأسه »^(١) .

ما كان من باذان إلا أن بعث بكتاب كسرى إلى رسول الله ﷺ ، وأرسل رجلين يحملان معهما كتاباً من باذان أيضاً يأمره فيه أن ينصرف معهما إلى كسرى ، فلما قدما المدينة ، وقابلا النبي ﷺ ، قال أحدهما : إن شاهنشاه ملك كسرى قد كتب إلى الملك يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك ، وقد بعثني إليك لتنطلق معي ، وقالوا قولاً تهديداً^(٢) .

لكن الوحي جاء إلى رسول الله ﷺ فكتب لتوه إلى باذان : « إن الله وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا » . فلما وصل الكتاب إلى باذان توقف لينظر (وكان الموعد لم يحن بعد) وقال باذان : إن كان نبياً فيكون ما قال^(٣) .

وفي الموعد المحدّد جاء كتاب من شيرويه بن كسرى وكان قد قتل والده ، واستولى على الحكم مكانه ، يقول في كتابه : « انظر الرجل الذي كان كتب فيه أبي إليك فلا تُهَيِّجْهُ حتى يأتيك أمري »^(٤) .

فلما بلغ ذلك باذان بعث باذان بإسلامه وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله ﷺ ، فقالت الرسل من الفرس لرسول الله : إلى من نحن يا رسول الله ؟! وكان الفرس حكام عرب اليمن ، فأراد الرسول ﷺ تكريمهم فقال : « أنتم منا وإلينا أهل البيت » .

يتضح ممّا تقدّم أنّ محمداً ﷺ لم يكن يهاب الملوك أبداً ، بل إنّ

(١) سيرة ابن هشام (ج ١ ، ص ٥٤) .

(٢) تاريخ الأمم الإسلامية (ج ١ ، ص ١٤٦) .

(٣) سيرة ابن هشام (ج ١ ، ص ٥٤) .

(٤) تاريخ الأمم الإسلامية للخضري بك (ج ١ ، ص ١٤٧) .

رسائله إلى الملوك كانت تحمل أدلة واضحة على نبوته الصادقة .

وعلى الرغم من أنَّ محمداً ﷺ أرسل إلى ملك الغساسنة ، وإلى ملك البحرين ، وإلى ملكي اليمامة ، وإلى ملكي عُمان ، ولم يخشَ واحداً منهم أبداً ؛ فإننا لم نذكر تفاصيل هذه الرسائل ؛ لأنها كانت مجرد رسائل ، ولا تحوي معجزات إضافية .

* * *

دليل الوحي السّابع عشر

الكتب المنزلة

السامريون فرقة من اليهود ، لا تعترف بكتابٍ مقدّسٍ سوى توراة موسى عليه السلام ، أما بقية اليهود ؛ فهم يعترفون بتوراة موسى عليه السلام بالإضافة إلى أسفار الأنبياء اللاحقين لموسى عليه السلام .

أما المسيحية فتعترف بالأناجيل الأربعة على أنها كتابٌ واحدٌ أصله مأخوذٌ عن المسيح عليه السلام ، كما وتعترف بما تعترف به عموم اليهود من توراة ، وأسفار .

لكنّ القرآن الكريم بيّن أنّ هناك كتباً أنزلت على خمسةٍ من الأنبياء فقط ، حيث أنزلت على إبراهيم عليه السلام الصحف ، وأنزلت على موسى عليه السلام التوراة ، وأنزل على داود عليه السلام الزّبور (مزامير) وأنزل على المسيح عليه السلام الإنجيل ، وأخيراً فإنّه أنزل على محمدٍ ﷺ القرآن الكريم . والكتب السماوية هي وحيٌ من الله تعالى بحرفيتها على الرّغم من اختلاف طريقة تنزّلها على الأنبياء الخمسة .

فموسى عليه السلام تنزلت عليه التوراة مكتوبةً ، على لوحين من الحجر كلّ حجرٍ مكتوبٌ عليه من الجانبين ، كتب على جانبيهما الوصايا العشر^(١) .

(١) الخروج (٣٢، ١٥) .

أما بالنسبة لإنجيل المسيح عليه السلام فإنه من غير المعقول أن ينزل الله على المسيح عليه السلام أربعة أناجيل ، بل إنَّ هناك إنجيلاً واحداً فقط أنزله الله على المسيح عليه السلام .

فقد ورد عن مَتَّى (٤ ، ٢٣) أنَّ المسيح عليه السلام كان يعلن إنجيل الملكوت ، لكن في نفس الوقت لا تجد في الأناجيل الأربعة ما يشير إلى الكيفية التي تلقى فيها المسيح عليه السلام لإنجيله الذي هو كلام الله!!

ولا نجد ما يفيدنا في هذا المجال سوى إنجيل برنابا الذي بيّن كيفية تنزيل الإنجيل قائلاً : « ولما بلغ يسوع ثلاثين سنة من العمر كما أخبرني بذلك نفسه صعد إلى جبل الزيتون مع أمه ليجني زيتوناً ، وبينما كان يصلي في الظهيرة ، وبلغ هذه الكلمات - يا رب برحمة . . . - إذا بنورٍ باهرٍ قد أحاط به وجوقٍ لا يحصى من الملائكة كانوا يقولون - ليتمجد الله - فقدّم له الملاك جبريل كتاباً كأنه مرآة براقّة ، فنزل إلى قلب يسوع الذي عرف به ما فعل الله ، وما قال الله ، وما يريد الله حتى أنَّ كل شيءٍ كان عرياناً ومكشوفاً له ، ولقد قال لي : صدّق يا برنابا أنني أعرف كلَّ نبيٍّ ، وكلَّ نبوءةٍ ، وكل ما أقوله إنما قد جاء من ذلك الكتاب »^(١) .

وعلى الرغم من أنَّ القرآن الكريم قد أعلن بأنَّ إبراهيم عليه السلام كانت له صحف ، وأنَّ داود عليه السلام كان له زبور ، إلا أنني لم أجد ما يدلُّ على الطريق أو طرق تنزيل هذين الكتابين ، والله أعلم .

أما محمد ﷺ فقد أنزلت عليه آيات القرآن الكريم على دفعاتٍ ، الأمر الذي يعني أنَّ معجزة تنزيل القرآن عند محمد ﷺ تتكرّر في كلِّ دفعةٍ من

(١) إنجيل برنابا - الفصل العاشر (من ١ - ٥ ص ١٠) .

دفعات التنزيل ، الأمر الذي يعني معادلة كلِّ دفعة بمعجزة كتابٍ من كتب الأنبياء السابقين ؛ نظراً لتكرار التنزيل وهو أمر يعطي القرآن من ناحية التنزيل إعجازاً إضافياً ، حيث تنزل كلُّ دفعةٍ من الآيات مع المناسبة التي قدر الله لها أن تكون ، بحيث تتلاءم مع دفعة من التنزيل القرآني لأمرٍ يعلمه الله تعالى ، وهو العلام العليم .

* * *

دليل الوحي الثامن عشر

المعجزات الحية

المعجزة هي أمرٌ خارقٌ للعادة يحدثه الله لإظهار وتبيان نبوة نبيٍّ من الأنبياء ، وعلى الرغم من أنَّ المعجزة الحية ليست شرطاً من شروط النبوة ، إلا أنها دليلٌ قويٌّ على النبوة ، وعلى الرغم من أنَّ معجزة ما تجري على يد نبيٍّ من الأنبياء إلا أنها في نفس الوقت ليست مرتبطة بإرادة النبي نفسه ، بل بإرادة الله تعالى ، فهو معطي المعجزات لأنبيائه إن شاء أعطاها وإن شاء منعها . لذلك فإنَّ إسحاق ويوحنا (يحيى) زكريا أنبياء على الرغم من عدم تأييدهم بمعجزات ، فقد تكون للنبي معجزة واحدة أو اثنتان أو ثلاثة أو أكثر ، ويهب الله لأنبيائه المعجزات كما يشاء ، وكما يريد ، أو لا يهب لأحدٍ من الأنبياء معجزة لأنه هكذا شاء ، وهكذا أراد ، دون أن يؤثر ذلك على نبوته .

وبما أننا اعتبرنا أنَّ إظهار النبوة عند الأنبياء أصحاب الشرائع الثلاث دليلٌ عامٌّ على الوحي فإنَّ المعجزات الحية هي أيضاً دليلٌ على الوحي ، طالما أنَّ النبي لا يصنع المعجزة إلا إذا أعلمه الله تعالى بوساطة الوحي بأنَّه سيكون له هذه المعجزة أو تلك .

ويبدو من خلال دراسة معجزات الأنبياء أنَّ المعجزات الحية عند الأنبياء تنقسم إلى نوعين من المعجزات : أولهما معجزات مكررة ، وثانيهما معجزات خاصة .

فالمعجزة الخاصة : هي المعجزة التي لم تتحقق لنبيٍّ سابق ، فكان أول من أُنْتُه المعجزة ، أما المكررة فهي المعجزة التي أُيِّد فيها نبيٌّ ، وسبقه بها آخر .

وهنا سندرس المعجزات الحسية عند موسى ، والمسيح ، ومحمد صلى الله عليهم أجمعين من خلال المعجزات المكررة والخاصة بناءً على العهد القديم ، والعهد الجديد بالنسبة لموسى والمسيح عليهما السلام ، وبالنسبة لمحمد ﷺ فإننا سندرس معجزاته بناءً على القرآن الكريم ، وشهادة الشهود الذين شاهدوا كلَّ معجزةٍ بأَمِّ أعينهم .

أ- المعجزات الحسية لموسى عليه السلام :

ورد في العهد القديم معجزات لموسى عليه السلام كما يلي :

١- معجزات مكررة :

كَلَّمَ الله موسى كما كلم إبراهيم عليهما السلام .

٢- معجزات خاصة :

١- العصا المعجزة وما صنع بها من معجزات لإثبات نبوّته للمصريين :

الدم - الضفادع - الجراد - البعوض - الذباب - القروح - البرد - الظلام - موت المواشي - موت الأبكار - انشقاق البحر الأحمر ، حيث إنّ كل هذه المعجزات حدثت باستخدام العصا المعجزة .

٢- اليد البرضاء (البيضاء) .

٣- عمود السحاب المرافق لبني إسرائيل في النهار .

٤- عمود النار المرافق لبني إسرائيل في الليل .

- ٥- الغمامة فوق خيمة الاجتماع في الصحراء .
 - ٦- تنزيل المادة الحلوة « المن » كطعام لبني إسرائيل في الصحراء .
 - ٧- تنزيل الطيور السهلة الالتقاط ، وهي السلوى في الصحراء .
 - ٨- نبع الماء من الصخر .
 - ٩- الحية النحاسية الشافية للدغات الأفاعي .
- ورود في الأناجيل الأربعة معجزات المسيح عليه السلام كما يلي :
- ١- ولادة إعجازية دون أب فيزيولوجي .
 - ٢- شفاء الأبرص .
 - ٣- إحياء الميت .
 - ٤- شفاء المرضى من الحمى ، ومن الصمم ، ومن البكم ، ومن العمى .
 - ٥- شفاء النازقة بلمس ثوب المسيح عليه السلام .
 - ٦- تكثير الطعام القليل ليكفي الألوف من الناس .
 - ٧- المشي على الماء .
 - ٨- إظلال الغمامة له .
 - ٩- الشفاء من الشياطين .
 - ١٠- تمكين هيجان الطبيعة .
 - ١١- تحويل الماء إلى خمر .
 - ١٢- الصعود إلى السماء .
- أما معجزات المسيح عليه السلام حسب الأناجيل فهي على الشكل التالي :

أ- معجزات مكررة :

١- شفاء الأبرص :

كانت معجزة لإليشع (إيلسع)^(١) ، ومن قبله كانت لموسى عليه السلام حيث شفى مريم التي أصيبت بالبرص^(٢) .

١- إحياء الميت :

كانت معجزة لإليا (إلياس)^(٣) ، كما كانت هذه المعجزة أيضاً لإليشع (إيلسع)^(٤) .

٣- تكثير الطعام :

كانت هذه المعجزة لإليا (إلياس)^(٥) ، كما كانت أيضاً لإليشع^(٦) .

٤- الصعود إلى السماء :

حيث كانت لإليا قبله^(٧) ، كما كانت لأخنوخ قبله أيضاً^(٨) .

(١) الملوك الثاني (٥ ، ١٤) .

(٢) العدد (١٢ ، ٩) .

(٣) الملوك الأول (١٧ ، ١٩) .

(٤) الملوك الثاني (٤ ، ٣٦) .

(٥) الملوك الأول (١٧ ، ١٣ - ١٤) .

(٦) الملوك الثاني (٤ ، ٧) .

(٧) الملوك الثاني (٢ ، ١١) .

(٨) التكوين (٥ ، ٢٤) .

٥- خلق الله تعالى المسيح عليه السلام من أم دون أب فيزيولوجي :
جرت العادة أن يتكاثر جنس البشر عن طريق أبٍ وأمٍّ وفق الشروط
التالية :

أ - السن : وهو المدة الزمنية المحصورة بين سنّ البلوغ وسنّ اليأس
عند المرأة وبالنسبة للرجل هو المدة المحصورة بين سن البلوغ ، وسن
الكهولة ، على الرغم من أنّ الرجال تتناقص مقدرة الإنجاب لديهم مع
تقدم العمر ، إلا أنه لا يعرف لدى الرجال سقفٌ عمريٌّ يتوقف عنده
الرجل عن الإنجاب .

ب - التلاقي : وهو اجتماع الرجل المنجب مع المرأة القابلة
للإنجاب .

ومن خلال تحقق هذين الشرطين عند البشر تبرز معجزة من
معجزات الله تعالى عند أنبيائه من خلال خرق هذا القانون التناسلي على
شكل معجزات توالدية على الشكل التالي :

أ - الخلق دون رجل ولا امرأة ، فكان آدم عليه السلام ، حيث
خلق الله تعالى آدم من العدم^(١) ، وحسب القرآن الكريم خُلق آدم من
تراب .

ب - الخلق دون امرأة ، فكانت حواء عليها السلام حيث خلقها الله
تعالى من ضلعٍ من ضلوع آدم عليه السلام^(٢) .

ج - الخلق من امرأة شابة وشيخ عقيم ، فكان إسماعيل عليه

(١) تكوين (١، ٢٦) .

(٢) تكوين (٢، ٢٢) .

السلام^(١) ، حيث ولد لإبراهيم عليه السلام من هاجر المصرية الشابة في حين أنه كان شيخاً عقيماً .

د - الخلق من امرأة عقيمة وشيخ عقيم ، فكان إسحاق عليه السلام^(٢) من إبراهيم عليه السلام وزوجته العجوز العقيمة سارة ، كذلك فإن نفس المعجزة تكررت لذكريا عليه السلام من زوجته اليصابات العجوز العقيم أيضاً ، حيث ولدت يحيى (يوحنا) عليه السلام^(٣) .

هـ - الخلق من امرأة شابة دون رجل ، فكان المسيح عليه السلام^(٤) ، وعلى الرغم من أن خلق المسيح عليه السلام بهذه الطريقة هو معجزة ، إلا أن هذه المعجزة كان من الممكن أن تكون أقوى فيما لو كانت مريم امرأة عجوزاً حيث أكد مرقس في إنجيله أن مريم أنجبت بعد المسيح عليه السلام وبصورة طبيعية أربعة أبناء هم : يعقوب ، ويهوذا ، وسمعان ، ويوسي (يوسف)^(٥) .

و - الخلق من صخرة : أرسل الله إلى قوم ثمود نبيّ الله صالحاً ، فكذبوه ، وأنكروا نبوته ، وطلبوا منه أن يكون له معجزة ، فاستجاب الله لنبيه ، وخلق له من صخرة كبيرة ناقةً مرضعة مع ابنها الصغير أمام قوم ثمود ، وعلى مشهد منهم^(٦) .

وهكذا فإن الله تعالى يخلق خلقه من أي شيء أو من لا شيء وبالطريقة التي يريد ، فإن كان الخلق طبيعياً أطلقنا عليه ولادة ، وإن كان غير طبيعي

(١) تكوين (١٦ ، ١١) .

(٢) تكوين (٢١ ، ١) .

(٣) لوقا (١ ، ٧) .

(٤) لوقا (١ ، ٣١) .

(٥) مرقس (٦ ، ٣) .

(٦) الشمس (١١ - ١٥) .

أطلقنا عليه ولادة إعجازية ، لكنه في كلا الحالتين يخلق ، والخلق إعجاز .

كذلك فإن تصنيف معجزات الولادة السابقة الذكر يبيّن لنا أنّ معجزة خلق المسيح عليه السلام لم تكن أقوى معجزات الله في الولادة ، ولكن أقواها هي ولادة آدم عليه السلام سواء كانت ولادته من تراب ، أو من العدم ، وربما نافستها في القوة ناقة صالح ، حيث خلقت من الصخرة . نستنتج مما تقدّم أنّ معجزة خلق المسيح عليه السلام تتوسط مجموعة من معجزات الخلق الإعجازي دون أن تتصدّرها ، وبالطبع فإنّ ذلك لا يقلل من أهميتها ، ولكنّه يضع هذه المعجزة الكبيرة في مقامها الصحيح دون أيّ مبالغة!!!

٦- معجزة تحويل الماء إلى خمر :

في بلدة قانا الجليل التي تقع في جنوب لبنان الحالي ، والتي حدثت فيها المجزرة الإسرائيلية عام ١٩٩٦م كانت أول معجزة للمسيح عليه السلام ، حيث حوّل الماء إلى خمر بناءً على طلب والدته^(١) .

لكنّ هذه المعجزة كانت مكررة من حيث نوعيتها في التحويل من شيء إلى شيء آخر ، فلقد حول موسى عليه السلام الماء المرّ إلى ماءٍ عذب صالح للشرب عندما لم يجد بنو إسرائيل ماءً للشرب خلال ترحالهم في الصحراء^(٢) ، كذلك فقد حول إيلشع (إيلسع) ماء أريحا الرديء إلى ماءٍ عذبٍ مباركٍ لا يسبب القحط^(٣) .

(١) لوقا (٢، ١١) .

(٢) الخروج (١٥، ٢٤) .

(٣) الملوك الثاني (٢، ١٩) .

٧- إظهار المسيح عليه السلام بالغمامة :

أظَلَّت المسيح عليه السلام غمامة (سحابة) وكان المسيح عليه السلام يتحدث مع اثنين ظن بطرس أنَّهما إيليا وموسى^(١) ، وهي ذات السحابة التي كانت ترافق خيمة الاجتماع التي كان موسى عليه السلام يناجي الله من خلالها .

معجزات المسيح عليه السلام الخاصة حسب الأناجيل :

- ١- المشي على الماء .
- ٢- الشفاء من الشياطين .
- ٣- تسكين هياج العوامل الطبيعية .
- ٤- شفاء المرضى بالحمى والصَّم والبكم والعمى ونازفة الدم .

١- المشي على الماء :

أمر المسيح عليه السلام تلاميذه أن يركبوا القارب ، ويسبقوه إلى الضفة الأخرى ، ولما أدركه الوقت نتيجةً لتأخره في الصلاة تبع تلاميذه إلى مركبهم ماشياً على سطح الماء^(٢) . وهي معجزة لم تحدث لأحد من الأنبياء قبله .

٢- الشفاء من الشياطين :

تكرَّرت في الأناجيل أخبار شفاء المسيح عليه السلام لأناس كانوا قد مسَّتهم الشياطين^(٣) ، لكنَّ المسيح عليه السلام أخبر تلاميذه أنَّ الأرواح

(١) لوقا (٩ ، ٣٣) .

(٢) متى (١٤ ، ٢٥) .

(٣) متى (٨ ، ١٦) .

الشريرة لا تطرد إلا بالصلاة والصَّوم ، وبذلك علمهم طرد أنجس أنواع الشياطين^(١) .

٣- تسكين هياج العوامل الطبيعية :

يمكن تصنيف معجزة المسيح عليه السلام في تسكين عاصفة البحر ، وبالتالي تهدئة موج البحر على أنَّها نوعٌ من أنواع معجزات تسكين هياج الطبيعة التي تضمُّ الموج والريح ، والبركان ، والزلازل^(٢) .

٤- شفاء المرضى :

تضمنت الأناجيل معجزات شفاء من أنواع عديدة هي : الشفاء من الحمى ، ومن الصمم ، ومن البكم ، ومن العمى ، وشفاء نازفة الدم . لكن التدقيق في هذه المعجزات يبيِّن لنا أنَّ هذا النوع من المعجزات وحسب الأناجيل قد تم بناءً على حيثيات مختلفة :

أ- نتيجة بركة ثوب ، أو ريق ، أو لمس المسيح عليه السلام :

حيث إنَّ نازفة الدم قد شفيت لأنَّها لمست ثوبه^(٣) ، وليس ذلك فحسب بل إنَّ كل من كان يلمس ثوبه يشفى^(٤) .

وعندما لمس يد حماة بطرس المحكومة شفيت^(٥) ، وليس لمسه فحسب ، بل ريقه أيضاً فقد شفى به مصاباً أعمى^(٦) .

(١) متى (١٧ ، ٢١) .

(٢) لوقا (٨ ، ٢٤) .

(٣) متى (٩ ، ١٩) .

(٤) متى (١٤ ، ٣٦) .

(٥) مرقس (١ ، ٣١) .

(٦) مرقس (٨ ، ٢٢) .

ب- الشفاء نتيجة طلب المسيح عليه السلام للشفاء :

في بعض الحالات التي طلب فيه مريض من المسيح عليه السلام أن يشفيه أعلن المسيح عليه السلام أنه يريد له الشفاء ، فشفي الرجل في الحال^(١) .

ج- الشفاء نتيجة دعاء المسيح عليه السلام بالشفاء :

في بعض الحالات تجد أن المسيح عليه السلام يرفع عينيه نحو السماء ثم يقوم بعمل مؤدياً إلى الشفاء ، كما حدث مع الأخرس الذي وضع المسيح عليه السلام أصابعه في أذني الرجل ، وبصق ، ولمس لسانه ، ورفع عينيه نحو السماء^(٢) .

د- الشفاء لإثبات نبوة المسيح عليه السلام :

في بعض الحالات كان المسيح عليه السلام يشفي إثباتاً لنبوته ، فقد حدث : « لما دخل البيت دنا منه الأعميان ، فقال لهما يسوع : أتؤمنان بأني قادر على ذلك ؟ فأجابا : نعم يا سيد ! . فلمس يسوع أعينهما ، وقال : فليكن لكما على قدر إيمانكما . فانفتحت أعينهما »^(٣) .

كذلك فقد حدث ذات سبت أن : « دخل المجمع ، وأخذ يعلم . وكان هناك رجلٌ يده اليمنى يابسة . فراقب معلمو الشريعة والفريسيون يسوع ليروا هل يشفي في السبت ، فيجدوا ما يتهمونه به . وعرف يسوع أفكارهم ، فقال للرجل الذي يده يابسة : قم وقف ؛ ثم قال للرجل : مدّ يدك ! فمدّها ، فعادت يده صحيحة »^(٤) .

(١) متى (٨ ، ٣) .

(٢) مرقس (٧ ، ٣٢) .

(٣) متى (٩ ، ٢٨ - ٣٠) .

(٤) لوقا (٦ ، ٦ - ١٠) .

ولابدّ من الإشارة أخيراً أنّ لوقا كاتب الإنجيل الثالث المعروف باسمه قد صرح أنّ المسيح عليه السلام كان يشفي بقدرة الله : « وكانت قدرة الرب تشفي المرضى على يده . . . » (١) .

معجزات محمد ﷺ :

يعتبر حصر معجزات محمد ﷺ عملاً في غاية الصعوبة نظراً لأنّ معجزات محمد ﷺ تكاد لا تعدّ ولا تحصى لكثرتها ، وتنوّعها ، الأمر الذي يصيب أيّ دارسٍ لمعجزاته ﷺ بالدهشة من تلك النبوة الظاهرة ، والمتفوقة ، والواضحة .

والحقّ يقال : إنّ الحديث عن المعجزات الحسيّة لمحمد ﷺ طويلٌ فإذا أردنا اختصاره لم نوفّ بحقيقة معجزات محمد ﷺ ، وإذا أسهبنا فيها احتجنا إلى كتاب مستقلّ يتحدث عن معجزات محمد ﷺ الحسيّة ، لذلك فإننا سنحاول الاختصار في الشرح قدر الإمكان ، والله وليّ التوفيق .

فما هي المعجزات الحسية لمحمد ﷺ ؟

أولاً : المعجزات الخاصّة .

ثانياً : المعجزات المكررة .

أولاً : المعجزات الخاصّة :

١- انشقاق القمر .

٢- معجزة الدُّخان .

٣- قتال الملائكة معه .

(١) لوقا (٥، ١٧) .

٤- الإسراء .

٥- المعراج .

٦- تكليم الشاة المشوية له .

٧- قبضة من تراب تهزم جيشاً .

٨- تدفق البئر الجاف .

٩- جوامع الكلم .

١٠- المعجزة الخالدة- القرآن الكريم .

١١- هلاك المستهزئين .

١- من المعجزات الخاصة : انشقاق القمر :

طلب أهل مكة من محمد ﷺ أن يشهدهم معجزة من المعجزات ، فكان أن انشقَّ القمر الذي في السماء ، وكان في مرحلة البدر ، وذلك عندما أشار إليه محمد ﷺ له بيده ، وقال لهم : (اشهدوا!!)^(١) .

٢- من المعجزات الخاصة : معجزة الدُّخان :

قال عبد الله بن عمر : « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لما رأى من الناس إِدْبَاراً (عدم الإقبال على دعوته) فقال : اللهم سبعٌ كسيع يوسف . قال : فأخذتهم سنة (قحط) حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ ، والميتة من الجوع ، وينظر إلى السماء أحدهم فيرى كهيئة الدخان ، فأثاه أبو سفيان ، فقال : يا محمد! إنك جئت تأمر بطاعة الله ، وبصلة الرحم ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا ، فادع الله لهم! قال الله عز وجل : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي

(١) مسلم رقم (٢٨٠٢).

السَّمَاءِ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٥﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦﴾ [الدخان : ١٥-١٦] إلى قوله : ﴿ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ [الدخان : ١٥] ، قال : أفكشف عذاب الآخرة ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴾ [الدخان : ١٦] فالبطشة يوم بدر ، وقد مضت آية الدخان ، والبطشة ، واللزام ، وآية الروم ﴿ ١١ ﴾ .

٣- من المعجزات الخاصة : قتال الملائكة معه :

قاتلت الملائكة مع رسول الله ﷺ في جميع المعارك التي شارك فيها في بدر ، وأحُد ، وحنين ، وقد تواجد جبريل عليه السلام يقود فرسه / حَيَزُوم / يلبس البياض كباقي الملائكة ، لكن له عمامة صفراء قد أرخيت على ظهره أما بقية الملائكة ، فكانت تلبس عمامم بيضاء إلا في معركة حنين حيث كانت الملائكة تلبس عمامم حمراء . « عن ابن عباس قال : حدثني رجلٌ من بني غفار ، قال : أقبلت أنا وابن عمِّ لي حتى أصعدنا في جبلٍ يشرف بنا على بدر ، ونحن مشركان ، ننتظر الواقعة على من تكون الدَّبْرَةُ ، فنتهب مع من يتهب . قال : فبينما نحن في الجبل ، إذ دنت منا سحابة ، فسمعنا فيها حممة الخيل ، فسمعت قائلاً يقول : أَقْدُمُ حَيَزُومَ ، فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه ، فمات مكانه ، وأما أنا فكدت أهلك ، ثم تماسكت .

وعن أبي داود المازنيَّ أَنَّهُ قال : إِنِّي لَأَتْبَعُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ لَأُضْرِبَهُ إِذْ وَقَعَ رَأْسُهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفِي ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ قَتَلَهُ غَيْرِي .

وعن عبد الله بن عباس قال : كانت سيما الملائكة يوم بدرٍ عمامم بيضاء قد أرسلوها على ظهورهم ، ويوم حنينٍ عمامم حمراء .

وعن عليِّ بن أبي طالب قال : « العمامم تيجان العرب ، وكانت سيما

الملائكة يوم بدر عمائم بيضاً قد أرخوها على ظهورهم ، إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء» (١) .

و« عن سعد بن أبي وقاص قال : لقد رأيت يوم أحد عن يمين رسول الله ﷺ وعن يساره رجلين عليهما ثيابٌ بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ، ولا بعد» (٢) .

٤- من المعجزات الخاصة : الإسراء :

لم يحدث أبداً في تاريخ الأنبياء جميعهم أن خرج نبيٌ من بلده إلى بلدةٍ أخرى تبعد عنها مسيرة شهر ذهاباً وشهر إياباً ثم يعرج به إلى السماء ، ويرجع إلى بيته دون أن يحسب لذلك زمن .

لقد حدث قبل الهجرة أن أسري بمحمد ﷺ من مكة إلى القدس ومن القدس إلى السماء ، ثم نزل من السماء إلى القدس ، ثم رجع من القدس إلى مكة ليلاً دون أن يسجل زمنٌ لهذه الرحلة .

ولقد سميت هذه الحادثة بحادثة الإسراء والمعراج ، والإسراء هي الحادثة التي انتقل فيها محمد ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ليلاً بصحبة جبريل عليه السلام على ظهر دابة ذات مواصفات خاصة تسير بسرعة البرق .

وأما المعراج فهو صعود محمد ﷺ بصحبة جبريل فقط إلى السماء ليكون ما كان ، ومن ثم ينزل من السماء روحاً وجسداً ليركب البراق ويعود إلى مكة بصحبة جبريل عليه السلام أيضاً .

فكيف حدثت هذه الرحلة المدهشة ؟

(١) سيرة ابن هشام (ج ٢ ، ص ٢٥٠) .

(٢) مسلم رقم (٢٣٠٦) .

الإسراء :

المقصود بحادثة الإسراء هو انتقال محمد ﷺ روحاً وجسداً من مكة إلى القدس أثناء الليل .

وقد تمت حادثة الإسراء على عدة مراحل هي :

- المرحلة الأولى : الإعداد للرحلة : حادثة شق الصدر :

وهي الحادثة التي جاء فيها جبريل عليه السلام فأخذه ، فصرعه ، فشق صدره ، فاستخرج القلب ثم استخرج منه علقه ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده إلى مكانه ، ويقول أنس بن مالك : قد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره^(١) .

وسواء كانت الحادثة في صغر الرسول قبل النبوة أو بعد النبوة وقبل الإسراء ، فليست هذه الحادثة سوى دليل على ضرورة حدوثها لإعداد محمد ﷺ لهذه الرحلة حيث إن مثل هذه الحادثة لم تحدث مع نبي من الأنبياء قط إلا محمد ﷺ .

- المرحلة الثانية : ابتداء الرحلة : ركوب البراق :

سواء كان رسول الله ﷺ في داره أو في دار أم هانئ كما تقول الروايات ، فإنه من الثابت أن جبريل عليه السلام قد رافق محمداً ﷺ إلى المسجد الحرام الذي منه ابتدأت الرحلة ، قال رسول الله ﷺ : « أتيت البراق ، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، قال : فركبته »^(٢) .

(١) مسلم معنى الحديث رقم (١٦٢) .

(٢) مسلم من الحديث رقم (١٦٢) .

ويبدو أنَّ البراق هو ذلك المخلوق الغريب الذي خلقه الله تعالى خصيصاً لذلك الإسراء العجيب .

- المرحلة الثالثة : على الطريق :

ابتدأت الرحلة من المسجد الحرام ليلاً ، وبعد العشاء ، فانطلق البراق بسرعة البرق حاملاً على ظهره محمداً ﷺ . وشاء الله أن يجعل صوت مسير البراق سبباً في إيقاظ قافلة قد باتت ليلتها على الطريق المتوجه إلى مكة ، فاستيقظت القافلة ، ليلفت انتباهها أنَّ جملاً لها قد ضلَّ عنهم فأرشدتهم محمدٌ ﷺ بصوته إلى مكان ذلك الجمل^(١) .

- المرحلة الرابعة : الوصول إلى القدس :

حطَّ البراق الذي يقوده جبريل عليه السلام ، ويركبه محمدٌ ﷺ في بيت المقدس ، وبالتحديد قرب المسجد الأقصى .

نزل رسول الله ﷺ من على ظهر البراق ، وربطه في حلقة ربط الدواب التي تربط بها الأنبياء ، وبقي جبريل عليه السلام جانب البراق بينما محمدٌ ﷺ قد دخل المسجد الأقصى^(٢) .

ودخل محمدٌ ﷺ المسجد فصلى ركعتين ، ثم خرج ليجد جبريل عليه السلام أعدَّ له إناءً من خمر ، وإناءً من لبن ، فخيرَ بينهما ، فاختر إناء اللبن ، وشربه ، فقال له جبريل : اخترت الفطرة ، وعندها بدأت رحلة المعراج^(٣) .

(١) سيرة ابن هشام (ج ٢، ص ٤٦) .

(٢) مسلم جزء من حديث رقم (١٦٢) .

(٣) مسلم جزء من حديث رقم (١٦٢) .

٥- من المعجزات الخاصة : المعراج :

وهو صعود محمد ﷺ برفقة جبريل عليه السلام إلى السماء ، وهذا المعراج تمّ على مراحل :

- المرحلة الأولى : من المسجد الأقصى إلى السماء الدنيا :

يقول الرسول ﷺ : « لما فرغت ممّا كان في بيت المقدس ، أتني بالمعراج ولم أر قطّ شيئاً أحسن منه ، وهو الذي يمدُّ إليه ميتكم عينيه إذا حضر »^(١) .

- المرحلة الثانية : دخول السماء الأولى :

قال رسول الله ﷺ : « فأصعدني صاحبي فيه ، حتى انتهى بي إلى بابٍ من أبواب السماء يقال له : باب الحفظة ، عليه ملك من الملائكة ، يقال له : إسماعيل ، تحت يديه اثنا عشر ألف ملك ، تحت يدي كلّ ملك منهم اثنا عشر ألف ملك - وما يعلم جنود ربك إلا هو - فلما دخل بي ، قال : من هذا يا جبريل ؟ قال : محمد . قال : أوقد بعث ؟ قال : نعم ، قال : فدعا لي بخير وقاله » .

ثم قال : « تلقّنتي الملائكة حين دخلت السماء الدنيا ، فلم يلقيني ملكٌ إلا ضاحكاً مستبشراً ، يقول خيراً ، ويدعوه ، حتى لقيني ملك من الملائكة ، فقال مثل ما قالوا ، ودعا بمثل ما دعوا به ، إلا أنّه لم يضحك ، ولم أر منه من البشر مثل ما رأيت من غيره ، فقلت لجبريل : يا جبريل ! من هذا الملك الذي قال لي كما قالت الملائكة ولم يضحك ، ولم أر منه من البشر مثل الذي رأيت منهم ؟ قال : فقال لي جبريل : أما

(١) سيرة ابن هشام (ج ٢، ص ٤٦) .

إنَّه لو ضحك إلى أحدٍ كان قبلك ، أو كان ضاحكاً إلى أحدٍ بعدك ، ؛
لضحك إليك ، ولكن لا يضحك ، هذا مالك خازن النار .

فقال رسول الله ﷺ : « فقلت لجبريل ، وهو من الله تعالى بالمكان
الذي وصف لكم ﴿ مُطَاعٌ تَمَّ آمِينَ ﴾ [التكوير : ٢١] . ألا تأمره أن يريني النار ؟
فقال : بلى ، يا مالك ! أرِ محمداً النار . قال : فكشف غطاءها ،
ففارت ، وارتفعت حتى ظننت لتأخذ ما أرى . قال : فقلت لجبريل :
يا جبريل ، مره فليردّها إلى مكانها ؛ قال : فأمره ، فقال لها : أخبي ،
فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه ، فما شبّهت رجوعها إلا وقوع
الظلّ ؛ حتى إذا دخلت من حيث خرجت ردّ عليها غطاءها » (١) .

ثم قال رسول الله ﷺ : « فلما علونا السماء الدنيا ؛ فإذا رجل عن
يمينه أسودة ، وعن يساره أسودة (سواد) قال : فإذا نظر قبل يمينه
ضحك ، وإذا نظر قبْلَ شماله بكى قال : فقال مرحباً بالنبّيِّ الصالح والابن
الصالح . قال : قلت لجبريل من هذا ؟ قال : هذا آدم ﷺ وهذه الأسودة
عن يمينه وعن شماله نَسَمُ بنيهِ ، فأهل اليمين أهل الجنّة والأسودة التي عن
شماله أهل النار ، فإذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله
بكى » (٢) .

وفي السماء الأولى أيضاً رأى رسول الله ﷺ مشاهد من عذاب أهل
الكبائر : فقال : « ثم رأيت رجالاً لهم مشافر (شفة الجمل) كمشافر
الجمل ، في أيديهم قطع من نار كالأفهار (الحجارة) ، يقذفونها في
أفواههم ، فتخرج من أدبارهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟! قال :
هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلماً » .

(١) سيرة ابن هشام (ج ٢، ص ٤٧) .

(٢) مسلم من حديث رقم (١٦٣) .

وقال : « ثم رأيت رجالاً في بطون لم أر مثلها قطُ بسبيل آل فرعون ، يمرُّون عليهم كالإبل المهيومة (العطاش) حين يعرضون على النار ، يصوِّونهم ، لا يقدرّون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك ، قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟! قال : هؤلاء أكلة الرُّبَا » .

قال : « ثم رأيت رجالاً بين أيديهم لحم سمين طيب ، إلى جنبه لحم غثٌ منتن يأكلون الغثَ المنتن ، ويتركون السمين الطيب ، قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحلَّ الله لهم من النساء ، ويذهبون إلى ما حرَّم الله عليهم منهنَّ » .

وقال : « ثم رأيت نساءً معلقاتٍ بثُدْيِهِنَّ . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟! قال : هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم » .

وقال : « اشتدَّ غضب الله على امرأة أدخلت على قومٍ من ليس منهم ، فأكل حرائبهم ، واطلع على عوراتهم » .

- المرحلة الثالثة : دخول السماء الثانية :

قال رسول الله ﷺ : « ثمَّ عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام ، فقليل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ، ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما فرحبا بي ، ودعوا لي بخير »^(١) .

وقد وصف الرسول ﷺ عيسى ابن مريم ، فقال : « رأيت رجلاً آدم (أسمر) كأحسن ما أنت راءٍ من آدم الرجال له لمة (شعر طويل تجاوز

(١) مسلم من حديث رقم (١٦٢)

شحمة أذنيه) كأحسن ما أنت راءٍ من اللحم قد رجَّلها (سرَّحها بمشط مع الماء) فهي تقطر ماءً »^(١) .

- المرحلة الرابعة : دخول السماء الثالثة :

قال رسول الله ﷺ : « ثم عرج بي إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بيوسف ﷺ ؛ إذ هو قد أعطي شطر الحسن ، فرحَّب ، ودعا لي بخير »^(٢) .

- المرحلة الخامسة : دخول السماء الرابعة :

قال رسول الله ﷺ : « ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل عليه السلام ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قال : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا بإدريس فرحَّب ودعا لي بخير . قال الله عز وجل : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾^(٣) [مريم : ٥٧] .

- المرحلة السادسة : دخول السماء الخامسة :

قال رسول الله ﷺ : « ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة ، فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا بهارون ﷺ ، فرحَّب بي ، ودعا لي بخير »^(٤) .

(١) مسلم من حديث رقم (١٦٩) .

(٢) مسلم من حديث رقم (١٦٢) .

(٣) مسلم من حديث رقم (١٦٢) .

(٤) مسلم من حديث رقم (١٦٢) .

ووصف الرسول ﷺ هارون قائلاً : « كهلاً أبيض الرأس واللحية ، عظيم العشنون (اللحية) ، لم أر كهلاً أجمل منه ، قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا المحبب في قومه هارون بن عمران »^(١) .

- المرحلة السابعة : دخول السماء السادسة :

قال رسول الله ﷺ : « ثم عرج بنا إلى السماء السادسة ، فاستفتح جبريل عليه السلام ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا بموسى ﷺ ، فرحّب ودعا لي بخير »^(٢) .

وقال رسول الله ﷺ عن موسى : « فلما جاوزته بكى فنودي : ما يبكيك ؟ قال : ربّ هذا غلامٌ بعثته بعدي يدخل من أمتي الجنة أكثر ممّا يدخل من أمتي »^(٣) .

ويصف الرسول ﷺ موسى قائلاً : « موسى آدم طوّال كأنّه من رجال شنوءة »^(٤) .

ويعني : أن موسى كان طويلاً كأنّه من رجال شنوءة وهي قبيلة يمنية معروف عنها الأنفة والعزّة .

- المرحلة الثامنة : دخول السماء السابعة :

قال رسول الله ﷺ : « ثم عُرّج بنا إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال :

(١) سيرة ابن هشام (ج ٢، ص ٤٩) .

(٢) مسلم من حديث رقم (١٦٢) .

(٣) مسلم من حديث رقم (١٦٤) .

(٤) مسلم من حديث رقم (١٦٥) .

محمد ﷺ . قيل : وقد بُعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى سدرَةِ المُنْتَهَى ، وإذا ورقها كأذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال ، قال : فلما غَشِيَهَا من أمر الله ما غَشِيَ تَغَيَّرَتْ ، فما أخذُ من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنِها» (١) .

ولقد وصف رسول الله ﷺ إبراهيم عليه السلام : « فإذا أقربُ مَنْ رأيتُ به شَبْهاً صاحبُكم . يعني : نفسه » (٢) .

وأما صفات الرسول ﷺ فهي : أبيض ، وهو أحسن الناس وجهاً ، وكان فمه ليس بالكبير وليس بالصغير وعيناه ذات شقٍّ طويل ، وجهه ممتلئ ليس بالثمين ، ولا بالنعيف وكان له شعرٌ يصل إلى أنصاف أذنيه ، لا هو بالجعد ، ولا هو بالسبط ، لونه كما وصفوه يمكننا أن نسمِّيه كسناوي .

أما طوله عليه الصلاة والسلام فكان مربوعاً ، لا هو بالطويل ، ولا القصير ، ولا هو بالثمين ، ولا بالنعيف ، بالإضافة إلى ذلك ، فإنه كان عريض المنكبين (٣) .

وفي اللحظة التي وصل فيها رسول الله إلى سدرَةِ المُنْتَهَى تحوّل جبريل عليه السلام إلى صورته الحقيقية ، فرآه الرسول ﷺ ، وله ستمئة جناح (٤) .

(١) مسلم من حديث رقم (١٦٢) .

(٢) مسلم من حديث رقم (١٦٧) .

(٣) مسلم من الأحاديث رقم (٢٣٣٧ - ٢٣٤٠) .

(٤) مسلم من حديث رقم (١٧٣) .

وسدرة المنتهى شجرة ينتهي إليها ما يُعرج به من الأرض ، وبها ينتهي ما يُهبط به من فوقها ، فيقبض منها وإليها ، وعندما غشيها أمر الله أصبحت فرأشاً من ذهب^(١) .

- المرحلة التاسعة : من سدرة المنتهى حتى الاقتراب من الملائكة الكتبة :

قال رسول الله ﷺ : « ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقدام »^(٢) .

بينما توقف جبريل عند سدرة المنتهى تابع محمد ﷺ رحلته إلى المكان الذي استطاع فيه أن يسمع صريف أقلام الملائكة ، وهي تكتب ما شاء الله لها أن تكتب .

ومن هذا المكان كلّم الله محمداً ﷺ وحيّاً ، ففرض عليه وعلى أمته خمسين صلاةً في اليوم واللييلة .

- المرحلة العاشرة : العودة إلى سدرة المنتهى ومنها إلى السماء السادسة :

قال رسول الله ﷺ : « فأوحى الله إليّ ما أوحى ، ففرض عليّ خمسين صلاةً في كلّ يوم ولييلة ، فنزلت إلى موسى ﷺ ، فقال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاةً . قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإنّ أمتك لا يطيقون ذلك ، فإنّي قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم . قال : فرجعت إلى ربي ، فقلت : يا رب! خفّف على أمتي! فحطّ عني خمساً ، فرجعت إلى موسى ، فقلت : حطّ عني خمساً . قال : إنّ أمتك لا يطيقون ذلك ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف . قال : فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى ، وبين موسى عليه السلام .

(١) مسلم من حديث رقم (١٧٣) .

(٢) مسلم أواخر الحديث رقم (١٦٣) .

حتى قال : يا محمد! إنهنَّ خمسُ صلواتٍ كلَّ يومٍ وليلةٍ ، لكلِّ صلاةٍ عشرٌ ، فذلك خمسون صلاةً ، ومن همَّ بحسنةٍ فلم يعملها ؛ كتبت له حسنةً ، فإن عملها ؛ كتبت له عشرًا ، ومن همَّ بسيئةٍ فلم يعملها ؛ لم تكتب شيئاً ، فإن عملها ؛ كتبت سيئةً واحدةً»^(١) .

كذلك فإنَّ رسول الله ﷺ قد أهدي له في هذا الوقت « ثلاثاً : أعطي الصلوات الخمس ، وأعطي خواتم سورة البقرة ، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المُقْحَمَاتُ »^(٢) .

- المرحلة الحادية عشرة : من السماء السادسة إلى دخول الجنة :

قال رسول الله ﷺ : « فرجعت إلى موسى فقال : راجع ربك . فقلت : قد استحييت من ربي . قال : ثم انطلق بي جبريل حتى نأتي سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي . قال : ثم أُدْخِلْتُ الجنةَ ، فإذا فيها جنابد (قباب) اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك »^(٣) .

وفي الجنة شاهد رسول الله ﷺ جاريةً لعساء (ذات حمرة شفاه ، تضرب إلى السواد) فسألها : لمن أنت ؟ وقد أعجبتني حين رأيتهَا ، فقالت : لزيد بن حارثة ، فبشر بها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة^(٤) .

- المرحلة الثانية عشرة : نهاية المعراج :

عاد الرسول ﷺ إلى بيت المقدس برفقة جبريل عليه السلام ، وذلك إلى نفس الموقع الذي عرج منه ، وهو المسجد الأقصى الذي ربط البراق

(١) مسلم من الحديث رقم (١٦٢) .

(٢) مسلم من الحديث رقم (١٧٣) .

(٣) مسلم من الحديث رقم (١٦٣) .

(٤) سيرة ابن هشام (ج ٢ ، ص ٤٩) .

بجانبه . فجمع الله له في المسجد الأقصى مجموعة من الأنبياء تضم فيما تضم : إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، فصلى محمد ﷺ إماماً في مجموعة الأنبياء ، وبناء على هذه الحادثة أطلق على محمد ﷺ صفة : « إمام المرسلين »^(١) .

- المرحلة الثالثة عشرة : من بيت المقدس إلى الحرم المكي الشريف :

ركب محمد ﷺ براقه الذي يقوده جبريل عليه السلام وأقفلوا جميعهم عائدين إلى مكة ، وقرب مكة وعندما وصل رسول الله إلى ضجنان (جبل بناحية تهامة) كان فيها قافلة تجارية ل قبيلة يعرفها ، وكانت هذه القافلة قد خبأت ماءً فشربه ﷺ ، وأعاد غطاءه ، وتابع مسيره إلى مكة ، وعندما وصل إلى المسجد الحرام قفل محمد ﷺ عائداً إلى بيته ، وانتهت بذلك حادثة الإسراء والمعراج المذهلة ؛ التي تمّ حدوثها ما بين العشاء وقبل الفجر بكثير .

والحقيقة أنّ هاتين الحادثتين تبعثان في العقل الدُّهول ، فهل من تفسيرٍ منطقيٍّ يريح العقل من ذهوله ؟!

والجواب : اللهم نعم! وذلك لأنّ الله أعطى مثالين واضحين في القرآن الكريم أشار فيهما إلى حوادث تتطابق في تفسيرها مع حادثتي الإسراء والمعراج .

وهذان المثالان هما قصّة العزيز ، وقصّة أصحاب الكهف!! .

فالعزيز نبيٌّ من أنبياء اليهود ، أراد الله تعالى أن يقدّم له دليلاً على البعث بعد الموت لأنه تساءل عن كيفية إحياء الخلق بعد موتهم ، وكان العزيز قد قفل عائداً إلى بيته راكباً حماره ، ويحمل سلّة فواكه كان قد

(١) سيرة ابن هشام (ج ٢، ص ٤٢) .

قطفها من بستانه مع كوز ماء ، وعندما شعر بالتعب في المسير وأراد الراحة نزل عن حماره وربطه بجانبه ، واستلقى على الأرض واضعاً سلة الفواكه ، وكوز الماء بجانبه ، فأماته الله مئة عام ، ثم بعثه ، فسأله ملك أرسله الله إليه يسأله : كم لبثت ؟ فظنَّ أنه لبث يوماً واحداً على الأكثر ، فقال له الملك : إنَّك لبثت مئة عام . أما طعامك وشرابك فلم يفسد ، وكذلك ماء الشرب لم يتبخَّر ولم يتخمَّر ، فلم يفسد وأما حمارك فقد فني ، وبليت عظامه ، وشاهد العزيز مقدرة الله تعالى على إحياء الموتى ، فراحت العظام تنجمع ، ثم تكتسي باللحم ، وعادت الحياة إلى حماره ، فقال العزيز : إنَّ الله على كل شيء قدير .

قال تعالى : ﴿ أَوْ كَأَظَىٰ مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَّكِنْهُ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٩] .

وتفسير هذه القصة أنَّ الله تعالى القادر على كل شيء ، والذي في يده مسيرة الزمن يطلقه ، أو يقبضه ، أو يعيده ، قد أوقف الزمن على العزيز ، والماء ، والطعام ، وفي نفس الوقت أطلق الزمن على الحمار والناس ، ثم أعاد الزمن على الحمار وحده دون أن يعيده على الناس أجمعين .

وبذلك فقد بقي العزيز على حاله ، وكذلك الماء ، والفواكه ، وترك الله الزمن ليمضي على الحمار ، وعلى كافة مخلوقاته ، وعندما أراد الله إعادة الزمن أعاده على الحمار فقط ثم أطلقه على الحمار ليعود

حيًا ، بينما مات من الخلق من مات وأصابه من الزمن ما أصاب .

كذلك فإنَّ الله أوقف الزمن على أهل الكهف حوالي ثلاثمئة عام ، وأطلق الزمن على الأرض كُلِّها ، وما أعاد الله إليهم الحياة كانت قد تغيَّرت البشرية بمقدار هذه السنوات فعاش بعدها أهل الكهف ما قدَّر لهم الله أن يعيشوا ، ثم قبضهم الله قبضة واحدة والله على كلِّ شيء قدير ليكونوا بذلك معجزةً مرئية لقومهم الذين جاؤوا بعدهم .

وبهذه الطريقة نفهم أنَّ محمدًا ﷺ لم تستغرق رحلته في الإسراء والمعراج أيَّ زمنٍ ؛ لأنها حدثت خارج حدود الزمن ، لأنَّ الله أوقف تقدُّم الزمن على الأرض كُلِّها وأخرج محمدًا ﷺ من حدود الزمان والمكان ، فكانت رحلة الإسراء والمعراج الرحلة التي زار فيها الرسول الأعظم ملكوت السموات ، وشاهد ما شاهد ، وكَلَّمَ ربَّه في الحضرة المقدسة الأمر الذي لم يحدث لبشرٍ قبله ، فاستحقَّ من الناس لقب أكرم خلق الله . والله أعلم .

وبعد أن نام محمدٌ ﷺ منهكاً من رحلته المدهشة استفاق ليصلي الصبح ، وينطلق إلى نادي قريش ليخبرهم عن رحلته المدهشة ، وكم كانت فرحة المشركين كبيرة عندما أخبرهم هذا الخبر حيث إنهم ظنُّوا أنَّه لا يملك دليلاً مادياً على ما يقول ، وبذلك قد كذب نفسه بنفسه!!

يقول ابن إسحاق : قال الحسن : « ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة ، فلما أصبح غدا على قريش ، فأخبرهم الخبر ، فقال أكثر الناس : هذا والله الأمر البين ، والله إنَّ العير لتطردُ شهراً من مكة إلى الشام مدبرة ، وشهراً مقبلة ، أفيذهب محمد في ليلة واحدة ، ويرجع إلى مكة! »^(١) .

(١) سيرة ابن هشام (ج ٢، ص ٤٢) .

ثم قال ابن إسحاق : قالت أم هانئ نقلًا عن جارية لها بعثتها لتستطلع لها ردود فعل قريش على خبر الإسراء والمعراج « فعجبوا ، وقالوا : ما آية ذلك يا محمد ؟! فإننا لم نسمع بمثل هذا قط »^(١) .

وعندها قدّم لهم رسول الله ﷺ ثلاثة أدلة مادية :

- الدليل الأول : ما حدث في المرحلة الثالثة من حادثة الإسراء ، فقال : « أني مررت بغير بني فلان بوادي كذا وكذا ، فأنفرهم حسّ الدابة (البراق) فنذّ (ضاع) لهم بغير فدللتهم عليه ، وأنا متوجه إلى الشام » .

- الدليل الثاني : ما حدث في المرحلة الثالثة عشرة من الرحلة فقال : « ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان مررت بغير بني فلان فوجدت القوم نيام ، ولهم إناء فيه ماء غطوا عليه بشيء ، فكشفت غطاءه ، وشربت ما فيه ، ثم غطيت عليه كما كان ، وآية ذلك أن غيرهم الآن يُصوّب (ينزل من عال) من بيضاء (عقبة قرب مكة في أسفلها) ، ثنية التنعيم ، يقدّمها جمل أورق (لونه ما بين الغبرة والسواد) عليه غرارتان ، إحداهما سوداء ، والأخرى برقاء (فيها عدة ألوان) »^(٢) .

وما أن أنهى محمد ﷺ كلامه حتى انطلقت قريش إلى ثنية التنعيم جنوب مكة فانتظروا قدوم القافلة فوجدوا الجمل الذي وصفه رسول الله ﷺ ، وسألوه عن الإناء ، فقالوا : « إنهم وضعوه مملوءاً ماءً ، ثم غطّوه ، وأنّهم هبّوا فوجدوه مغطّى كما غطّوه ، ولم يجدوا فيه ماءً »^(٣) .

وعندما تثبت قريش أنّ الدليل الثاني صحيح أخذوا يبحثون عن الدليل

(١) سيرة ابن هشام (ج ٢ ، ص ٤٦) .

(٢) سيرة ابن هشام (ج ٢ ، ص ٤٦) .

(٣) سيرة ابن هشام (ج ٢ ، ص ٤٦) .

الأول الذي من المفروض أن يكون قد وصل مكة حسب رواية محمد ﷺ ، وفعلاً وجدوا القافلة في مكة نفسها ، فسألوهم فقالوا : « صدق والله ، لقد أنفَرْنَا في الوادي الذي ذكره ، ونَدَّ لنا بعير ، فسمعنا صوت رجلٍ يدعونا إليه ، حتى أخذناه »^(١) .

لم تكتف قريش بهذين الدليلين القاطعين ، فطلبوا دليلاً يشهدون عليه هم . وفعلاً توصلوا إلى ذلك الدليل ، فقد كانت قريش تتاجر مع الشام ، وتعرف (إيلياء) بيت المقدس معرفة تامة بحاراتها ، وأسواقها ، وشوارعها ، وكنائسها ، وإذا كان محمد ﷺ يقول : إنه قد زار بيت المقدس فعليه أن يصف بيت المقدس ، كما نطلب منه ، وسوف يعجز ؛ لأنه زارها ليلاً .

- تقديم الدليل الثالث : أتى الذين يعرفون بيت المقدس إلى محمد ﷺ يطلبون منه أن يصف لهم بيت المقدس ، وكانوا يتوقعون منه إجابةً يقول فيها : إنه زار بيت المقدس ليلاً ، ولا يستطيع وصفه لهم . لكن الذي حدث كان على عكس ما يتوقعون .

قال رسول الله ﷺ : « لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي ، فسألتنني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها » .

لقد كان رسول الله ﷺ يتوقع أن تسأله قريش عن رحلته ، وإسرائه ، أو معراجهِ ، لكنهم فاجؤوه بأن سألوه عن بيت المقدس (إيلياء) ولما كان رسول الله ﷺ قد أتاها ليلاً فهو لم يتأملها ، ويحفظها ، فخاف ، وحزن لأنَّ ما تطلبه قريش بأن يصف بيت المقدس هو أمر لا يقدر عليه إلا من أقام فيه ، وسار في دروبه ، وشوارعه ، وأسواقه .

(١) سيرة ابن هشام (ج ٢، ص ٤٦) .

قال رسول الله ﷺ : « فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مثله قطاً ! قال :
فرفعه الله إليَّ أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به »^(١) .

وهكذا قدّم محمد ﷺ كافة الأدلة المطلوبة لإثبات رحلته ، وبالتالي
إثبات نبوّته ، وبالطبع فإنّ قريشاً لم تؤمن عندها ، لكنّها لم تستطع
تكذيبه .

وهنا يبرز سؤالان مهمّان لابدّ من الإجابة عنهما :

أولهما : هل المسجد الأقصى هو ذلك المسجد الموجود في القدس
اليوم ، والذي صلى فيه محمّد وإخوانه الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه
لهم أجمعين ؟

والثاني : لماذا كان هناك إسرائء ، ولم يحدث المعراج من مكة على
ما تتضمن مكة من قداسة ، كما هو وارد في القرآن الكريم ، والحديث
الشريف ؟

وجواب السؤال الأول بالنفي ؛ لأنّه لا يوجد دليل على أنّ المسجد
الأقصى الذي صلى فيه الرسول ﷺ وإخوته الأنبياء هو نفس المكان الذي
هو اليوم المسجد الأقصى وجاره مسجد الصخرة ، وهذا لا يقلل من
قداسة هذين المسجدين ؛ لأنّ الله تعالى قال : ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي
بَرَكْنَا﴾ [الإسراء : ١] .

والمسجد هو كل مكان يسجد فيه الله ، وطالما اليوم يعيش في القدس
مسلمون يسجدون لله ، فإنّ كلّ القدس مقدسة ، وتمتع بنفس درجة
القداسة ، بل والأكثر من ذلك فإنّ كل فلسطين هي مسجد أقصى ؛ لأنّ
عين القداسة في بيت المقدس غير معروفة ، أما الذي حوله فهو معروف ،

(١) مسلم رقم (١٧٢) .

وبالتالي فهو مقدّس ﴿بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء : ١] .

وعلى الرغم من أنّ عين القداسة في بيت المقدس لا يعلمها سوى الله ورسوله ، فإن ذلك لم يمنع سيدنا عمر بن الخطاب من أن يبني مسجداً في بيت المقدس دون أن يهتمّ تحديد ذلك المكان الذي عرج منه رسول الله إلى السماء ؛ لأنّ القدس كما فهمها عمر رضي الله عنه كلّها مقدّسة .

لقد قال عمر بن الخطاب لبطرك بيت المقدس (إيلياء) بعد أن أعطاه ما يعرف بالعهدية العمرية « أرني موضعاً أبني فيه مسجداً ، فقال : على الصخرة التي كلم الله عليها يعقوب فوجد عليها (عمر) ردماً كثيراً ، فشرع في إزالته ، وتناوله بيده ، يرفعه في ثوبه ، واقتدى به المسلمون كافةً ، فزال لحينه ، وأمر ببناء المسجد »^(١) .

وتبرز أهمية هذه الملاحظة اليوم في الوقت ؛ الذي يحاول فيه اليهود هدم المسجد الأقصى لبناء هيكلهم المزعوم على أنقاضه .

لقد كان الهيكل كما وصفه العهد القديم أساسه من حجارة ، وجدرانه وسقفه من خشب الأرز والسرو^(٢) ، وقد استورد سليمان الخشب من لبنان من ملك صور حيرام الذي كانت تربطه بسليمان معاهدة صداقة .

وقد كانت أساسات الهيكل من حجارة مكعبة الشكل^(٣) ، وذلك يعني : أنّ الخشب ليس له أثر وأما الحجارة المكعبة فلم يجدوا لها أثراً عندما قام اليهود بحفر الأنفاق تحت المسجد الأقصى ، وهذا يعني بالتأكيد أنّ هيكل اليهود المزعوم ليس تحت المسجد الأقصى قطعاً ، هذا إن كان له وجود أصلاً .

(١) تاريخ الأمم الإسلامية للخضري بك (ج ٢ ، ص ٦) .

(٢) الملوك الأول (٥ ، ٢٧-٣٢) .

(٣) الملوك الأول (٧ ، ٩) .

أما ما يخصُّ التساؤل الثاني :

فلعل حكمة الله اقتضت أن يكون المعراج من بيت المقدس للأسباب التالية :

١- إن المعراج في حدِّ ذاته معجزة كبرى ، ولو كان المعراج من مكة لما كان هناك حاجة للإسراء إلى بيت المقدس ، وهذا يعني : أنَّ الإسراء معجزة فوق معجزة .

٢- إنَّ كون المعراج من بيت المقدس حوّل الإعجاز الغيبي إلى إعجاز ماديٍّ ملموسٍ عندما وصف الرسول ﷺ بيت المقدس ، وهو الذي لم تطأ قدماء تلك المدينة بشهادة مشركي قريش كلهم ، كما أنه قدّم دليلاً آخر ، هو شهادة القافلة التي ضاع جملها ، وأيضاً شهادة القافلة التي فقدت الماء الذي أخفته عن الأنظار .

٣- تأكيد قداسة بيت المقدس لكونها موضع إسراء ومعراج محمد ﷺ نبي العرب والمسلمين وإلحاقها بقداسة مكة .

٤- يمكن أن نعتبر المعراج تحرير الله لرسوله من حدود الزمان ، أمّا الإسراء فهو تحرير مكاني من الله لرسوله ، وبذلك تتضح قدرة الله تعالى على تحرير البشر من الزمان والمكان .

٥- تخصيص محمد ﷺ بهذا الإسراء وخلقة البراق إكراماً لنبيه ؛ لتكون هذه الدابة مخصصةً لركوبه فقط من دون الأنبياء كافة .

٦- لقد أوحى الله إلى أنبيائه كافةً لكنَّ الله تعالى حدث أن كلَّهم إبراهيم ، وكذلك كلُّهم موسى ، ولكن على الأرض ، أما أن يُستدعى محمد ﷺ إلى السماء السابعة لإعطائه الأوامر الإلهية ؛ فإنَّ ذلك يدلُّ على أهمية هذا النبيِّ من جهةٍ ، وأهمية الأمر الذي كُلِّفَ به هذا النبيُّ ، وهو الصلاة من جهةٍ أخرى .

٧- لقد دخل محمد ﷺ الجنة ، وشاهد ما فيها ، وعابنها ، وعابن ما أعدَّ الله للمؤمنين الطائعين ، وهذا أمر لم يشاهده أحدٌ قبله من الأنبياء .

٨- مشاهدة النار : لقد اجتمع محمد ﷺ بمالك خازن النار ؛ الذي أراه النار حتى امتلأ قلبه ﷺ رعباً منها ، وقد كشف له منها القليل القليل . كذلك فإن محمداً ﷺ قد شاهد من مشاهد تعذيب أهل جهنم ما تقشعر له الأبدان عند وصفه لها ، ولقد كانت مشاهدة الجنة والنار بالنسبة لمحمد ﷺ بمثابة واقع يسهل عليه وصفه ، وهذا ما لم يحدث لنبيٍّ قبله .

٩- إمامة الأنبياء : لقد جمع الله لمحمد ﷺ مجموعة من الأنبياء ، وعلى رأسهم موسى والمسيح وإبراهيم فكانوا أول من صلى بهم رسول الله عندما أمر بأدائها هو وأتباعه ، وكانت تلك الحادثة بمثابة منح مكانة إمامة المرسلين لمحمد ﷺ ، وهي مكانة لم تكن لنبيٍّ قبله .

١٠- رفع بيت المقدس له : لقد رفع الله تعالى بيت المقدس (مدينة القدس) أمام عيني محمد ﷺ ، فأخذ رسول الله يصف للمشركين الذين يحفظون بيت المقدس حارة حارة ، وشارعاً شارعاً ، وكل ما كانوا يسألون عنه ، فكانت بذلك دليلاً على ما قاله وحدث عنه ؛ بالقدر الذي أسكت أعداءه فلم يستطيعوا أن يكذبوه .

هذا ويمكننا أن نجمل المعجزات التي اختصَّ بها الله تعالى نبيه محمداً ﷺ في حادثة الإسراء والمعراج كما يلي :

١- البراق : وهو ذلك الدابة التي خلقها الله تعالى لتكون معجزة فريدة لمحمد ﷺ خاصة دون غيره من الأنبياء .

٢- الصعود إلى السماء ، وهو حيٍّ ، معجزة فريدة اختصَّ بها الله نبيه محمداً ﷺ على الرغم من أنَّ الله رفع إليه المسيح ، وهو حيٍّ ، وكذلك

إيليا (إلياس) وهو حيٌّ أيضاً ، لكنَّ محمداً ﷺ صعد حيّاً ، ونزل حيّاً من السماء ، أما إيليا والمسيح فلم يعودا إلى الأرض ، وكذلك إدريس عليه السلام .

٣- شهادة أهل السماء جميعهم بنبوّة محمد ﷺ وانتظارهم لها ، ودليل ذلك عبارة (أو قد بعث) ، كذلك فإنَّ آدم ، والمسيح ، ويحيى ، ويوسف ، وإدريس ، وهارون ، وموسى كلّهم كانوا على علمٍ بأنَّ محمداً ﷺ سيبعث نبياً ويتنظرون معراجَه .

٤- مشاهدة محمد ﷺ للأنبياء المذكورين ، ووصفه إياهم ، وتحاوره معهم هي معجزة خاصة به ؛ لأنَّ من قبله ذكروا الذين قبلهم ، لكن لم يرد في آثارهم ما يصف هؤلاء الأنبياء .

٥- اجتياز محمد ﷺ لسدرة المنتهى التي لا يستطيع جبريل على مكانته أن يتجاوزها ، حيث تحوّل إلى صورته الحقيقية عندما وصل إليها ، كما قال الله تعالى عنه في هذا الموضع : ﴿ أَفْتَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۖ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۖ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ إِذِ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۚ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۚ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۚ ﴾ [النجم : ١٢-١٨] .

ذلك يعطي محمداً ﷺ ميزة لم تُعط لغيره من الأنبياء سوى إبراهيم الذي كان يقف عند البيت المعمور ، ثم أُعطي لمحمد ﷺ ميزة أخرى ، حيث سُمح له بالتقدّم إلى حيث يسمع صريف أقلام الملائكة ، وذلك الموقع الذي لم يسمح لأحدٍ من البشر بالوصول إليه سوى محمدٍ ﷺ .

إنَّ إعطاء محمدٍ ﷺ كلّ هذه المعجزات في حادثة واحدة بالإضافة إلى معجزاته التي كانت ، والتي جاءت إليه بعد حادث الإسراء والمعراج ، يجعل نبوة محمدٍ ﷺ صاحب أقوى وأعظم وأغرب معجزة ظهرت للأنبياء جميعهم .

٦- من المعجزات الخاصة : تكليم الشاة المشوية له :

ناصب يهود المدينة العداء لمحمد ﷺ نظراً لأنه ظهر في العرب ، ولم يظهر في اليهود ، ولما نقض اليهود الحلف مع رسول الله وتآمروا عليه نكّل بهم ، وحاربهم ، فقتل من قتل ، وسبى من سبى ، وأسلم منهم من أسلم . لكن زوجة سلام بن مشكم ، وهي زينب بنت الحارث أرادت الانتقام لمقتل زوجها وبعض أهلها ، فأهدت زينب هذه شاة مسمومة لمحمد ﷺ .

يقول ابن هشام :

« أهدت زينب بنت الحارث ، امرأة سلام بن مشكم ، شاة مصلية (مسمومة) ، وقد سألت : أيّ عضوٍ من الشاة أحبُّ إلى رسول الله ﷺ ؟ فقبل لها : الذراع ، فأكثر فيها من السمِّ ، ثم سمّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ ، تناول الذراع ، فلاك منها مضغَةً ، فلم يُسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ ، فأَمَّا بشر فأساغها ، وأما رسول الله ﷺ فلفظها ، ثم قال : إنّ هذا العظم ليخبرني أنّه مسموم ، ثم دعا بها ، فاعترفت ، فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان ملكاً استرحت منه ، وإن كان نبياً فيخبر ، قال : فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ، ومات بشر من أكلته التي أكل »^(١) .

وهكذا فقد أخبر عظم شاة مذبوحة ، ومسلوخة ، ومقطعة رسول الله ﷺ ألا يأكل من لحمها المسموم . الأمر الذي لم يحدث لنبيّ قبله .

(١) سيرة ابن هشام (ج ٣، ص ٣١٢) .

٧- من المعجزات الخاصة : قبضة من تراب تهزم جيشاً :

دخل محمد ﷺ مكة ومعه عشرة آلاف مقاتل ، وعندما علم محمد ﷺ بحشد هوازن له خرج بجيشه المؤلف من اثني عشر ألف مقاتل متوجهاً إلى هوازن ، لكن هوازن وحلفاءها نصبوا كميناً لمحمد ﷺ وجيشه في شعاب الوادي الذي مرَّ به جيش المسلمين ، وباغتوا الجيش ليلاً ، حيث انفرط عقد المسلمين عندها نتيجة رشق النبال من عل ، وهجوم الفرسان المباغت ، فانكشف جيش المسلمين^(١) .

في هذه الموقعة التي عرفت بحنين انكشف المسلمون ، وفرَّ بعضهم ، والبعض توجه إلى مصدر صوت محمد ﷺ الذي نزل عن بغلته وهو يقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب
وكان البراء واحداً من الشجعان الذين كانوا يلتجئون إلى رسول الله ﷺ عند الخطر ، فلجأ إلى رسول الله ﷺ ووجده يقول :
أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب
وهو يقول : اللهم نزل نصر^(٢) .

كذلك فعل سلمة مثل البراء وفعل ابن الأكوع ، وأخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب الأرض ، ثم استقبل به وجه العدو ، فقال : « شامت الوجوه » فما خلق الله من الجيش إنساناً إلا ملأ عينيه التراب من قبضة التراب التي رماها محمد ﷺ فوق رؤوس العدو . فانقلبت الهزيمة

(١) سيرة ابن هشام (ج ٤ ، ص ٧٢) .

(٢) مسلم رقم (١٧٧٦) .

نصراً ، وهرب جيش العدو ، وغنم المسلمون جيش العدو^(١) .
وهذه معجزة لم تحدث لنبي قبله من الأنبياء ، ولا لأحد بعده من البشر .

٨- من المعجزات الخاصة : تدفق البئر الجاف :

أراد رسول الله أن يعتمر إلى بيت الله في مكة ، فانطلق إليها مع أصحابه الذين كان تعدادهم ألفاً وأربعمئة رجل ، وعند الحديبية أرسلت قريش قرارها بمنع دخول محمد ﷺ إلى مكة حتى ولو كان يقصد تعظيم البيت وإلا فالحرب بينهم وبينه ، وتوقف الرسول وصحبه في الحديبية لفترة حيث الماء اللازم للشرب وقضاء الحاجيات قد نفذ ، وكاد المسلمون أن يهلكوا عطشاً ، وبحث الصحابة عن الماء في تلك المنطقة فلم يجدوا إلا بئراً جافاً لا ماء فيه فأخبروا محمد ﷺ : قال إياس بن سلمة يحدث عن أبيه : « قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ ونحن أربع عشرة مئة ، وعليها خمسون شاة لا ترويهما ، قال : فقعد رسول الله ﷺ على جبا (محيط البئر) الركبة (البئر) فإمّا دعا (إما دعي) وإما بصق فيها (تفل) - لا يدري سلمة أيهما فعل بالضبط - قال : فجاشت ، فسقينا ، واستقينا . . . »^(٢) .

وهذه معجزة لم تحدث لنبي من الأنبياء ولا لأحد بعده من البشر .

٩- من المعجزات الخاصة : جوامع الكلم :

قال محمد ﷺ : « فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض

(١) مسلم من الحديث رقم (١٧٧٦) .

(٢) مسلم أول الحديث رقم (١٨٠٧) .

طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافةً ، وختم بي النبيون »^(١) .

ويعني هذا الحديث ما يلي :

١- جوامع الكلم هو تعبير قصد به الرسول ﷺ : أنَّ أقواله مختصرة إلى أبعد الحدود وواسعة المعنى إلى أبعد الحدود أيضاً .

٢- والنصر بالرعب المقصود به الانتصار ، وتحقيق الهدف بأقل عددٍ من القتلى ، وهذا يمكن شرحه بأنَّ محمداً ﷺ قاتل ، وحارب ، وجاهد فانتصر ، وشكّل دولته بأقل عددٍ من القتلى ، حيث يمكننا تقدير أعداد شهداء المسلمين بالإضافة إلى القتلى من أعدائهم بألف رجل ، في حين أنَّ معارك الأنبياء السابقين كان يسقط فيها ألوف مؤلفة من الطرفين ، وعندما انتصر ملوك كدرلعومر وجوبيم وشنعار وآسار على الملوك الخمسة لسدوم ، وعمورة ، وأدمة ، وصبوئيم ، وبالع قتلوا منهم الكثير ، وهرب الباقون ، فأخذ المنتصرون لوطاً ونساءه سبايا وأمواله غنائم ، لكن إبراهيم جمع مواليه وأتباعه وعددهم (٣٨٠) رجلاً ، وتبع الملوك الأربعة ، وأطبق عليهم ليلاً ، فهزمهم بعد أن قتل منهم من قتل ، واستعاد لوط نساءه وأمواله^(٢) .

وعندما صعد موسى عليه السلام وقومه إلى باشان أباد موسى عليه السلام ملك باشان وقومه كما أباد من قبله ملك حبشون وقومه ، وكذلك فعلوا بملك الأموريين ، وأباد في مدنها تلك كل الرجال والنساء والأطفال^(٣) .

وعندما عيّن شاول داود قائداً على جيشه قتل من الفلسطينيين الكثير ،

(١) مسلم رقم (٥٢٣) .

(٢) التكوين (١٤ ، ١٦) .

(٣) التثنية (٣ ، ١١) .

حيث يقول سفر صموئيل الأول : « قتل شاول الألو ف وداود عشرات الألو ف »^(١) .

و خلاصة القول : إنّ محمداً امتازت نبوته برعب أعدائه منه ، الأمر الذي حقن دماء العرب ، وتحققت دولة الإسلام بأقلّ عددٍ من الخسائر في الأرواح .

٣- أحلّت الغنائم لمحمد ﷺ ، وكانت غنائم اليهود التي يكسبونها من أعدائهم تحرق تقريباً من الله ، فعندما انتصر شاول على الفلسطينيين أحرق رديء الغنائم فغضب عليه الرب ، وقال لشاول عن طريق النبي صموئيل : « أرسلك إلى بني عماليق وقال لك : اذهب ، وقاتل أولئك الأئمة حتى يفنوا ، وأهلك (واحرق) كلّ ما لهم ، فلم تسمع لصوت الربّ ، وفضلت الغنيمة ، وعملت الشرّ في عينيه »^(٢) .

بينما محمد ﷺ أحلّ الله له الأنفال ، وعلمه طريقة توزيعها .

٤- جعل الله الأرض طهوراً ومسجداً حيث يصلح كلّ مكانٍ جاف على سطح الأرض لصلاة المسلمين ، أما عند باقي الأنبياء ؛ فلا تجوز إلا ضمن الهيكل ، أو مكان العبادة المخصصة لذلك^(٣) .

٥- أرسل محمد ﷺ إلى الخلق كافّة : إنّ جميع أنبياء بني إسرائيل من موسى عليه السلام إلى المسيح عليه السلام قد أرسلوا إلى اليهود ، وأرسل نوح إلى قومه ، بينما كلّف الله تعالى يونان (يونس) أن يذهب لهداية أهل نينوى^(٤) . في حين أنّ محمداً ﷺ أرسل لكافة خلق الله من

(١) صموئيل الأول (١٨ ، ٧) .

(٢) صموئيل الأول (١٥ ، ١٨) .

(٣) الخروج (٣٣ ، ١٠) .

(٤) يونان (١ ، ١) .

بشرٍ أحمر ، وأصفر ، وأبيض ، وأسود... وأرسل إلى الجنِّ ، فأمن به من آمن ، وكفر به من كفر ، وأرسل إلى الخلق كافة ، فكان رحمةً للعالمين .

٦- محمد ﷺ : خاتم الأنبياء ، وآخرهم ، وحتى يومنا هذا لم يظهر نبيٌّ صادقٌ مثل الأنبياء ، وربما كان بسبب قوة نبوة محمد ﷺ أنه آخر الأنبياء ؛ الذي بعث للخلق كافة ، فكانت نبوته ظاهرة ، وواضحة ووضح الشمس في وضح النهار .

وهكذا فإنَّ حديث تعداد كلماته أربعة وعشرون كلمة ، احتجنا إلى شرحه مع الاختصار الشديد إلى ثلاث صفحات ، وهذا معجزة ظاهرة لمحمد ﷺ وهي ما عبَّر عنه بقوله (جوامع الكلم) .

بينما بقية الميزات الواردة في الحديث ، والتي هي خاصة بمحمد ﷺ فإنَّها معجزاتٌ في الرحمة ، ومعجزاتٌ في خصائص الأمة ، بحيث لا يستطيع إدراكها إلا دارسها ، بينما معجزاته الحسيَّة هي المعجزات الواضحة التي لا تحتاج إلى دراسة وعمق تفكير ، فمجرد الإخبار عنها تبدو المعجزة واضحةً أمام سامعها ، أو قارئها ، أو مشاهدتها ، والله أعلم .

١٠- من المعجزات الخاصة : المعجزة الخالدة القرآن الكريم :

على الرغم من أنَّ التوراة والإنجيل والقرآن جميعها كتب سماوية ؛ إلا أن التوراة والإنجيل كتابان سماويان معجزان ، ينحصر إعجازهما من حيث إنَّهما أنزلا من السماء بشكلٍ مباشرٍ بالنسبة للتوراة وبطريقة الإيحاء المباشر الكلي على قلب المسيح بالنسبة للإنجيل ، لكنَّ القرآن الكريم يتميز بالإضافة إلى تنزيل كل جزء منه تنزيلاً يشابه تنزيل التوراة كاملة ، أو الإنجيل كاملاً ، فإنه يتميز بالإعجاز .

هذا الإعجاز الذي يشمل كل شيء فيه : في تنزيله ، أو حرفه ، أو كلمته ، أو جملته ، أو لغته ، أو أخباره ، أو مواضعه ، أو حفظه ... إلخ .

في حين أنَّ كلمات التوراة والإنجيل ليست إعجازية ؛ بدليل أن أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين أعطوا لأنفسهم الحق في تعديل كل طبعة من الطباعات التي سبقتها . بينما نجد أنَّ القرآن الكريم لا يحتمل أيَّ تعديل ، ويفرض أيَّ إضافة عليه ، حتى ولو كان تغييراً في فتحة أو ضمة ، أو شدة ، أو سكون ...

فإذا كان محمد ﷺ وهو الذي كانت له من المعجزات الحسية ما يجعلنا نقف مشدوهين أمام هذه النبوة المدهشة يقول بأنَّ نبوته تمتاز بمعجزة القرآن التي بسببها سيؤمن الناس بنبوته ، بينما وظيفة المعجزة الحسية بالنسبة لأي نبي هي التحريض على الإيمان به . قال رسول الله ﷺ : « ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » (١) .

١١- هلاك المستهزئين بنبوته دليل عليها :

أقام رسول الله ﷺ على أمر الله تعالى صابراً محتسباً ، مؤدياً إلى قومه النصيحة على ما يلقي من التكذيب والأذى ، وكان عظماء المستهزئين خمسة رجال من مكة ، وكانوا أصحاب شرف ورياسة في قريش .

(١) مسلم رقم (١٥٢) .

وكان هؤلاء الخمسة على درجة من النفوذ وسماع الكلمة ؛ بحيث إن الناس في مكة كانوا يرددون أقوالهم دونما تفكير ، بحيث بدت الدعوة وكأنه يقف في وجه انتشارها جداراً مؤلف خمسة مكذبين مستهزئين ، يمنعون وصولها إلى من دونهم من الناس .

والذي حدث أن هؤلاء الخمسة أصابتهم النكبات دفعةً واحدة ، بحيث انزاحوا تماماً عن طريق دعوة محمد ﷺ ، وتوقفت ألسنتهم عن التعرض لمحمد ﷺ بسوء .

وبالطبع لا يمكن إرجاع ذلك للمصادفة أبداً ، بل إن ما أصابهم ليس إلا عملاً منظماً موجهاً أُستهدف به خمسةٌ دون غيرهم من قريش ، وبالطبع فإن هؤلاء الخمسة كان يجمع بينهم صفة واحدة تجعل مهمة محمد ﷺ صعبة بوجود هؤلاء ، الأمر الذي تطلب تدخل القدرة الإلهية لإزالة هؤلاء المستهزئين من وجه دعوة محمد ﷺ وبذلك تسهل مهمة محمد ﷺ ، وتندفع معنوياته باتجاه متابعة الدعوة ، الأمر الذي يجعلنا نستنتج أن المراقب لهذا الموقف لا يمكن إلا أن يقرّ بنبوة محمد ﷺ ، وبالتالي فإن هذه الحادثة نستطيع أن نعتبرها دليلاً على نبوة محمد ﷺ خصوصاً وأن حادثة مثل تلك الحادثة لم يحدث أن جرت خلال التاريخ النبوي الطويل .

فكيف جرت هذه الحادثة ؟

عندما تمادى هؤلاء الخمسة في الشر ، وأكثروا الاستهزاء بمحمد ﷺ أنزل الله تعالى عليه :

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر : ٩٤-٩٦] .

عند ذلك علم محمد ﷺ أن هؤلاء الخمسة سيصيبهم ما يكرهون ،

قال ابن إسحاق : « فحدّثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، أو غيره من العلماء أنّ جبريل أتى محمداً ﷺ ، وهم يطوفون بالبيت ، فقام ، وقام رسول الله ﷺ إلى جنبه ، فمرّ الأسود بن المطلب بن أسد ، فرمى في وجهه بورقة خضراء ، فعمي ، ومرّ به الأسود بن عبد يغوث ، فأشار إلى بطنه ، فاستقى فمات منه جنباً ، ومرّ به الوليد بن المغيرة ، فأشار إلى أثر جرح أسفل كعب رجله ، كان أصابه قبل ذلك بسنين ، وهو يجرّ سبكه ، وذلك أنّه مرّ برجل من خزاعة وهو يرش نبلاً له ، فتعلّق سهم من نبله بإزاره فخدش في رجله ذلك الخدش وليس بشيء ، فانتقض به ، فقتله ، ومرّ به العاص بن وائل ، فأشار إلى أخص رجله ، وخرج على حمار له يريد الطائف ، فربض به على شبرقة ، فدخلت في أخص رجله شوكة ، فقتلته ، ومرّ به الحارث بن الطلالة ، فأشار إلى رأسه ، فامتخص قيحاً ، فقتله » (١) .

وهكذا انتهى أمر المستهزئين بنبوة محمد ﷺ دفعة واحدة وخلال فترة قصيرة ، ومع أنّ هذه الحادثة أدت إلى إبراز أعداء جدد لمحمد ﷺ إلا أنّها في نفس الوقت قطعت أوصالهم خوفاً من المعادة المطلقة لمحمد ﷺ فاتخذت معاداتهم ميلاً للحوار والنقاش ، حتى وأنّ حواراتهم كانت على درجة كبيرة من التعنت واللامنطقية واللاموضوعية .

نلاحظ من خلال تبيان المعجزات الحسيّة الخاصة بمحمد ﷺ ما يلي :

١- جميع معجزات الأنبياء معجزات حدثت على الأرض وعلى الرغم من أن لمحمد ﷺ معجزات حدثت على الأرض إلا أنّه كانت له معجزات

(١) سيرة ابن هشام (ج ٢، ص ٥٠-٥٢) .

حدثت على مستوى الكون ، كما في معجزة انشقاق القمر ، وعلى مستوى الملكوت ، كما في حادثة المعراج .

٢- جميع الأنبياء السابقين تكرّرت معجزاتهم أو بعضها على الأقل عند نبي لاحق إلا محمداً ﷺ فإنّ معجزاته الخاصة لم تكن لنبيّ قبله ، ولن تكون لنبيّ بعده ؛ لأنه خاتم الأنبياء .

٣- لم يحدث أبداً في تاريخ الأنبياء أن كانت الملائكة السبب الحاسم لنصر نبيّ وأتباعه في معاركه ، بل إنّ الأنبياء لم يكونوا محاربين ، فلم يعرف نبيّ محارب سوى داود عليه السلام وإبراهيم عليه السلام إلى حد ما ، وعلى الرغم من ذلك لم تنزل الملائكة لتحارب معه أبداً .

٤- لم يحدث في تاريخ الأنبياء أن خلق الله مخلوقاً خاصاً لركوب نبيّ من الأنبياء سوى البراق الذي خلقه الله خصيصاً ليركبه محمد ﷺ في رحلة الإسراء . أما إيليا فقد كانت له عربة نارية تجرّها الخيول ، وهي ليست مخلوقات خاصّة ، بل أحصنة مألوفة الشكل .

٥- المعجزات الحسيّة تكون بالغة التأثير عند حدوثها ، ثم تتناقص قدرتها التأثيرية كمحرضٍ على اتباع النبوة كلما تقادم الزمن عليها ، من أجل ذلك أيّد الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بمعجزة حسيّة خالدة ، لا تزال سبباً في اتباع نبوة محمد ﷺ كلّما تقادم الزمن عليها ألا وهي القرآن الكريم ، حيث إنّ البشرية لازالت تكتشف ، إعجازه يوماً بعد يوم ، وحتى يرث الله الأرض وما عليها .

لذلك فإنّ القرآن الكريم هو المعجزة الحسيّة القديمة والحديثة والأبدية لنبوة محمد ﷺ .

* * *

ثانياً - المعجزات المكررة عند محمد ﷺ :

كنا قد عرّفنا المعجزات الحسيّة المكررة بأنّها المعجزات الحسيّة التي ظهرت عند نبيّ ، وتكرّرت عند آخر بحدّ ذاتها ، أو من صنفها ونوعها .

لكن المعجزات الحسيّة المكررة عند محمد ﷺ تميّزت بأنّها شملت أهمّ معجزات الأنبياء الحسيّة كلّها ، بل وإنّ البعض من هذه المعجزات كانت أقوى من تلك التي كانت عند أصحابها الأصليين ، كما سنلاحظ فيما يلي :

١- من أهمّ معجزات إبراهيم عليه السلام : أنّه كان يكلم الله ، كذلك كان موسى عليه السلام الذي كلمه الله من خلال العليقة ، أو من خلال الغمامة .

وقد كلم الله إبراهيم وموسى عليهما السلام وهما على الأرض ، كذلك فإنّ محمداً ﷺ قد كلمه الله وحياً على الأرض ، ثم استدعي إلى الحضرة الإلهية القدسية في السماء السابعة لتلقّي أوامر الله تعالى في رحلة المعراج .

٢- من أهمّ معجزات يعقوب عليه السلام : تفسيره لرؤيا ابنه يوسف عليه السلام التي أعلمه بها عن نبوته ، كذلك فسّر محمداً ﷺ الرؤى لأصحابه ، فكانت تجري لهم كما أولها لهم أجمعين ، كذلك فإن يوسف عليه السلام كانت معجزة نبوّته الوحيدة مقدّرة على تأويل رؤى الغير ، كما حدث معه في رؤيا فرعون .

٣- من معجزات موسى عليه السلام : أنّه كان كليماً لله أمّا محمد ﷺ فقد كلم الله على الأرض وفي السماء ، وتفجر لموسى عليه السلام الماء من الصخر بينما نبع الماء من بين أصابع محمد ﷺ^(١) . وأظلت الغمامة

(١) مسلم رقم (٦٨١).

موسى عليه السلام وقومه عندما عبروا الصحراء ، بينما محمد ﷺ أظلمته الغمامة وحده دون أصحاب القافلة ، بينما كان يتنقل من وإلى دمشق .

٤- من معجزات داود عليه السلام : أنه كان نبياً ملكاً ، أو ملكاً نبياً ، لكن مملكته كانت القدس وما حولها فقط ، ولم يستطع أن ينشئ مملكة الله على الأرض ، بل الذي استطاع أن ينشئ مملكة الله على الأرض هو محمد ﷺ ، حيث كان نبياً ملكاً لدولة تعبد الله ، وتوحد ، وتعمل بشريعته ، وكانت رقعة دولته تشمل الجزيرة العربية بكافة أقاليمها ، ثم وسّعها أصحابه بعده لتشمل الأراضي الممتدة من الصين شرقاً وحتى شرق أوربة غرباً .

٥- من معجزات سليمان عليه السلام : أنه كان يفهم كلام الحيوان ، وكلام الجان ، أما محمد ﷺ ؛ فقد كَلَّمَ الشجر^(١) ، وكَلَّمَ الحجر^(٢) وكَلَّمَ الجان فآمنت به^(٣) ، وفهم كلام الحيوان^(٤) .

٦- من معجزات إلياس (إيليا) عليه السلام : أنه كثر العجين^(٥) ، بينما كثر محمد ﷺ العجين الذي لا يكفي خمسة أشخاص ، فأطعم العجين ألف رجل ، وبقي من العجين الكثير^(٦) .

واستمطر إيليا أيام القحط ، فأمطره الله^(٧) ، كذلك فإن محمداً ﷺ استمطر في يوم مئس حتى هطلت الأمطار ، وبقيت كذلك أسبوعاً حتى

(١) سيرة ابن هشام (ج ١ ، ص ١٧٥) .

(٢) مسلم رقم (٢٢٧٧) .

(٣) مسلم رقم (٤٥٠) .

(٤) مسلم رقم (٢٣٨٨) .

(٥) الملوك الأول (١٧ ، ١٣) .

(٦) مسلم رقم (٢٠٣٩) .

(٧) الملوك الأول (١٨ ، ١٤) .

أتاه من طلب منه أن يوقف المطر ، فدعا الله وتضرع إليه حتى توقف هطول الأمطار^(١) .

وانتهت نبوة إيليا بصعوده بعربة نارية يجزّها حصانان عبر السماء^(٢) ،
بينما صعد محمد ﷺ إلى السماء برفقة جبريل عليه السلام ليلة المعراج ،
ثم عاد إلى الأرض دون أن تنتهي نبوته^(٣) .

٧- من معجزات المسيح (إيلشع) عليه السلام : أنه كثر زيت الأرملة
لتسدّد دينها^(٤) ، كما فعل إيليا من قبله ، بينما محمد ﷺ أصبح وعاء
السمن معيناً للسمن لمجرد أنّ محمداً ﷺ لمس ذلك الوعاء^(٥) .

٨- من معجزات المسيح عليه السلام (حسب الإنجيل) :

١- أطعم المسيح عليه السلام ٤٠٠٠ - ٥٠٠٠ شخص من قليل من
الطعام ، ولعدة مرّات ، كذلك فإنّ محمداً ﷺ أطعم الكثير من طعام قليل
ولعدة مرّات في حوادث كثيرة ، حيث أطعم محمد ﷺ جيش تبوك البالغ
عدده عشرة آلاف رجل من قليل ، فأكلوا ، وفاض منه مؤونة للطريق^(٦) ،
وأطعم من قليل من التمر ثلاث آلاف مقاتل ، وفاض من التمر الكثير في
معركة الخندق^(٧) ، وأطعم من شويهة جيش الخندق أيضاً في حين أنّ
شويهة الشاة لا تكفي ثلاثة رجال ، وزاد من تلك الشويهة أكثر منها^(٨) .

(١) مسلم رقم (٨٩٧) .

(٢) الملوك الثاني (٢ ، ١١) .

(٣) مسلم رقم (١٦٣) .

(٤) ملوك ثاني (٤ ، ٧) .

(٥) مسلم رقم (٢٢٨٠) .

(٦) مسلم رقم (٢٧٦٨) وأواخر الحديث رقم (٢٧) .

(٧) سيرة ابن هشام (ج ٣ ، ص ١٩٨) .

(٨) سيرة ابن هشام (ج ٣ ، ص ١٩٩) .

٢- وشفيت المرأة النازقة عندما لمست ثوب المسيح عليه السلام ، أما محمد ﷺ ؛ فجبته التي يلبسها اتخذها أصحابه من بعده علاجاً لشفاء مرضاهم من جميع الأمراض^(١) .

٣- هَذَا المسيح عليه السلام بكلمة أمرٍ عوامل الطبيعة الهائجة من عاصفة وهياج بحرٍ ، وهَذَا محمدٌ ﷺ الزلزال عندما ضرب جبل أحد الذي كان يقف عليه هو وبعض أصحابه^(٢) .

٤- عرف عن المسيح عليه السلام طرده للشياطين من البشر ، ولكِنَّه علَّم تلاميذه أَنَّ الشياطين لا تطرد إلا بالصوم والصلاة^(٣) ، وذلك عندما فشل تلاميذه في الشفاء من الشياطين .

أَمَّا محمدٌ ﷺ فقد شفى من الشياطين ، وعَلَّمَ أصحابه بأنَّ قراءة القرآن تطرد الشيطان ، فاستطاع أصحابه الشفاء من الشياطين ، بل ومن لدغة الحية ، ومن لدغة العقرب ، والعين ، والحمّة ، والنملة...^(٤) .

بل وَإِنَّ محمدًا ﷺ علَّمنا كيف نشفى إِنْ كان الله قد كتب الشفاء لنا أو لمرضانا : فعندما شكَا عثمان بن أبي العاص الثقفي وجعاً في جسده منذ أسلم ، قال له رسول الله ﷺ : « ضع يدك اليمنى على الذي تألم من جسدك ، وقل : باسم الله ثلاثاً ، وقل سبع مرّات : أعوذ بعزّة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر »^(٥) .

وقالت عائشة رضي الله عنها : إِنَّ رسول الله ﷺ كان : « إذا اشتكى

(١) مسلم رقم (٢٠٦٩) .

(٢) مسلم رقم (٢٤١٧) .

(٣) مَتَّى (١٧ ، ٢١) .

(٤) مسلم رقم (٢٢٠١ و ٢١٩٩ و ٢٢٠٣ و ٢١٩٦ و ٢١٩٧) .

(٥) مسلم رقم (٢٢٠٢) .

منّا إنسان مسحه بيمينه ، ثم قال : أذهب الباس ربّ الناس ، واشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً... »^(١) . فإن كان الله يريد له الشفاء شفي الشخص المريض .

٥- لقد تحدّث المسيح عليه السلام مع موسى وإيليا (إلياس) عليهما السلام ، وتحدّث محمد ﷺ مع آدم ، والمسيح ، ويحيى (يوحنا) ، ويوسف ، وإدريس ، وهارون ، وموسى ، وإبراهيم عليهم السلام أجمعين في ليلة المعراج .

٦- صعد المسيح عليه السلام كما صعد إيليا (إلياس) قبله ، ولم ينزلا ، أمّا محمد ﷺ ؛ فإنّه صعد إلى السماء ، ونزل كما نزل آدم عليه السلام إلى الأرض ، وتابع دعوته ، كما أنّ نفس المعجزة مشى فيها محمد ﷺ في الهواء في حين مشى المسيح عليه السلام على الماء .

قد يبدو للوهلة الأولى أنّ المعجزات المكرّرة هي معجزات منقوصة القيمة عند مقارنتها بالمعجزات الخاصّة ، والحقيقة : إن هذا غير صحيح ، ولعلّ الحكمة من وراء تكرار المعجزات هو تقديم البرهان لعقول البشر على أنّ مرسل الأنبياء واحد ومسبب المعجزات واحد ، وبالتالي فإنّ المعجزات المكرّرة هي شهادة لربط النبوءات بعضها ببعض الأمر الذي يظهر جلياً في نبوة محمد ﷺ التي ظهرت فيها لمحمد ﷺ معجزات حدثت منذ آدم عليه السلام وحتى المسيح عليه السلام ، ثمّ تكرّرت معجزاتهم عنده ﷺ وأضاف الله له معجزات أخرى انفرد بها دون غيره من الأنبياء ، ولن تظهر لنبي بعده ؛ لكونه خاتم الأنبياء والمرسلين .

* * *

(١) مسلم رقم (٢١٩١) .

دليل الوحي التاسع عشر

تبشير كل نبي بمن يليه من الأنبياء

ما من شك في أنَّ أحداً لا يعلم الغيب إلا الله ، وبالتالي فإنَّ تبشير نبيِّ بنبي آخر سيأتي بعده هو دليل صدق النبيِّ ، وصدق من أوحى إليه ، كذلك فإنَّ النبيِّ اللاحق هو صادق أيضاً ؛ لأنَّ شهادة النبيِّ الذي سبقه به كافية حتى يؤمن اتباع النبي السابق بذلك النبيِّ اللاحق ، ومن هنا نستطيع أن نفهم أن تبشير النبي السابق بنبيِّ لاحقٍ ، عدا عن كون التبشير شهادة على صدقه وعلى صدق من سيأتي بعده ؛ فهو أيضاً تمهيدٌ وتسهيلٌ لمهمة ذلك النبيِّ اللاحق ، وبالطبع فإنَّهم ذلك سيكون دليلاً على الوحي لكلا النبيين .

وحسب الأصول المتبعة في بحثنا فإنَّ موسى عليه السلام بَشَّرَ بالمسيح عليه السلام وبمحمدٍ ﷺ ، كذلك فإنَّ المسيح عليه السلام يجب أن يبشر بظهور محمد ﷺ ، وأما محمد ﷺ فعليه أن يشهد ، ويرى الأنبياء الذين سبقوه مما نسبت إليهم البشر ، كما أنَّ محمداً ﷺ يتوجب عليه أن يشهد بعودة المسيح عليه السلام إلى الأرض طالما أن الميحيين لا يعلمون لماذا صعد المسيح عليه السلام بهذه الطريقة ، وذلك كله لأنَّ محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء ، وليس بعده نبيٌّ .

بناءً على ما تقدم فإنَّ اليهود كان من الحريِّ بهم أن يؤمنوا بالمسيح طالما أنَّهم يؤمنون بموسى عليهما السلام ، لكنَّ واقع الحال يدلُّ على أن

اليهود كذبوا موسى عليه السلام بعدم اعترافهم بنبوّة المسيح عليه السلام ،
وبالتالي فإنهم قد كفروا بكلّ من موسى والمسيح عليهما السلام معاً .

كذلك فعل اليهود عندما كفروا بنبوّة محمد ﷺ ، فقد كذبوا موسى
عليه السلام عندما أنكروا نبوّة محمد ﷺ .

وحذا المسيحيون حذو اليهود عندما أنكروا نبوة محمد ﷺ ، حيث
كذبوا المسيح عليه السلام قبل أن يكذبوا نبوّة محمد ﷺ الذي أطلق عليه
المسيح عليه السلام اسم (الباراكليتوس) ووصفه وصفاً دقيقاً لا ينطبق
إلا على محمد ﷺ .

لقد ظلم اليهود أنفسهم ، وكفروا بموسى عليه السلام عندما لم يؤمنوا
بالمسيح عليه السلام .

وظلم اليهود موسى وأنبياءهم عليهم السلام أجمعين عندما رفضوا
الإيمان بنبوّة محمد ﷺ .

وظلم المسيحيون أنفسهم عندما لم يؤمنوا بنبوّة محمد ﷺ .

وبالطبع فإننا لا نجبر أحداً على اتباع محمد ﷺ ، وحتى أننا لا نطلب
منه ذلك بل الذي نقوله : إن كان أحدهم يؤمن بموسى عليه السلام ؛
فعليه على الأقل أن يدقّق بما قال موسى عليه السلام عن النبي الذي سيأتي
بعده .

وإذا كان أحدهم يؤمن بالمسيح عليه السلام ؛ فعليه أن يدقّق فيما قال
المسيح عليه السلام عن النبي الذي سيأتي بعده .

وسيجد هذا المدقّق أنّ أقوال موسى عليه السلام صحيحة ، وأقوال
المسيح عليه السلام صحيحة فيما يخصّ النبي المنتظر .

والمدّهرش في هذا الموضوع أنّه لا يكاد يخلو سفرٌ من أسفار العهد
القديم من بشارّة بمحمد ﷺ ، والأكثر من ذلك أنّهم بشّروا بالأمة التي

سوف تتبعه ، وذلك ما يبعث على الدهشة فعلاً ، كما سنلاحظ ذلك لاحقاً .

ولابدّ في البداية أن نذكر بالكتاب المقدس عند اليهود ، فالكتاب المقدس عند اليهود يدعى العهد القديم ، وهو يتألف من المجموعات التالية :

١- التوراة :

هي خمسة كتب (أسفار) وهي على التوالي :

سفر التكوين - سفر الخروج - سفر اللاويين - سفر العدد - سفر التثنية . وهي الكتاب المقدس الحصري عند يهود السامرة ، أو السامريين وتتناول هذه الأسفار نصوص أصل الكون ، وحتى موت موسى عليه السلام ، وتستخدم هذه الأحداث لعرض التدابير الخاصّة بالحياة الدينية والاجتماعية لليهود ، ومن هنا أطلقوا عليها اسم التوراة وتعني بالعبرية : الناموس .

٢- الكتب التاريخية :

وهي اثنا عشر سفرأ ، وهي : يشوع - القضاة - راعوث - صموئيل الأول - صموئيل الثاني - الملوك الأول - الملوك الثاني - أخبار الأيام الأول - أخبار الأيام الثاني - عزرا - نحميا - استر .

٣- كتب الأناشيد والأمثال والحكمة :

وتتألف من خمسة أسفار هي : أيوب - المزمير - الأمثال - الجامعة - نشيد الأناشيد .

٤- كتب الأنبياء :

وتتكون من سبعة عشر سفرًا وهي : أشعيا - أرميا - مراثي أرميا - حزقيال - دانيال - هوشع - يوثيل - عاموس - عوبيديا - يونا - ميخا - ناحوم - حبقوق - صفنيا - حجاي - زكريا - ملاخي .

٥- الأسفار اليونانية :

وهي أسفار لا تعترف بها بعض فرق اليهودية ، وبعض فرق المسيحية ، على اعتبار أنَّ المسيحية تؤمن بالعهد القديم ، وهذه الأسفار هي : طوبيا - يهوديت - استير يوناني - الحكمة - يشوع بن سيراخ - باروخ - رسالة أرميا - دانيال يوناني - المكابين الأول - المكابين الثاني .

والخلاصة : إنَّ العهد القديم مؤلف من تسعة وثلاثين سفرًا ، هذا بالإضافة إلى عشرة أسفار لم يجمع الكل على الاعتراف بها ، وبذلك يحوي العهد القديم تسعة وأربعين سفرًا .

* * *

١- نبوءات العهد القديم بالمسيح عليه السلام :

أوردت الأناجيل عدّة نصوص من أسفار العهد القديم تشير إلى تبشير الأنبياء السابقين بالمسيح عليه السلام بظهوره في بني إسرائيل ، لكنك إذا تتبعت تلك النصوص لا تجد نصّاً واحداً في العهد القديم ينطبق على النصوص المشار إليها في الأناجيل ، والتي كان من المفروض أن تتواجد بوضوح ودون لبس لتنطبق على المسيح عليه السلام .

وحاول مفكرو المسيحية أن يجدوا نصوصاً غير النصوص تلك المشار إليها في الأناجيل أمثال المفكر الميحيي القس منيس عبد النور الذي أورد سبعة وخمسين نبوءة في العهد القديم تنطبق على المسيح عليه السلام في كتابه^(١) .

والحقيقة أنّ السبع والخمسين نبوءة لا تنطبق على المسيح عليه السلام ، بل وتعارض مع حقيقة المسيح عليه السلام حسب الإيمان الميحيي والحقائق التاريخية ومواصفات المسيح عليه السلام .
وكأمثلة على ذلك نذكر ثلاث أنواع من الأمثلة :

١- تعارض مع الإيمان المسيحي نبوءة سفر التثنية (١٨ ، ١٥) والتي تقول : إنه « سيكون نبياً » والمسيح حسب الاعتقاد المسيحي أكثر من نبي .

٢- تعارض مع الحقائق التاريخية نبوءة أشعيا (٧ ، ١٤) والتي تقول : إن « العذراء تلد ابناً تدعو اسمه عمانوئيل » .

وقضية عمانوئيل : أنّ ملك دمشق رصين الآرامي حاصر القدس بهدف إسقاطها والاستيلاء عليها ، لكن آحاز ارتعد خوفاً ، وسأل أشعيا

(١) هل تجسّد الله ؟ (ص ١٠٣ و ١٠٤) .

عن نهاية الحصار هذا ، فقال له أشعيا ، وكانت زوجة آحاز حبلى :
« هاهي العذراء تحبل ولد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل - الله معنا - » فإذا
ولدت غلاماً صبيّاً يجب أن تطلق عليه اسم عمانوئيل ، وعندها سينفك
الحصار ، ويعود ملك دمشق إلى بلده ، أما إذا ولدت بنتاً فإنّ الكارثة
ستحلّ بالقدس وأهلها وبيت ملكها آحاز . وفعلاً ولدت العذراء التي
حملت ولداً ذكراً وأسموه عمانوئيل وفكّ ملك دمشق الآرامي الحصار ،
وانتهى الأمر . وليس للمسيح عليه السلام علاقة بهذه النبوءة .

٣- تعارض مع مواصفات المسيح عليه السلام : لم يعرف عن المسيح
عليه السلام ممارسته للقضاء بحيث ينصف المظلومين ، ويحقق العدالة ،
كما ورد في نبوءة أشعيا (١١ ، ٤ و ٥) كما أنّه ليس رئيس سلام حسب
ما ورد على لسانه في إنجيل متى (١٠ ، ٣٤) :

« لا تظنوا أنني جئت لأحمل السلام إلى العالم ، ما جئت لأحمل
سلاماً بل سيفاً . جئت لأفرق بين الابن وأبيه ، والبنت وأمها ، والكثرة
وحماتها ، ويكون أعداء الإنسان أهل بيته » . وورد النصّ بنفس المعنى
عند لوقا (١٢ ، ٤٩) .

بناءً على ما تقدّم فإنّه من العبث البحث عن نبوءة عن المسيح عليه
السلام في العهد القديم ، وهذا يعني : أن الأنبياء جميعهم لم يبشروا
منهم على الأقل بالمسيح عليه السلام ، وهذا لا يمكن أن يكون
صحيحاً ، فما هو السرّ في ذلك ؟

يعود السرّ في ذلك إلى أنّه بعد المسيح عليه السلام بحوالي نصف
قرن ، وبعد تهديم الهيكل وتشتت اليهود في عام ٧٠ ميلادية عكف أحبار
اليهود على كتابة العهد القديم بالشكل الذي يحذفون منه أيّ نبوءة
بالمسيح عليه السلام ويؤكد رأينا هذا : أنّ أقدم مخطوطات العهد القديم

تعود إلى القرن الأول أو الثاني قبل الميلاد ، حيث وجدت هذه المخطوطات في مغائر قمران قرب البحر الميت التي وجدت بين عامي ١٩٤٧-١٩٥٢ م ، وجد فيها مايلي :

- ١- بردية ناش : وهي مكتوبة على ورق البردي تشمل الوصايا العشر كما وردت في سفر التثنية (٦ ، ٤ - ٩) .
- ٢- سفر أشعيا الكامل ، ويعود تاريخ كتابة هذا الدرج (ورقة مطوية من البردي) إلى القرن الثاني قبل الميلاد .
- ٣- بعض أجزاء من سفر أشعيا ، وسفر حبقوق وتفسير له .
- ٤- واحدٌ وأربعون مزموراً من المزامير المتعارف عليها اليوم .
- ٥- مئة درج تشمل بعض النصوص من كل أسفار العهد القديم ما عدا سفر أستير^(١) .

ويعترف اليهود والمسيحيون على السواء بوجود فروق بين العهد القديم حسب نصوص قمران وبين نصوص العهد القديم في وصفه الحالي ، لكنهم يعتبرون أنَّ هذه الفروق طفيفة ، كما ورد في المرجع المذكور .
لكنَّ الحقيقة أنَّ مقارنة نصوص قمران مع نصوص النسخة اليونانية للعهد القديم تظهر فروقاً كبيرة ، وخطيرة بين مخطوطات قمران والنصوص اليونانية^(٢) .

« حوالي سنة ٩٠ ب . م . التقى معلمو الشريعة اليهودية من مختلف البلدان في بلدة يمنية الواقعة في فلسطين ، وثبَّتوا لائحةً نهائيةً وكاملةً للأسفار المقدسة ، وفي ذلك الاجتماع تبنا موقف يهود فلسطين .
أما اليهود الذين أقاموا خارج فلسطين ، ولا سيَّما الإسكندرية ،

(١) الكتاب المقدس للقارىء العربي - د . القس عبد المسيح أسطفانوس (ص ٥٠) .

(٢) راجع مخطوطات البحر الميت .

فترجموا الأسفار المقدسة إلى اليونانية ، وهي الترجمة المسماة (السبعينية) نقلاً عن يهود فلسطين ^(١) .

من هنا نجد أنَّ عام ٩٠ بعد المسيح هو الوقت المناسب لإسقاط وحذف النبوءات الواردة في العهد القديم عن المسيح عليه السلام ، ولم لا يفعلها اليهود ؟ طالما أنَّهم لا يؤمنون بالمسيح عليه السلام ، وطالما أنَّ الأمر في أيديهم ، فإنهم لن يتورعوا عن هذا الشطب ، وخصوصاً أنَّ هؤلاء هم كتبة المشنا والجيمارا اللتين تشكلان التلمود الذي نعتوا فيه المسيح وأُمَّه عليهما السلام بأبشع النعوت وأقساها .

كما أنَّ عدم وجود أيِّ إشارة في العهد القديم إلى نبوءة المسيح عليه السلام يجعل أصابع الاتهام كلها تتجه لذلك الاجتماع أقصد اجتماع يمنية عام ٩٠ بعد الميلاد ؛ لأنَّه عملٌ منظمٌ ، ومقصودٌ ، هدفه النهائي عدم الاعتراف بالمسيح عليه السلام ، طالما أنَّ رؤساء الاجتماع كانوا يهود فلسطين ، الذين عرفوا عن المسيح عليه السلام ما يكفي لشطب نبوءته من أسفار العهد القديم ، وما يكفي لتشويه صورته وأمه لدى أتباعهم في التلمود .

وعلى العكس من ذلك البشارات بنبوءة محمد ﷺ ، فقد تركت في نفس الاجتماع المذكور ؛ لأنَّهم كانوا ينتظرون هذا النبيِّ بفارغ الصبر ظناً منهم أنَّه سيكون من بين اليهود ، ولو تيقَّن اليهود من أنَّ النبيَّ الذي ينتظرونه سيكون عربياً لحذفوا من العهد القديم كافة الإشارات والبشارات التي تشير إليه ، وهذا ما اعترف به كثير من أحبار اليهود الذين اتَّبَعُوا الإسلام ونبوءة محمد ﷺ .

* * *

(١) الكتاب المقدس طبعة ١٩٩٣ م لجمعية الكتاب المقدس في لبنان - المقدمة .

٢- بشارة الله تعالى لإبراهيم : أن يخرج من نسل إسماعيل أمة عظيمة :

تزوج إبراهيم هاجر ، فرزقه الله بإسماعيل عليهم السلام أجمعين ، وحسب رواية التوراة فإن هاجر جارية مصرية (ولا يجوز لنبي أن يكون له خدم بل أتباع ، وكانت هاجر تابعة له مثل إلعازر الدمشقي) . حملت فتكبرت على سارة ، فطردها ، لكن ملاك الرب ظهر لها ، وقال : « كثيراً أجعل نسلك حتى لا يحصى لكثرته ، وقال أيضاً : أنت حبلى ، وستلدن ابناً فتسمينه إسماعيل »^(١) .

وبعد اثني عشر عاماً من ولادة إسماعيل عليه السلام بشر الله إبراهيم وسارة عليهما السلام بإسحاق ، وعندها طلب إبراهيم عليه السلام أن يكون الوعد بالأرض والنبوة لإسماعيل عليه السلام ، قال له الرب : « وأما إسماعيل فسمعت لك ، وها أنا أباركه ، وأني ، وأكثره جداً ، ويلد اثني عشر رئيساً ، وأجعل نسله أمة عظيمة »^(٢) .

فإذا كان الذين ينسبون أنفسهم إلى إسحاق هم اليهود ، وكان تعدادهم سبعة عشر مليون نسمة اليوم ، فإن نسل إسماعيل اليوم يقاربون المئتي مليون والنصف ، وإذا كان أقوى ملك ظهر في بني إسرائيل هو سليمان عليه السلام ، فإن محمداً ﷺ قد وصلت دولته التي شكل نواتها حتى الصين شرقاً وإلى فرنسا غرباً ، ويبلغ اليوم تعداد المسلمين ملياراً وأربعمئة مليون مسلم ، وخرج من نسل إسماعيل عليه السلام أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، ومعاوية ، وعبد الملك ، والوليد ، والرشد ملوك

(١) التكوين (١٦ ، ٧-١١) .

(٢) التكوين (١٧ ، ٢٠) .

عظام لدولة عظيمة ، وأمة عظيمة . وبذلك صدقت بشارة الله في إسماعيل فقط ، بينما لا تنطبق على إسحاق أبداً .

وطالما أننا نتحدث عن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام فإنني أجد نفسي مضطراً لتفنيد مزاعم اليهود الذين يدّعون بأنّ الله وعد إبراهيم عليه السلام في أرض الميعاد (فلسطين) .

أقول : إنّ قضية أرض الميعاد التوراتية ما هي إلا شعار كاذب رفعه اليهود ، وشهد عليه الغرب زوراً مستغلين غطاء الانتداب لجمع شتات اليهود في فلسطين ، وطرد العرب من فلسطين نتيجة تنكيل الإنكليز بالعرب ، وارتكاب المجازر في حقهم على يد الغزاة اليهود .

وكانت النتيجة دولة يهودية يشكل ٢٠٪ منهم يهود متدينون و ٨٠٪ منهم يهود ملاحدة ، ومع ذلك يدّعون بأنّ لهم حقاً توراتياً في فلسطين . والسؤال الذي سنجيب عليه هو : هل تضمنت التوراة حقاً وعداً لليهود ؟

تصرح التوراة في بعض النصوص أنّ الله قد وعد إبراهيم عليه السلام فعلاً بأن يسكن نسله فلسطين ، فقال له :

« سأنميك كثيراً جداً ، وأجعلك أمماً ، وملوكاً ، من نسلك يخرجون ، وأقيم عهداً أبدياً بيني وبينك وبين نسلك من بعدك ، جيلاً بعد جيل ، فأكون لك إلهاً ، ولنسلك من بعدك ، وأعطيك أنت ونسلك من بعدك أرض غربتك ، كل أرض كنعان ، ملكاً مؤبداً ، وأكون لهم إلهاً »^(١) .

وعندما خاطب الله إبراهيم عليه السلام كانت هاجر قد ولدت إسماعيل^(٢) .

(١) التكوين (١٧ ، ٦-٨) .

(٢) التكوين (١٧ ، ٢٣) .

وبعد اثني عشر عاماً بشر الله إبراهيم عليه السلام بأنه في العام القادم سوف يولد له إسحاق من سارة ، عند ذلك طلب إبراهيم عليه السلام من ربّه أن يكون الوعد لإسماعيل عليه السلام ، فأجابه الله لذلك ، وقال له :
« وأما إسماعيل فسمعت لك ، وها أنا أباركه ، وأمنيه ، وأكثره جداً ، ويلد اثني عشر رئيساً ، وأجعل نسله أمة عظيمة »^(١) .

ولما كان الله قد أمره بالختان ؛ فقد ختن إبراهيم نفسه ، وابنه إسماعيل عليهما السلام^(٢) .

وحَدّد الله لإبراهيم عليه السلام الأرض التي ستكون لنسله ، فقال :
« لنسلك أهب هذه الأرض ، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » .

وهكذا نرى أنّ الأرض الموعودة لنسل إبراهيم كانت وعداً ، حيث كان لإبراهيم ولدٌ واحدٌ فقط هو إسماعيل عليه السلام ، إذ أن نسل إسماعيل هو صاحب الحق بهذا الوعد ؛ لأنّ إسحاق لم يكن قد خلق بعد ، وولادة إسحاق أو حتى ولادة خمسين ولداً لإبراهيم لا تلغي حقّ إسماعيل في وراثة الأرض ؛ لأنّه وعدٌ خاصٌّ لإسماعيل حصراً ، ومن جهة أخرى فإنّ حقّ إسماعيل في وراثة الأرض تمنحه التوراة لإسماعيل لأنّه بكر أبيه حسب قانون البكورية التوراتي^(٣) .

وفي موضع آخر من التوراة تكرّر الوعد أيضاً لإبراهيم عليه السلام على الشكل التالي : « وبعد هذه الأحداث امتحن الله إبراهيم ، فقال له : يا إبراهيم ! قال : نعم ، هاأنا ، قال : خذ إسحاق ابنك وحيدك الذي

(١) التكوين (١٧ ، ٢٠) .

(٢) التكوين (١٧ ، ٢٦) .

(٣) التكوين (٢٥ ، ٣١) .

تجبه ، واذهب إلى أرض مورية ، وهناك أصعده محرقة على جبل أدلك عليه «(١) .

وبعد ذلك نفذ إبراهيم ما قاله له الله ، وعندها همّ بتقديم ابنه محرقة ، فناداه ملاك الرب ، وقال :

« لا تمدّ يدك إلى الصبي ، ولا تفعل به شيئاً ، الآن عرفت أنك تخاف الله ، فما بخلت عليّ بابنك وحيدك » . فرفع إبراهيم عينيه ، ونظر فرأى وراءه كبشاً عالقاً بقرنيه بين الشجيرات ، فأقبل على الكبش ، وأخذه وقذمه محرقة بدل ابنه «(٢) .

« يقول الرب : بما أنك فعلت هذا ، وما بخلت بابنك وحيدك ، فأباركك وأكثر نسلك كنجوم السماء والرمّل الذي على شاطئ البحر ، ويرث نسلك مدن أعدائه ، ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض لأنك سمعت لي »(٣) .

يلاحظ من خلال هذه النصوص أنّ كتبة التوراة نسبوا الذبح والحرق إلى إسحاق في حين أنّ النص أشار ثلاث مرّات إلى كلمة (وحيدك) فالوحيد يعني من لا أخ له ، والذي لا أخ له كان وقتها إسماعيل حيث لم يكن (الصبي) له أخ آخر ، من أجل ذلك فهو إسماعيل عليه السلام قطعاً ، وليس إسحاق .

ثم إن مدلول النصّ يشير إلى أنّ الأمر بتقديم الصبي محرقة هو امتحان من الله تعالى لإبراهيم عليه السلام ، في الوقت الذي كان فيه أهل البلاد الأصليون وثنيين يذبحون أبنائهم لبعل عندما يكون لديهم أكثر من ولد

(١) التكوين (٢٢، ٢) .

(٢) التكوين (٢٢، ١١) .

(٣) التكوين (٢٢، ١٦) .

واحد ، وهنا تبرز أهمية الامتحان ، والذي يهدف إلى أن ياتمر إبراهيم بأوامر الله ، حتى ولو كان ولده وحيداً رزقه الله به بعد تاريخ طويل من العقم ، ونجح إبراهيم عليه السلام في الامتحان ، حيث فدى الله ابنه بكبش ، ومن هنا فإنّ الذبيح هو إسماعيل حصراً وليس إسحاق ، فلو كان إسحاق عندها مولوداً لكان إبراهيم مقلداً لعبدة بعل ؛ الأمر الذي لا يمكن قبوله بالنسبة لإيمان إبراهيم عليه السلام .

وخلاصة القول ، وحسب التوراة :

١- إنّ الوعد لإبراهيم عليه السلام كان في نسل إسماعيل عليه السلام ، وليس في نسل إسحاق عليه السلام ؛ لأنّ الوقت الذي وُعد فيه إبراهيم عليه السلام بالأرض كان لم يخلق به إسحاق عليه السلام بعد .

٢- حقّ البكورية التوراتي يعطي لإسماعيل عليه السلام ولنسله من بعده الحق في وراثة الأرض ويمنعه عن إسحاق عليه السلام ، ونسله .

٣- إنّ وعد إبراهيم عليه السلام بالأرض هو من حق من ينقذ به الختان ؛ لأنّ الختان حسب التوراة هو علامة على جسد أبناء إبراهيم عليه السلام ليبدل على وعد الله لهم بالأرض .

٤- لقد كان وعد الله لإبراهيم عليه السلام لابنه الذبيح ، والذبيح هو إسماعيل عليه السلام ، وليس إسحاق عليه السلام ؛ لأنّه لا يمكن أن تغيب هذه الحقيقة على الله عندما وعد إبراهيم عليه السلام بأن يصف ابنه إسحاق بالوحيد في حين أنّ أخاه إسماعيل عليه السلام حيّ يرزق ، الأمر الذي يبدو واضحاً عندما قام إسماعيل وأخوه إسحاق عليهما السلام بدفن أبيهم إبراهيم سويلاً^(١) ، وهذا يعني : أنّ إسماعيل كان حيّاً يرزق عند الوعد ، وكان وحيد أبيه حينها .

(١) التكوين (٢٥ ، ٩) .

٥- إذا كان الموعد بالأرض هو إسحاق عليه السلام ، فإنَّ الحقائق التاريخية يجب أن تؤكد ثلاث حقائق حتى يكون هذا الوعد صحيحاً :

أ- كثرة النسل للموعد .

ب- إرث نسل الموعد لمدن أعدائه .

ج- تبارك الأمم في نسل الموعد .

أ- كثرة نسل الموعد :

على الرغم من أنَّ أبناء إسحاق عليه السلام لا يرتبطون بأيِّ صلة بيهود العالم اليوم ، فإنَّه من المعروف عالمياً أنَّ تعداد اليهود الموجودين في الكرة الأرضية اليوم لا يتعدَّى سبعة عشر مليوناً ، في حين أنَّ أبناء إسماعيل عليه السلام اليوم يناهزون المئتين وخمسين مليون نسمة باعتراف العالم كُلِّه ، إذاً فإنَّ الوعد في الأرض هو لأبناء إسماعيل عليه السلام الذين هم العرب ، والذين تحققت هذه النقطة من الوعد بهم .

ب- وراثه نسل الموعد لمدن أعدائه :

إنَّ البقعة الجغرافية للوعد هي جنوب تركية حيث نبع الفرات وشمال الحبشة حيث نبع النيل ، وغرب العراق ، وشرق مصر مروراً بوادي النيل . الأمر الذي يعني أنَّ أبناء إسحاق عليه السلام يجب أن يرثوا بشكل أو بآخر المدن الواقعة خلال البقعة الجغرافية المذكورة .

لكنَّ الذي حدث منذ تواجد إبراهيم عليه السلام في الأرض المقدسة وحتى طردهم منها في عام ٧٠ ميلادية ، كان أعداؤهم هم حكام مدنهم من الآشوريين ، إلى الآراميين ، إلى المصريين ، إلى اليونان ، إلى الرومان .

بينما نجد أنَّ أبناء إسماعيل عليه السلام انطلقوا من الجزيرة العربية ليعيدوا إخوانهم العراقيين والشاميين والمصريين والمغربيين إلى حظيرتهم العربية بعد أن استعمرهم اليونان والفرس ، واليونان ليعيدوهم إلى الأسرة العربية في وقتٍ اعتبر به أعداؤهم أنَّ أرض العرب ومدنها هي بلادهم وأرضهم ، وبذلك ورث نسل إسماعيل عليه السلام مدن أعدائه ، وتوارثها ، وها نحن اليوم قد ورثنا المدائن العراقية التي احتلها الفرس ، وكانت عاصمتهم ، واستعدنا حمص التي كانت حاضرة الروم المتقدمة ، واستعدنا الإسكندرية التي لم يتخيَّل الإسكندر يوماً أنَّه سيتركها ، واستعدنا اليمن التي كانت عين الفرس الساهرة على الجزيرة العربية ، واستعدنا تونس قاعدة الروم المتقدمة على إفريقية ، وكذلك المغرب ، وكذلك في هذه النقطة ، قد تحقق الوعد في نسل إسماعيل عليه السلام ، ولم يتحقق أبداً في نسل إسحاق عليه السلام في هذه النقطة أيضاً .

ج- تبارك الأمم في نسل إسحاق عليه السلام :

من المفروض أن تبارك الأمم بنسل إسحاق عليه السلام إذا كان الوعد لنسل إسحاق عليه السلام صحيحاً وإلى الأبد .

لكن مجريات الأحداث لا تشير إلى تبارك الأمم المختلفة بهذا النسل الإسحاقى أبداً ، فلقد وضع فراعنة مصر خطة لإبادة النسل الإسحاقى عن طريق قتل الذكور والإبقاء على الإناث ، لولا أن أنقذ الملة بني إسحاق بمخرجهم موسى عليه السلام . ثم قضى الملك الآشوري سرجون الثاني سنة ٧٢٢ ق . م على نصف بني إسحاق قتلاً وتهجيراً ، ثم أكمل نبوخذ نصر الملك الكلداني سنة ٥٨٦ ق . م على النصف الباقي من بني إسحاق قتلاً وتهجيراً ، ثم عادت بقاياهم إلى القدس حتى سنة ٧٠ ميلادية حيث

شُتَّتَ الإسحاقيون في جميع بقاع العالم ، واندثر بنو إسرائيل ، وساحوا في الشعوب التي دخلوا إليها .

وعندما ظهرت اليهودية من جديد (من اتبعوا اليهودية من غير بني إسرائيل) في أوربة في منطقة الخزر تحديداً ، عادت الدول إلى التكيل باليهود من جديد ، فلاحقهم القياصرة ، ولاحقهم ونكّل بهم الإسبان ، والطيّان ، وأكبر واقعة جرت عليهم إبّان الاجتياح الهتلري لأوربة حيث راح يجمعهم من أنحاء أوربا ليقتضي عليهم بطريقة (الهولي كوست) والسجن ، والتعذيب ، ومن ثمّ إحراق الجثث .

وهنا الأمر العجيب ، فإذا كانت مآسي اليهود وقعت حديثاً على يد المسيحيين الذين يؤمنون بالعهد القديم ، فهل يمكن اعتبار المجازر التي ارتكبوها في رقاب اليهود تبركاً بهم ؟

بالطبع إنَّهم لم يتبركوا بهم أبداً ، ولا حتى تُركوا لشأنهم ، بل راحوا يقتلونهم ، ويذبحونهم ، ويحرقونهم . . .

في حين أنّ أبناء إسماعيل يدعون في غير بلادهم إلى اليوم بأبناء الصحابة ، ويسمون اللغة العربية (لغة الله) واعتبروا حروفها حروفاً مقدسة ، وراحوا يكتبون لغاتهم بالحروف العربية ، الفارسية ، والباشتاوية ، والأوردية ، والمالاوية ، وبعض مناطق الهند ، وبعض البقاع الإفريقية لازالت تكتب لغتها بحروف عربية ؛ أما تركية فإنها كانت تكتب بالحرف العربي حتى عام ١٩٢٣ حيث راحوا يكتبون لغتهم بالحروف اللاتينية بناءً على أوامر أتاتورك ؛ ضارباً بعرض الحائط معارضة المؤمنين الأتراك .

هذا على عموم أبناء إسماعيل عليه السلام ، وإذا أردت اختيار هذه البركة فاذكر اسم محمد ﷺ ، أو ابنته فاطمة ، أو عمّه العباس ، أو ابن

عمه عليّ بن أبي طالب ، أو عمار بن ياسر ، أو حمزة بن عبد المطلب ، أو الزبير بن العوّام ، أو سعد بن أبي وقّاص ، أو أيّ رجلٍ من الرجال الذين صاحبوا الرسول ﷺ وانظر إلى أقوال ، وأفعال ، ووجوه المسلمين من غير العرب ، وعندها سوف تعلم مقدار التبرّك الذي يديه هذا المسلم من غير العرب بأبناء إسماعيل عليه السلام .

وربّ قائلٍ يقول : إنّ اضطهاد القياصرة والإسبان لم يكن لليهود فقط بل طال المسلمين أيضاً ، أقول : إنّهُ ليس غريباً أن يضطهد الميحيّون المسلمين ؛ لأنّهم لا يؤمنون بالإسلام أصلاً ، بينما العجيب أن يضطهد الميحيون اليهود على الرّغم من أنهم يؤمنون بكتب اليهود وأنبيائهم .

والشيء المثير للاشمئزاز أنّ هؤلاء الميحيين الغربيين أشفقوا على اليهود فجأةً ، فقرّروا ترحيلهم إلى فلسطين التي يعيش عليها أبنائها من قبل إبراهيم عليه السلام ليشرّدوهم من أرضهم ، وليشرّدوا اليهود أيضاً في أرض هؤلاء ، فتجد أنّ اليهوديّ الفرنسيّ يترك باريس ليعيش في مستوطنةٍ على سفوح الجليل ، ويترك اليهوديّ الروسيّ موسكو ولينغراد ليكن في مستوطنات النقب ، ويترك اليهوديّ نيويورك ليعيش في شمال صحراء سيناء قرب غزّة .

ويترك اليهوديّ بولونيا ليعيش في مستوطنات الجولان ، فأئيّ غباءٍ يهوديٍّ وأيّ مكرٍ غربيّ جعل الغربيين يقذفون باليهود من بلادهم إلى بلد العرب المقدّس فلسطين !!؟

أيها اليهود...

أقول لكم إنّ الغرب لا يدعمكم حبّاً بكم ، بل إنّ دعمه لكم شكليّ جديدٌ من أشكال اضطهادكم ، يريد أن يثبتكم في أرض لا يملكها

متجاهلاً أهلها الذين يقف وراءهم كلُّ العرب ، وكلُّ المسلمين ، حتى إذا ما ظهروا اليوم لكم ضعفاء ، فإنَّهم يؤمنون بالله الذي أخرج لهم صلاح الدين بأنَّه سوف يرسل لهم صلاح الدين الثاني الذي سيرجعكم إلى بلادكم ، وإنَّه والله للدين الإسلام يحزِّم عليهم أن يسفكوا دماءكم ، أو أن يسلبوا أموالكم ، أو يؤذونكم في دينكم إلا إذا اعتديتم ، وها أنتم قد اعتديتم ، فسلِّبتم أرضهم ، وقتلتم أطفالهم ، واستباحتم أعراضهم ، ودنستم مقدساتهم ، فحوَّلتم مساجدهم إلى مواخير ، وسلبتم خيرات بلادهم ، وتريدون أن تسلبوا أعز مقدساتهم المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي . والله إنَّ توراتكم لا تأمركم بما فعلتم ، وأشهد الله أنكم فاسدون مفسدون في الأرض ، وعلى ذلك يشهد بعضكم ببعض .

فاحقنوا دماءكم ، وارحموا نساءكم وذرايكم ، وحافظوا على أموالكم ، وارجعوا من حيث جئتم ، وعيشوا بين ظهرائهم رغماً عنهم ، فهم من استحلوا دماءكم ، وهتكوا أعراضكم ، وقطعوا أنسالكم ، في الوقت الذي فتح لكم المسلمون بلادهم وصدورهم ، فرحموكم يوم ظلمكم الناس ، وأعطوكم يوم منع عنكم الناس ، وملكوكم ، ووزروكم يوم استعبدكم الناس . . .

أيها اليهود! أنتم لستم أعداءهم ، فالمسلمون لا يستعبدون أحداً في دينه إلا أنكم سلبتم أرضاً لهم ، ونهبتم أموالاً لهم ، وابتلعتهم تاريخاً لهم ، وحشرتكم أنفسكم في حلوقهم ، وأذللتهم كبرياءهم ، وتأبى العروبة ، ويأبى الإسلام ما فعلتموه .

لا يغرنَّكم أنهم ضعفاء متفرقون ، فلقد اغترَّ الصليبيون ، بفرقتهم وضعفهم ذات حقبة ، وبعد فترة أبيدت جيوش الصليبيين ، وقذف بالباقيين إلى ما وراء البحر .

أيها اليهود! . . تأكدوا جيداً من أن توراتكم لم تعدكم يوماً بفلسطين ،
فأصحاب الوعد هم العرب أبناء إسماعيل عليه السلام إن كنتم تؤمنون
بالتوراة .

وإن كنتم لا تؤمنون بالتوراة فعودوا إلى الذين جلدوكم عبر
التاريخ ؛ ليعطوكم أرضاً من أرضهم ، فتعيشون عليها بهناء ورغدٍ
واطمئنانٍ!!!

* * *

٣- بشارة يعقوب عليه السلام بالشيلوه :

عندما شعر يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام بدنو أجله جمع أولاده الاثني عشر ، وقال : « اجتمعوا لأنبئكم بما يحدث لكم في الأيام الآتية » وراح يقول لكل ولد من أولاده ماذا سيكون مصير نسله حتى وصل إلى ابنه يهوذا ، حيث قال له :

« لا يزول الصولجان من يهوذا ، ولا عصا السلطان من صلبه ، إلى أن يتبوأ في شيلوه ، من له طاعة الشعوب »^(١) .

والحقيقة تقال : إنَّ هذه النبوءة تحققت ؛ لأنَّ ملوك بني إسرائيل كانوا من نسل يهوذا إلا أنَّهم لم تخضع لهم الشعوب ، فقد كانوا أنبياء وملوكاً لبني إسرائيل فقط .

إذاً ما معنى عبارة « إلى أن يتبوأ في الشيلوه من له طاعة الشعوب » والعقدة في العبارة هي كلمة (شيلوه) ولكي نعرف معنى هذه الكلمة يجب الرجوع إلى النسخ الأصلية التي كتبت بها هذه النبوءة!!

لابدَّ للرجوع إلى النسخ الأصلية من معرفة العبرية ، والسريانية ، واليونانية ، فلا بدَّ إذاً من معرفة رأي من يجيد هذه اللغات ، لذلك نرجع إلى الكاتب القميس دافيد بنجامين كلداني ، والذي أسلم واتخذ اسماً إسلامياً هو (عبد الأحد داود) :

ولد دافيد في أورميا سنة ١٨٦٧ م في إيران ، ودرس علم اللاهوت ، وترفع في المراتب الكنسية ، وأصبح قسِّمًا مسيحيًا ، ولكن عند مناظرته لعالم إسلامي في إستانبول عام ١٩٠٤ م خرج مسلماً ، وأعلن إسلامه .

(١) التكوين (٤٩ ، ١٠) .

يُعتبر عبد الأحد داود ضليعاً في الكتاب المقدس ، لكونه يجيد
الفارسية ، والتركية ، والآرامية ، والعبرية ، والإنكليزية ، والفرنسية .
وقد ألف كتباً عديدة بعد إسلامه منها كتاب « محمّد في الكتاب
المقدّس » الذي ننقل منه بتصريف تفسيره لكلمة (شيلوه) :

فعلى اعتبار أنّ النصّ العبري هو أصل كل الترجمات ، فالترجمة
العبرية لبركة يعقوب هي : « لا يزول صولجان من يهوذا أو مُشرّع من بين
قدميه ، حتى يأتي شيلوه ويكون له خضوع الشعوب » .

إنّ (شيلوه) الواردة في النص لا يمكن أن تكون اسم قرية ، لكن
المحتمل أن تكون اسم شخص ، فالكلمة حيثما وجدت في الكتاب
المقدس تعني اسم شخص مؤلف من أربعة أحرف عبرية .

وشيلوه في السريانية تتكون من (ش - لوه - ها) وتعني (هو الذي
له) ومن الممكن أن يكون معناها (السالم - الهادىء - الوديع - الموثوق -
الصالح) .

أما شيلوه باليونانية فهي تأخذ معنى (شيلواح العبرية) يعني
(رسول) أو تعني طلاق^(١) .

وبناءً على المعاني العبرية ، والسريانية ، واليونانية تصبح بركة
يعقوب كما يلي : [يزول ملك وشريعة يهوذا وارث يعقوب عندما يأتي
الشخص الذي يخصه الملك والتشريع رسول الله (الصالح - الهادىء -
الوديع - الموثوق - المسالم) الذي تخضع له الشعوب] .

الأمر الذي يدعونا إلى البحث عن هوية الشيلوه ، فمن هو هذا
الشيلوه ؟

(١) راجع كتاب محمد في الكتاب المقدّس - د. عبد الأحد داود (ص ٧٧) .

لقد قالت اليهود : إنه موسى عليه السلام ، وقال المسيحيون : إنه المسيح عليه السلام ، أما المسلمون فيقولون : إنه محمد ﷺ !! وذلك بناءً على ما يلي :

فعلى الرغم من أن موسى عليه السلام قد نظم أسباط يعقوب إلا أنه لم يكن ملكاً ، ولم يكن حاكماً له دولة ، كما أن الشيلوه ليس داود عليه السلام ؛ لأنه بدأت به النبوة والملك معاً ، وبركة يعقوب تقول : إن الشيلوه ينهي ظهوره ملك سبط يهوذا .

والشيلوه حسب المعتقدات اليهودية ليس هو المسيح عليه السلام ؛ لأنَّ المسيح الذي تنتظره اليهود له سلطة زمنية ، ويعيد مملكة داود ، ويجمع شتات بني إسرائيل ، ويخضع العديد من الأمم تحت سلطته .

والشيلوه حسب نبوءة يعقوب لا تقدر المسيح عليه السلام كما تؤمن به المسيحية ؛ لأنَّ المسيح عليه السلام رفض فكرة أن يكون المسيح الذي تنتظره اليهود ؛ لأنَّ المسيح المنتظر حسب اليهود هو من سلالة داود والمسيح عليه السلام ليس من نسل داود ؛ لأنه ليس له أب أصلاً^(١) .

كما رفض المسيح عليه السلام محاولة تتويجه ملكاً عندما نادى به الناس ملكاً في أورشليم ، حيث هرب واختبأ^(٢) .

هذا وقد أعلن المسيح عليه السلام منذ البداية أنه جاء لتحقيق شريعة موسى عليه السلام ، وليس لإلغائها ، كما أعلن أنه لم يرسل إلى كل الأمم بل لليهود فقط ، وليس لكل اليهود بل استثنى السامريين منهم^(٣) . إذاً المسيح عليه السلام لم يبلغ شريعة موسى عليه السلام ، وليس ابناً

(١) متى (٢٢، ٤٥) ومرقص (١٢، ٣٧) ولوقا (٢٠، ٤٤) .

(٢) مرقص (١١، ١٠-١١) ويوحنا (٦، ١٤) .

(٣) متى (١٠، ٥-٦) .

لداود ، وليس ملكاً ، ولم تخضع له أمة من الأمم خضوعاً زمانياً على الأقل ، فليس هو الشيلوه!!

إذاً فالشيلوه ليس موسى عليه السلام وليس هو المسيح عليه السلام ، فالشيلوه إذاً هو محمد ﷺ نظراً للأسباب التالية :

١- لقد انتقل إلى محمد ﷺ السلطة (الصولجان) والشرية :

لأنه جاء بشريعة جديدة غير شريعة موسى والمسيح عليهما السلام ، فتبعه أشخاص من اليهود ومن المسيحيين ، كما أنه طَهَّر الأوثان في الأراضي المباركة من اليمن إلى الشام ، ودانت له العرب ، والفرس ، والديلم ، والترك ، والهنود ، والأحباش .

٢- شيلوه الآرامية :

أطلقت قريش على محمد ﷺ قبل ظهور نبوته لقب الأمين الذين كانوا يعرفونه به ، وهي صفة تنطبق مع إحدى المعاني الآرامية لكلمة (Shilh) التي تعني (الهادىء - المسالم - الأمين - الوديع) دون أن تعرف قريش شيئاً عن الشيلوه أو الكتاب المقدس .

٣- في اللغة العبرية تتكرر كلمة (شيلوه) كلما كان هناك ذكر لنبي من الأنبياء ، واشتقاقاً من كلمة شيلوه تشتق كلمة (شيلواح) التي لا تذكر إلا في بركة يعقوب التي تذكر عبارة (شلواح ألوهيم) والتي تعني رسول الله ، فإذا علمت أنَّ القرآن الكريم خاطب محمداً ﷺ بلقب رسول الله علمت أنَّ شلواح ألوهيم هي لقب لمحمد ﷺ رسول الله دون سائر الأنبياء الذي يذكره القرآن الكريم ، وورد في العهد القديم فقط في بركة يعقوب بالذات ، وهذا يعني تطابق الوصف العبري في العهد القديم مع اللقب الذي أطلقه الله على محمد ﷺ في القرآن أعني وصف (رسول الله) .

يعني شلواح ألوهيم بالعبرية = رسول الله بالعربية ، وهذا لا ينطبق إلا على محمد ﷺ دون سائر الأنبياء .

٤- إذا كان اليهود وقد شئتوا منذ عهد نبوخذ نصر ، ولم تقم لملكهم قائمة لملك ولا صولجان ، وإذا ضاعت أسباطهم فلا يعرف الواحد منهم من أي سبط ينحدر ، والشيلوه يجب أن ينحدر حسب النبوءة من سبط غير سبط يهوذا الذي كان يملك الصولجان والشرعية إلى سبط من غير أبناء يعقوب ، فإن ذلك يعني فقدان الصولجان والشرعية من يد أبناء يعقوب كلهم إلى فرع غيرهم ، وبالتالي فإن اليهود لا ينتظرون إلا سراياً .

كذلك فإن المسيحيين ينتظرون سراياً ، لأن المسيح نفسه (من جهة الأم على الأقل ينحدر من سبط يهوذا) فإن المسيح عليه السلام انتهى به سبط يهوذا ولن يظهر أحد بعده .

فإذا كان اليهود ينتظرون الشيلوه لينقذهم ، فهل الإنقاذ لا يصلح إلا إذا كان الشيلوه يهودياً ؟

فإذا كانوا يؤمنون بإله إبراهيم عليه السلام فأبي ابن من أبناء إبراهيم عليه السلام يصلح لأن يملك الصولجان والشرعية ، فيخلصهم سواء كان ابنه من زوجته سارة أو من زوجته هاجر !!!

* * *

٤- بشارات موسى عليه السلام بمحمد ﷺ :

ورد على لسان موسى عليه السلام في التوراة عدّة بشارات بمحمد ﷺ وهي :

أولاً : البشارة الأولى : نبيّ موحدٌ من مكة يحطم الأصنام :

جمع موسى عليه السلام قبل موته بني إسرائيل وقال لهم :

« أقبل الله من سيناء ، وأشرق لهم من جبل ساعير ، وتجلّى من جبل فاران ، وأتى من ربى القدس ، وعن يمينه نار مشتعلة »^(١) .

ونظراً لأنّ العبارة يكتنفها بعض الغموض لذلك نلجأ إلى النص العبري ، والذي ترجمته إلى العربية حسب تعبير عبد الأحد داود كمايلي :

« جاء الرب من سيناء ، وأشرق من ساعير ، وتلألاً قدماً من فاران ، وجاء ومعه عشرة آلاف قديس ، وفي يده اليمنى برزت نار شريعة لهم »^(٢) .

والمقصود بجاء الرب من سيناء : أنّ النبوة ظهرت في وسط ظلام الشرك العالمي على موسى عليه السلام في سيناء ، ولما حرّف اليهود وشوّهوا شريعة موسى عليه السلام أشرقت نبوة المسيح عليه السلام في ساعير التي كانت معروفة تماماً لدى أبناء المنطقة ؛ لدرجة أن العلامة ابن قيم الجوزية أورد في كتابه هداية الحيارى المؤلف في القرن الرابع عشر

(١) التثنية (٢٣، ٢) .

(٢) محمد في الكتاب المقدّس - د. عبد الأحد داود (ص ١٩) .

الميلادي أنَّ ساعير قرية قريبة من القدس فيها جبل معروف وحتى أيامنا هذه ، فإن ساعير معروفة من قبل أهل القدس ، فظهر المسيح عليه السلام ليصحح شريعة اليهود .

وسيناء وساعير لا خلاف في معرفة موقعهما ، لكن الخلاف في معرفة جبل فاران ، فأين تقع فاران ؟

ورد في سفر التكوين أنَّ سهل فاران هو على حدود الصحراء^(١) ، وورد أيضاً « كان الله مع الصبي (إسماعيل) حتى كبر فأقام بالصحراء ، وكان رامياً للقوس ، وحين أقام بصحراء فاران زوجته أمُّه امرأة من أرض مصر »^(٢) .

من العبارتين نجد أنَّ وجود سهل فاران وأيضاً صحراء لفاران يقتضي وجود فاران المشهورة والمعروفة لدى الجميع لدرجة وجود سهل وصحراء ينتسبان إليها ، فطالما أنَّ إسماعيل عليه السلام سكن الصحراء فلا بدَّ أنَّه سكن فاران التي ينتمي إليها سهل وصحراء وجبل .

وطالما أنَّه ليس في كلِّ صحراء العرب غير مكة فإنَّ فاران هي مكة التي هي مشهورة ، ومعروفة ، ومتميزة لدى كافة السكان المجاورين لفاران . وعبرة (تجلى من جبل فاران) تعني شيئاً واحداً ، وهو : أن نبياً يبعث في مكة ، كما بعث الله موسى والمسيح عليهما السلام أول ما تظهر نبوته على جبل فاران (شعب من شعاب مكة) .

وبالطبع لا يستطيع أحد أن يجد أيَّ علاقة بين موسى عليه السلام وفاران ، ولا أحد أيضاً يستطيع أن يجد أيَّ علاقة بين المسيح عليه السلام وفاران .

(١) التكوين (١٤ ، ٦) .

(٢) التكوين (٢١ ، ٢١) .

أما عبارة « وجاء معه عشرة آلاف قديس ، وفي يده اليمنى برزت شريعة لهم » فكأن موسى عليه السلام يصف حالة محمد ﷺ وهو يفتح مكة قادماً إليها من المدينة التي هاجر إليها بمرافقة عشرة آلاف صحابي (قديس) الذي دخل مكة وأخذ يكسر الأصنام بيده اليمنى ، وهو يقول : جاء الحق وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً ، وراح أصحابه يحطمون الأصنام ، واتبعوا شريعة محمد ﷺ (١) .

ولقد ورد في سفر حبقوق أيضاً وصفٌ لنفس المشهد الذي وصفه موسى عليه السلام :

« الله يجيء من تيمان ، والقُدُّوس من جبل فاران ، غطى جلاله السموات ، وامتلات الأرض من التهليل له ، يجيء كلمعان البرق ، ومن يده يسطع ، وفيها تستر عزته » (٢) .

وتيمان هي قرية جنوب القدس (٣) ، وقد ظهر المسيح عليه السلام في القدس ، ثم تنتقل النبوة إلى جبل فاران حيث الله يغطي جلاله السماء ، وتمتلئ الأرض من التهليل له .

وهذا الجلال ، وهذا التهليل يأتي كلمعان البرق ، وقائد هؤلاء تسطع من يده نور الشريعة فتكون فيها عزته . ولا تنطبق هذه النبوءة إلا على محمد ﷺ ، فليس بعد المسيح عليه السلام ومحمد ﷺ نبي آخر ، ولم يظهر في فاران (مكة) سوى محمد ﷺ .

لقد تحققت هذه النبوءة بدخول محمد ﷺ مكة ، حيث دخلها كلمعان البرق ، دون أن تشعر قريش بجيش محمد ﷺ فما شعرت به إلا من النار

(١) سيرة ابن هشام (ج ٤ ، ص ٣٥ و ٥١) .

(٢) حبقوق (٣ ، ٣) .

(٣) انظر حاشية الكتاب المقدس (حبقوق ٣ ، ٣) .

التي أشعلها الجيش عشية الفتح ، وعندما ذهبت قريش لتستطلع الأمر وجدوا جيشاً مؤلفاً من عشرة آلاف مقاتل قد قدم وعلى رأسهم رسول الله ، فدخلوا مكة يكبرون الله ، ويهللون لله ، ويسبحونه .

واستسلم المشركون ، ودخل محمد ﷺ وجيشه مكة ، وبدأ محمد ﷺ بتحطيم الأصنام ، وأمام هذه القوة الهائلة تيقنت قريش أن محمداً ﷺ قد تمكن منهم ، فجمعهم وقال لهم : ماذا ترون أنني فاعل فيكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء (وبذلك كان يخفي عزته في يده) التي كان يستطيع أن يفعل بأعدائه ما شاء ، لكنه عفا عنهم ، فأسلموا دونما عناء^(١) .

ثانياً : نبي من نسل إسماعيل عليه السلام صادق ذو شريعة يخرج وعلى بني إسرائيل اتباعه :

خاف موسى عليه السلام أن يترك بني إسرائيل شريعته ويتبعوا جيرانهم في عبادة الأوثان ، لكن الله خفف من مخاوفه ، فقال له : « سأقيم لهم نبياً من إخوتهم مثلك وألقي كلامي في فمه ، فينقل إليهم جميع ما أكلمه به . وكل من لا يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي أحاسبه عليه »^(٢) .

من خلال هذه النبوة نستنتج مواصفات ذلك النبي :

أ - من إخوة بني إسرائيل .

ب - مثل موسى عليه السلام من حيث قوة النبوة .

ج - يكلم الله كما كلم الله موسى وإبراهيم عليهما السلام .

د - صادق ، لا يقول إلا ما أمره الله به .

(١) سيرة ابن هشام (ج ٤ ، ص ٤٧) .

(٢) التثنية (١٨ ، ١٩) .

فإذا كان النبيُّ من إخوة بني إسرائيل فليس هو منهم ، وطالما أنَّ بني إسرائيل هم أبناء يعقوب ، فإن النبيَّ سيظهر في بني عيسو ، وطالما أنَّ بني عيسو لا يحق لهم النبوة حسب اعتقاد اليهود ، فإنَّ أخا بني إسرائيل هو من أبناء عمهم إسماعيل عليه السلام حصراً ، ولم يظهر في أبناء إسماعيل عليه السلام نبيٌّ يعادل في قوة نبوته قوة نبوة موسى عليه السلام سوى محمد ﷺ الذي أوحى الله إليه كما أوحى إلى موسى عليه السلام ، وأجرى المعجزات القوية على يديه ، كما أجريت على يد موسى عليه السلام ، وكان محمد ﷺ صادقاً لدرجة أنَّ يهود المدينة شهدوا له بصدق الحديث قبل غيرهم من المعاصرين له .

ويتضح مما سبق أنَّ المقصود بنبوة موسى عليه السلام المذكورة هو محمد ﷺ لكنَّ اليهود ناوروا في هذه النبوة ، وقالوا فيما قالوا :

أ- إنَّ هذه النبوة المقصود بها هو النبي صموئيل :

وبالطبع فهو ليس صموئيل ؛ لأنَّ صموئيل ليس له شريعة جديدة بل اتبع شريعة موسى عليه السلام ، وعمل بها .

ب- إنَّ هذه النبوة المقصود بها هارون ، أو يشوع :

فإذا كان كلُّ من هارون ويشوع من بني إسرائيل وليسا من إخوتهم ، وإذا كان هارون مات قبل موسى عليهما السلام وعاصر يشوع معلمه موسى عليه السلام فكيف تنطبق النبوة على أحدهما ؟

ج- قال بعض اليهود : إنَّ النبوة محمولة على الاستفهام ، أي : أنَّ النبوة تقول لن أقيم نبياً من إخوتهم . . . فهذا كذبٌ فاضح ، ولو حملت النبوءات على هذا المحمل لبطلت كافة النبوءات عند اليهود بل والتشريع أيضاً .

د- قال البعض من اليهود : إنَّ هذا النبي هو نبي آخر الزمان حيث يعيد

ملك اليهود ، ويعيد مملكة داود ، ويستعبدون به الأمم ، وسنين كذب
هذا الادعاء عند البحث عن المسيح المنتظر لليهود .

هـ - قال بعض اليهود : إن محمداً هو نبي للعرب ، وليس لليهود ؛
لأنَّ نبيَّ اليهود لم يظهر بعد ، وهذا عذرٌ أقبح من ذنب ؛ لأنَّ من يشاء
الهداية لا يهمه سبط النبي بقدر ما يهمُّه صدق الدَّعوة والرسالة .

و - وزعم البعض أنَّ النبوءة المقصود بها المسيح عليه السلام ، وهذا
غير صحيح ؛ لأنَّ المسيح عليه السلام هو من بني إسرائيل ، حتى ولو
كان من جهة أمِّه فقط .

ومهما كان ردُّ اليهود على هذه النبوءة ، فإنهم قد خالفوا تعاليم الله
وأوامره في اتباع محمَّد ﷺ .

* * *

٥- بشارات أشعيا :

أشعيا هو أحد أنبياء اليهود المعترف به لديهم ، والذي له سفر يحمل اسمه ضمن أسفار العهد القديم التي يقدسها اليهود ، ويتميز أشعيا بأنه نبي يعتبره اليهود أحد أنبياء اليهود القوميين ، لذلك فإنك لا تجد عند اليهود ما يشوه سلوكه لديهم .

والشيء العجيب : أنَّ أشعيا بالذات كان أكثر أنبياء اليهود تبشيراً بمحمد ﷺ وأمه ، وخصائصها ، ومراحل تطور الدَّعوة الإسلامية لمحمد ﷺ .

ومن نبوءات أشعيا نختار ما يلي :

أولاً : يا سكان المدينة استقبلوا النبيَّ وأصحابه المهاجرين من مكة التي سينتهي نفوذها بعد قدومه إليكم بسنة :

جاء في سفر أشعيا نبوءة تقول : « بيتوا في صحراء العرب يا قوافل الددانين ، هاتوا ماءً للعطاش يا سكان تيماء ! استقبلوا الهارب الجائع بالخبز . هم هاربون من أمام السيوف ، من أمام السيف المسلول والقوس المشدودة وويلات الحرب .

وهذا ما قاله لي الرب : بعد سنة بلا زيادة ولا نقصان يفنى مجد قidar ، ولا يبقى من أصحاب القمي من جبابرة بني قidar غير القليل ، أنا الرب إله بني إسرائيل تكلمت »^(١) .

(١) أشعيا (٢١، ١٣، ١٧) .

تبدو هذه النبوءة منطبقة تماماً على مجريات أحداث السيرة النبوية
لمحمد ﷺ ، وذلك لأنه :

١- تيماء هي اسم من أسماء المدينة التي يسكنها الددانيون .

٢- الددانيون هم فئة تنحدر في أصلها عن / ددان/ وهو واحد من
أحفاد إبراهيم عليه السلام^(١) .

٣- قيدار قبيلة عربية تنحدر من قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم عليهم
السلام^(٢) ، وقيدار هي الجد الأعلى لقبيلة قريش .
تفسير النبوءة :

أمر محمد ﷺ أتباعه أن يهاجروا إلى المدينة هرباً من مضايقات
قريش ، وملاحقتها لهم ، ثم هاجر محمد ﷺ من مكة متوجهاً إلى المدينة
(تيماء) بصحبة صديقه أبي بكر رضي الله عنه ، فاعتقدت قريش
(قيدار) أنَّ قتل محمد ﷺ سيتم بسهولة لأنَّ محمداً ﷺ بقي دون
مؤيدين .

فأرادوا قتله في بيته فنجاه الله ، وخرج من بيته سالماً ، ثم خرج من
مكة فلاحقته قريش (قيدار) عبر الصحراء يريدون قتله وصاحبه ،
لكنَّ الله نجاهما أيضاً . وقلق أصحابه في المدينة (تيماء) على مصير
نبيهم الذي كان عليه أن يقوم برحلة محفوفة بالمخاطر ما بين أعدائه من
قريش إلى صحراء قاسية بوحوشها ، وقطاع الطرق فيها ، وأنجاه الله
وصديقه ، فوصل إلى المدينة (تيماء) سالماً ، لكنَّه بدا مرهقاً تعباً أنهكته
الخطوب والإرهاق ، والعطش ، والجوع ، واستقبلته المدينة (تيماء)
استقبال الفاتحين .

(١) التكوين (٢٥، ٣) .

(٢) التكوين (٢٥، ١٣) .

ومنذ ذلك اليوم أصبح التاريخ الإسلامي يتخذ وصول محمد ﷺ إلى المدينة بداية التاريخ الهجري .

وما لبث محمد ﷺ أن بعث أول سرية حرب لتهاجم قوافل قريش العائدة من الشام بهدف قطع الطريق التجاري على قريش لمحاصرتها والضغط عليها ، فكان أن أرسل سرية أبي مرثد حليف حمزة عم الرسول ، وكان ذلك في شهر رمضان ، ثم أرسل بعدها سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، ثم بعدها غزوة ودان ، وبعدها غزوة بواط ، وبعدها غزوة العشيرة ، وبعدها غزوة بدر الأولى ، وبعدها كانت غزوة بدر الكبرى التي حدثت في رمضان بعد سنة واحدة من أول غزوة .

وفي غزوة بدر تلاقى جيش محمد ﷺ وجيش (قidar) فقتل فيها حوالي سبعين شريفاً من أشراف قريش (قidar) وانهزمت قريش شرّاً هزيمة وورث محمد ﷺ وأصحابه مجد (قidar) قريش ؛ الذين أخذوا هذا المجد نتيجة لمكانتهم الدينية بين العرب ، وأصبح بعد سنة واحدة ذلك المجد لمحمد ﷺ قاهر قidar الحربي والديني .

وبذلك صدقت نبوءة أشعيا ، وانطبقت على مجريات الأحداث لسيرة محمد ﷺ ، ولا يوجد أبداً واحداً غير محمد ﷺ تنطبق عليه هذه النبوءة أبداً .

ثانياً : نبوءة أشعيا الثانية : نبيّ يتبعه مسيحيو القدس طوعاً :

ورد في سفر أشعيا : « وحي على دومة : صوت صارخ في سعيير : يا حارس ! ماذا بقي من الليل ؟ يا حارس ! ماذا بقي من الليل ؟ فيجيب الحارس : يجيء الصبح والليل يعود ، تعالوا ارجعوا واطلبوا إن أردتم فاطلبوا »^(١) .

(١) أشعيا (٢١، ١١ و١٢) .

من المعروف أنَّ ساعير هو جبل في القدس ، وهي مكان ظهور السيد المسيح عليه السلام ، وكذلك فإنَّه من المعروف أنَّ دومة هي مكان توضع أحفاد دومة الذي هو أحد أبناء إسماعيل عليه السلام . وبالتالي فإنَّ دومة هي مكان في الجزيرة العربية .

تفسير النبوة :

إنَّ ظهور النبوة في ساعير سيعقبها تدهور يجعل أصحاب ساعير ينتظرون ديناً آخر يخرج من بلاد العرب .

فالحارس الذي ينادي من ساعير باستمرار زميله الذي يسمعه في دومة ، ولا يرد عليه إلا عندما تظهر النبوة التي يسأله عنها زميله .

وعندها سيظهر الدين الجديد فجراً بعد ليل ، وسيدخل في هذا الدين المسيحيون طواعية دون إكراه .

وفعلاً ظهرت نبوة محمد ﷺ وقدمت إليه وفود النصارى الذين كانوا يعرفون ، وينتظرون ظهور محمد ﷺ ليُتبعوه ، ويؤمنوا به . لكن ساعير كلها فتحت سلباً في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ؛ الذي تعهّد للمسيحيين فيها بحرية ممارسة عبادتهم ، ومع الزمن أصبحت القدس إسلامية صرفة ، وتحققت نبوة أشعيا أيضاً .

ثالثاً : نبوة أشعيا الثالثة : جيش عربي قوي سيسقط بابل :

بابل هي حاضرة الكلدانيين التي هاجر اليهود إليها ، وهذه الحادثة تركت في نفوس اليهود أثراً بالغاً جعلهم ينتظرون الخلاص . وهنا يتنبأ أشعيا ويعلن بأنَّ بابل سوف تسقط : « هذا ما قاله لي الرب : اذهب وأقم حارساً ليخبر بما يرى . إذا رأى ركباً من الفرسان قادمين أزواجاً أزواجاً ، وركاب حمير ، وركاب جمال ، فليراقبهم مراقبةً شديدة . ثم صرخ

الحارس : أيها السيد ، أنا قائم على برج المراقبة دائماً في النهار ، وواقف في مركز الحراسة طول الليالي ، فرأيت ركباً من الفرسان قادمين أزواجاً أزواجاً ، ثم عاد الحارس وصاح : سقطت ، سقطت بابل وتحطمت إلى الأرض جميع أصنام آلهتها . فيا شعبي المداس كالحنطة على البيادر ! ما سمعته من الرب القدير إله إسرائيل أخبرتكم به ^(١) .

يلاحظ في هذه النبوءة تعابير ملفتة للنظر ، وهي (أزواجاً أزواجاً) ولا شك أنَّ هذه العبارة تدلُّ على التنظيم ، وعبارة (فرسان قادمين أزواجاً أزواجاً) تدلُّ على القوة ، وعبارة (ركاب الحمير) تدلُّ على التواضع ، أما عبارة (ركاب جمال) فلا تدلُّ إلا على العرب ، وهم سكان الصحراء ، ولا زال الجمل رمزاً لبلاد العرب حتى يومنا هذا .

وتفسير هذه النبوءة :

إنَّ بابل ستنهار دولتها على يد الفرس ، لكن عبادة الأوثان فيها لن تنتهي إلا بجيش عربيٍّ قويٍّ متواضع . وإنَّ خلاص اليهود مربوطٌ بظهور هذا الجيش الذي سيحطِّم أعداء اليهود ، وعندها سيكون الخلاص لليهود ، وبذلك فإنَّ أشعيا في هذه النبوءة أعطى علامةً لسقوط أصنام بابل بظهور الجيش العربي المتواضع الموحد لله ، والذي سيظهر بابل من عبادة الأوثان الذي سينهي طحن اليهود إذا ما تبعوا دين ذلك الجيش القادم .

وفعلاً قد ظهر جيش المسلمين العربي القوي المتواضع ليدعو إلى عبادة الله ، ونبتذ الشرك ، وحطَّم أصنام بابل ، بل وحوَّل بابل وما وراءها إلى موحدٍ لله الواحد .

(١) أشعيا (٢١، ٦-١٠) .

لكن اليهود لم يتبعوا ديانة هذا الجيش ، لذلك دارت فوق رؤوسهم
رحى الاضطهاد ، والقتل ، والتشريد .

رابعاً : نبوءة أشعيا الرابعة : يظهر ملك عادل وبعده ملوك عادلون
رصناء فصحاء :

يقول سفر أشعيا : « سيأتي ملك يملك بالحق ، وحكام يحكمون
بالعدل ، ويكون كل واحد كمخبأ من الريح وكسد يقي من السيل ،
كسواقي ماء في أرض قاحلة ، وكظل صخر عظيم في قفر ، فلا تنكشف
عيون الناظرين ، وأذان السامعين تُصغي ، وقلوب المتسرعين تلزم
الرصانة ، وألسنة المتلعثمين تنطق بفصاحة »^(١) .

لقد ظهر أشعيا في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ، ومنذ ذلك اليوم
وحتى ظهور محمد ﷺ لم يظهر ملك عادل ، ولا حكام عادلون ، بل إنَّ
ظهور محمد ﷺ كان فاتحة الملوك العادلين ، والقاتل إنَّ المسيح عليه
السلام هو المقصود في هذه النبوءة أخطأ كل الخطأ ، فالمسيح عليه
السلام قرع كل من نسب إليه الملك ، بل إنَّ من ظهر بعد المسيح عليه
السلام من الملوك كان ظالماً لدرجة ملاحقة أتباع المسيح عليه السلام
نفسه .

فليس الملك العادل الذي تملك بالحق ، وبأمر من الله سوى
محمد ﷺ ؟ وليس الحكام العادلون غير الخلفاء الراشدين الورعين
الأتقياء الذين بذلوا في سبيل الله أموالهم وأنفسهم لإعلاء كلمة الله ،
فكسبوا قلوب محكوميههم وقلوب المسلمين حتى يومنا هذا .

(١) أشعيا (٣٢، ١-٤) .

لقد كان الخلفاء الراشدون الملجأ من رياح الارتداد ، وسُدوداً في مواجهة أمم الكفر والشرك من مجوس ومشرّكين ، وكانوا أيضاً المرجع للقرآن والسنة والتشريع .

ولقد تحوّل المؤمنون برسول الله من رعاة للغنم إلى رعاة للأمم بسبب علمهم ، وحكمتهم التي تعلّموها من محمد ﷺ فكانوا حكماء علماء ، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء .

تحوّل المتلعثمون عندما آمنوا بمحمد ﷺ إلى فصحاء ، وتحوّل الانفعاليون منهم إلى رجال لا يغضبون إلا الله ، فاصبحوا رصحاء بكائين من كثرة خشيتهم من الله ، ولا تعريهم الدنيا وما عليها ؛ لأنهم لا يبتغون إلا مرضاة الله تعالى .

خامساً : نبوءة أشعيا الخامسة :

سيأتي الله بعبد المخبّر ، ويوحى إليه بشريعة عادلة يحكم بها بين الناس ، صاحب عزم وإرادة ، ذي خلق عظيم ، شريعته تنتظرها الشعوب :

جاء في سفر أشعيا : « ها عبدي الذي أسانده ، والذي اخترته ، ورضيت به جعلت روعي عليه ، فيأتي للأمم بالعدل ، لا يصيح ، ولا يرفع صوته ، ولا يسمع في الشارع صراخه ، قصبه مرضوضة لا تكسر ، وشعله خاملة لا يُطفأ . بأمانة يقضي بالعدل . لا يلوي ولا ينكسر حتى يقيم العدل في الأرض فشريعته رجاء الشعوب »^(١) .

بالطبع فإنه من العبث أن تعتبر المسيحية هذه النبوءة بشارة بالمسيح عليه السلام ، وذلك يقود إلى أنّ المسيح عليه السلام لم يقض بين

(١) لوقا (١٩، ٣٩) .

الناس ، ولا كان قاضياً في يوم من الأيام ، ثمَّ إِنَّ المسيح عليه السلام وحسب المعتقد المسيحي ثالث ثلاثة ، وليس عبداً من عباد الله ، فلا يحقُّ للمسيحية إذاً أن تحاول نسب هذه النبوءة إلى المسيح عليه السلام بأيِّ حالٍ من الأحوال .

بينما محمد ﷺ كان يفتخر بعبوديته لله ، فلقد أمر المسلمين أن يقرنوا اسمه بعبوديته لله « أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله » ، وقد أوحى الله إلى محمدٍ عبده بشريعة حكم بها ﷺ بين الناس جليلاً بالعدل .

وكانت جميع أقوال وأفعال محمد ﷺ مبررةً ، ومعللةً لأصحابه بعيدةً عن العبث ، ولقد قام محمد ﷺ بنشر دعوته رغم جميع محاولات أعدائه لردعه عن القيام بواجبه ، فلم يفلحوا بالشهير به ، ولا بتخويله ، ولا بإعلان الحرب عليه ولا بإغرائه ، فقد نصره الله على أعدائه نصراً مبيناً ، وأكمل محمد ﷺ دعوته حتى شاء أن يتوفاه دون أن يلوي أو ينكسر .

وإذا نظرنا إلى جغرافية الضلال العالمي قبل ظهور نبوة محمد ﷺ عرفنا مقدار تطابق نبوة محمد ﷺ مع بشارة أشعيا فيما يخصُّ الشريعة التي تنتظرها الشعوب .

فما هو التوزيع الجغرافي للضلال في نهاية القرن السادس بعد الميلاد ؟

لقد حوّل اليهود شريعة موسى عليه السلام تحويلاً يضمن لهم الحصول على المادة ، فقد شرّعوا التشريعات التي تعيد عليهم المنفعة دون أن يبالوا ، أو يعيروا أيَّ انتباه لتحقيق العدالة التي تهدف الشريعة أساساً إلى تحقيقها .

أما المسيحية فقد تحول رجال الدين فيها إلى عشق السلطة والنفوذ ، ورغبوا في دخول الحياة العامة حتى يستفيدوا من الجماهير التي حرموها حق التعليم ، لكن تدخلهم لم يرق للملوك الذين تنازعوا السلطة مع رجال الدين ، ثم تصالحوا على حساب الدهماء ، فكانت النتيجة أن أخذت الكنيسة سلطة بيع صكوك الغفران ، وإصدار قرارات الحرمان ، وأصبح الملوك سادة يملكون الأرض ، ويملكون رقيقها .

وبذلك اختفى التسامح والزهد والتوحيد ، وحلَّ محله عبادة القديسين والصور ، ونشأ خلافٌ جديدٌ حول طبيعة المسيح فيما إذا كانت إلهية ، أو مزدوجة ، وتلاشت طبيعة المسيح البشرية .

هذا بالإضافة إلى أنَّ تصارع الأمراء أدى إلى حروب لا تنقطع ، وبذلك كانت أوربة تعيش في ظلامٍ دامسٍ .

أما فارس فكانت الزرادشتية هي ملتهم الرئيسية ، والتي تقول بوجود إله يرأس مجموعات إلهية خيرة هو (أهورا مازدا) وإله يرأس مجموعة إلهية شريرة هو (أهرمان) تتصارع هاتان المجموعتان فيكون النصر حليف (أهورا مازدا) . ورمزت الزرادشتية لـ (مازدا) ببعض المواد الصافية كالنار ، والزرادشتية تؤمن بالبعث ، والحياة ، والآخرة ، والحساب ، والجنَّة ، والنار .

لكن الزرادشتية انحرفت عن مبادئها ، وأصبح الفرس يعبدون النار ، وراح كهنة الفرس يدفعون الزرادشتية إلى الوثنية ، فعبدوا الأصنام ، وقدموا القرابين لها ، وخاصة للإله (متري) .

ونتيجة لهذا الانحراف في العقيدة ظهرت دعوات أخرى بين الفرس أكثر ضللاً وتدهوراً ، فظهرت (المانوية) التي تنادي بحياة العزوبة وعدم النكاح بحجة الحد من مادة الفساد والشر في العالم ، الأمر الذي

دفع بهرام لأن يقضي عليها سنة ٢٧٦ ميلادية .

وظهرت أيضاً (المزدكية) التي دعا إليها (مزدك) حيث راح مزدك يدعو الناس إلى المشاركة في كل شيء حتى النساء ، والأطفال ، والمال ، وحلّل مزدك لأتباعه كلّ شيء! وفي نفس الوقت راح ملوك الفرس ينزلون أنفسهم منازل الآلهة ، فراح الناس يقدمون لهم القرابين وينشدون لهم أناشيد الطاعة والعبودية ، أما أفراد الشعب فكانوا مقسمين إلى طبقات اجتماعية ، بحيث لا يستطيع فردٌ من الأفراد أن ينتقل من طبقةٍ إلى أخرى مهما كانت ظروفه .

أما في الصين فكانت تنتشر (الطاوية أو الطاوية) التي كانت تدعو إلى القناعة ، والزهد ، والتسامح المطلق ، وكانت تنتشر في الصين أيضاً (الكنفوشية) والتي تدعو إلى الخير والرحمة والإخلاص وأداء الواجب لكن أفكار الكنفوشية انحرفت ، وراح أتباعها يبنون الهياكل ليعبدوا كونفوشيوس فيها ، وأقاموا في معابدهم تماثيل له من أجل العبادة وتقديم القرابين له ، وللركوع والسجود له ، كما انتشرت بين الكونفوشيوسيين عبادة الأرواح أيضاً .

أما الهند فكانوا وثنين يعبدون آلهةً يبلغ تعدادها (٠٠٠ . ٠٠٠ . ٢٤٠) مئتين وأربعين مليون إله ، فالهنود يعبدون كلّ شيء من الحصة إلى النجوم .

وقسمت القوانين الهندية طبقات المجتمع الهندي إلى :

- ١- البراهمة : وهم طبقة الكهنة ورجال الدين .
- ٢- الكشترىا : وهي طبقة رجال الحرب .
- ٣- الوشيا : وهي طبقة التجار ، والصناع ، والزراّع .
- ٤- الشودرا : وهي طبقة الخدم والعبيد .

ومنح القانون الهندي البراهمية حق تملك ما في العالم ، وعلى ذلك بأنهم سادة العالم ، وعلى الرغم من أن البوذية جاءت لتقضي على البراهمية لكن ما لبثت أن ذابت البوذية في البراهمية ، والبراهمية في البوذية ، فأصبح الدينان ديناً واحداً^(١) .

أما العرب وهم الذين ينحدرون من سلالة نبيٍّ موحد لله هو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وعلى الرغم من أن دين العرب هو دين إسماعيل عليه السلام إلا أن العرب وخصوصاً في عهدهم الأخير ضلوا عن دين إسماعيل عليه السلام ، فحرفوه ، وأدخلوا في دينهم عبادة الأوثان ، فانتشرت بينهم الخرافات ، والخزعات ، والأمية ، والجهل والتفرقة ، فأصبحوا يقيمون حروباً لأنفهم الأسباب ، أو حتى دون أسباب .

وأخيراً فإن نظرة متأملة إلى جغرافية الضلال العالمي تظهر أن العالم الذي تطور عبر السنين لبني الحضارات أصبح على شفا هاوية ستفقدته تطوُّره الإنساني عبر التاريخ ؛ ليتحول من القوانين الحضارية إلى قوانين الغابة المتوحشة ، حيث لا قيمة لإنسانية الإنسان .

إن عالماً تكون فيه الأغلبية مظلومة هو عالم سيؤول إلى الانفجار لكثرة تذمر المظلومين فيه ، أمام هذا الواقع شاء الله أن تكون نبوة محمد ﷺ التي دعت قولاً وعملاً إلى احترام إنسانية الإنسان ، والمساواة ، والعدالة ، والرحمة ، ومكارم الأخلاق . . .

لذلك فإنك تجد أن دولة الإسلام استطاعت أن تمتدَّ وخلال نصف قرن من الصين إلى إسبانيا ؛ لأنَّ الشعوب كانت مستعدة لاعتناق الإسلام

(١) كتاب أديان الهند الكبرى - د. أحمد شلبي .

قبل أن تصل إليهم الفتوح الإسلامية ، وما السرُّ في ذلك إلا لأنَّ الإسلام هو الشريعة التي تنتظرها شعوب الأرض .

وبالطبع فإنَّ المقصود بالذي شريعته مشتهى الشعوب ليس موسى عليه السلام ؛ لأنَّ أشعيا ظهر بعد موسى عليه السلام ، وهو ليس المسيح عليه السلام ؛ لأنَّ المسيحية ليست شريعة جديدة تماماً ؛ بل هي شريعة خففت من شريعة موسى عليه السلام ، أمّا شريعة محمد ﷺ فقد كانت شريعة جديدة ، وعلى الرغم من كونها جديدة فإنَّها لا تتناقض مع تشريعات موسى عليه السلام الحقيقية .

وكما أنقذ الإسلام العالم ذات يوم من شفير الهاوية ، كذلك فإنَّ الإسلام الذي هو شريعة محمد ﷺ لا زال قادراً على إنقاذ العالم في أيِّ وقتٍ أو عصرٍ .

سادساً : نبوءة أشعيا السادسة : ستمتلىء الأرض توحيداً وتسيحاً لله :
جاء في سفر أشعيا :

« أنشدوا للربِّ نشيداً جديداً ، تسيحة من أقاصي الأرض . ليضج البحر وما فيه والعجزر وكل سكانها ، لترفع القفار والمدن صوتها والديار التي ي سكنها بنو قي دار ، ليرنم سكان مدينة سالع ، ليهتفوا من رؤوس الجبال ليعطوا للربِّ مجدداً ، ويهللوا له في جزر البحر »^(١) .

إذا تأملنا هذه النبوءة نجد ما يلي :

١- النشيد الجديد .

(١) أشعيا (٤٢ ، ١٠-١٣) .

٢- التسييح في كل مكان : الصحراء ، المدن ، البحار ، الجزر ،
والجبال .

٣- التسييح سيكون في مكة مدينة بني قيدار حسب التكوين (٢٥) ،
(١٣) .

٤- التسييح سيكون في أكثر المدن وثنية سالع ، أي : البتراء ، وهي
مدينة عربية أردنية^(١) .

تفسير النبوءة :

إن نشيداً جديداً سينشد لله غير الأناشيد المعروفة لدى اليهود ، سوف
ينشد به في المناطق التي اشتهرت بالوثنية ، وبالتوحيد حيث سيعم هذا
النشيد الكرة الأرضية بكافة مفرداتها الجغرافية .

فإذا تساءلنا عن النشيد الذي وصفه أشعيا لا نجد سوى نشيد واحد
يسمعه الملائكة وينشد على قمم الجبال ، وفي السهول ، والوديان ،
والبحار ، والجزر ، وهو آذان المسلمين للصلاة الذي يقولون فيه :

« الله أكبر - الله أكبر - الله أكبر - الله أكبر .

أشهد أن لا إله إلا الله - أشهد أن لا إله إلا الله .

أشهد أن محمداً رسول الله - أشهد أن محمداً رسول الله .

حيّ على الصلاة - حيّ على الصلاة (وتعني هلموا إلى الصلاة لله) .

حيّ على الفلاح - حيّ على الفلاح .

الله أكبر - الله أكبر

لا إله إلا الله » .

(١) حاشية أشعيا (٤٢ ، ١١) .

إذا كان هذا الأذان يرفع خمس مرات في اليوم عند شروق الشمس ،
وعند زوالها عن وسط السماء ، وعند ميلان الشمس ، وعند غياب
الشمس الظاهري ، وعند غياب الشمس الحقيقي فإن ذلك يرتبط بخطوط
الطول الأرضية التي تتعرض للشمس بالتتابع ، فإنَّ وقت الفجر في بلد
يرافقه وقت الظهر في بلدٍ آخر ، ويرافقه وقت العصر في بلدٍ آخر ،
ويرافقه وقت المغرب في بلدٍ آخر ، ويرافقه وقت العشاء في بلدٍ آخر ،
فإن ذلك يعني أنَّ النشيد يتكرَّر في آنٍ واحدٍ على سطح الأرض كُلِّها كلما
قام المسلمون لصلاتهم .

وليس هناك عاقل يقبل بأن هذه النبوءة المقصود بها أبواق اليهود ،
ولا أجراس الكنائس ، كما أنَّ هذا النشيد الرائع لا يتواجد له مثال في كافة
أسفار الكتاب المقدس .

سابعاً : نبوءة أشعيا السابعة : أصحاب النشيد الجديد يفتحون الفتوح :

ورد في سفر أشعيا : « أقود العميان في طريقٍ يجهلون بها ، وفي
مسالك لا عهد لهم بها ، وأجعل الظلمة نوراً أمامهم ، والطرق
المعوجة مستقيمة »^(١) .

العميان هم نوعٌ من البشر لا يعرف شيئاً عن النبوات ، وبالتأكيد هم
العرب إذا ما ربطنا هذه النبوءة بسابقتها ، ثمَّ إنَّ مجريات الأحداث تدلُّ
على ذلك ، فالعرب لم تكن أقدامهم قد ذهبت أبعد من فلسطين غرباً ،
ودمشق شمالاً ، واليمن جنوباً ، والمدائن شرقاً ، لكنهم عندما أرادوا
نشر الإسلام وصلوا إلى جنوب الصين شرقاً وإلى إسبانيا والسنغال غرباً
وإلى حدود روسيا شمالاً وإلى جزر بحر العرب جنوباً .

(١) أشعيا (٤٢، ١٦) .

وبذلك سلكوا مسالك لا عهد لهم بها حسب نبوءة أشعيا ، وتحولت الشعوب الوثنية إلى مسلمين انضموا إلى جيوش المسلمين ، فتحولت الظلمة والشرك إلى هداية وتوحيد ، وذلك الله الطريق الصعبة أمام المسلمين ، فراحوا يفتحون البلاد الواحد تلو الآخر .

٦- بشارات دانيال : مملكة الله المقدسة ستكون عربية :

في عام (٥٨٦ قبل الميلاد) دمر نبوخذ نصر الملك البابلي الهيكل ، بعد أن دخل أورسالم (أورشليم) وسبى بني إسرائيل ، فأخذ الأمراء منهم وترك بسطاء الناس ، ثم اختار من أبناء الملوك والأمراء بعض الشبان كان من بينهم النبي دانيال ليكونوا في حاشيته .

و ذات يوم رأى نبوخذ نصر رؤيا أخافته ، لكنه نسي الحلم ، فطلب من العرافين والكهان أن يروا له الرؤيا ويفسروها له ، ولم يستطع أحد أن يلبي طلبه سوى دانيال النبي .

ويروي سفر دانيال ما قاله دانيال لنبوخذ نصر وقتها : « أنت أيها الملك رأيت فإذا بتمثال عظيم هائل كثير البهاء ، كان واقفاً أمامك ، وكان منظره رهيباً ، وكان واقفاً أمامك وكان رأسه من ذهب خالص ، و صدره وذراعه من فضة ، وبطنه وفخذه من نحاس ، وساقاه من حديد ، وقدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف ، وبينما أنت تنظر إليه انقطع حجر من الجبل من دون أن تلمسه يد ، ف ضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف وسحقهما ، فانسحق الحديد ، والخزف ، والنحاس ، والفضة ، والذهب معاً ، وصارت كلها كتبن البيدر في الصيف ، فحملتها الريح وما وجد لها أثر . أما الحجر الذي ضرب التمثال ، فصار جبلاً كبيراً وملاً الأرض كلها »^(١) .

(١) دانيال (٢ ، ٣١-٣٥) .

وقد فسر دانيال الحلم كما ورد في سفر دانيال : « فأنت الرأس الذي من ذهب ، وبعذك تقوم مملكة أخرى أصغر من مملكتك ، ثم مملكة ثالثة سلاحها من نحاس ، فتتسلط على كل الأرض . ثم مملكة رابعة يكون سلاحها صلباً كالحديد ، لأنَّ الحديد يسحق ويطحن كلَّ شيء . فكما أنَّ الحديد يُخَطَّم كذلك تسحق هذه المملكة ، وتحطم جميع تلك الممالك ، كما رأيت أن بعض القدمين والأصابع من خزف الفخار والبعض الآخر من حديد ، فلذلك تكون المملكة منقسمة ، ولكن فيها قوة الحديد ؛ لأنَّ الحديد مثلما رأيت مختلطٌ بخزف من الطين ، وكما أنَّ أصابع القدمين ، بعضها من حديد وبعضها من خزف ، فكذلك يكون بعض المملكة صلباً والبعض سريع الانكسار ، ورأيت أنَّ الحديد مختلطٌ بخزف الطين فهذا يعني : أنَّ ملوك تلك المملكة يختلطون بعضهم مع بعض بالزواج ، فلا يلتحمون ، كما أنَّ الحديد لا يختلط بالخزف . وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماء مملكة لا تخرب أبداً ، ولا يغلب سلطانها شعبٌ آخر فتسحق وتفني جميع تلك الممالك ، وهي تثبت إلى الأبد »^(١) .

إنَّ هذه النبوءة قد تحققت بحرفيتها فبعد نبوخذ نصر (رأس الذهب) حكم ابنه بلشصر حتى سقطت دولته (الصدر الفضي) . ثم سقطت دولة الكلدانيين على يد كورش الفارسي سنة ٥٣٩ ق . م (البطن والفخذان من نحاس) ، وبعد ذلك حكم اليونان سنة ٣٣١ ق . م (الساقان من حديد) .

وحاول الإسكندر إجراء المزوجة بين شعب اليونان والشعب الفارسي (أصابع الفخار والحديد) لكن محاولته باءت بالفشل وبقي شعب اليونان

(١) دانيال (٢، ٣٨-٤٥) .

لا يرتبط مع شعب فارس بصلة . أما العرب فقد فقدت سيادتهم على هذه الأرض لغاية عام ٦٣٣ ميلادية حيث حررت جيوش المسلمين أرض العراق بقيادة خالد بن الوليد .

وبذلك أقام إله السماء المملكة التي لا تخرب أبداً ، ولا يغلب شعبها شعبٌ آخر ، وثبت ملكها إلى الأبد ، وبقي التوحيد صداحاً على أرضها .
إنَّ الحجر الذي وقع من الجبل على ممالك أربعة وثنية فحطمها ، وجعلها كالقش ، وطارت مع الرياح ، وكبر ذلك الحجر الذي ضرب التمثال ، فصار جبلاً كبيراً ، وملاً الأرض كلها وليس مملكة نبوخذ نصر وحده .

ذلك الحجر الذي انقطع من الجبل ما هو سوى محمد رسول الله وصحابته الذين أيدهم إله السماء ، فأقاموا مملكة الله على الأرض التي لا تندثر ، ولا تخرب ، ولا يستطيع شعب آخر أن يزيل سلطان شعبها عنها ، وثبتت هذه المملكة إلى الأبد .

لقد بشر دانيال نبوخذ نصر بأنَّ الحجر سيسقط من جبل يقع بالقرب من مملكته ، والحجر الذي سيأتي سيكون أصله من جبل ثابت قائم ، وليس من البحر غرباً ، وليس من السماء ساقطاً ، وهو ليس من جبل بعيد . إذاً ما هذا الحجر الذي سيصبح جبلاً ؟ إنه شريعة جديدة تنبعث من أرض العرب ، فيجعلها الله روحاً لمملكة تقوم بمشيئة إله السماء ويحميها ربُّ العالمين ، فتمحو هذه المملكة كلَّ الممالك السابقة لها كما لا يستطيع أحد في المستقبل أن يذيب شعبها ، فتثبت إلى الأبد ، وهكذا كان نبوخذ نصر سعيداً ، بأن تثبت في النهاية مملكة شعبه ولا يقهر هذه المملكة أحدٌ .

أكرم نبوخذ نصر دانيال بالعطايا والهبات ومنحه بعض السلطان ، لأنَّ دانيال أسعده تماماً بهذه البشارة السعيدة .

- البشارة الثانية لدانيال : محمد خاتم الأنبياء عام مولده ، وعام بعثته ، وعام وفاته :

لقد ورد في سفر دانيال ما يلي : « ورأيت ، أنا دانيال ، فإذا باثنين آخرين واقفين ، أحدهما من هنا ، والآخر من هناك ، على شاطئ النهر ، فقلت للرجل اللابس الكتان ، الواقف على مياه النهر : متى تنقضي هذه العجائب ؟ فسمعته يقول : وهو يرفع يمينه ويسراه إلى السماء ، ويحلف بالحيِّ إلى الأبد : إلى ثلاث سنين ونصف السنة ، فإذا تم تشتيت قوى الشعب المقدس تتم هذه كلها . سمعت ذلك ولم أفهمه . فقلت : يا سيدي ! ماذا تكون آخرة هذا كله ؟ فقال : اذهب يا دانيال ، فالأقوال مغلقة ومختومة إلى أن يحين الوقت . كثير من الناس يتقنون ويتطهرون ويمحصون ، والأشرار يفعلون الشر ولا أحد منهم يفهم ، أما العقلاء فيفهمون . ومن وقت إزالة المحرقة الدائمة وإقامة رجاسة الخراب ألف ومئتان وتسعون يوماً . هنيئاً لمن ينتظر ويبلغ إلى ألف وثلاثمئة وخمسة وثلاثين يوماً . وأنت اذهب واسترح ، إلى أن يحين الوقت . فتقوم لتنال نصيبك عند انقضاء الأيام »^(١) .

تبدو هذه النبوءة للوهلة الأولى وكأنها طلسم من الطلاسم المستعصية الفهم ، ولكن بالإشارة والانتباه إلى النقاط الآتية تتضح هذه النبوءة :

١- إن سفر دانيال كتب في القرن الثاني قبل الميلاد ، وذلك بثلاث لغات : (العبرية ، والآرامية ، واليونانية) حسب الكتب السماوية في الميزان للدكتور : موريس بوكاي .

٢- في سنة ١٠٠٠ ق . م دخل داود النبي أورسالم (أورشليم) وأقام

(١) دانيال (١٢ ، ٥-١٣) .

مملكة في هذه المدينة فقط . وبعده حكم ابنه النبي سليمان وأقام دولة
العبرانيين بموادعة أهل البلاد الأصليين ، وذلك حتى عام ٩٣١ ق . م لكن
تلك المملكة لم تلبث أن انقسمت بعد وفاة سليمان ، فانقسمت إلى
مملكة الشمال (إسرائيل) ومملكة الجنوب (يهوذا) وفي عام ٧٢١
ق . م قضى الملك الآشوري سرجون الثاني على مملكة الشمال بينما
قضى الملك الكلداني نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق . م على مملكة يهوذا
وهجر عائلات الأمراء إلى بابل ، وعاد بعد عشر سنوات فهدم الهيكل ،
وأحرق التوراة ، وقتل حفظته ، وأتم ترحيل اليهود ، ولم تقم لليهود
قائمة بعدها .

٣- لقد سيق دانيال إلى السبي عندما دخل نبوخذ نصر للمرة الأولى إلى
أورسالم (القدس) فساق يوياقيم ملك يهوذا وآنية الهيكل فقط ، أما
الهيكل فتركه في ذلك الوقت ؛ دون تهديم .

علماً بأن نبوءات دانيال كانت في الفترة ما بين ٥٩٦ ق . م والفترة
٥٨٦ ق . م لذلك فهو لا ينكر خراب الهيكل في كتابه ، ولكنه اعتبر أنَّ
دخول نبوخذ نصر عليها هو غضب من الرب .

٤- إنَّ النبوءات عموماً لا تحدّد فترة زمنية بالشكل الصريح ، وإنما
بالرمز والدلالة ، فمن الممكن أن يعني الأسبوع سنة ، أو اليوم شهر ، أو
اليوم سنة ، وهكذا . . .

تفسير النبوءة :

سأل دانيال الملاك الذي ظهر له : متى تنقضي العجائب ؟
وسؤاله هذا يعني به : متى تنتهي النبوءات ، فالأنبياء هم الذين
يظهر الله على أيديهم معجزاته ، فإذا انتهت المعجزات انتهت النبوءات .
فأجابه الملاك :

عندما يتم تشتيت قوى الشعب المقدس ، فبعد ثلاث سنوات ونصف تنتهي آخر النبوات ، لكن دانيال لم يستطع أن يدرك جواب الملاك ، فأجابه الملاك بمزيد من الشرح قائلاً إنني أكلمك كلاماً رمزياً لا يفهم إلا عندما يتحقق . وأضاف : إن علامات ذلك أن الناس يزدادون ضللاً ، وشرّاً ، وفسوقاً ؛ إلا من يلتزم بالشرع وبالإيمان بالله ، وهؤلاء يرتقبون ظهور ذلك النبي .

وبداية الحساب تبدأ بعد خراب الهيكل وإزالة المحرقة ، وانتشار الرجس في الهيكل بـ ١٢٩٠ / يوماً/ وعندها هنيئاً لمن ينتظر ويبلغ ١٣٣٥ / يوماً/ .

لكن ذلك سيحدث بعدك يا دانيال فلا تشغل نفسك بهذا الأمر ؛ لأنك لن تدركه حياً ، لكنك سوف تعرف كل ما يجري عندما يبعث الله الناس يوم القيامة للحساب .

تحليل هذه النبوءة :

إنَّ الرقمين / ١٢٩٠ / و / ١٣٣٥ / هي أرقام زمنية ، لكنها لا تدل على اليوم قطعاً ولا على الأسبوع ، وإلا لكان الملاك وعد دانيال أن يراها قبل موته .

وكذلك لا تدلُّ على أنها أشهر وإلا لكانت هذه النبوءة تحققت بعد مئة عام تقريباً ، أي أنه كان من الواجب أن تحدث ما بين ٤٩٦ ق . م و ٤٨٦ ق . م وفي هذا الزمن لم تتحقق هذه النبوءة علماً بأنَّ سفر دانيال حرّر عام ٢٠٠ ق . م وبناءً على ذلك فإنَّ الأعداد (١٢٩٠ و ١٣٣٥) تدلُّ على سنوات حصراً .

موعد ظهور آخر الأنبياء :

لقد حدث أن خرب الهيكل ، ودمرت المحرقة الدائمة لبني إسرائيل مرتين :

الأولى : لمملكة الشمال ، وعاصمتها السامرة عام ٧٢١ ق . م .

الثانية : لمملكة الجنوب وعاصمتها (أورشليم) عام ٥٨٦ ق . م .

وعلى ذلك فإنَّ سنة أساس الحساب يمكن أن تكون إحدى هاتين الحادتين .

فإذا كانت سنة أساس الحساب هو خراب الهيكل والمحرقة في أورسالم (أورشليم) عام ٥٨٦ ق . م فإن السنة المنتظرة لظهور آخر الأنبياء هي عام ٧٠٤ ميلادية ، والعام الذي يهنئ الملاك فيه من ينتظره هو عام ٧٦٤ ميلادية ، وفي هذين التاريخين لم يحدث أن ظهر في العالم كلُّه نبيٌّ . وبذلك يكون الحساب على أساس أول خرابٍ حلَّ على المذبح ، وقد حدَّد التاريخ في عام ٧٢١ ق . م .

ومع ملاحظة أن النبوة تستعمل عبارة « من وقت إقامة الرجاسة » فهذا يعني : أن التوقيت يبدأ بعد عام أو عامين ؛ لأنَّ الملك سرجون الثاني نصب الأوثان أو الأصنام مكان المذبح المقدَّس ، وبذلك يكون الحساب للسنوات على أساس عام ٧٢٠ قبل الميلاد أو ٧١٩ قبل الميلاد . وفعلاً ولد محمد ﷺ في عام الفيل بعد انقضاء أربعين عاماً على حكم كسرى أنوشروان ، وقد حدد العالم الفلكي محمود باشا مولد رسول الله في شهر نيسان (أبريل) عام ٥٧١ ميلادية ، وهو يوافق المعروف والمشهور عن مولده في التاسع من شهر ربيع الأول في عام حادثة الفيل^(١) .

(١) كتاب محاضرات الأمم الإسلامية لمحمد الخضري بك (ص ٦٢) .

وفي عام ٦١٤ ميلادية أمر الله رسوله ﷺ بإعلان الدعوة ، ونشرها^(١) ، حيث تحولت الدعوة من دعوة سرية إلى دعوة جهرية يدعو إليها رسول الله جميع الناس .

وهنا يتضح أنَّ المقصود بعبارة : « هنيئاً لمن ينتظر ، ويبلغ ١٣٣٥ يوماً » هو تهنئة من تبلغه دعوة محمد ﷺ ، وينضم إليها ؛ لأنها خلاص اليهود المنفين أمثال دانيال والذين سيُطهرون فيما بعد ، فخلاصهم باتباع هذا النبي .

وأخيراً تبقى عبارة « إلى ثلاث سنين ونصف السنة ، فإذا تم تشتيت قوى الشعب المقدس تتم هذه كلها ؛ أي : آخر النبوات » .

هذه العبارة تتسم بالغموض ، وذلك على اعتبار أنَّ من يقرأ العهد القديم يرتبط في ذهنه أنَّ الشعب المقدس هو بني إسرائيل فقط ، ولكنَّ هذا الغموض يزول تماماً عندما نفهم أنَّ هذا الشعب المقدس هو ليس بني إسرائيل .

ولابدَّ أن يكون الشعب المقدس هم قريش ؛ لأنهم أبناء قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم ، ثم إنَّ الله لم يدافع عن بني إسرائيل كما دافع عن مكة التي تسكنها قريش .

فعندما هاجمها جيش الحبشة ليهدم الكعبة أرسل الله طيوراً ، كلُّ طير منها يحمل جمرة في منقاره وحجرتين في رجليه ، فراحت كلُّ جمرة من الجمرات التي تحملها الطيور تقع على أفراد الجيش حتى أنَّ جيش الحبشة أبيد إبادة تامة ، وذلك على مسمع ومرأى من قريش الذين تركوا مكة ليدخلها جيش الحبشة القوي لعدم قدرتهم على الدفاع عنها . وبناء على

(١) نور اليقين للخضري بك (ص ٣١) .

هذه الحادثة أُطلق على العام الذي حدثت فيه عام الفيل ، والذي ولد فيه محمد ﷺ .

إذاً فالمقصود بالشعب المقدس في هذه النبوة هم سكان مكة ، الذين أدّت دعوة محمد ﷺ إلى زوال سلطانهم وقوتهم ، وأزِيل ذكر قريش ، وحلّ محلّه اسم آخر ، ودين آخر ، هو دين محمد ﷺ .

وفعلًا فقد توفي محمد رسول الله في يوم الإثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١١ للهجرة الموافق ٨ حزيران (يونيو) سنة ٦٣٣ ميلادية ، وذلك بعد ثلاث سنوات ونصف من فتح مكة ، وانتهت النبوءات ، واختتم الوحي والرسالات السّماوية .

ذلك الفتح الذي أنهى مجد قريش إلى الأبد ، وذلك في ٢٠ رمضان من السنة السابعة للهجرة الواقع في ٨ كانون الثاني لعام ٦٣٠ ميلادية^(١) .

وفي تلخيص هذه النبوة نقول : إنّ آخر الأنبياء سيظهر في عام ٥٧١ ميلادية ، وسوف تظهر دعوته وشريعته في عام ٦١٤ ميلادية ، وستكون وفاته في عام ٦٣٣ ميلادية ، ويجب على المتطهرين المتقين والممحصين كما تقول النبوة أن يتبعوا هذا النبيّ ؛ لأن في اتباعه خلاصهم .

* * *

(١) تاريخ الأمم الإسلامية للخضري بك .

خلاصة النبوءات بمحمد ﷺ في العهد القديم :

يخرج من نسل إسماعيل بن إبراهيم أمة عظيمة ، ومن هذه الأمة يخرج نبيّ ذو شريعة جديدة مختلفة عن شريعة موسى ، ويكون له ملك ، وحكم ، فيقود أمتة بشريعة إلهية جديدة ، وينتقل الملك والنبوة من بني إسرائيل إليه ، لذلك فهو (الشيلوه) الذي تشير إليه التوراة ، وهذا النبي هو سيّد الأنبياء ، وسيّد الملوك ، وعندما يظهر يجب على اليهود اتباعه على شريعته وترك شريعتهم ؛ لأنها سوف تلغى مع ظهور هذا النبي .

يُدعى هذا النبي رسول الله ، ويظهر في مكة ، وتعرض له قبيلته قريش بالقتل ، فيهرب مع أتباعه إلى المدينة وبعد سنة تقوم معركة بينه وبين قريش فيقضي على جابرة قريش .

يعرج بهذا النبي إلى السماء ، فيجتمع له النبوة والملك ، فيقود أمةً تأتمر بشريعة الله التي أنزلها عليه ، ويشكل جيشاً عربياً قوياً متواضعاً من القديسين (الصحابة) يدخلون مكة ويحطمون أصنامها ، وتنتشر جيوشه حتى تبلغ بابل ، فتحطم أصنامها إلى الأبد ، وتنتشر دعوته في كافة بقاع الأرض براً وبحراً وفي الجزر وعلى الجبال وفي السهول ، وتمتلئ الدنيا تسبحة وتهليلاً لله تعالى الواحد الأحد الذي لا شريك له .

ويجب على اليهود والمسيحيين اتباعه ، فيتبعونه ؛ لأنه رسول الله الذي ارتضاه واصطفاه من بين عباده ، لا يلين أمام القوة ، ولا يضعف أمام الإغراءات الدنيوية ، وهو يظهر في وقت انهارت فيه القيم الإنسانية ، وتداخلت فيه الدعوات الصحيحة مع الدعوات الباطلة .

يولد في مكة عام ٥٧١ ميلادية ، ويعلن دعوته عام ٦١٤ ميلادية ، ويدخل مكة ليحطم الأصنام سنة ٦٣٠ ميلادية ، ويموت في عام ٦٣٣ ميلادية ، وينشأ

بعده حكم عادل ، ويتسلم بعده السلطة رجال عادلون صادقون أوفياء
لدينهم ، ولرسولهم .

ومن صفات هذا النبيّ أن يدعو الله الواحد الأحد ، وينبذ عبادة
الأوثان ، وهو صادق أمين ، محبوب ، وديع ، متواضع ، لا يفعل السوء
أبداً ، يُنزل الله عليه وحياً فيبلغ الناس بما قال الله له .

يتضح ممّا سبق أنّ أصحاب العهد القديم يعرفون هذا النبيّ معرفةً
تامةً ، ومن الواجب عليهم حسب كتابهم أن يؤمنوا به ، ويتّبعوه إلا أنهم
أنكروا هذه النبوة ، وهم بذلك ينكرون كتابهم الذي يؤمنون به ، لذلك
فلقد رفضوا الدخول في الإسلام ، ورفضوا الاعتراف بتوراتهم ، وعلى
ذلك فقد كفروا مرتين ، وصدق الله تعالى إذ يقول في سورة البقرة :
﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٦] .

وفريق آخر منهم كان يعلم ويكتّم هذا العلم حتى لا يشهد لمحمد ﷺ
بالنبوة ؛ خوفاً من أن يؤمن به عامة اليهود ، ولكلّ منهم أسبابه ، علماً بأنّ
من أتباع اليهودية من آمن برسول الله ، وحسن إسلامه ، فنال أجره مرّتين
مرةً لإيمانه بموسى ، والثانية لإيمانه بمحمد ﷺ .

* * *

النبوءات بمحمد ﷺ في العهد الجديد :

يعتبر المسيحيون اليهودية ديناً سابقاً لدينهم ، وهم يؤمنون بكتب اليهود السابقة ، أعني مجموعة العهد القديم ، لذلك فهم يسمّون كتابهم بالعهد الجديد ، ومجموع العهد القديم مع العهد الجديد يسمّى عندهم الكتاب المقدّس .

ويتألف الكتاب المقدّس المسيحي من :

أولاً- الأسفار والكتب والأنشيد والرؤى الموجودة في العهد القديم :
والمؤلفة من تسعة وثلاثين سفرأ ، يضاف إلى ذلك تسعة أسفار يونانية التي يعتبرها البعض غير قانونية .

ثانياً- العهد الجديد ، وهو مؤلف من :

١- البشارات وأعمال الرسل : وهي تعرف بالإنجيل القانونية ، وهي أربعة ، وهي : إنجيل متى ، وإنجيل مرقس ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل يوحنا بالإضافة إلى سفر أعمال الرسل ، علماً بأن كلمة إنجيل (هي كلمة آرامية تعني البشارة) .

٢- الرسائل : وهي عبارة عن مراسلات بين المبشرين وأتباعهم من المسيحيين .

٣- رؤيا يوحنا : وهي رؤيا روحية ليوحنا يصف فيها نبوءته .

هذا ، ويختلف المسيحيون حسب فئاتهم بالإيمان بهذه الأسفار ، فالبعض يؤمن بجميع الأسفار في الكتاب المقدس ، والبعض يؤمن بأسفار ، ويترك أخرى ، ولا تتفق جميع الفئات على تقديس كافة الأسفار .

بشارات يوحنا المعمدان : يوحنا المعمدان يبشر بظهور نبيّ الإسلام :

يوحنا المعمدان هو (يحيى بن زكريا) وحسب روايات الأناجيل الأربعة هو قريب للمسيح ، وكان يكبر المسيح بستة أشهر ، لذلك فهو معاصر له ، لكن طفولته غير معروفة مع أنّه ناصريّ يعيش في البرية يأكل الجراد والعسل البري ، ويغطي جسمه بكساء مصنوع من وبر الجمال ، ويتمنطق بحزام من الجلد ، وقد عاش حياة عزوبية قائمة على العفة والزهد والتقوى ، وعندما بلغ الثلاثين من عمره أو يزيد أخذ يدعو الناس للتوبة وتعميد الخاطئين بالماء ، وراحت اليهود تقصد يوحنا المعمدان لسماع مواعظه الناريّة التي كان يلقيها على اليهود التائبين والمعمدين في نهر الأردن . وقد وبّخ يوحنا المعمدان الفريسيين ، والقسس المثقفين والمتعصبيين ، وهذد الصدوقيين أشدّ فئات اليهود ضلّالاً لأنهم ينكرون البعث ، والحساب ، ولا يعترفون بالتلمود ، ولا يقدسون التوراة ، وينكرون وجود الملائكة والشیاطين ، ويعتقدون أنّ الإنسان مخير فقط ، ولا ينتظرون المسيح المنتظر .

وقد أعلن يوحنا المعمدان أنّه كان يعمّدهم بالماء فقط كرمزٍ لتطهير القلوب بالتوبة ، وأذاع أنّ نبياً آخر قادمٌ بعده وسوف يعمّدهم بالروح القدس والنار ، وسوف يجمع قمحه في مخزنه ، ويحرق القش ، بنار لا تخدم ، كما أعلن أن القادم من بعده سيكون أعلى مكانة منه ، من حيث القوة والكرامة ، بحيث إنّ المعمدان اعترف أنه : « لا يستحق شرف الانحناء وحلّ سيور حذاء هذا النبي » .

وقد كان ليوحنا المعمدان إنجازٌ عظيمٌ ، وهو أنه عمّد يسوع المسيح بماء الأردن ، وقد تعمّد المسيح على يديه كأيّ شخصٍ آخر^(١) .

(١) يوحنا (١، ٩) .

ولكن ثمة أجوبة غامضة في الأسئلة التي وجهت إلى يوحنا من قبل الرهبان ، فقد سألوه : « هل أنت المسيح ؟ هل أنت إيليا ؟ »^(١) .

وعندما نفى أن يكون هو المسيح ؛ قالوا : « إذا لم تكن المسيح ، ولا إيليا ، ولا ذلك النبي ، إذا فلماذا تعمد ؟ ! » .

والسؤال الذي يهْمُنَا هنا هو : من هو ذلك النبي ؟ فهل المقصود في هذه الشهادة هو المسيح ؟! بالطبع لا ، وذلك لأنه من المستحيل أن يكون السيد المسيح هو المقصود بكونه ذلك النبي للأسباب التالية :

١- يقول يوحنا : « إِنَّ ذَلِكَ الْآتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي »^(٢) .

وكلمة (بعد) تدل على مستقبل غير معلوم بعده ، والمسيح قد عاصر يوحنا ، وبالتالي ليس هو المقصود .

٢- لو كان المقصود بكلام يوحنا هو المسيح لكان يوحنا أحد أتباع يسوع وخضع له كتلميذ ، وتابع له ، ولكن الأمر ليس كذلك ، بل على العكس كان يوحنا يعظ ، ويعمّد ، ويستقبل التلاميذ ، ويعلمهم ويؤبّخ الملك هيرودس ، ويقرّع الطبقات الحاكمة اليهودية ، ويتنبأ بقدوم نبيّ آخر أقوى منه ، ودون أن يعير أدنى التفاتة إلى قريبه المسيح الموجود في يهوذا أو الجليل !! .

٣- إِنَّ يوحنا عندما كان في السجن سمع عن معجزات المسيح ، فأرسل تلاميذه للمسيح كي يسألوه : « هل أنت النبي الذي سيأتي أم نتوقع واحداً آخر ؟ »^(٣) .

(١) يوحنا (١ ، ٢٤) .

(٢) يوحنا (١ ، ٢٧) .

(٣) متى (١١ ، ٣) .

وكالعادة يجيب يسوع جواباً غامضاً!! لكن على ما يبدو أنه أكد ليس ذلك النبي المتظر فالمعجزات التي ظهرت على يديه لا تدلُّ على أنه ذلك النبي ، لهذا قال لهم : معجزاتي حسيّة فقط ، أما النبي المتظر فمعجزاته تتعدى ذلك دون أن يحدّد ماهيّتها ، لكنه اكتفى بتعداد معجزاته هو فقط^(١) .

٤- تقدّم الكنائس شرحاً لعبارة أشعيا (٤٠ ، ٣) : « صوت صارخ في البريّة ، هيثوا طريق الرب » على أنّ يوحنا هو سلف المسيح المبشر به ، أو تقدّمه على أنه رسول للمسيح استناداً إلى قول النبي ملاخي (٢٣ ، ٣) : « ها أنا أرسل إليكم إيليا النبي ، قبل أن يجيء يوم الرب العظيم الرهيب » .

فمن الخطأ القول بأن مهمة المعمدان هي إعداد الطريق للمسيح ؛ لأنه سلفه من ناحية ، وباعتباره فاتحاً منتصراً قادماً فجأة إلى هيكله ، حيث يقيم دينه « السلام » ويجعل القدس بهيكلها أكثر مجداً من ذي قبل حسب حجابي (٢ ، ٩) : « سيكون مجد هذا البيت الأخير أعظم من مجده الأول . وفي هذا الموضع أعطي السلام »^(٢) .

إنّ تقديم الكنائس لهذا القول هو ضربٌ من ضروب الفشل ، حيث إنّ يوحنا المعمدان كان من المفروض أن يستقبل أميره في القدس عند بوابة الهيكل ، وهو يلبس التاج والأرجوان بين هتافات اليهود الشديدة الهياج ، وليس عارياً مثله في وسط نهر الأردن ، ثم يقدم سيده بعد غمسه بالماء إلى الجماهير بقوله : « انظروا هذا هو المسيح » ؟!

(١) متى (١١ ، ٤-٦) .

(٢) انظر كتاب محمد في الكتاب المقدّس لعبد الأحد داود (ص ١٧٢) .

والحقيقة أنَّ مهمة يوحنا المعمدان هي أداء رسالة التقشف ،
والزهد ، وقول الحق حتى ولو كان هذا القول سيؤدي إلى الموت ،
وبهذا تختلف رسالة يوحنا عن رسالة المسيح .

٥- إنَّ يوحنا المعمدان ليس هو إيليا ، وذلك لأنه ورد في متى : « فإذا
شئتم أن تصدقوا ، فاعلموا أن يوحنا هو إيليا المتظر . من كان له أذنان ،
فليسمع »^(١) .

لقد قدمه المسيح على أنه إيليا فإن كان كذلك فإنه يتوجب على
المسيح أن يذكر اسم الشخص الذي كان إيليا سلفاً سابقاً له ؟ وأيضاً كان
يجب أن يعلن يسوع : « أن يوحنا المعمدان هو إيليا الذي أرسل كسلف
سابق مبشر يمهد لي الطريق » والواقع : أنَّ الأناجيل تظهر أنَّ المسيح
يجيب دائماً بطريقة غامضة ، وهذا يقلل من قدره نظراً لكونه معلّم وقائد
يتوجب أن يكون واضحاً أمام مريديه ، هذا بغضّ النظر عن ألوهيته !!

إذاً وبناءً على ما تقدم يتضح أنَّ النبي الذي سُئِلَ عنه يوحنا المعمدان
ليس هو يسوع ، إذاً من هو هذا النبي ؟ ؟ ؟

إنَّ هذا النبي الذي يتكلم عنه يوحنا المعمدان والمسيح ما هو إلا
محمد ﷺ ، وذلك للأسباب التالية :

١- عندما يقول يوحنا المعمدان : « لا تقولوا لأنفسكم إنَّ أبانا هو
إبراهيم ، أقول لكم : إن الله قادر على أن يجعل من هذه الحجارة أبناء
لإبراهيم . هاهي الفأس على أصول الشجر ، فكل شجرة لا تعطي ثمراً
جيداً تقطع ، وترمى في النار »^(٢) .

(١) متى (١١، ١٤) .

(٢) متى (٣، ٩ و ١٠) .

إنَّ هذه العبارة ترمز إلى شجرة إبراهيم التي أعطت فرعين أساسيين هما : فرع إسماعيل ، وفرع إسحاق ، فعندما يوضع الفأس في فرع (يهوذا) وهو وارث النبوة في بني إسرائيل ؛ فإنَّ المقصود أنَّ النبوة سوف تنتهي من بيت يهوذا ، وتنتقل إلى الفرع الآخر ، وهو فرع إسماعيل على اعتبار أنَّ سياق العبارة يدل على النبوة ، لذلك فإنَّ النبوة ستظهر في نسل إسماعيل ، وقد ظهرت فعلاً في شخص محمد ﷺ .

٢- إنَّ قول يوحنا المعمدان : « أنا أعمدكم من أجل التوبة ، وأما الذي يجيء بعدي فهو أقوى مني ، وما أنا أهل لأن أحمل حذاءه . هو يعمدكم بالروح القدس والنار »^(١) .

ويعني قول يوحنا أنَّه يعمد بالماء دون تغيير الشريعة ، وذلك من أجل التوبة والعودة إلى شريعة موسى فقط . أما النبيُّ الذي يأتي بعده فهو أقوى منه في كل شيء ، وهو أعلى منه درجةً في النبوة لدرجة أنَّه لو حدث وقابله فإنَّه ليس أهلاً لأن يحمل حذاءه لسموِّ درجة نبوته .

وأما عبارة : هو يعمدكم بالروح القدس والنار ؛ فإنَّ هذه المعمودية الروحية والنارية لرسول الله العظيم ، ليس باعتباره كائناً إلهياً أو إلهاً أو ابن إله ، ولكن باعتباره وكيلاً ربانياً ، ووسيلةً يتم عن طريقها ذلك التعميد الإلهي .

لقد بلَّغ محمد رسالة الله التي كانت كلمته العليا ، وكان يؤم المصلين ويقوم بالشعائر الدينية ، ويخوض الحروب ضد الوثنيين للدفاع عن رسالة الله . ولكن النجاح والنصر الذي كان يتحقق كان من عند الله . وبنفس الطريقة وعظ يوحنا ، وعمد ، ولكنَّ الكفارة والتوبة لا يهبها إلا الله لعباده التائبين .

(١) متى (٣، ١١).

بالإضافة إلى ذلك فإن نبوءة يوحنا بهذا النبي والتي تقول : « إنَّ الذي يأتي بعدي أقوى مني ، وسوف يعمدكم بالروح والنار » . وهي نبوءة مفهومة ؛ لأنَّ هذه المعمودية الروحية قد أعطيت لمحمد وحده .

٣- يقول المسيح : « الحقُّ أقول لكم : ما ظهر في الناس أعظم من يوحنا المعمدان ، ولكن أصغر الذين في ملكوت السموات أعظم منه »^(١) .

قد تبدو هذه العبارة لغزاً محيراً ، يقول الأستاذ عبد الأحد داود : إنَّ عبارة « ما ظهر في الناس أعظم من يوحنا المعمدان » . هي عبارة غامضة ، فهل أراد المسيح أن يعلم أتباعه أن يوحنا المعمدان وجميع الأنبياء الأتقياء كانوا خارج مملكة الله ؟! فمن هو الأقل الذي كان أعظم من يوحنا ، وبالتالي من كافة الناس الذين سبقوا المعمدان؟! وهل يقصد المسيح بكلمة /الأقل منه/ أو الأقل بين النصارى المعمدين ؟ لا يمكن أن يكون نفسه لأن تلك المملكة لم تكن قائمة في زمنه على الأرض . وإذا كانت قائمة فإنه لا يمكن أن يكون هو الأقل فيها لأنَّه هو مؤسسها .

يعتبر تفسير الكنيسة تفسيراً غير مقبول ، حيث إنها تعتبر أنَّ المسيحي مهما كان خاطئاً أو جاهلاً ومنحط القدر فله حق التمتع بالامتيازات التي تطلع إليها الأنبياء ، ولكن لم يبلغها ، شريطة أن يؤمن بأنَّ المسيح هو مخلصه .

وعلى ذلك يكون أقل واحد من النصارى هو « أعظم » من كافة الأنبياء! ؟ ألا ترون أنَّ هذا النوع من الاعتقاد هو أبعد ما يكون عن اللياقة

(١) متى (١١، ١١) .

والملاءمة في هذه الأيام الراقية التي تتميز بالعلوم المتقدمة .

إنَّ المقارنة التي قام بها المسيح هي بين يوحنا وجميع الأنبياء السابقين في مملكة السماء وحسب الترتيب الزمني ، فإن آخر الأنبياء سوف يكون أصغرهم جميعاً ؛ لذلك سيكون آخرهم ترتيباً ، أو أصغرهم سنّاً .

وسوف يعتبر النصراني أنَّ المسيح ليس آخر الأنبياء ، ولذلك لا يمكن أن يكون أصغرهم ، ولم يكن الرسل وحدهم يتمتعون بهبة النبوة ، بل حسب الاعتقاد المسيحي فإنَّ أناساً صالحين كثر يتمتعون بها^(١) .

وعلى اعتبار أننا لا نستطيع تحديد الرسول الأخير من بين رسل الكنيسة الكثيرين ، فإننا يجب أن نبحث في مكان آخر عن نبي يكون الأخير دون شك ، ويكون خاتم سلسلة الأنبياء ، فلا نجد إلا محمداً رسول الله العربي ، الهادي ، البشير ، النذير ، خاتم الأنبياء ، وهذا من الأمور بالغة الدلالة على نبوة محمد ﷺ دون غيره من الأنبياء .

إنَّ محمداً رسول الله بلا مرأى ، هو الأصغر سنّاً في سلسلة الأنبياء ، وهو صفوتهم . إنَّ إنكار الطابع النبوي والرسولي لرسالة محمد هو إنكار أساسي لكل الوعد الإلهي وكافة الرسل الذين بشروا به ؛ لأنَّ جميع الأنبياء معاً لم ينجزوا العمل الهائل الذي فعله نبيُّ مكة وحده في فترة قصيرة لم تتجاوز ثلاثة وعشرين عاماً من بعثته الرسولية .

وعبارة يوحنا المعمدان عندما يقول : « إن من يجيء بعدي قد خلق قبلي لأنه كان قبلي »^(٢) .

لا يمكن تفسيرها إلا عندما تقرأ إنجيل برنابا ، وهو يروي عن

(١) سفر أعمال الرسل (١١ ، ٧) و(٢٨ ، ١٣) و(١٥ ، ٣٢) و(٢١ ، ٩-١٠) ... إلخ .

(٢) يوحنا (١ ، ١٥) .

المسيح ، وهو يتكلم عن روح محمد التي يعلن أنَّها خُلقت قبل كل شيء .

ومن العبث تفسير هذه الكلمات المدهشة ليوحنا عن « محمد » على أنَّها تشير إلى المسيح ، كما يحاول مؤلف الإنجيل الرابع أن يقنعنا .

* * *

بشارة المسيح عليه السلام الأولى برسول الإسلام أحمد :

لقد كان بعض الرعاة يرعون أغنامهم في حقلٍ قريب من بيت لحم في ذات الليلة التي ولد فيها المسيح ، وفجأةً ظهر حشدٌ من الملائكة في السماء ينشدون بأصوات عالية الترنيمة (النشيد) التالية :

« المجد لله في الأعالي ، وعلى الأرض السلام ، وفي الناس المسرة »^(١) .

من المفروض أن تنشد الملائكة هذا النشيد بلغة يفهمها الرعاة البسطاء ، ولغة هؤلاء الرعاة يجب أن تكون العبرية ، أو الآرامية ، لكن هذه الترنيمة وردت فقط باللغة اليونانية ، والله وحده فقط يعلم الأصل الذي نقل عنه لوقا هذه الترنيمة ؟ ويشرح الأستاذ عبد الأحد داود في كتابه « محمد في الكتاب المقدس » ص ١٤٧ ، فيقول : إنَّ هذه الترنيمة نقلت من اليونانية ، وترجمت إلى بقية الترجمات بغير معناها الدقيق ، لذلك فقد اتخذت الترجمات المعنى الذي ترجم في الترنيمة المذكورة .

وبالعودة إلى اللغة اليونانية نجد أنَّ عبارة السلام المقصود بها (EIRINY) والحقيقة أنَّ المرادف لهذه الكلمة في جميع اللغات السامية هو

(١) لوقا (٢، ١٤) .

« شالوم ، وشلاما ، وإسلام » وهكذا فإنَّ ظهور الملائكة للرعاة مُبشرين بظهور الإسلام ، وهذه الترنيمة لا تعني سوى أنَّ المسيح قد ولد ليكون أول الممهدين للإسلام . ويدعم هذا الرأي أنَّه ورد في إنجيل متى ما يلي : « طوبى لصانعي السلام ، لأنهم يدعون أبناء الله »^(١) .

وكلمة صانعي السلام هنا لا يقصد بها سوى الإسلام كدين يظهر في الأرض . هذا ما يخصُّ كلمة (السلام = EIRINY) أما ما يخصُّ كلمة الممرَّة والتي وردت في النسخة اليونانية (EUDOXIA) فهي تتألف من شقين :

الأول : (EU) وهو صفة تابعة للاسم ، وتعني « جيد ، حسن ، أكثر ، الأكثر » .

الثاني : (DOXIA) مع أنَّ الكلمة نادرة الاستعمال ، ولكنها تستخدم للتعبير عن : الرأي أو المعتقد - المبدأ والعقيدة والمذهب - التوقع أو الأمل .

ومع ذلك فإنَّ المعنى العام لهذه الكلمة (EUDOXIA) هو المجد لأنهم عندما ترجموا القسم الأول من الترنيمة ترجموا كلمة (DOXIA) على أنها المجد ، فقالوا : (المجد لله في الأعالي) .

ويجمع يونانيو القسطنطينية أنَّ المفهوم العام لكلمة يوديكا (EUDOKIA) هو السرور ، المحبة ، الرضا ، الرغبة ، وكذلك اعترفوا أيضاً أنَّ الكلمة ذاتها في معناها الأصلي تعني « الشهرة ، المعرفة ، الشرف » .

وعندما ترجمت الترنيمة إلى السريانية في نسخة « البشيتا » ترجموا كلمة (يودوكيا) التي يلفظها اليونانيون (إيفدوكيا) إلى (سوبرا تابا)

(١) متى (٥، ٩) .

وتلفظ (سوفرا - تافا) وهي تعني : (الأمل الطيب) أو (التوقع الطيب)
بينما ترجمت الكلمة اللاتينية نفسها (بونا فولانتاس) إلى النية الحمنة .
ونوضح أنَّ كلمة (سوفرا - تافا) يقابلها باليونانية (إيبوالبس) أو
بالأحرى (يولبستيا) وليس يودوكيا .

وكلمة (بونا فولانتاس) اللاتينية تعني باليونانية (يوشيلما) وليس
يودوكيا . يتضح مما سبق أنَّ الترجمة لكلمة (يودوكيا) اليونانية ليست
سوفرا - تافا السريانية وليست بونا فولانتاس اللاتينية ، وبالتالي فإنَّ
الترجمة للسريانية واللاتينية ليست صحيحة سواء كان عن حسن نية أو سوء
نية!!

وبالمقارنة مع اللغة العبرية نجد أن كلمة (EUDOKIA) اليونانية
تتطابق في معناها الدقيق والحرفي مع معناها العبري ، والذي يعني : « ما
حامد وما حامود ، وَحَمْدًا وَحِمْدٌ » وهذه المترادفات تستعمل في العهد
القديم بشكل متكرر :

١- (حاماد أو حمده) : إنَّ هذا الفعل يتألف من حروف ساكنة أصلية
« ح م د » وهي معروفة لجميع اللهجات الساميّة ، وحيثما جاءت هذه
الحروف في الكتابات اليهودية فإنها تعني « يشتهي ، يقع في الحب ،
يشتااق إلى ، يتلذذ ، يتذوق ، يرغب ، يعمق » .

وتتطابق هذه المعاني كُلُّها مع كلمة « شهوة » التي تعني في الإنكليزية
« الرغبة الشديدة ، أو التلهف ، أو الجشع ، أو الطمع ، أو الرغبة
الجامحة والشهية » وهذا هو المغزى والمعنى الدقيق للفعل « حاماد » في
المخطوطات العبرية ، فقد ورد في سفر التكوين (٢٠ ، ١٧) إحدى
الوصايا العشر من التوراة تقول : « لوتا حمود إيش رَايخا » وهي تعني
« لا تشته زوجة جارك » .

٢- « حمد » اسم مذكر لكلمة مؤنثة هي (حمدا) وهما يدلان على الشهوة ، اللذة ، الرضا ، البهجة ، التلهف ، الجمال . وهي كلمة قد وردت في سفر حجابي (٢ ، ٧) وسفر أرميا (٣ ، ٢٥) . إلخ .

٣- ما حماد ، ما حامود وردت في نواح أرميا (١ ، ١٠) و (١١ ، ٣ ، ٤) وهاتان صيغتان لاسم الفاعل واسم المفعول مشتقان من الفعل (حمد) ومعناها : « المرغوب فيه جداً ، البهيج ، الرائع ، اللطيف ، اللذيذ ، الجذاب ، القيم ، المحبوب » ولا مجال للشك أبداً بأن الصيغة العربية لاسم « محمد » والعبرية (ما حماد ، وماحامود) هي مشتقة من أصل واحد ومن نفس الفعل أو الجذر ، بالرغم من الفروق اللفظية البسيطة في التهجئة .

وبناءً على ذلك فإن ترنيمة الرعاة الواردة في لوقا (٢ ، ١٤) تعني بالضبط كما قالتها الملائكة وباللغة التي يفهمها الرعاة الذين نقلوها هي كما يلي : « المجد لله في الأعالي ، وفي الأرض الإسلام ، وبين الناس محمد » وهنا تظهر المعجزة الفريدة في تاريخ الأديان ، حيث أطلقت أمّه أمنة على ابنها اسم محمد بن عبد الله ، على الرغم من أنها كانت غارقة في مجتمع وثني لا يعرف شيئاً عن النبوءات العبرية ، ولا أيّ شيء عن المخطوطات المسيحية الخاصة بهذا النبي الكريم محمد ﷺ .

والأهم من ذلك هو تطابق كل الكلام السابق مع الآية القرآنية التي يقول تعالى فيها عن إحدى وظائف المسيح ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَمَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الصف : ٦] .

إذاً من وظائف المسيح هو أن يبشر برسول الله محمد ﷺ ، وهذه الفكرة تقودنا إلى سؤال آخر هو : هل كان يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) كما تصفه الأناجيل مبشراً بالمسيح حقاً ؟ أم أن يوحنا المعمدان كان يبشر برسول الله محمد ؟

وللإجابة عن هذا السؤال لا نجد سوى إنجيل برنابا وحده ؛ الذي يؤكد أنَّ يوحنا المعمدان كان يبشر فقط بمحمد رسول الله في كل البشارات التي بَشَّرَ فيها ، وقد فسرهما أصحاب الأناجيل الأربعة على أنها نبوءات لقدم المسيح ، وهذا ليس صحيحاً على الإطلاق ، كما كنا قد أوضحنا سابقاً .

بشارة المسيح عليه السلام الثانية بالباراكليتوس :

جاء في إنجيل يوحنا العبارات والفقرات التالية :

أ - (١٤ ، ١٦ ، ١٧) : « سأطلب من الآب أن يعطيكم معزياً آخر يبقى معكم إلى الأبد . هو روح الحق الذي لا يقدر العالم أن يقبله ، لأنه لا يراه ولا يعرفه ، أما أنتم فتعرفونه ؛ لأنه يقيم معكم ويكون فيكم » .

ب - (١٤ ، ٢٦) : « المعزي وهو روح القدس الذي يرسله الآب باسمي سيعلمكم كل شيء ويجعلكم تتذكرون كل ما قلته لكم » .

ج - (١٤ ، ٣٠) : « لأن سيد هذا العالم سيجيء لا سلطان له علي ، ولكن يجب أن يعرف العالم أنني أحب الآب وأني أعمل بما أوصاني الآب » .

د - (١٦ ، ٧ ، ١٥) : « صدقوني من الخير لكم أن أذهب ، فإن كنت لا أذهب لا يجيئكم المعزي . أما إذا ذهبت فأرسله إليكم . ومتى جاء وبخ العالم على الخطيئة والبر والدينونة » .

هـ - (١٦ ، ١٢ ، ١٥) : « عندي كلام كثير أقوله لكم بعد ، ولكنكم لا تقدرون الآن أن تحتملوه . فمتى جاء روح الحق أرشدكم إلى الحق كله لأنه لا يتكلم في شيء من عنده ، بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بما يحدث ، سيمجدني لأنه يأخذ كلامي ، ويقوله لكم » .

إن جميع هذه النصوص منقولة عن إنجيل يوحنا المكتوب أصلاً باللغة اليونانية ، ومن غير المعروف عن أي لغة نقل أو ترجم .

ويتضح أن عبارة (معزي أو روح الحق) هي الغامضة في جميع هذه النصوص ؛ لذلك فهي تحتاج إلى شرح وتوضيح ، لذلك لابد أن نقبس من كتاب الأستاذ عبد الأحد داود « محمد في الكتاب المقدس » حيث يقول :

إن كلمة المعزي أو روح الحق هي في الأصل اليوناني (PERIQUETTOS) وقد ورد شرحها في قاموس الإسكندر الإغريقي - الفرنسي كما يلي :

PERIQUETTOS: Qu'on peut entendre de tous les Côtés, qu'il est facile à entendre. Très célèbre ets... = Pericleitos, très célèbre, illustre, glorieux; = perikleys, très célèbre, illustre, glorieux, from = Kleos, glorire, renomme, celebre.

وهذا ترجمته « يعني الذي هو معروف للجميع ، والذي يسمع ذكره بسهولة وهو مشهور جداً ولا مع جداً » .

وهذا الاسم المركب مكون باليونانية ومؤلف من المقطع (peri) والمقطع (Kleotis) وهذا مشتق من التمجيد ، أو الثناء ، وحتى عندما يكتب هذا الاسم بالإنجليزية « Pericleitos » أو « PERIQLYTOS » فهو يعني بالضبط ما يعنيه اسم أحمد باللغة العربية أي المشهور والممجد .

وبالعودة إلى إنجيل يوحنا في جميع اللغات الأصلية فإننا نجد أن : في النسخة اللاتينية تترجم الكلمة إلى (مُعزي) أما بالنسبة للنسخة السريانية فإنها ترد كما وردت في النسخة اليونانية (باراكليتوس) وفيما لو ترجمت كلمة باراكليتوس إلى السريانية لوردت على شكل (مُحَامَدَا) أو (حميدا) وذلك لتناسب مع كلمة باراكليتوس اليونانية ومحمد وأحمد العربية .

والحقيقة إنّ كلمة باراكليتوس لا يمكن أن يكون معناها إلا محمداً ،
وذلك على عكس ما يمكن أن يفسروها ، فقد قالوا :

١- إنّها كلمة تعني معزي ، فلو كانت تعني معزي لكانت
(PARAKALON) وذلك من الفعل (PARAKALOO) الذي يعني (ينادي -
يدعو - يحث - يعزّي - يرجو - يناشد) .

٢- وهي لا تعني « محامي » ؛ لأن كلمة محامي هي
(SANEGOROS) .

٣- كلمة باراكليتوس لا تعني « وسيط » ، ولا « شفيع » ، ولو كان
المقصود كذلك لاستعملت كلمة (MEDITEA) .

٤- كما أنها لا تعني روح القدس ؛ لأن كلمة روح هي (PNEUMA) ،
وبالتالي فإنّ كلمة باراكليتوس لا تعني روح الحق .

يتضح أنّ كلّ ما ترجمت به كلمة باراكليتوس غير معنى (محمد) هو
خطأ واضح .

نعود الآن بعد هذا التوضيح لمعرفة صفات الباراكليتوس كما وردت
في إنجيل يوحنا ، فنجد ما يلي :

١- إنّ ذكر عبارة (معزياً آخر) تعني : أن المسيح نفسه هو معزّ أول ،
إذاً فإنّ المعزي الآخر سيكون على مرتبة المسيح .

٢- إن « الباراكليتوس » سيعلمكم كلّ شيء ، ويجعلكم تتذكرون كل
ما قلته لكم . هذه العبارة تعني : أن من سيأتي سيعلمهم كل شيء في
شريعتهم ، وسيتمّ تعاليم المسيح التي لم يستطع أن يكملها ؛ لأنه
سيرحل ، وعند ظهور الباراكليتوس سيجعلهم يتذكرون أقوال المسيح
ويدققوا فيها كلمة كلمة .

٣- لقد وصفه المسيح بأنه سيد العالم ، وسيأتي بعد المسيح ينقح كل ما قيل عن المسيح ، وكل ما نسب قبله للمسيح ، ويبرئه منها ويشهد للمسيح أنه قد أدى أمانة الله في تبليغ رسالته إلى الناس .

٤- إنَّ قدوم الباراكليتوس مرتبط بذهاب المسيح ، وعند قدومه فإنه سيوبخ العالم على الخطيئة ، والبرِّ ، والدينونة .

٥- إنَّ عدم قدرة اتباع المسيح على فهم واحتمال كلامه جعلته يؤجل قوله إلى أن يظهر الباراكليتوس ؛ الذي سوف يوضح لهم كل الحق والشرعة ، وعندها سيفهمون ما كان يقوله المسيح لهم .

٦- الباراكليتوس يتكلم بما يسمع ، وينقل لكم كل شيء بأمانة .

٧- الباراكليتوس ينبيء الناس بالمستقبل وبما سيحدث .

٨- الباراكليتوس يمجّد المسيح ويبرئه مما نسب إليه .

٩- الباراكليتوس يستمّد كلامه من المصدر نفسه الذي كنت (المسيح) آخذ منه أنا ، لذلك فسوف يكرّر ما قلته لكم ، ويذكركم به .

١٠- الباراكليتوس يقيم معكم ، ويكون فيكم ، لذلك فهو من البشر يسكن ، ويأكل ، ويعيش فيما بينكم ، تسألونه ويجيبكم ، فهو ليس ملاكاً ، ولا شيئاً خارقاً عن المألوف .

إذا تتبعنا هذه النقاط العشر وطبقناها على أيّ مرشح ؛ فلن نجد سوى رجلاً واحداً تنطبق عليه هذه المواصفات ، وهو محمد ﷺ .

وعموماً ومهما كانت كلمة باراكليتوس تحمل من معنى ، فإن محمداً هو المقصود ، وذلك لأنَّ محمداً رسول الله إلى الناس مثل المسيح ، وقد علم الناس كل شيء من عبادة ، وتجارة ، وسياسة ، ومعيشة ، وكل ما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة فاستحق بذلك أن يكون سيد العالم ، وقد

برأ المسيح وأمه مما نسب إليهما ، وعرف الناس طبيعة المسيح الحقيقية ، وحقيقة دعوته ، وشرف نسبه ، وطهارة مريم والدة المسيح ، وحلّ جميع الألغاز الواردة في الأناجيل .

لقد كان رسول الله محمد يوحى إليه من الله ، وهو ينقل ما سمع إلى الناس بأمانة وصدق ، وقد تنبأ وصدقت نبوآته وقد عاش بين الناس الوثنيين واليهود والمسيحيين ويجب على كل من سيسأله مهما كانت طبيعة سؤاله .

لقد كانت دعوة محمد ﷺ تامة انطلقت إلى جميع أنحاء العالم فراسل ملوك الفرس ، والروم ، واليهود ، والنصارى ، والمجوس ، واتبه من هؤلاء الخلق الكثير فكان بذلك سيد هذا العالم .

لقد تنبأ محمد ﷺ بفتح فارس ، وفتحت ، وتنبأ بفتح الشام وفتحت ، والسيطرة على جزر البحر ، وسيطر المسلمون على جزر البحر . . .

تنبأ لأصحابه بمصائرهم فكان مصير كل واحد كما قال له رسول الله بالضبط . ومن غيره وبخ العالم على الشرك والوثنية ، والشعوذة ، والسحر ، وحارب قوى الظلم ، والضلال ، والجهل ؟!

هذا هو الباراكليتوس الذي تنبأ به المسيح ، إنه محمد ﷺ ، لقد حاول بولس وأنصاره أن يوهموا الناس بأن الباراكليتوس هو بولس نفسه فدعوه بالرسول ، لكن كما أوضحنا في فصل سابق فإن بولس هذا هو ألد أعداء المسيح ، وليس رسولاً ، وأقل من آمن بالمسيح عندنا هو أفضل منه .

تأمل وصف التلمود للمسيح وأمه : « إن يسوع الناصري موجود في لجج الجحيم بين القار والنار . وإن أمه مريم أتت به من العسكري

« باندرأ » عن طريق الخطيئة ، وإن الكنائس النصرانية هي مقام القاذورات وإن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة ، وإن قتل المسيحي من الأمور المأمور بها ، وإن العهد مع المسيحي لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهودي القيام به ، وإن من الواجب أن يلعن اليهودي ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبني إسرائيل^(١) .

هل يستوي هذا الوصف مع وصف القرآن للمسيح وأمه ، ونورد على سبيل المثال ما ورد في سورة آل عمران : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾ يَمْرَيْمُ اقْنِطِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٢﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهِمُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسْسَنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْرِئُ الْمَوْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٠﴾ [آل عمران : ٤٢ - ٥١] .

(١) انظر كتاب الدكتور أحمد الشلبي عن اليهودية ص ٢٧

والذي ينظر متمعناً في أقوال التلمود عن المسيح ، وما قيل في القرآن على لسان محمد ﷺ عن المسيح يقتنع تماماً بأنّ كلام التلمود كلام أناس حاقدين ناكرين لاعنين ، أما كلام القرآن عن المسيح فهو قول العالم المنصف الصادق الذي قال ما قال لتبرئة المسيح وأمه . . . أليس محمد هو الباراكليتوس الذي أعلم الناس بأنّ المسيح أحبّ ربّه ، وأطاعه ، وعمل بما أوصاه الله به ، وقد جاء على لسان رسول الله قرآنً بيّنً وأوضح معلومات كانت مجهولةً لأتباع المسيح ، ووصف أموراً وحقائق قد أغفلتها الأناجيل نفسها ، ومن ذلك : إنّ جميع العبارات الواردة في الأناجيل للتعريف بالمسيح هي صفات له ، لكنّ الأناجيل لم تذكر اسمه الذي كانت أمه تدعوه به ؟ وقد أوضح القرآن الكريم أنّ اسمه عيسى ، وعرفت أمه ذلك الاسم قبل أن تحمل بابنها . ومن معجزات المسيح أنّه أحيا الطير المصنوع من الطين ، وأعلم الأطفال عما تطبخ أمهاتهم ، وما لديهم من مؤن في بيوتهم عندما كان صبياً صغيراً ، وعندما ولدته أمه تكلم ليعلم اليهود بحقيقته ، وبراءة أمّه مريم من الدنس ، وهذا أمر في غاية الدقة ، لأنه لو لم يتكلم الطفل المعجزة لكانت اليهود قد رجمت مريم المنذورة للمعبد أصلاً والقديسة بتهمة الزنى ، ولكان طفلها اعتبر ابناً غير شرعي ، وقتل عندها اليهود الأم والطفل ، لكن كلام الطفل عيسى ابن مريم عرّف الناس ببراءة مريم ، وأدرك اليهود أنّ عيسى ابن مريم ذو شأن عظيم ، وعليهم رعايته واتباعه ، كما أنّ القرآن الكريم ذكر مريم ، وشهد لها بالطهارة والتقوى ، وأشار بأنها تنحدر من سلالة نقيّة مؤمنة كانت نذرت نفسها لخدمة معبد الله .

وبهذه الشهادات ردّد كيد اليهود في الافتراء على مريم إلى نحورهم ، فأصبحت طاهرة كماء الثلج في عيون جميع المسلمين ، وجعلهم يشهدون بطهارتها أكثر من كثير من طوائف المسيحيين أنفسهم .

وخلاصة القول : إنّ الباراكليتوس الموصوف في الأناجيل ليس سوى محمد ﷺ ؛ لأن خصائص الباراكليتوس لا يمكن أن تنطبق إلا على محمد ﷺ .

النبوءة الثالثة : المسيح ودين جديد غير القبلة :

عندما وصل المسيح إلى المدينة السامرية (سوخار) اجتمع بامرأة سامرية أخذت تحاوره حتى سألته عن المكان الذي يجب أن يسجد لله فيه ، فقال المسيح : « صدقيني يا امرأة ، يحين وقت يعبد الناس فيه الآب ، لا في هذا الجبل ، ولا في اورشليم »^(١) .

فإذا كان السامريون قد بنوا هيكلاً على جبل جرزيم قرب مدينة شكيم (نابلس) عندما طردهم اليهود ، وإذا كان اليهود لهم هيكل في اورسالم ، فماذا قصد المسيح من قوله : سيأتي يوم يعبد الناس فيه الله في مكان غير هذين المكانين ؟

إنها نبوءة لا تعني إلا أن يظهر دين جديد للناس كلهم ، وليس لليهود والسامريين فقط ، لذلك سوف تتحول القبلة إلى مكان آخر .

لقد تحققت نبوءة المسيح فعلاً ، فعندما ظهرت نبوءة محمد ﷺ وأمر بالصلاة كانت قبلته القدس (اورشليم) لكن في السنة الثانية للهجرة وبعد ثمانية عشر شهراً ، وفي شهر شعبان حصرأ أمر الله نبيّه بتغيير القبلة ، وتحويل جهة الصلاة إلى مكة ، وفي ذلك اليوم تمّت نبوءة المسيح بتغيير القبلة .

(١) يوحنا (٤، ٢١) .

خلاصة البشارات بمحمد ﷺ في العهد الجديد :

يخرج من نسل إسماعيل عليه السلام نبيٌّ على درجة أعلى من درجة يوحنا المعمدان (يحيى) وهو رسول الإسلام ، واسمه أحمد ، وهو الباراكليتوس نفسه الذي يطهر الناس من الرجس ، وتكون له شريعة كريمة وقوية ، ويكون آخر الأنبياء .

يعلم الناس كل شيء ، ويكون سيد العالم يأتي بعد المسيح عليه السلام فيبين للناس حقيقته ، ويرثه مما نسب إليه الناس زوراً وبهتاناً .

يستطيع هذا النبي أن يتنبأ بالمستقبل ، وهو من البشر ، ومن سلالة إبراهيم ، لكنه من فرع إسماعيل عليه السلام ، وليس من فرع إسحاق .

عند ظهور هذا النبي سوف تتغير القبلة ، وتحوّل من بيت المقدس إلى الجهة التي سيظهر فيها الباراكليتوس .

وأخيراً فإنّ البشارات الواردة في كل من العهد القديم والعهد الجديد ما هي إلا اعترافات للأنبياء أمام أتباعهم على نبوة الأنبياء اللاحقين لهم ، كما أنّ هذه البشارات هي دليل صدق هؤلاء الأنبياء السابقين ، حيث إنّ عدم ظهور الأنبياء اللاحقين سيكون دليلاً على كذب الأنبياء السابقين ، الأمر الذي لم يحدث أبداً .

والحق يقال : إن كثرة الأنبياء الذين تحدثوا عن نبوة محمد ﷺ وبشروا بها وبأتباعها وأحوالهم ومستقبلهم تدعونا إلى أن نقف مشدوهين أمام هذه النبوة المحمدية الرائعة ، والواضحة ، والقطعية .

هذا ويمكننا أن نستنتج بعد أن عددنا بعضاً من بشارات الأنبياء بمحمد ﷺ أنّ تبشير الأنبياء بمحمد ﷺ يجعله يستحقّ فعلاً لقب سيد المرسلين ؛ على اعتبار أنّ الكثير من الأنبياء قد شهدوا له بنبوته قبل

ولادته بكثير ، وذلك في لحظات عصيبة من حياة هؤلاء الأنبياء ، وذلك
عندما سئموا من تكذيب الناس لهم ، فجاء وحي الله إليهم بشاره لهم أيضاً
على أن دين الله سيتشر ، ولكن عند ظهور محمد ﷺ .

* * *

دليل الوحي العشرون

التحذير من يوم القيامة

يوم القيامة هو اليوم الذي تعود فيه أرواح الخلق إلى أجسادها بعد أن يعيد الله خلق مخلوقاته ؛ لينالوا الحياة الأبدية خالدين في الجنة أو مخلدين في النار ، ويعتبر التحذير من يوم القيامة موضوعاً أساسياً من مواضيع نبوة جميع الأنبياء ، حيث إن يوم القيامة هو موعد البشر مع خالقهم للمكافأة أو للعقاب ، طالما أنَّ طابور الأنبياء الذين أرسلوا إلى البشرية قد حذّروا من هذا اليوم العصيب ، ويوم القيامة موعدٌ حتميٌّ لا بدَّ من حدوثه بدليل بسيط ؛ حيث إنه من غير المعقول أن يرتكب أفراد من البشر الجرائم في حق الإنسانية ثم تكون نهايتهم الموت دون حساب كما حدث لنبيرون ، وجانكيز خان ، وهتلر . . .

ورغم أنَّ التوراة الحالية لا تحوي إشارة إلى أنَّ موسى عليه السلام قد حذر بني إسرائيل من يوم القيامة ، إلا أنك في الوقت نفسه تجد أنَّ فئةً واحدة فقط من اليهود وهم الصدوقيون هم الذين ينكرون يوم القيامة ، الأمر الذي يؤكد أنَّ عموم فئات اليهود قد آمنت بيوم القيامة بناءً على أوامر من أنبيائهم ، وعلى رأسهم موسى عليه السلام الأمر الذي أكّده المسيح عليه السلام عندما قال : « موسى نفسه أشار في الكلام على العليقة أنَّ الأموات يقومون لما دعا الرب إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب ، وما كان إله أموات ، بل إله أحياء ، فهم جميعاً عنده يحيون »^(١) ، ولقد

(١) لوقا (٢٠، ٣٧).

أعجب كلام المسيح عليه السلام الفريسيين اليهود وقتها ، فقالوا له :
« أحسنت ، يا معلم »^(١) .

الأمر الذي يؤكد إيمان اليهود بيوم القيامة .

وبدوره فقد حذر المسيح عليه السلام معاصريه من التلاميذ واليهود
من يوم القيامة فقال : « الحق أقول لكم : سيكون مصير سدوم وعمورة
يوم الحساب أكثر احتمالاً من مصير تلك المدينة »^(٢) .

وقال أيضاً عن يوم القيامة « يجمعون من ملكوته كل المفسدين
والأشرار ويرمونهم في أتون النار ، فهناك البكاء وصرير الأسنان . وأما
الأبرار ، فيشرقون كالشمس في ملكوت أبيهم ، من كان له أذنان
فليسمع »^(٣) .

وربما كان التحذير من يوم القيامة قد شابه بعض الغموض عند اليهود
والمسيحيين ، غير أن وصف يوم القيامة عند محمد ﷺ كان وصفاً
بانورامياً يجعلك تبكي خوفاً من هذا اليوم العصيب ، ويجعلك تبكي أيضاً
خوفاً من أن تضيع عليك فرصة دخول الجنة لكثرة ما أعد الله لعباده
الصالحين من مكافآت .

وبالطبع فإن الحديث عن القيامة حتى نهايتها أمر واسع جداً ، جاء
محمد ﷺ بتفاصيله الكثيرة ، من أجل ذلك تجدنا مضطرين إلى الاختصار
الشديد في هذا الموضوع ، ومن أراد الاستزادة عليه البحث في تفسير
القرآن وكتب السنة الشريفة أو سؤال علماء الدين الإسلامي .
وفيما يلي بعض أوصاف وأحوال أهل الجنة ، وأهل النار :

(١) لوقا (٢٠، ٣٩) .

(٢) متى (١٠، ١٥) .

(٣) متى (١٣، ٤١) .

بعض أوصاف وحالات جهنم :

قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام ، سبعون ألف ملك يجرونها »^(١) .

وقال أيضاً : « ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزءً من سبعين جزءاً من حرّ جهنم ، قالوا : والله إن كانت لكافية يا رسول الله ! قال : فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلّها مثل حرّها »^(٢) .

وقال أيضاً يصف عذاب أهل النار :

« إنّ منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى حجزته ، ومنهم من تأخذه إلى عنقه »^(٣) .

وقال محمد ﷺ : « . . . وفي جهنم كالليب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم السعدان ؟ قالوا : نعم . قال : فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يَعْلَمُ ما قَدَرَ عَظْمُهَا إلا الله ، تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم المؤمن بقي بعمله ، ومنهم المجازي (الناجي) حتى يُنَجَّى ، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممّن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يقول : لا إله إلا الله ، فيعرفونهم في النار ، يعرفونهم بأثر السجود ، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود ، حرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيُخْرِجون من النار وقد امتحشوا ،

(١) مسلم رقم (٢٨٤٢) .

(٢) مسلم رقم (٢٨٤٣) .

(٣) مسلم رقم (٢٨٤٥) .

فيصَّبُ عليهم ماء الحياة ، فينبتون منه كما تنبت الحَبَّة في حميل السيل . . . »^(١) .

بعض أوصاف وحالات الجنة :

يقول سهل بن سعد الساعدي أنه شهد من رسول الله ﷺ مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى ، ثم قال ﷺ : « فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . . . »^(٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « إنَّ أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرِّيَّ الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم . قالوا : يا رسول الله ! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم . قال : بلى ، والذي نفسي بيده ! رجالٌ آمنوا بالله وصدقوا المرسلين »^(٣) .

وقال رسول الله ﷺ : « في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً ، في كلِّ زاويةٍ منها أهل ما يرون الآخريين ، يطوف عليهم المؤمن »^(٤) .

وقال رسول الله ﷺ : « أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون فيها ، ولا يتمخضون ، ولا يتغوطون فيها ، أنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة ، ومجامرهم من الألوة ، ورشحهم المسك ، ولكلُّ واحدٍ منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من

(١) مسلم من الحديث رقم (١٨٢) .

(٢) مسلم من الحديث رقم (٢٨٢٥) .

(٣) مسلم رقم (٢٨٣١) .

(٤) مسلم رقم (٢٨٣٨) .

الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلبٌ واحد ،
يسبحون الله بكرة وعشيّاً»^(١) .

وقال رسول الله ﷺ :

« إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسَوْقاً يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ فَتَهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ ، فَتَحْثُو فِي
وُجُوهِهِمْ وَثِيَابَهُمْ فَيَزِدُّادُونَ حَسَنًا ، وَجَمَالًا ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ
ازْدَادُوا حَسَنًا وَجَمَالًا ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُهُمْ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حَسَنًا
وَجَمَالًا ! فَيَقُولُونَ : وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ أَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حَسَنًا وَجَمَالًا »^(٢) .

وقال رسول الله ﷺ أيضاً : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي
ظِلِّهَا مِئَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا »^(٣) .

وقال رسول الله ﷺ أيضاً : « يَقُولُ اللَّهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ !
فَيَقُولُونَ : لَبِّكَ رَبَّنَا وَسَعْدِيكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ! فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟
فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبُّ ! وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تَعْطِ أَحَدًا مِنْ
خَلْقِكَ ! فَيَقُولُ : أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُونَ : يَا رَبُّ ! وَأَيُّ
شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُ : أَحَلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ
بَعْدَهُ أَبَدًا »^(٤) .

* * *

(١) مسلم رقم (٢٨٣٤) .

(٢) مسلم رقم (٢٨٣٣) .

(٣) مسلم رقم (٢٨٢٧) .

(٤) مسلم رقم (٢٨٢٩) .

دليل الوحي الواحد والعشرين

الأنبياء يحذرون من المسيح الدجال

المسيح الدجال هو ذلك الشخص الذي يظهر في آخر الزمان وقبل قيام الساعة اختباراً وتجريباً لإيمان الناس بالله تعالى ، وحتى يتمكن الدجال من تأدية مهمته ، أيده الله بخوارق حسية فقط ، وانتزع منه مواصفات النبوة التي تدل على الإيمان والتوحيد ليتبين للناس دجل هذا الشخص ، وكذب دعوته ، لكن الذي سيحدث أنَّ الأغلبية الساحقة من الناس سوف تتبعه حتى يحق قول الله عليهم وعذابه .

لذلك فإنَّ الأنبياء كافة قاموا بتحذير أتباعهم من هذا الخطر الذي لا بدَّ أنه واقع ، وطالما أننا متفقدون على أنَّ الأنبياء لا يكذبون فإنَّ واجبنا الإيماني يقتضي الإيمان بظهور هذا البلاء العظيم ، ألا وهو الدجال .

وحيث إنَّ التحذير من الدجال قد ورد على لسان موسى والمسيح ومحمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين ؛ فإنَّ صفة الإخبار عن الدجال يمكن أن نعتبرها مظهراً عاماً من مظاهر الوحي ، حيث لا يمكن لأحدهم أن يتحدث عن هذا الدجال من خلال معلوماته الذاتية ، بل إنَّ التبرير المنطقي الوحيد هو أنَّ مصدر هذا التحذير هو الله تعالى عن طريق وحيه الأمين .

هذا وقد أكد محمد ﷺ أنَّ التحذير من الدجال كان مهمة من مهام الأنبياء كافة الذين أرسلهم الله منذ أن كانت النبوة لنوح ، وحتى وصلت

إلى محمد ﷺ حيث قال : « . . . إني لأنذركموه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه ، لقد أنذره نوحٌ قومه . . . » (١) .

وللحقيقة نقول : إنَّ البحث عن التحذير من الدجال في التوراة أمر عبثي لا طائل منه ، وذلك لأنَّ الكُتبة قد نقلوا ما تبقى من أخبار الدَّجال إلى التلمود ؛ الذي لا يعترف به يهود السامرة بينما يعترف به يهود الجنوب .

وبالتدقيق في بعض مقاطع الأناجيل التي تعطينا بعض الخصائص والمواصفات التي يتمتع بها الدجال ، والتي كان عامة اليهود يعرفونها (وذلك في فترة دعوة المسيح عليه السلام) نستطيع أن نلمس بعض خصائص ذلك الدجال ! ؟

لكن الأناجيل ومع الأسف الشديد خلطت بين مواصفات المسيح الحقيقي عليه السلام ومواصفات الدجال لدرجة أن كُتبة الأناجيل قد صهروا الشخصيتين في شخصية واحدة ، أدَّت إلى أنَّ الشخص الحيادي الذي يحاول أن يتعرف على المسيح ، الذي تؤمن به المسيحية من خلال الأناجيل ، لا يستطيع أن يحدِّد من هو هذا المسيح الذي يتحدثون عنه ؟

وأقول : الحق أنه لولا نبوة محمد ﷺ لما استطعت - ويدعمني كمبيوتر وألف من محلي النصوص - أن أتوصل إلى فصل هاتين الشخصيتين عن بعضهما ، ومع ذلك فإنَّ الأمر لم يخل من صعوبة ، وعناء .

لقد حذر المسيح عليه السلام أتباعه من المسيح الدَّجال في فقرات عديدة من الأناجيل ، لكننا لا نستطيع أن نفهم تحذيراته إلا إذا عرفنا خصائص الدَّجال عند اليهود ، فمن هو المسيح الدَّجال عند اليهود ؟

(١) مسلم من الحديث رقم (٢٩٣١) .

أ- المسيح عند اليهود :

كل من مسح بالزيت المقدس عند اليهود هو مسيح ، وبالطبع فإنَّ اليهود كانوا وما زالوا ينتظرون مسيحاً .

والمسيح حسب الشريعة اللاويين (٢١ ، ١٠) ، يجب أن يكون ممسوحاً بالزيت ، ويتوجب عليه لبس الثياب المقدسة ، ويجب عليه أيضاً أن يغطي رأسه دائماً ، ولا يتوجب عليه أن يدخل على ميت ، ولا يخرج من المعبد المقدس الذي يعبد الله فيه ، وأن يتزوَّج من بكر طاهر .

أما المسيح عليه السلام الذي ولدته مريم فإنه لم يمسح بالزيت يوماً ، ولم يلبس الثياب المقدسة أيضاً ، وكشف رأسه أحياناً ، ودخل على الأموات ، ولمهم أيضاً ، وما كرس نفسه للمعبد أبداً ، كما أنه لم يتزوج في حياته .

فالمسيح الذي تنتظره اليهود ليس هو المسيح عليه السلام الذي ولدته مريم ، ولا تنطبق عليه المواصفات .

والسبب في ذلك : أنَّ اليهود ينتظرون المسيح الدَّجال ، وليس المسيح الحقيقي الذي بعث إليهم ، وضربوا بعرض الحائط تحذيرات موسى عليه السلام لهم بعدم اتباع المسيح الدجال .

ب- المسيح الدجال لا يعرف أحد من أين جاء !!

بينما يتكلم المسيح عليه السلام ويخطب في جموع اليهود على مرأى ومسمع من الكهنة استهجن عامة اليهود هذا السكوت ، وقالوا : « فهل اقتنع الرؤساء أنَّه المسيح ؟ لكننا نعرف من أين جاء هذا الرجل ، وأما

المسيح ، فلا يعرف أحد حين يجيء من أين جاء»^(١) .

إنَّ عبارة « حين يجيء » تؤكد أنَّ اليهود كانت تنتظر مسيحاً لا يعرف أحد من أيِّ بلدٍ جاء ، أو نسلٍ انحدر .

لم يرق للمسيح عليه السلام أن يرتبط اسمه بالمسيح المنتظر الدجال ، وهذا ما دفعه إلى الصباح بصوت عالٍ : « أنتم تعرفونني ، وتعرفون من أين أنا ، لكنني ما جئت من عندي . ذاك الذي أرسلني هو حق ، وأنتم لا تعرفونه . أما أنا فأعرفه ، لأنني من عنده جئت ، وهو الذي أرسلني»^(٢) .

فالمسيح إذاً أنكر أنه الدجال الذي لا يُعرف من أين جاء ، وأكَّد أنَّه نبيُّ أرسله الله في القدس ، وأمه مريم معروفة الحسب والنسب .

جـ - المسيح الدَّجال يبقى إلى الأبد :

ناقشت جموع اليهود المسيح عليه السلام قائلةً : « علمتنا الشريعة أن المسيح يبقى إلى الأبد . فكيف تقول : لا بدَّ لابن الإنسان أن يرتفع ؟ فمن هو ابن الإنسان هذا ؟ »^(٣) .

لكن المسيح عليه السلام صاح بأعلى صوته :

« من آمن بي لا يؤمن بي أنا ، بل يؤمن بالذي أرسلني»^(٤) . ومعنى ذلك : أنَّ المسيح عليه السلام أنكر أنه يبقى للأبد ، وأكَّد أنَّه نبيُّ مرسل أرسله الله ، وأوكل إليه مهمَّة النبوة للدَّعوة إلى الإيمان بالله .

(١) يوحنا (٧ ، ٢٧) .

(٢) يوحنا (٧ ، ٢٨) .

(٣) يوحنا (١٢ ، ٣٤) .

(٤) يوحنا (١٢ ، ٤٤) .

د- الدّجال هو ملك اليهود المنتظر :

كان نثنائيل من كهنة اليهود يقرأ في كتابه المقدس عندما أتاه صديقه الذي آمن بالمسيح فيلبس ، وقال له : « وجدنا الذي ذكره موسى في الشريعة (التلمود) والأنبياء في الكتب . فقال له نثنائيل : أمن الناصرة يخرج شيء صالح ؟ » .

كان رد نثنائيل تعبيراً عن كره اليهود للسامريين ، لكن في الوقت نفسه فإن استنكار نثنائيل يشير إلى ما جاء في التلمود من أنّ المسيح الدّجال يظهر في بلاد السامريين .

لكنّ المسيح عندما رأى نثنائيل مقبلاً إليه ؛ قال : « هذا إسرائيليّ صميم لا شكّ فيه ! فقال نثنائيل : كيف عرفتنني ؟ » .

والحقيقة أنّ معرفة المسيح لنثنائيل ليست دليلاً على نبوءة ، لأنّ أيّ يهودي آخر كان من الممكن أن يستنتج أن نثنائيل إسرائيليّ ، لأنه كان يقرأ في كتابه المقدس تحت التينة ، وهي عادة كهنة اليهود !!

إذاً فالدجال الذي حذرهم منه موسى عليه السلام هو :

١- شخص إنساني ممسوح عند اليهود لذلك فهو مسيح .

٢- لا يعرف أحدٌ من أين جاء .

٣- يبقى إلى الأبد .

٤- يعيد مملكة إسرائيل لأنه ملك اليهود الموعود .

لكنّ المسيح عليه السلام أضاف أيضاً بعض صفات للدجال عند تحذيره لأتباعه ، ولكن على ما يبدو فإنّ من كتبة الأناجيل من حاول تضخيم الموضوع في الأناجيل فاستبدل عبارة (المسيح الدّجال) أحياناً

بعبارة : مسحاء دجالون ، فإذا كان موسى عليه السلام قد حذّر من مسيح دجال واحد ؛ فليس هناك معنى لعبارة : مسحاء دجالون!!

فإذا أخذنا هذا التصحيح بعين الاعتبار نجد أنَّ المسيح عليه السلام ورد على لسانه العبارات التالية :

١- مسيح دجال يدّعي أنه المسيح فلا تتبعوه ، وظهوره من علامات يوم القيامة ، كما أن ظهور علامات كونية ستظهر في آخر الزمان .
« انتبهوا لئلا يضلّكم أحد! سيجيء من الناس من ينتحل اسمي ، فيقول : أنا هو! حان الوقت! فلا تتبعوه . وإذا سمعتم بأخبار الحروب والثورات فلا تفرّجوا لأنَّ هذا لا بدّ أن يحدث في أول الأمر ، ولكن لا تكون الآخرة بعد »^(١) .

٢- طلب المسيح عليه السلام من أتباعه عدم تصديق من يدّعي أنَّه المسيح ، والهروب منه وعدم مقابله . « فإذا قال لكم أحد : ها هو المسيح هنا! أو ها هو هناك! فلا تصدقوه »^(٢) .

٣- هناك مشاهد وخصائص سنذكرها لاحقاً في حينها ، وفي وقتها .
أما محمد ﷺ فقد أورد كافة التفاصيل والعلامات والخصائص المتعلقة بالمسيح الدّجال وعصره لدرجة أنَّك تستطيع من خلال وصف ذلك الدّجال أن تتخيّل عصره الذي يظهر فيه فتقفز إلى مرآك صورته التي سيظهر فيها دونما تشويش .

(١) لوقا (٢١ ، ٨ و ٩) .

(٢) مرقس : (١٣ ، ٢١) .

أ- صفات المسيح الدجال وعلاماته بناءً على نبوة محمد ﷺ :

يتمتع الدجال بالمواصفات التالية :

١- إنه شاب فهو ليس شيخاً ولا فتى ولا امرأة^(١) .

٢- إنه يهودي^(٢) .

٣- إنه أعور : هي صفة من صفات الدجال اختصت في وصفها نبوة محمد ﷺ فقط دون غيره من الأنبياء .

فالدجال أعور العين ، وعوره ينفي نبوته ؛ لأن الأنبياء تامو الخلق والخلق ، وهو أعور لأنه يدعي أنه المسيح الإله ، والله ليس بأعور .

وعور الدجال في عينه اليمنى ، حيث عينه طافية ذهب نورها ، وهي ممسوحة عليها غشاء سمك كأنه ظفر^(٣) .

٤- شعره شديد الجعودة . وصفه الرسول ﷺ بأنه / قَطَط/ ^(٤) .

٥- مكتوب بين عيني الدجال كلمة : (كافر) وهذه الكلمة مكتوبة بطريقة الكتابة القديمة (ك ف ر) ولا يستطيع قراءتها إلا مؤمن بالله تعالى ، ويستطيع قراءتها سواء كان أمياً ، أم كاتباً^(٥) .

٦- الدجال ليس له أولاد^(٦) .

٧- الدجال يمتنع قتله على البشر ، فلا يستطيع الناس قتله مهما كان

(١) مسلم من الحديث رقم (٢٩٢٧) .

(٢) مسلم من الحديث رقم (٢٩٢٧) .

(٣) مسلم من الحديثين (٢٩٣٢ و ٢٩٣٦) .

(٤) مسلم من الحديث (٢٩٣٤) .

(٥) مسلم من الحديث رقم (٢٩٣٤) .

(٦) مسلم من الحديث رقم (٢٩٢٧) .

«السلاح المستعمل ضده»^(١) . وهذه الصفة حورها اليهود فوصفوه بأنه يبقى إلى الأبد^(٢) .

ب- مكان ظهور الدجال ، وكيفيته ، وزمنه ، وعلاماته :

١- الكيفية : الدجال شخص عاديّ يتحوّل نتيجة حادثة تغضبه غضباً شديداً إلى الدجال الأعور ، ذي المواصفات الشكلية المذكورة آنفاً^(٣) .

٢- مكان ظهوره : يظهر الدجال ما بين شرق العراق وحتى حدود بلاد الشام وطبعاً من بين اليهود كما بينا سابقاً^(٤) .

٣- خوارق الدجال التي يعرف بها : المعجزات الحسيّة التي أُيد الأنبياء بها هي ظواهر خارقة لمعارف وقدرات البشر ، ولا يمتلك أحد من البشر إيقافها ، أو منعها ، أو ردها .

لكنّ الدجال وهو الكذاب في كلّ ما يقول ، وكلّ ما يفعل ، فإنّ الله أيّده بها حتى يستطيع المؤمنون كشفه ودحض معجزاته التي يدّعيها ، كما سنلاحظ لاحقاً لذلك ، فالدجال له خوارق ، لكنّها ليست معجزات ترتقي بحالٍ من الأحوال إلى أن تكون دليل نبوة . فكيف ترتقي إلى أن تكون دليل ألوهية ؟ لذلك فإننا أطلقنا عليها صفة /خوارق/ ، وليست معجزات .

فخوارق الدجال دليلٌ على دجله ، وليست دليلاً على ألوهيته .

(١) مسلم من الحديث رقم (٢٩٣١) .

(٢) يوحنا (١٢ ، ٣٤) .

(٣) مسلم من الحديث رقم (٢٩٣٢) .

(٤) مسلم من الحديث رقم (٢٩٣٧) .

فما هي خوارق الدجال ؟

١- يرافقه نهر ماء يدّعي أنّه من يدخله فقد دخل الجنة ، ومعه نهر من نار يدّعي أنها نار جهنم ، لكن المؤمن الذي يعرفه بعلاماته يعرف أنّ نار الدّجال هي الماء فيتقدّم ، ويشرب منها ، ويدحض خارقة الدجال ، لأنّ من يتحدّاه بشرب النار فإنه لن يضره شيء .

قال محمد ﷺ : « إنّ معه نهراً من ماء ونهراً من نار ، فأما الذي ترون أنّه نارٌ ماءٌ وأما الذي ترون أنّه ماءٌ نارٌ ، فمن أدرك ذلك منكم ، فأراد الماء فليشرب من الذي يراه أنّه نارٌ ، فإنّه سيجده ماءً » (١) .

٢- يميت ويحيي من البشر : يقدّم المسيح الدّجال لأتباعه دليلاً على ألوهيته بأنّه قادر على إحياء الموتى ، فيقتل أحد الذين لا يؤمنون به ثم يحييه ، لكنّ الدجال لا يستطيع قتل هذا المؤمن عندما يعود ليقتله ، وبذلك يدحض المؤمن الدّجال بادّعاء الألوهية .

قال محمد ﷺ : « . . . فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس ، أو من خير الناس ، فيقول له : أشهد أنّك الدّجال الذي حدّثنا عنه رسول الله ﷺ حديثه . فيقول الدجال لأصحابه : رأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكّون في الأمر ؟! فيقولون : لا . قال : فيقتله ، ثمّ يحييه ، فيقول حين يحييه : والله ما كنت فيك قطّ أشدّ بصيرةً منّي الآن . قال : فيريد الدّجال أن يقتله ، فلا يسلط عليه » (٢) .

٣- تمطر السماء بأمر الدّجال وينبت الزرع بأمره أيضاً : يستطيع الدجال أن يأمر السماء بأن تمطر ، فتستجيب له ، ويأمر الأرض

(١) مسلم رقم (٢٩٣٥) .

(٢) مسلم رقم (٢٩٣٨) .

فتخضر ، وتأكل الدواب وتدرُّ الضروع... فيستجيب الناس له ، ويتبعوه ، أما من لا يتبعه فيصاب بالقحط والجوع ، وتذهب أمواله^(١) .

٤- الدَّجَال يأمر الكنوز المدفونة في الأرض فتبعه : قال رسول الله ﷺ عن خوارق الدجال : « ... يمر بالخربة ، فيقول لها : أخرجي كنوزك فتبعه كنوزها كيغاسيب النحل... »^(٢) .

٥- الدَّجَال يمشي معه جبالٌ من لحم وخبرٍ : يبدو أنَّ الدجال يظهر في وقت قحطٍ ومجاعة ، والناس في أشدَّ الحاجة إلى الطعام ، فيكون إغراء الدَّجال لهم بأنَّه يقدِّم لهم الطعام ، واللحم ، والماء^(٣) .

ج- الوقاية من فتنة الدَّجال عند ظهوره :

لقد علَّم محمد ﷺ أصحابه وأتباعه كما علَّمنا أيضاً كيفية الوقاية من فتنة الدَّجال الرهيبة ، فقال :

١- من سمع بظهور الدجال فلا يجب أن يذهب إلى مكان تواجدّه ، بل عليه أن يهرب من وجه الدَّجال ، حتى ولو صعد إلى قمم الجبال^(٤) .

ويبدو أنَّ العبارة التي وردت في إنجيل مرقص على لسان المسيح عليه السلام تشابه في عموميتها لما ورد في الحديث السابق حيث تقول هذه العبارة : « فإذا قال لكم أحد : هاهو المسيح هنا! أو هاهو هناك! فلا تصدقوه »^(٥) .

(١) مسلم من الحديث رقم (٢٩٣٧) .

(٢) مسلم من الحديث رقم (٢٩٣٧) .

(٣) مسلم من الحديث رقم حسب شرح النووي عليه (٢٩٣٩) .

(٤) مسلم من الحديث رقم (٢٩٤٥) .

(٥) مرقص (١٣ ، ٢١) .

٢- إذا حدث أن قابل أيُّ مؤمن الدَّجال والذي يعرفه من علاماته ، فإن قراءة الآيات الأولى من سورة الكهف تقيه من شرِّ الدَّجال ، وتبطل تأثيراته عليه . قال محمد ﷺ : « فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف »^(١) .

٣- عند علم المؤمن بظهور الدَّجال عليه بكثرة الصلاة والتضرع^(٢) .

د- علامات زمن ظهور الدَّجال :

الدَّجال هو واحد من علامات اقتراب حدوث يوم القيامة ، وعلامات اقتراب يوم القيامة كثيرة وعديدة ، وأهمّها ظهور الدَّجال بالإضافة إلى خروج الشمس من المغرب ، وخروج دابة الأرض التي تكلم الناس ، والدخان^(٣) .

وقد ورد في الأنجيل أن ظهور المسيح الدَّجال هو علامة من علامات يوم القيامة ؛ حيث يورد لوقا على لسان المسيح عليه السلام قوله : « أنا هو! وحان الوقت! فلا تتبعوهم . وإذا سمعتم بأخبار الحروب والثورات فلا تفزعوا ، لأنَّ هذا لا بدُّ أن يحدث في أول الأمر ولكن لا تكون الآخرة بعد » .

كذلك يتابع المسيح عليه السلام كلامه فيقول : « وستظهر علامات في الشمس والقمر والنجوم »^(٤) .

(١) مسلم من الحديث رقم (٢٩٣٧) .

(٢) مسلم من الحديث رقم (٢٩٣٧) .

(٣) مسلم من الحديث (٢٩٤٧) .

(٤) لوقا (٢١ ، ٢٥) .

هـ - خصائص عصر الدّجال :

ينتظر اليهود مسيحاً خالداً لا يموت ، ويستطيع استعادة ملك إسرائيل ، ويكون ملكاً ومسيحاً (نبياً) وفي نفس الوقت لا يعرفون من أين جاء ، وهي صفات تنطبق على الدّجال ، لذلك فإنّ اليهود كافة سوف يتبعونه ، ويقول محمد ﷺ : « يتبع الدّجال من يهود أصفهان سبعون ألفاً عليهم الطيالة »^(١) . أي : سبعون ألفاً من أكابر كهنة اليهود .

والمسيحيون ينتظرون عودة المسيح إلى الأرض ليملاً الأرض عدلاً لأنه سيكون ملكاً يقيم الدينونة ، فيدخل الناس الجنّة ويدين العصاة ، فيدخلهم إلى النار بعد أن يحيي الموتى ، كل ذلك لأنّ المسيح في نظرهم إله . . . إنّ صفات المسيح الذي ينتظره المسيحيون على هذا النحو يجعلهم فريسةً للدّجال ، فيتبعونه للحصول على الخلاص .

أما من المسلمين فيتبعه المنافق ، والجاهل ؛ لأنّ محمداً ﷺ قد أخبرهم عن كل ما يخصّ هذا الدّجال الموعود .

وأما المؤمنون فيهربون إلى رؤوس الجبال ، وذلك عندما يكثر أتباع الدّجال من أهل العراق والشام والجزيرة العربية ، في وقت انخفض فيه تعداد العرب وأصابهم الوهن^(٢) .

ويجتاح الدّجال وأتباعه كلّ الجزيرة العربية عدا مكة والمدينة ، لأنّه حين يظهر فإنّ المدينتين يصاب كل منهما بثلاثة زلازل ، فيخرج من مكة والمدينة كل منافق ليتبع الدّجال^(٣) .

(١) مسلم رقم (٢٩٤٤) .

(٢) مسلم من الحديث رقم (٢٩٤٥) .

(٣) مسلم من الحديث رقم (٢٩٤٣) .

وهكذا فإنَّ دعوة الدجال ستلاقي رواجاً في العراق ، والشام ،
والجزيرة العربية ، وستشكل مملكة الدَّجال خلال فترة وجيزة ؛ لأنَّ
دعوته تنتشر بسرعة الغيمة التي تدفعها الرياح ، فلا يلبث أن يدعو القوم
حتى يؤمنوا به ، ودونما صعوبة .

أما فترة ديمومة مملكة الدَّجال فلم يحددها لنا محمد ﷺ وعندما سأله
أصحابه عن ذلك قال : « أربعون يوماً يوماً كسنة ، ويومٌ كشهر ، ويومٌ
كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم »^(١) .

أمام هذا الواقع الضلالي الأسود ، وقدرات الدَّجال ، وامتناع الموت
عنه ، يبعث الله المسيح عليه السلام ابن مريم الذي ارتفع إلى السماء حتى
يحين موعد عودته إلى الأرض عند استتباب الأمور للدَّجال بهدف القضاء
عليه ، وعلى الضلال في الأرض .

فأين ينزل المسيح عليه السلام ، وكيف ؟

المكان هو دمشق ، وبالتحديد عند منارة بيضاء تقع شرق دمشق ،
حيث يبعث الله المسيح عليه السلام وهو يلبس ثوبين معطرين بالزعفران ،
فينزل واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، إذا خفض رأسه قطر الماء منه ،
وإذا رفعه سقط من رأسه حبات فضة تشبه اللؤلؤ .

وبينما ينزل المسيح عليه السلام إلى الأرض فإن نفسه الذي يمتدُّ إلى
حيث يصل طرفه ، فيموت كلُّ كافر لامس جسده نفَسَ المسيح عليه
السلام .

قال رسول الله ﷺ : « إذ يبعث الله المسيح ابن مريم ، فينزل عند
المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة

(١) مسلم من الحديث رقم (٢٩٣٧) .

ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ، فلا يحلّ لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه...» (١) .

وقد تحدّث المسيح عليه السلام عن هذا المشهد باقتضاب ، فقال في معرض حديثه عن الدّجال : « وفي ذلك الحين يرى الناس ابن الإنسان آتياً في السحاب بكلّ عزّة وجلال » (٢) .

يطلب المسيح عليه السلام الدّجال ، وفي نفس الوقت الذي يقضي به على الكفرة بأنفاسه حتى يجده على باب مدينة اللدّ الفلسطينية المعروفة ، فيقتله ، ويقضي بذلك على الدّجال وأعوانه (٣) .

وإذا لاحظنا أنّ مدينة اللد هي من المناطق التي يعتبرها اليهود سامرية ، أدركنا أن نثنائيل - وهو العالم بالتلمود - كان يعلم بأنّ الدجال سوف يظهر في أرض السامريين ، لذلك فقد ارتعد خوفاً عندما أخبره فيلبس بأنّ المسيح المذكور في التلمود قد ظهر فقال له : « أمن الناصرة يخرج شيء صالح ؟ » (٤) .

وبعد أن يقضي المسيح عليه السلام على الدّجال يجتمع إليه المؤمنون به والذين هربوا من الدّجال وعصمهم الله منه ، فيصح عليه السلام عن وجوههم ، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنّة (٥) .

وفي فلسطين يعود المسيح عليه السلام ملكاً على هؤلاء المؤمنين ،

(١) مسلم من الحديث (٢٩٣٧) .

(٢) متى (٢٤ ، ٣٠) ومرقص (١٣ ، ٢٦) ولوقا (٢١ ، ٢٦) .

(٣) مسلم من الحديث رقم (٢٩٣٧) .

(٤) يوحنا (١ ، ٤٦) .

(٥) مسلم من الحديث رقم (٢٩٣٧) .

لكنّه يبىد الخنازير ، ويكسر الصلبان ، ولا يقبل من المعصومين من الدّجال غير الإسلام ، فلا يقبل الجزية من أحد ، ويعيش مع المؤمنين في رخاء ، فيقيم العدل فيهم ويكون إماماً للمسلمين في صلاتهم ، ويعمل بشريعة محمد ﷺ^(١) .

وبعد ذلك يخبر الله المسيح عليه السلام أنّ قومَ يأجوج ومأجوج قد خرجوا إلى فلسطين ، ولا يستطيع المسيح عليه السلام وأصحابه أن يقتلوهم ، فيأمره الله بأن يخرج هو وأتباعه إلى جبل الطور في سيناء^(٢) .

إنّ يأجوج ومأجوج مجموعة بشرية من الكفرة اتحدوا لغزو فلسطين ، ولكثرة عددهم يصلون إلى بحيرة طبريا ، فيصل آخريهم إليها فلا يجد فيها ماءً للشرب ، فيصلون إلى جبل القدس ، فيقولون : لقد قتلنا من في الأرض هلمّ فلنقتل من في السماء ، فيرمون سهامهم إلى السماء فترتدّ إليهم ملوثة بالدماء .

فيدعو المسيح عليه السلام عليهم بالهلاك ، فيبعث الله عليهم النّغف ؛ أي : دوداً يصيب أنوفهم ، فيموتون جميعاً ، وعندما يعود المسيح عليه السلام وأتباعه إلى الأرض المقدسة ، وقد ظهر نقتها من الجثث ، يدعو الله هو وأتباعه أن يجعل الله لهم مخرجاً من هذا الهم ، فيبعث الله طيوراً طويلة الأعناق ، تحمل الجثث إلى حيث يشاء الله ، ثم ينزل المطر على الأراضي المقدسة كافة دون أن تصيب البيوت ، ولا الخيم ، حتى تصبح الأرض كأنها مستنقعات ، ثم يأمر الله الأرض أن تنبت ثمرها ، وتردّ بركتها فتعود البركة إلى نتاج الثمار والأنعام ، ويعيش المؤمنون كذلك سبع سنين حتى يرسل الله ريحاً طيبةً تقبض روح كلّ

(١) مسلم من الحديث رقم (١٥٥) .

(٢) مسلم من الحديث رقم (٢٩٣٧) .

مؤمن ، وكلّ مسلم ، ويبقى شرار الناس ، يقتتلون ويتزانون حتى تقوم الساعة عليهم^(١) .

وهذه الصورة لبأجوج ومأجوج قد ورد ذكرها في سفر حزقيال على شكل نبوءة له ، وذلك في الإصحاحين : (٣٨ و ٣٩) فإذا تأملنا هذه النبوءة نجدها تنطبق تماماً على ما قاله محمد ﷺ عن المسيح عليه السلام ، ولكن لا يمكن فهم هذه النبوءة لحزقيال دون فهم وظيفة المسيح عليه السلام في القضاء على جموع القادمين من أرض مأجوج التي نهمل موقعها الجغرافي تماماً .

١- بالنسبة لاجتماع المؤمنين في بيت المقدس من كل الجنسيات المؤمنة :

يقول حزقيال : « وقال السيد الربُّ للجموع : في ذلك اليوم تخطر على قلبك أفكار ، وتنوي نية سوء ، وتقول : أصعد إلى المدن التي لا أسوار لها وأنقض على الهادئين الساكنين فيها ، وجميعهم بغير سور وأبواب منيعة ، لأقتحم الخرائب المكونة ، وأسلب ، وأنهب الشعوب الذين اجتمعوا من بين الأمم ، واقتنوا ماشية ومتاعاً ، وسكنوا في قلب الأرض المقدسة . ويسألك أهالي شبا وددان وتجار ترشيش وجميع مدنها (اليمن وأهالي الجزيرة العربية وأهل الشام) . هل جئت للسلب ؟ هل جمعت جنودك لتنهب ، وتحمل الفضة والذهب ، وتأخذ الماشية والممتلكات وتغنم الغنائم ؟ »^(٢) .

٢- بالنسبة لمحاولة يأجوج ومأجوج قتل من في السماء :

« أنا خصمك يأجوج ، يا رئيس ماشك وتوبال ، فأديرك وأقتادك وأصعدك من أقاصي الشمال ، وأجيء بك إلى جبال إسرائيل ، وأكسر

(١) مسلم من الحديث رقم (٢٩٣٧) .

(٢) حزقيال (٣٨ ، ١٠) .

قوسك في يدك اليسرى وأوقع سهامك من يدك اليمنى . على جبال إسرائيل تسقط أنت وجميع جيوشك والشعوب الذين معك»^(١) .

٣- بالنسبة لكيفية القضاء على يأجوج ومأجوج :

« لكني أحمل الرعب إليك يأجوج من كل جبالي ، فيكون سيف كل رجل على أخيه ، وأدينك بالوباء والدم »^(٢) .

٤- للتخلص من جثث قوم يأجوج ومأجوج :

يقول حزقيال : قال لي السيد الرب : « وأنت يا ابن البشر قل للطيور من كل نوع ولجميع وحوش البرية : اجتمعي وتعالى واحتشدي من كل جهة إلى ذبيحتي التي أذبحها لك ، وهي ذبيحة عظيمة على جبال إسرائيل ، فتأكلين لحماً وتشربين دمًا »^(٣) .

نلاحظ في نبوءة حزقيال استخدام عبارة « ابن البشر » مخاطباً شخصاً ما ، وليس هذا الشخص سوى المسيح عليه السلام الذي سيعود ليشهد إباداة قوم يأجوج ومأجوج !!!

هذا وقد ورد في الأناجيل على لسان المسيح عليه السلام وصفاً لمشهد قبض أرواح المؤمنين .

حيث ورد عند متى (٢٤ ، ٣١) وعند مرقس (١٣ ، ٢٧) :
« فيرسل ملائكته إلى جهات الرياح الأربع ليجمعوا مختاريه من أقصى الأرض إلى أقصى السماء » .

وليس هذا إلا دليلاً على أنَّ الدَّجال قد فصل فيه المسيح عليه السلام

(١) حزقيال (٣٩ ، ٣) .

(٢) حزقيال (٣٨ ، ٢١) .

(٣) حزقيال (٣٩ ، ١٧) .

تفصيلات كثيرة ، ولا تحوي الأناجيل سوى بقايا من هذه الأوصاف والحوادث . وقد تشوشت أحاديث الدّجال المتبقية في الأناجيل لدرجة أنها أظهرت أنّ هناك الكثير من المسحاء الدّجالين .

فلولا نبوة محمد ﷺ لما عرفنا المقاطع الحقيقية في الأناجيل ، ولا عرفنا وظيفة المسيح عليه السلام في عودته إلى الأرض .

مما تقدم يتبين لنا قوة العلاقة الرابطة بين نبوة محمد ﷺ وبين نبوة المسيح عليه السلام الذي نعته بالباراكليتوس الذي سيمجد المسيح ، والذي سيخبر الناس بما خفي عنهم عن المسيح عليه السلام ، وبدوره فإنّ محمداً ﷺ سيخبر أتباعه والناس أجمعين عن دور المسيح عليه السلام في القضاء على الدّجال ، وعلى يأجوج ومأجوج وإنقاذه للمؤمنين الذين يرفضون الدّجال ، ويقبلون أتباع المسيح الذي أخبرهم عنه نبيّهم محمد ﷺ .

وتلك العلاقة الفريدة بين محمد والمسيح عليهما الصلاة والسلام تعود إلى كون محمد ﷺ خاتم الأنبياء ، ولن يأتي نبي بعده ، بل يعود المسيح عليه السلام ليمارس مهامه التي حددها الله له .

ثم إنّ تلو محمد ﷺ لمرتبة النبوة بعد المسيح عليه السلام تجعل المسيح عليه السلام أكثر الناس تبشيراً بمحمد ﷺ كما روي عنه ، حيث قال عنه : « أنا أولى الناس بابن مريم ، الأنبياء أولاد علات ، وليس بيني وبينه نبيٌّ » (١) .

* * *

(١) مسلم رقم (٢٣٦٥) .

ثانياً : أدلة الوحي الخاص :

نقصد بالوحي الخاص علامات الوحي التي ظهرت عند نبين اثنين من أنبياء الشرائع الثلاثة دون أن تظهر عند الثالث منهم .

وعلى الرغم من أننا لا نستطيع معرفة الحكمة التي منعت النبي الثالث من أن يمتلك هذا النوع من الأدلة ، إلا أننا نستطيع القول : إنَّ افتقار المراجع المعتمدة عند هذا النبي ، تجعلنا لا نورد هذا الدليل عنده هذا بالإضافة إلى احتمال كون أنَّ ذاك النبيَّ لم يكن له مثل هذا الدليل على الوحي أصلاً .

الأمر الذي جعلنا نصنف هذا النوع من أدلة الوحي على أنَّه وحيٌّ خاصٌّ ، في حين أنَّنا وصفنا علامات الوحي على أنَّها علامات وحي عامَّة عند امتلاك أنبياء التشريع الثلاثة بمجملهم لكل علامة من علامات الوحي العام .

* * *

دليل الوحي الخاص الأول

حصول النبي على مخطط سير نبوته

يولّد اطلاعك على سِيرِ الأنبياء لديك ملاحظة هي أَنَّ الأنبياء دائماً واثقون مما يفعلون ، ولا يندهشون من تصرفات أعدائهم ! فما هو السرُّ ؟
ربما يعود السرُّ في ذلك إلى اطلاع الله لهم على مخطط سير نبوتهم ، وذلك عند إعلام الله لهم عن نبوتهم ، وعن مهمتهم المكلفين بها . الأمر الذي يجعلهم واثقين من أفعالهم ، وردود أفعال أعدائهم تجاه تصرفاتهم ، فلا تجدهم يتذمرون ، ولا يتضايقون ، ولا يتردّدون ، ولا يندهشون .

فمن المعروف عند الجميع أَنَّ موسى عليه السلام كلّمه الله من خلال العليقة ، وعندما كلّم الله موسى عليه السلام قال له الكثير ، لكن ما يهمنا هنا هو هذا النص الوارد في سفر الخروج : « قل لبني إسرائيل : أنا الربُّ إله آبائكم ، إله إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، أرسلتك إليهم هذا اسمي إلى الأبد ، وهذا ذكري مدى الأجيال . اذهب واجمع شيوخ بني إسرائيل وقل لهم : الربُّ إله آبائكم ، إله إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، تراءى لي ، وقال : تفقدتكم ، ورأيت ما فعل المصريون بكم . فأنا أعدكم أن أخرجكم من مصر حيث تعاونوا الذلَّ إلى أرض الكنعانيين والحثيين ، والأموريين ، والفرزيين ، والحويين ، واليبوسيين ، إلى أرض تدر لبناً وعسلاً . فيسمعون لك ، وتدخل أنت وشيوخ بني إسرائيل على ملك مصر ، وتقولون له : الربُّ إله العبرانيين

قابلنا ، فدعنا الآن نسير مسيرة ثلاثة أيام في البرية ونقدم ذبيحةً للرب
إلهنا ، وأنا أعلمُ أنّ ملك مصر لا يدعكم تذهبون إلا إذا أجبرته يدٌ قوية .
لذلك أمدُّ يدي وأضرب مصر بجميع عجائبي التي أصنعها فيها ، وبعد
ذلك يطلقكم من البلاد»^(١) .

إذا تأملت هذا النص تجد أنّ العبارات المشار إليها بلون قاتم تضمنت
الخطوط العريضة لدعوة موسى عليه السلام ونبوته ، الأمر الذي يفسّر لنا
سرّاً طمئنان موسى عليه السلام لسير دعوته ، وتنفيذ مهمّته .

وفي الوقت نفسه فإنك لا تجد في الأناجيل كلّها مثل هذه الرسالة
الطمينية من الله عز وجل إلى المسيح عليه السلام إما لنقص في
الأناجيل ، أو لأنّ الرسالة التطمينية لم توجه إلى المسيح عليه السلام
أصلاً لأمر يعلمه الله .

في حين أنّ محمداً ﷺ وجه الله له رسائل تطمينات واضحة تضمنت
الخطوط العامة لرسالته ، فقد أورد مسلم في صحيحه حديثاً نأخذ منه
ما يلي :

قال رسول الله ﷺ : « ... ألا إنّ ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم
مما علمني يومي هذا : كلّ مال نحلته عبداً حلال ، وإنّي خلقت عبادي
حنفاء كلهم ، وإنّهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت
عليهم ما أحللت لهم ، وأمّرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ،
وإنّ الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل
الكتاب ، وقال إنّما بعثتك لأبتيك ، وأبتي بك ، وأنزلت عليك كتاباً
لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان (يوحى إليك) وإنّ الله أمرني أن أحرق

(١) الخروج (٣، ١٣) .

قريشاً فقلت ربّ إذاً يلفوا رأسي (يشقوا) فيدعوه خبزاً (مسطحاً) قال : استخرجهم كما استخرجوك ، واغزهم نُغزك ، وأنفق فستنفق عليك ، وابعث جيشاً نبعث خمسةً مثله (من الملائكة) ، وقاتل بمن أطاعك من عصاك . . . » (١) .

فإذا تأملت العبارات التي كتبت بلون قاتم تجد أنّها تعبر عن خصائص ومراحل سير دعوة محمد ﷺ ، كما أنّها تضمنت وعداً بقرآن لا يفنى ولا يتبدل ، وإن قريشاً ستطرد محمداً ﷺ من مكة ، وأنّ قريشاً ستخرج إلى محمد ﷺ لمحاربته ، وسوف ينتصر عليهم ، وسيفتح مكة ، ويناله عز الدنيا والآخرة ، وأمره الله بالإنفاق ووعد الله بتعويض المال الذي أنفق ، وكل جيش يرسله محمد ﷺ سيكون له النصر ؛ لأنّ الله قد أيده بخمسة أضعافه من جنود الملائكة .

وربما كانت هذه الرسالة الإلهية هي سرُّ هدوء محمد ﷺ وعدم انفعاله ، وثباته عند لقاء عدوّه ؛ لأنّ محمداً ﷺ قد تلقى وعداً من ربه بالنصر والظهور على أعدائه ، وربما كان دعاؤه قبل معاركه قائلاً : « اللهم نصرك الذي وعدت » ربطاً واضحاً بين دعائه بالنصر ووعد الله له بالانتصار .

إنّ رسالة التطمينات الإلهية التي تلقاها كلّ من موسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم ، لا يمكن إلا أن تكون وحيّاً أكّده مجريات الأحداث عند موسى ، وعند محمد صلى الله عليهم وسلم .

* * *

(١) مسلم من الحديث رقم (٢٨٦٥) .

دليل الوحي الخاص الثاني

نقل أحاديث قدسية عن الله عز وجل

من المنطقي تماماً ألا يعرف أحدٌ ممَّا قال الله ، أو يقول ، أو سيقول ؛ لأنَّ ذلك من أنباء الغيب ، ونحن من مخلوقاته التي لا تستطيع أن تعلم شيئاً عن ذلك ، ومعرفتنا عن ذلك مصدرها أنبياء الله فقط .

لكن في الوقت نفسه فإنَّ معرفة الأحاديث التي سيتحدَّث بها الله تعالى يوم القيامة لا نجدها ترد على لسان جميع الأنبياء ، بل لا نجدها إلا عند نبين فقط هما : المسيح ومحمد صلى الله عليهما أجمعين .

وأنَّ موسى عليه السلام لم يرد في آثار نبوته ما يشير إلى أنه قد أورد أحاديث منقولة عن الله ستحدث يوم القيامة

أما المسيح عليه السلام فقد ورد على لسانه مثل هذه الأحاديث في الأناجيل التي نذكر مثلاً عليها مما ورد في إنجيل متى : « . . . ثم يقول للذين عن شماله : ابتعدوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المهياة لإبليس وأعوانه : لأنني جعت فما أطعمتموني ، وعطشت فما سقيتموني ، وكنت غريباً فما آوَيْتُموني ، وعرياناً فما كسوتُموني ، ومريضاً ، وسجيناً ، فما زرتُموني .

فيجيبه هؤلاء : يا رب ، متى رأيناك جوعان أو عطشان ، غريباً أو عرياناً ، مريضاً أو سجيناً ، وما أسعفناك ؟ فيجيبهم المَلِكُ : الحق أقول لكم كل مرة ، ما عملتم هذا لواحد من إخوتي هؤلاء الصغار ، فلي

ما علمتموه . فيذهب هؤلاء إلى العذاب الأبدي ، والصالحون إلى الحياة الأبدية «(١) .

ورغم أن متى قد اختلطت الأمور عنده عن الملك الذي يقصد به الله تارة والمسيح تارة أخرى ، إلا أن مدلول النص يشير إلى أن الله تعالى هو المتكلم وليس المسيح أبداً!

الأمر الذي يجعل قارئ هذا النص يشكك في أقوال المسيح نفسه عن هذا المشهد الرهيب!!

وهنا تبرز نبوة محمد ﷺ الذي ترك له المسيح عليه السلام مهمة إفهام الناس بعلمه ما لم يفهموه كما ورد عند يوحنا (١٦ ، ١٢) الذي وصفه المسيح عليه السلام بالباراكليتوس .

وفي وصفٍ لنفس المشهد والحديث القدسي يقول محمد ﷺ : « إنَّ الله عز وجل يقول يوم القيامة يا بن آدم! مرضتُ فلم تعدني! قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال : أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنَّك لو عدته لوجدتني عنده ؟ يا بن آدم! استطعمتك فلم تطعمني! قال : يا رب! وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟! قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنَّك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا بن آدم! استسقيتك فلم تسقني! قال : يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟! قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه! أما إنَّك لو سقيته وجدت ذلك عندي ! »(٢) .

إنَّ مقارنة هذا الحديث القدسي الذي ورد على لسان محمد ﷺ مع ما ورد على لسان المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام يمكننا من معرفة

(١) متى (٢٥، ٤١-٤٦) .

(٢) مسلم رقم (٢٥٦٩) .

كمية الحقائق الواردة عن رواية المسيح عليه السلام لهذا الحوار الربّاني ؛
الذي لا يمكن لمحمد أو المسيح صلى الله عليهم وسلم أن يحصلوا عليه
إلا بوحى ، وهذا الوحي هو من النوع الخاص جداً ، حيث لم يحدث أن
أخبر نبيّ قبلهما بهذه النوعية من الأحاديث .

وهنا تظهر مهمة نبوة محمد ﷺ كمصدقة لنبوة المسيح عليه السلام ؛
الذي يمكن أن تكون نبوته مثار شك لولا تأكيد نبوة محمد ﷺ لنبوة
المسيح عليه السلام .

وهنا تجدنا نحكم بالدليل القطعي على أنّ محمداً ﷺ هو
الباراكليتوس الذي وصفه المسيح عليه السلام ، كما ورد عند يوحنا :
« سيمجدني ؛ لأنّه يأخذ كلامي ، ويقول له لكم »^(١) .

* * *

(١) يوحنا (١٦ ، ١٤) .

دليل الوحي الخاص الثالث

نقل رسائل من الله إلى أشخاص مؤمنين محددين

لم يرد في آثار نبوة المسيح عليه السلام ما يدلُّ على أنَّ المسيح عليه السلام قد أخبر أحداً بأنَّ الله تعالى قد كلّفه بتبليغ رسالة إلى شخصٍ ما محدّد .

في حين أنَّ موسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين ، قد ورد عنهما أنَّهما قد نقلتا رسائل محدّدة إلى أشخاص محدّدين ، وكذلك فإنَّ أنبياء غيرهم عرف عنهم نقلهم لمثل هذه الرسائل .

الأمر الذي دعانا إلى اعتبار نقل الرسائل دليل وحي خاص ؛ نظراً لعدم ثبوت هذه الصفة عند المسيح عليه السلام .

فقد ورد عن موسى عليه السلام أنَّه نقل رسالة خاصّة من الله تعالى إلى فنحاس ، فقد ورد في سفر العدد أنَّ الرب قال لموسى : « قل له إنِّي أعطيه عهداً وسلاماً ، فيكون له ولنسله من بعده ، عهداً يحفظ لهم كهنتهم إلى الأبد ، جزاء غيرته لآلهه ، وتكفيره عن بني إسرائيل »^(١) .

وفنحاس هو ابن العازار بن هارون الذي كان أول من قتل يهودياً يزني مع وثنية عندما أمر الله موسى عليه السلام أن يأمر بني إسرائيل المؤمنين بقتل كل من زنى ببنات الوثنيين ، لذلك استحق فنحاس هذا رضا الله عنه .

(١) العدد (٢٥، ١٢).

كذلك فقد ورد عن محمد ﷺ أنه نقل رسالة من الله تعالى إلى زوجته خديجة بنت خويلد : « أتى جبريل محمداً ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام (طعام) فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل ومني ، وبشرها ببیت في الجنة من قصب لا صخب فيه ، ولا نصب »^(١) .

وبالطبع فإنَّ خديجة بنت خويلد كانت زوجته ، وأول من اتبعه على دينه ، وكانت نصيرته بمالها ، وحسبها ، وأهلها ، وكانت مأمن سره ، وأماً لمعظم أولاده ، لذلك فقد شرفها الله تعالى بهذه الرسالة التي تبشرها بالجنة ، وتقرئها السلام من ربها ، الأمر الذي جعل جبريل عليه السلام ناقل الرسالة إلى محمد ﷺ يقرئها السلام أيضاً .

قال رسول الله ﷺ : « يا عائشُ هذا جبريل يقرأ عليك السلام ! قالت : وعليه السلام ورحمة الله . . . »^(٢) .

ولم يعرف عن جبريل عليه السلام إلا تسليمه على خديجة وعائشة رضي الله عنهما ؛ فعائشة رضي الله عنها هي أفضل نساء عصرها^(٣) .

فالرسالات التي نقلها موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم إلى أتباعهم ليست رسائل كثيرة إلى أناس كثيرين ، بل هي إلى أشخاص قلائل محددين تماماً فموسى عليه السلام نقل الرسالة إلى حفيد هارون أخيه ، ومحمد ﷺ نقل الرسالة إلى زوجته الأمر الذي يعني تميُّز فنحاس في دعوة موسى عليه السلام ، كما يعني تميز خديجة وعائشة في دعوة محمد ﷺ وفي كلتا الحالتين فإنَّ موسى ومحمداً لا يمكن أن يدعيا ادعاءً

(١) مسلم من الحديث رقم (٢٤٢٢) .

(٢) مسلم رقم (٢٤٢٢) .

(٣) مسلم رقم (٢٤٣١) .

مثل هذا ؛ لأن كلاً من فنحاس وخديجة وعائشة أتباع لأنبيائهم بحكم الإيمان من جهة والقراءة من جهة أخرى ، ولا حاجة لأن يدعي هذان النبيان مثل هذا الادعاء ، وبالتالي فإنَّ نقل هذه الرسائل من الله إلى أشخاص محددين بأسمائهم ليست سوى دليل على أنَّ الله قد أوحى إلى هذين النبيَّين الكريمين ، هذه الرسائل .

* * *

دليل الوحي الخاص الرابع

تعميد وحي سابق بوحي لاحق

جاء المسيح عليه السلام إلى بني إسرائيل وبين أيديهم كتاب مقدس صنعوه بأنفسهم نتيجة ضياع تورا موسى عليه السلام الأصلية ، الأمر الذي دفعهم إلى كتابة ذلك الكتاب انطلاقاً من محفوظاتهم من التوراة الحقيقية التي أضافوا إليها إضافات بشرية طاب لكتابة التوراة أن يكتبوها ، ثم أضافوا إليها تباعاً بعض تعاليم الأنبياء اللاحقين ممزوجة بتعليقات وشروح الكتبة المبنية على آراء وخلفيات تتناسب مع تاريخ وآمال بني إسرائيل .

وأطلق اليهود على مجموع هذه الكتابات العهد القديم ، أو الكتاب المقدس اليهودي ، وانقسم اليهود فيما بينهم حول قداسة هذا الكتاب فالبعض آمن به ، والبعض لم يعتقد أبداً بقداسته !!!

وطالما أن المسيح عليه السلام نبيٌّ فإنَّ من الواجب على نبوّه أن تعطي جواباً شافياً لسؤالٍ مهمٍّ جداً ، وهو : هل الكتاب اليهودي مقدس أم غير مقدس ؟ وظنَّ الفريسيون : أنَّ المسيح عليه السلام سيدعم رأيهم في قداسة الكتاب ، وظنَّ الصدوقيون : أنَّ المسيح عليه السلام سيوافقهم على عدم قداسة الكتاب !! إلا أنَّ المسيح عليه السلام كان يعلن للملأ الصحيح من المضاف إلى كتاب الشريعة ، في الوقت الذي لم يتعلمذ المسيح عليه السلام على يد أحدٍ من الفريسيين ، أو الكتبة ، أو الكهنة . . . وبذلك قدّم المسيح عليه السلام لليهود دليلاً على أنَّ الله يوحى إليه ، وبالتالي فإنه قدّم دليلاً على نبوّه .

فعندما تعجب اليهود من معرفته الدقيقة بكتاب الشريعة رغم عدم تعلمه له أجابهم المسيح عليه السلام قائلاً : « ما تعلّمني من عندي ، بل من عند الذي أرسلني . إذا أراد أحد أن يعمل بمشيئة الله ، عرف هل هذا التعليم من عند الله أو أنني أتكلّم من عندي ، فالذي يتكلّم من عنده يطلب المجد لنفسه ، ولكن من يطلب المجد للذي أرسله ، فهو صادق لا غشّ فيه . أما أعطاكم موسى الشريعة ؟ ولا أحد منكم يعمل بها »^(١) .

ولكن هذا الدليل لم يقنع الفريسيين ولا الصديقين ، فطلبوا أن ينزل الكتاب على المسيح عليه السلام من السماء ، وهم ينظرون إليه ، فرفض المسيح عليه السلام طلبهم ، وأعرض عنهم^(٢) .

ومع الأسف الشديد ضاع كتاب الشريعة الحقيقي الذي بينه المسيح عليه السلام لليهود ، والذي أنزله الله على كافة أنبياء بني إسرائيل قبله مرّة أخرى ، وفقدت البشرية سجل وحي حقيقي آخر .

ومرّة أخرى أيضاً أضاع المسيحيون إنجيل المسيح عليه السلام الحقيقي ، كما أضاعوا كتاب الشريعة اليهودي من قبله الذي أنزل على المسيح عليه السلام أيضاً .

ولكن هذه المرة بطريقة منظمة حيث استبقى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م أربعة أناجيل من أصل حوالي ستين إنجيلاً لا بدّ وأنها كانت تحوي الكثير من مقاطع الإنجيل ، وتعاليم المسيح عليه السلام الحقيقية .

وبذلك أضاعت البشرية تعاليم الأنبياء السابقين للمسيح عليه السلام مرّتين ، ثم أضاعوا الجزء الأكبر من الإنجيل الحقيقي للمسيح عليه السلام .

(١) يوحنا (٧، ١٦-١٩) .

(٢) متى (١، ١٦) ومرقس (٨، ١١) ولوقا (١١، ١٦) .

ومرة أخرى تبدو ضرورة ظهور نبوة محمد ﷺ حتمية ولازمة لإظهار صحيح صحف إبراهيم ، وصحيح توراة موسى ، وصحيح زبور داود ، وصحيح إنجيل المسيح عليهم الصلاة والسلام أجمعين ، خصوصاً وأن نبوة محمد ﷺ هي آخر النبوات ، وطالما أن كتب الأنبياء موحى بها من الله تعالى ؛ فإن كتب سابقة لا يمكن تعديلها إلا بكتب لاحقة ، وطالما أن جميع الكتب حرفت ، فإن هذه الكتب السماوية لابد وأن يحفظها الله وحيّاً في كتاب جديد موحى به إلى نبيّ من الله تعالى ؛ الذي سيحفظ كتابه الأخير إلى الأبد ليتّم بذلك قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

وتشمل كلمة الذكر في هذه الآية كل شيء موحى به من الله إلى أنبيائه في الكتب ، ولكنّ الحفظ الشامل والمطلق كان في القرآن الكريم فقط .

فقد ورد في الإنجيل أيضاً صفات تلاميذ المسيح عليه السلام تلك الصفات التي يتمتع بها دائماً أتباع الأنبياء المخلصون كصحابة رسول الله ﷺ حيث قال تعالى عنهم : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وقال تعالى أيضاً : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإِذَا دُعِيَ النَّاسُ لِمَآءٍ أُعْزِرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

وفي إشارة من الله تعالى إلى زبور داود عليه السلام قال الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] .

فإذا علمنا أن داود عليه السلام هو النبي الملك الذي تحقق وعد الله به إلى بني إسرائيل بوراثه الأرض المقدسة ، وبالتالي أضحي مفخرة بني إسرائيل ؛ فإنه ورد في الكتاب الذي أوحاه الله إليه بأن وعد الله يتحقق فقط لعباد الله الصالحين ، وبالتالي فإن فساد بني إسرائيل سيسقط حقهم في وعد الله لهم في وراثه الأرض المقدسة .

ورغم هذا التحذير فإن بني إسرائيل لم يوفوا بعهد الله ؛ لذلك فإن الله نقل الوعد إلى أمم أصلح من بني إسرائيل ، لذلك قال الله تعالى :

﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي كَارِهِمُ الْبَغُونَ﴾ [البقرة : ٤٠] .

أما عن الإنجيل فقد قال تعالى : ﴿وَقَفَيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَيْنَتُهُ الْإِنجِيلُ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة : ٤٦] .

كذلك قول الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْبِیَاءِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١٤٩) سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآئًا لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَيِّئًا لَرُّشْدٍ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَيِّئًا لَتَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف : ١٤٥-١٤٧] .

وقال الله تعالى أيضاً عن ذلك : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوْنَ الْكَاسَ وَأَخْشَوْا وَلَا تَشْتَرُوا بِعَاقِبَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ ۝ [المائدة : ٤٤-٤٥] .

وكذلك قال الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾ أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بِمَا فِي صُحُفٍ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَا نَزَرُ وَزُرَّةٌ وَذَرَأُ أُخْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعِيهِمْ سَوْفَ يَرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى ﴿٤١﴾ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿٤٢﴾ وَأَنْتَ هُوَ أَصْحَاكَ وَأَبْنَى ﴿٤٣﴾ وَأَنْتَ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنْتَ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٤٥﴾ مِنْ تُطْفِئُ إِذَا نَمْنَى ﴿٤٦﴾ وَأَنْ عَلَيْهِ النَّشَاءُ الْأُخْرَى ﴿٤٧﴾ وَأَنْتَ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴿٤٨﴾ وَأَنْتَ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴿٤٩﴾ وَأَنْتَ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٥٠﴾ وَنُوحًا فَلَا أُنْقَى ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْلَمَ ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤَنَفَكَةَ أَهْوَى ﴿٥٣﴾ فَفَسَدْنَاهَا مَا عَشَى ﴿٥٤﴾ ۝ [النجم : ٣٣-٥٤] .

وأيضاً هناك في القرآن الكريم نصوصٌ كانت قد وردت في التوراة ومنها :

قال تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِنَعْلُنَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿١﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولُنَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٢﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٣﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْسُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّكُوا مَا عُلُوا تَنْبِيرًا ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٥﴾ ۝ [الإسراء : ٤-٨] .

وقال تعالى أيضاً : ﴿ قُلْ تَكَلَّوْا أَتَدْرِكُونَ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَّهَا هُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَقُولُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ وَالْعَهْدُ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَعَيْهَدَ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٦﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأنعام : ١٥١-١٥٤] .

وأورد القرآن الكريم أيضاً بعض ما جاء في الصحف التي أنزلت على إبراهيم ، وكررت على موسى عليهما السلام :

﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾ سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾ وَيُبَشِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ﴿٩﴾ سَيَذَكِّرُ مِنْ بَيْنِهَا ﴿١٠﴾ وَيَنْجِيهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْمِنُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾ [الاعلى : ١-١٩] .

قال الله تعالى في سورة النحل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ [النحل : ٤٣-٤٤] .

من المعروف عند المسلمين أنَّ الله أنزل على إبراهيم عليه السلام كتاباً هو (الصحف) كما أنزل على موسى عليه السلام التوراة ، وأما داود عليه

السلام فقد أنزل عليه الزبور (المزامير كما هو معلوم في الكتاب المقدس) ، وأما المسيح عليه السلام فقد أنزل عليه الإنجيل .

وصحف إبراهيم عليه السلام فقط هي التي لا يعرف عنها اليهود ، ولا المسيحيون شيئاً ، لكن القرآن الكريم أورد بعض النصوص التي ذكرت صحف إبراهيم عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۖ ﴾ وَأَمْرَ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۖ ﴾ [طه : ١٣١-١٣٣] .

ويذكر الله تعالى في كتابه العزيز صفات المؤمنين به من الأديان كافة قائلاً : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعَكُمْ بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۖ ﴾ التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُكْسِبُونَ الرَّاكِبُونَ الْمُكْسِبُونَ الْأُمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ١١١-١١٢] .

وهكذا فإنَّ محمداً ﷺ قد أعيد على لسانه إحياء نصوص وردت في كتب أنبياء سابقين ، وما كان ذلك ليحدث لولا نبوته وإحياء الله له ، وكذلك ما نستطيع قوله عن المسيح عليه السلام فإنَّ إحياء الله له بالتوراة وكتب الأنبياء الصحيحة لم يكن ليحدث لولا أنَّ الله أراد أن يوحى إليه بها .

وذلك لأنَّ قانون المصلحة يقتضي ألا يتحدث محمد ﷺ ولا المسيح عليه السلام عن الكتب السابقة لأنَّ ذلك سيثير على الواحد منهم حفيظة

أتباع هذه الكتب ، وبالتالي فإنَّ واحدَهم في غنى عن المشاكل التي سيتعرض لها بناءً على ذلك ، وهذا لا يدل إلا على أنَّ النبيَّ ناقل للوحي فقط ، ولا يستطيع حتى أن يتدخل في كتمانهِ ، أو إعلانهِ ، وتبرز روعة نبوة محمد ﷺ من جديد في هذه النقطة ، حيث أورد الله تعالى على لسانهِ وذلك في القرآن الكريم كافة الحوارات التي جرت بين الله تعالى وأنبياءه الكرام بحذافيرها ، ولكن بصياغة قرآنية مدهشة .

فأنت تجد في القرآن الكريم كافة الأمور التي أوحى بها الله تعالى إلى كلٍّ من آدم ونوح وموسى مروراً بـ داود وسليمان وأيوب ، وانتهاءً بالمسيح عليهم الصلاة والسلام أجمعين .

وليس ذلك فحسب بل إنَّ الله تعالى أورد على لسان محمد ﷺ الحوارات التي جرت بين كل نبي وقومه ، وذلك في القرآن الكريم الذي يحدثنا عن الكثير الكثير من هذه الحوارات الدقيقة والمهمة .

ولا نجد في ذلك مرةً أخرى إلا دليلاً على صدق نبوة محمد ﷺ الذي ينقل الوحي تماماً كما أنزل عليه من ربه ، فصدق الموحى إليه وصدق الموحى الذي قال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

وبذلك حفظ الله تعالى كافة أمور الوحي التي أوحى بها إلى أنبياءهِ في القرآن الكريم ؛ بعد أن عثت أيدي البشر في سجلات الوحي الحقيقي التي أنزلت على الأنبياء كافة من قبل محمد ﷺ .

* * *

ثالثاً : أدلة الوحي الفردي :

نقصد بالوحي المنفرد : الوحي الذي أنزل على نبي واحد فقط من أنبياء الشرائع الثلاث الأساسية ، حتى ولو تكرر هذا النوع من الوحي عند الأنبياء المكملين لنبوة غيرهم .

وتدل دراسة آثار نبوة موسى والمسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم أجمعين أنَّ محمداً ﷺ قد كانت له أدلة انفرد بها وحده دون غيره من أنبياء التشريع الأساسية ، تدل على أنه أوحى إليه بأمور لم يوح لغيره بمثلها عند أنبياء التشريع الأساسية .

فما هي هذه الأدلة التي تدلُّ على الوحي إليه وغير موجودة عند غيره ؟
١- الرؤى وتحققها .

٢- تفسير الرؤى للغير وتحقق التفسير .

٣- الأمية والموسوعية .

٤- التحدث عن مصائر الأنبياء السابقين .

٥- فض إشكاليات روايات الكتب السابقة .

٦- الوحي إلى البشرية عامتهم وخاصتهم .

٧- القرآن الكريم .

* * *

دليل الوحي الفردي الأول

الرؤى وتحققها للنبي

كنا قد أشرنا سابقاً إلى أنَّ الرؤيا التي يراها نبي في نومه هي طريقة من طرق الوحي التي يوحى الله بها لنبي من الأنبياء ، وقد اعترفت التوراة بهذه الطريقة من الوحي على أنها دليل على النبوة^(١) .

وعلى الرغم من ذلك فإنَّ موسى والمسيح عليهما السلام لم يوح لهما بطريقة الرؤيا أبداً ، كما أشارت أسفار موسى عليه السلام بالإضافة إلى الأناجيل كافة .

في حين أنَّ محمداً ﷺ أوحى إليه في الرؤيا ، وأولها ، وتحققت رؤاه كما أولها تماماً سواء في حياته ، أو بعد مماته .

وعلى الرغم من أنَّ يوسف عليه السلام ، وحزقيال ، وأشعيا عرف عنهم الإيحاء إليهم بطريقة الرؤى ، إلا أننا نعتبر أنَّ الرؤيا دليل فردي من دلائل الوحي لمحمد ﷺ طالما أنَّ هذه الطريقة من الوحي لم ترد عند موسى والمسيح عليهما السلام .

فلقد حدث أنَّ محمداً ﷺ قد رأى في الرؤيا لثلاث ليالٍ متتابعات بعد وفاة زوجته خديجة رضي الله عنها جبريل عليه السلام يكشف قطعة حرير بيضاء مطوية ، فيظهر لمحمد ﷺ صورة فتاة ، ثم يقول له : هذه زوجتك^(٢) !!

(١) سفر العدد (١٢، ٦) .

(٢) مسلم من الحديث (٢٤٣٨) .

وعندما عرض أبو بكر على محمد ﷺ عائشة ، ليتزوّجها رسول الله قبل بها وأصدقها مهرأ مقداره أربعمئة درهم دون أن يرى ابنة أبي بكر . ولما رأى محمد ﷺ عائشة عرف أنّها هي التي كان يرى صورتها في سراقه الحرير التي كان يعرضها عليه جبريل عليه السلام!!

ورأى محمد ﷺ في منامه أنّ في يديه سوارين من ذهب ، فأصابه الغمّ منهما ، فأوحى إليه في المنام أن ينفخهما ، فنفخهما فطارا ، فأولهما كذابين يخرجان من بعده ، فكان أحدهما الأسود العنسي ، والآخر مسيلمة الكذاب الذي ظهر في اليمامة ، واللذان قضى عليهما في عهد خلافة أبي بكر الصديق الخليفة الراشدي الأول^(١) .

ومن الرؤى الكثير الكثير ، وكلّها قد تحققت في وقتها أو بعد رسول الله ﷺ . وتجدر الإشارة إلى أنّه ليس كل من يرى مناماً يتحقق أصبح نبياً ، فلقد أخبرنا محمد ﷺ أنّه نظراً لانقطاع النبوة بعد محمد ﷺ فقد أبقى الله تعالى جزءاً من النبوة هو الوحي عن طريق الرؤيا ، وذلك للمسلمين وللصادق منهم في حديثه ، والذي لا يكذب أبداً^(٢) .

* * *

(١) مسلم من الحديث (٢٢٧٤) .

(٢) مسلم من الحديث (٢٢٦٣) .

دليل الوحي الفردي الثاني

مقدرة النبي على تفسير الرؤى للمفكر وتحقيق التفسير

من المعروف أنَّ يعقوب عليه السلام قد فسَّر رؤيا ولده يوسف عليه السلام ، وكان صادقاً في تفسيره لها ، كذلك فإنَّ يوسف عليه السلام قد فسَّر حلم خباز فرعون وساقيه بمصائرهما ، كما فسَّر حلم فرعون نفسه ، وبناءً على تفسير يوسف عليه السلام لحلم فرعون أوكل إليه فرعون مهمة تنفيذ مقتضيات أحداث حلمه ، كما فسَّرها له ، فكان يوسف عليه السلام صادقاً ، وحدث فعلاً ما أنبأ به عن مصير غلال مصر وعن مصير ساقى الملك وخبازه .

وعرف من الأنبياء المفسرين للأحلام حزقيال ودانيال . . . أيضاً . ومن غير المعروف عن موسى والمسيح عليهما السلام أنَّهما فسَّرا حلماً واحداً لهما أو لغيرهما ، بينما محمد ﷺ قد فسَّر أحلام بعض الصحابة ، وحدث لأصحاب هذه الأحلام ما فسَّره لهم محمد ﷺ تماماً ، وهذا ما جعلنا نصنف دليل النبوة هذا على أنَّه دليل وحي منفرد .

وكان محمد ﷺ يحبُّ أن يفسر أحلام أصحابه ، فكان يفعل ذلك عقب صلاة الصبح ، فيسألهم : هل رأى أحدٌ منكم البارحة رؤيا^(١) ؟

(١) مسلم من الحديث (٢٢٧٥) .

وكان الصحابة يسعدهم أن يروا الأحلام ليفسرها لهم محمد ﷺ ،
كما يقول ابن عمر^(١) .

فلقد عرف عن الصحابة أنَّ الواحد منهم كان يقول للآخر مشيراً إلى
عبد الله بن سلام : هذا رجل من أهل الجنة ، وذلك بناءً على رؤيا رآها
وفسرها له محمد ﷺ أخبره بأنه سيتمسك طوال حياته بالإسلام ، ويبقى
عليه ، وسيموت عليه ، وهو من أهل الجنة .

علماً بأنَّ عبد الله بن سلام كان حبراً من أحبار اليهود الذين آمنوا
بمحمد ﷺ ، وكان مؤمناً صادقاً ، فجاءته الرؤيا بشارَةً له بالجنة^(٢) .

وعرف أيضاً عن ابن عمر أنه كان يقوم مصلياً في الليل والناس نيام ؛
نتيجة رؤيا تحذيرية شاهد نفسه فيها يدخل جهنم ، فأخبره محمد ﷺ أنَّ
عليه أن يصلي ليلاً وعندها لن يحصل له ما يكره^(٣) .

* * *

(١) مسلم من الحديث (٢٤٧٩) .

(٢) مسلم من الحديث (٢٤٨٤) .

(٣) مسلم من الحديث (٢٤٧٩) .

دليل الوحي الفردي الثالث

اجتماع الموسوعية والأمية

يوصف الشخص الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة في مجتمعه بأنه أمي ،
بينما يوصف الشخص الذي يجمع في معرفته عدّة علوم بأنه موسوعي .

وفي الوقت الذي لم يظهر فيه نبيّ من الأنبياء إلا كان متعلماً ؛ فإنّ
محمدًا ﷺ من الثابت أنّه كان أمياً ، إذاً فإنّ المنطق العقلي يقول : إنّ أميّة
محمد ﷺ دليلٌ على نقض نبوته ، وليست دليلاً على نبوّته !!

كما أنّ ثبوت تعلم موسى عليه السلام في قصر فرعون ، وثبوت تعلم
المسيح عليه السلام في الهيكل ورغبته بالتعلّم حيث ثبت أنّه تخلّف عن
قافلة أمّه ثلاثة أيام رغبة منه بالتعلّم في الهيكل^(١) .

كما أنّ ثبوت أمية محمد ﷺ لا يعطينا الحقّ في جعل أميته دليلاً فردياً
على نبوّة محمد ﷺ !!

أقول : إنّ هذا الكلام صحيحٌ تماماً ، لكن أمية محمد ﷺ دليلٌ على
نبوته لا قتران أميته بموسوعيته !!

فإذا كان محمد ﷺ قد نشأ في بيئة أمية لا تقيم للكتابة وزناً ؛ لأنها
تعتمد على ذاكرتها في توارث علومها القليلة والبدائية ، ومحمد ﷺ واحدٌ
من العرب ، فلا بدّ أن يكون هو واحداً من الأغلبية الأميّة .

(١) لوقا (٢، ٤٧) .

وعلى الرغم من أنَّ العرب جمعوا تاريخهم في أشعارهم ، وأحبوا الشعر ، وقَدَّسوه لدرجة تعليق قصائدهم المشهورة على أستار الكعبة فإنَّ محمداً ﷺ لم يكن شاعراً ، ولا أحبَّ سماع الشعر يوماً ، ولا قاله ، بل لقد كان يكره الشعر والشعراء ، وما عرف عن محمد ﷺ أنَّه برع يوماً في القيافة ، أو النسابة ، أو الطبابة ، أو الكي ، أو الحجامة ، أو الإنباء بالأنواء . . .

فإذا نظرنا اليوم إلى نبوة محمد ﷺ بعد أربعة عشر قرناً من ظهورها وجدنا أنَّه جاء بحقائق علمية لم تعرفها الحضارة البشرية إلا في القرن العشرين ، فمن أين جاء أميُّ بهذه الحقائق العلمية إذا كان عصره كله وقتها غارقاً في الجهل والأمية !!؟

والجواب الوحيد المقبول فقط : إنَّه الوحي . . .

لقد أجرى الدكتور موريس بوكاي دراسةً على الكتب السماوية الثلاث التي هي التوراة والأنجيل والقرآن ، وأجرى دراسته اعتماداً على حقيقة منطقية تقول : إنَّ الوحي هو من عند الله ، وكلام الأنبياء هو كلام الله ، وإذا تحدث نبيٌّ عن حقيقة علمية ؛ فيجب أن تكون هذه الحقيقة متوافقة مع العلوم الحديثة وصحيحة مئة في المئة ، وإلا كان الكتاب الذي يحويها غير جدير بالثقة .

وبعد ثلاثين عاماً في البحث توصل موريس بوكاي الطبيب الفرنسي المعروف إلى أنَّ التوراة لا تحوي أيَّ حقيقة علمية صحيحة ، أما الأنجيل فهي لا تتحدَّث عن أيَّ ظاهرة كونية ، أو حقيقة علمية ، بينما القرآن الكريم فإنَّ جميع الظواهر التي تحدث عنها كانت حقائق علمية ثابتة ودقيقة مئة في المئة^(١) .

(١) دراسة الكتب المقدسة د. موريس بوكاي (ص ١٤٧) .

إنَّ دراسة موريس بوكاي المضمنة والطويلة تثبت استحالة معرفة أميٍّ
يجهل الكتابة والقراءة لمثل هذه العلوم الطبية ، والفلكية ، والتشريحية ،
والطبيعية ، والفيزيائية ، والزراعية ، والجيولوجية . . .

إنَّ معرفة مثل هذه العلوم لا تجدر بأميٍّ ، بل الجدير بها عالم قدير إذا
ما استطاع أحد أن يجمع كلَّ هذه العلوم في شخصه ، وإلا لكانت معرفة
هذه العلوم منذ زمنٍ بعيد أمراً سهلاً وعادياً وبالتالي لما كان في القرن
العشرين حضارة ، بل تكرار لحضارة سابقة الأمر الذي لا يستطيع أحدٌ
قبوله .

فإذا علمت أنَّ محمداً ﷺ قد جاءت نبوته بكل هذه العلوم التي
نعلمها ، أو لم نعلمها بعد بالإضافة إلى أنظمة لتحقيق العدالة بين الناس
من نظام إرث ، ونظام زواج ، ونظام حرب ، وتوزيع غنائم ، ونظام
للقضاء ، ونظام للمعاملات المالية ، ونظام للتربية ، ونظام لتنظيم
الجيش . . . إلخ .

فإذا علمت كلَّ ذلك عرفت أنَّ كلَّ هذه العلوم والأنظمة من المستحيل
أن ينطق بها رجلٌ أميٍّ إلا في حالةٍ واحدة ، وهي كون هذا الأميٍّ يأخذ
علمه من العلَّام العليم ، وعالم كلِّ شيء ، إنَّه الله تعالى ، ولا توجد
طريقة لإيصال هذه العلوم والأنظمة إلى البشر سوى الوحي ، وبالتالي
النبوة .

وأخيراً فإنَّ الأميَّة التي نعتبرها - عرفاً - نقصاً بشرياً تحولت عند
محمد ﷺ إلى كمالٍ نبويٍّ ؛ لأنها اقترنت بموسوعية زوده الله بها إكراماً
له ، وإظهاراً لنبوته على نبوات الأنبياء كافة .

* * *

دليل الوحي الفردي الرابع

التحدث عن مصائر الأنبياء السابقين

ترك موسى عليه السلام بني إسرائيل ولا أحد منهم يعلم عن مصيره شيئاً ، كذلك فإن المسيح عليه السلام لا أحد يعلم عن مصيره شيئاً منذ أن صعد إلى السماء .

ولا يمكن لأحدٍ من البشر أن يعلم شيئاً عن موضع نبيّه بعد رحيله إلا وحيًا ، وبالوحي فقط يمكن أن نعرف مصير الأنبياء ، وبالتالي فإن من يخبر عن مصير أنبياء سبقوه فلا بدّ أنّه نبيّ يوحى الله إليه ، لا سيّما وأنّ ذلك النبي لا تقتضي مصلحته الإعلان عن مصائر إخوانه الأنبياء .

فلقد أخبر محمد ﷺ أنّ موسى عليه السلام قابع من يوم غادر قومه في السماء ينعم بنعيم الملكوت ، ويستطيع أن يخاطب ربّه ويحاوِّره ، ينتظر يوم البعث مترقباً أخبار قومه من بعده .

وأخبر محمد ﷺ أنّ إبراهيم عليه السلام يسند ظهره إلى البيت المعمور الذي يدخله كلّ يوم سبعون ألفاً من الملائكة ، ولا يعودون إليه ، وهي أقرب منزلة من الله تعالى ، أما آدم عليه السلام ؛ فهو في السماء الدنيا يسعد بأرواح أبنائه الصاعدة إلى السماء ، والتي ستدخل الجنة ، ويحزن على أرواح نسله التي ستؤول إلى النار ، فهو في حالة قلب ما بين سرور وحزن .

أما بالنسبة للمسيح عليه السلام فقد اختلفت آراء المسيحية حول

موضع المسيح ، فمنهم من يعتقد بقول يوحنا بأنَّ المسيح في حضن أبيه^(١) . ويعتقد البعض الآخر اعتقاد مرقص بأنَّ المسيح يجلس عن يمين الله^(٢) . بينما الأغلبية العظمى لا تميل لا إلى هذا الرأي ، ولا إلى ذلك !!

أما محمد ﷺ ؛ فقد قال : إنّ المسيح عليه السلام يقبع في السماء الثانية التي يرافقه فيها ابن خالته يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان)^(٣) . وعلى الرغم من أنّ محمداً ﷺ لم يعرف مواقع الأنبياء وحيّاً بل إنّهُ رآها رأي العين ، وذلك في حادثة الإسراء والمعراج المذهشة المذهلة الفريدة من نوعها في تاريخ معجزات الأنبياء .

على الرغم من ذلك فإنّ هذه المشاهدة لتلك الحادثة يمكن تصنيفها ضمن الوحي ؛ لأننا لا نعرف بالضبط آلية الوحي وكيونته ، بل إنّ معرفتنا لا تتعدى أكثر من معرفة مظاهر الوحي ليس أكثر ، الأمر الذي يجعلنا نعتبر وصف مصائر الأنبياء نوعاً من الوحي .

وكما تحدّث محمد ﷺ عن مصائر الأنبياء السابقين توجب على نبوته ، وهي الأخيرة ، أن تحدّد مصيره بعد موته ﷺ حيث إنّ محمداً ﷺ هو آخر الأنبياء ولا نبيّ بعده .

لذلك فإنّ محمداً ﷺ قال : « أنا في قبري حيٌّ طريّ ، من سلّم علي سلّم عليه » .

إذاً فإنّ محمداً ﷺ مات ولن يفنى جسده حتى يوم القيامة ، وكلما زار

(١) يوحنا (١، ١٨) .

(٢) مرقص (١٦، ١٩) .

(٣) مسلم من الأحاديث رقم (١٦٢، ١٦٣، ١٦٤) .

قبره مؤمن وسلّم عليه أعاد الله إليه روحه ليردّ السلام ثمّ يتوفاه الله ، وهكذا إلى يوم الدين .

فإذا علمت أنّ جميع قبور الأنبياء لا يمتلك أحدٌ دليلاً على نسبها إلى أصحابها الأنبياء ، عرفت أنّ محمداً ﷺ النبي الوحيد الذي عرف قبره ، ومن حفره ، ومن أنزل جسده الشريف فيه ، ومن غسّله ، ومن كفّنه ، ومن وضعه في قبره ، لذلك فإنّ قبره الشريف نقطة علاّم في المدينة المنورة ؛ الذي لا يضيع عنه أحدٌ من الراغبين في زيارة قبره الشريف .

ولا نعلم شيئاً أكثر من هذا عن مصير محمد ﷺ بعد موته ، إلا أننا نتساءل عن سرّ كون مصير محمد ﷺ في قبرٍ في حين أنّ بعض الأنبياء السابقين يسكنون السّماء ؟

ويبدو لنا أنّ وجود محمد ﷺ في قبر هو دليلٌ حسيّ حيّ وأبدئيّ على بشرية محمد ﷺ حتى لا ينحرف التفكير إلى تأليه محمد ﷺ كما ألّهت المسيحية المسيح عليه السلام الذي أصعده الله إليه .

وإذا كان مصير محمد ﷺ في قبرٍ ، فإنّ ذلك القبر ليس ككل القبور العادية ، بل إنّ قبره الشريف جعله الله له روضة في رياض الجنة ، وذلك لأنّ محمداً ﷺ له موقعٌ يوم القيامة لا يحق لمخلوقٍ غيره ، وهو موقع الحوض المورود الذي يقع في السماء السابعة . والحوض المورود هو حوض ماء مربع طول ضلعه مسيرة شهر ماؤه أبيض من الفضة ورائحته مثل المحك ، وكؤوسه فضية كثيرة كعدد نجوم السماء ، يغذي هذا الحوض عينان متفجرتان بالماء من الجنّة ، ومن شرب من هذا الحوض لا يظمأ بعد شربه منه أبداً ، ولا يحقُّ لأحدٍ أن يشرب من هذا الحوض إلا كلّ مؤمنٍ مصدّقٍ ومتّبعٍ لمحمد ﷺ^(١) .

(١) مسلم من الأحاديث رقم (٢٢٩٠ إلى ٢٣٠٥) .

دليل الوحي الفردي الخامس

نقض إشكاليات روايات الكتب السابقة

ورد في العهد القديم وفي العهد الجديد بعض الروايات لحوادث جرت مع بعض الأنبياء ، إلا أنَّ رواية هذه الحوادث تعرضت للتحريف نتيجة التدخل البشري المباشر في صياغة نصوص هذه الكتب .

الأمر الذي أدى إلى إثارة تساؤلات وشكوك لدى أتباع هذه الكتب ، كان نتيجة انقسام الأتباع إلى مصدق ، ومكذب ، ومشكك في صحة هذه الحوادث .

ولما كانت هذه الكتب مصدرها الأصلي وحيٌّ من الله فإنَّ تعديل أو تصحيح ما طرأ على الوحي يتطلَّب وحيًّا جديداً ، ويبدو أنَّ هذه المهمة أوكَّلها الله تعالى فقط إلى محمد ﷺ على اعتباره النبي الذي سيختم الله بنبوته مسلسل الأنبياء الطويل .

ولما كان قانون المصلحة الشخصية يقضي بأن يتجنب محمد ﷺ إثارة مثل هذه القضايا مع أصحاب الكتب السابقة في الوقت الذي يعاني فيه من صدود أهله وعشيرته وقومه ؛ فإنَّ ورود تصحيح للحوادث النبوية على لسان محمد ﷺ يؤكد أنَّ محمداً ﷺ كان ناقلًا أمينًا للوحي دون أن يتدخل فيه على الإطلاق ، وبالتالي فإنَّ ذلك دليلٌ قويٌّ على نبوَّته .

وفيما يلي أمثلة عن تصحيح وتبيان وتفسير لحوادث جرت مع الأنبياء السابقين :

تورد التوراة روايتين عن دخول إبراهيم عليه السلام وزوجته إلى بلدين مختلفين ، الأولى مصر ، والثانية أرض النقب ، وفي كلا البلدين تم الاستيلاء على زوجته سارة - التي كانت جميلة جداً - من قبل ملكيها ، وفي كلتا الحالتين أصيب الملك وأهله وحاشيته بالضربات كما تصفها التوراة في التكوين (١٢ ، ١٠-٢٠) و (٢٠ ، ١٨-١) .

لكن الشيء المريع في هاتين الروايتين ما يرد على لسان إبراهيم حين يقول لملك جبرار : « ظننت أن لا وجود لخوف الله في هذا المكان ، فيقتلني الناس بسبب امرأتي . وبالحقيقة هي أختي ابنة أبي لا ابنة أمي . فصارت امرأة لي . فلما شردني الله من بيت أبي ؛ قلت لها : تحنين إليّ إن قلت عني حشماً ذهبنا : هو أخي »^(١) .

والشيء المريع في هذا التصريح أن يكون إبراهيم متزوجاً من أخته ، وهذا يتنافى مع نبوته التي تعترف التوراة نفسها له بها ، حيث إنّ النبوة تعصمه عن الزنى المطلق ، فكيف يمكن أن نقبل نبياً يتزوج من محارمه ، ويمارس زنى المحارم على الدوام ، لدرجة أنّه يخاف أن يخبر الناس بحقيقة زواجه فيخبرهم أنّ سارة أخته!! وبالتالي فإنّ التوراة تعطي أهل مصر وأهل جبرار درجة عالية من العقّة التي باعدها إبراهيم النبي!!!

أمام هذه الروايات فإنّه لا بدّ من معرفة الحقيقة... وكيف يمكن معرفتها بعد تقادم القضية ، وموت أصحابها ، ومعاصريها ، وشهودها... ومن جديد تبرز نبوة محمد ﷺ لتوضح الحقيقة .

يروى محمد ﷺ لأصحابه حقيقة هذه القضية قائلاً :

« ... فإنه قدم أرض جبارٍ ومعه سارة وكانت أحسن الناس ، فقال

(١) تكوين (٢٠، ١١ و١٢).

لها إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك ، فإن سألك ؛ فأخبريه أنك أختي ، فإنك أختي في الإسلام ، فإنني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك ، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار ، فاتاه ، فقال له : قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك ، فأرسل إليها ، فأتيت بها ، فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة ، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها فقبضت يده قبضةً شديدةً ، فقال لها : ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك! ففعلت ، فعاد فقبضت أشدَّ من القبضة الأولى ، فقال لها مثل ذلك ، ففعلت ، فعاد ، فقبضت أشدَّ من القبضتين الأوليين ، فقال : ادعي الله أن يطلق يدي فلك الله ألا أضرك! ففعلت ، وأطلقت يده ، ودعا الذي جاء بها ، فقال له : إنك إنما أتيتني بشيطان ، ولم تأتني بإنسان ، فأخرجها من أرضي وأعطها هاجر ، فأقبلت تمشي ، فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف ، فقال لها : مهيم (ماذا جرى ؟) قالت : خيراً ، كف الله يد الفاجر وأخدم خادماً... »^(١) .

ومن حديث محمد ﷺ نستنتج أنَّ القصة واحدة وقد جرت في مصر فقط ، وأنَّ سارة زوجة إبراهيم عليه السلام الشرعية ، ولا تربطه بها سوى رابطة الإسلام فقط ، ونتيجة لهذه الحادثة كانت هاجر هدية فرعون إلى سارة التي حال دون اغتصابها معجزة إلهية عجيبة .

جاء في التوراة في سفر التثنية تشريع لا يخلو من الغرابة فيما يخص جرائم القتل عند بني إسرائيل ، فلو وجد قتيلٌ لم يعرف قاتله ؛ فإنَّ شيوخ القرى المحيطة بموقع الجريمة عليهم أن يحددوا أقرب قرية لموقع الجريمة التي يجب أن يأخذ شيوخها عجلة من البقر لم يفلح عليها ولا جرت بالنير ، وينزلون بها وادياً وعرأ لم يفلح ، ولم يزرع ،

(١) مسلم من الحديث رقم (٢٣٧١).

ويكسرون عنقها في الوادي ، ثم يغسل (لاويو) هذه القرية أيديهم وهم يقولون « ما سفكت أيدينا ، ولا رأيت عيوننا هذا الدم ، فكفره يا رب عن شعبك إسرائيل الذي فديته ، ولا تحملهم تبعة الدم البريء فيما بينهم »^(١) .

وبهذه الطريقة يكفر عنهم الرب !!

وتنسب التوراة هذا التشريع إلى موسى عليه السلام ، فإذا كان موسى عليه السلام نبياً يوحى إليه فكيف يأمر بتشريع لا تتحقق فيه العدالة خصوصاً وأنّ دم القتل بقي مهدوراً بعد كل هذه البروتوكولات التي ترونها التوراة !!! فما هي إذاً حقيقة هذا التشريع وما دخل البقرة بالمقتول غيلة ؟

ومن جديد تبرز نبوة محمد ﷺ لتكشف للبشرية حقائق ودقائق أمور هذا التشريع العجيب !!!

فحقيقة الأمر أنّ رجلاً غنياً من بني إسرائيل مات ، وأورث ماله إلى ابنه الوحيد الذي حسده أبناء عمومته لدرجة أنهم قتلوه طمعاً فيما ورثه عن أبيه ، وحتى يضيع الفاعل قام أبناء العمومة بإلقاء جثة القتل بالقرب من قرية أخرى ، وروجوا في قريتهم أنّ الفاعل من القرية الأخرى ، فقامت قائمة القرية تطلب الثأر من القرية المجاورة ، وعند ذلك لجأ القوم لموسى عليه السلام فقال لهم :

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ خَدُّنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٧٦﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تَأْمُرُونَ ﴿٧٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا

(١) التثنية (٢١، ١-٨) .

رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ
 النَّظِيرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشْبَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ
 لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا
 شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَتَنَ حَتَّى يَخُتَّ بِالْحَقِّ فَدَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا
 فَأَذَرْنَا نِمَّ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ
 الْأَمَوْنَ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿البقرة : ٦٧ - ٧٣﴾ .

وفعلًا ضرب بنو إسرائيل القتيل بعضو من أعضاء البقر ، فقام القتيل
 من موته لينطق باسم قتلته ، ثم يسلم نفسه للموت .

إنَّ ورود قصة البقرة في القرآن الكريم على لسان محمد ﷺ في سورة قرآنية
 حملت اسمها ، ما هو إلا دليلٌ آخر على نبوة محمد ﷺ الذي ليس له أي
 مصلحة في إظهار نبوة موسى عليه السلام وإضافة معجزة إلى معجزاته ، في
 وقت أغفلت توراته نفسها تلك المعجزة له ، وهي معجزة قيام الميت .

وفي العهد الجديد ورد في سفر أعمال الرسل أنَّ حوالي ١٢٠ شخصاً من
 أتباع المسيح اجتمعوا بعد صلبه بخمسين يوماً بما فيهم بطرس ، ويوحنا ،
 ويعقوب ، وأندراوس ، وفيلبس ، وتوما ، وبرثولماوس ، ومثى ، ويعقوب بن
 حلفى ، وسمعان ، ويهوذا بن يعقوب ، ومريم أم المسيح وإخوته .

اجتمعوا لاختيار واحد عوضاً عن يهوذا الإسخريوطي فأجروا القرعة
 فوقعت على متياس ، ولكنَّ شيئاً غريباً حدث ، وهو خروج دوي ريح
 عاصفة من السماء ، ومن ثم ظهرت السنة كأنها من نار انشطرت ووقف
 كل لسان عند واحد من الحاضرين ، فامتلأوا من الروح القدس ، وأخذوا
 يتكلمون بلغات غير لغتهم الأصلية^(١) .

(١) أعمال الرسل من (١ ، ١٢) وحتى (٢ ، ١٢) .

يفترض بناء على هذه الحادثة أن يتحول لسان بطرس إلى نطق اللغة الرومانية ، فإذا علمت أن بطرس كان لا يتكلم اللغة الرومانية وأن مرقس كان مترجماً لبطرس^(١) ، فإن ذلك يعني أن بطرس لم تتغير لغته ، وكذلك إخوة المسيح الأربعة وأمه ، وهذا يعني : أن رواية السنة النار وتغير اللغات عن طريق حلول روح القدس أمرٌ غير مقنع ولا منطقي مع اقتناعنا التام بأن الله على كل شيء قدير .

ومره أخرى نجد الجواب في نبوة محمد ﷺ الذي قال :

« أيها الناس ، إن الله بعثني رحمة وكافة ، فلا تختفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم ، فقال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟! قال : دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه (وكان يرغب بإيفاد بعض أصحابه رسلاً إلى ملوك الأرض) فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضي وسلم ، وأما من بعثه بعثاً بعيداً فكره وجهه وثاقل ، فشكا ذلك عيسى إلى الله ، فأصبح المتثاقلون وكل واحدٍ منهم يتكلم بلغة الأمة التي بعث إليها »^(٢) .

وبذلك يتبين أن قصة تغير اللغات كانت في عهد المسيح عليه السلام الذي دعا على من عارضه ، فقلب الله لسانه غضباً عليه ، وليست معجزة كما يصفها سفر أعمال الرسل ، من أجل ذلك فإن لسان بطرس والحواريين وأم وإخوة المسيح عليه السلام لم يتغير ، ولم يتبدل .

إن هذه الخطابات في عموميتها ، وفي خصوصيتها لا يمكن إلا أن تكون وحيًا ، والسبب في ذلك يعود إلى ثبوت عدم معرفة محمد ﷺ قبل نبوته لشيء من معتقدات البشرية المختلفة .

(١) دراسة الكتب المقدسة - موريس بوكاي (ص ٨٥) .

(٢) سيرة ابن هشام (ج ٤ ، ص ٢٢٠) .

ومن جهة أخرى فإنَّ قانون المصلحة يقتضي ألا يخوض محمد ﷺ في معتقدات الأديان الأخرى ؛ لكي لا يفتح جميع جبهات الحرب عليه . . . وكانت تكفيه عداوة المشركين له .

إلا أنَّ ذلك يعني شيئاً واحداً ، هو أنَّ محمداً ﷺ كان ناقلاً للوحي فقط ، وليس له أدنى صلاحية في تعديل ، أو حذف أو إضافة أيِّ حرفٍ عليه .

بناءً على ذلك فإنَّ فضَّ إشكاليات الكتب السابقة والواردة على لسان محمد ﷺ هي دليل قطعيٌّ على أنَّ الوحي يتأتى إليه .

* * *

دليل الوحي الفردي السادس

الوحي إلى البشرية خاصتهم وعامتهم

من المعروف أنَّ آخر أنبياء اليهود هو ملاخي ، ومن المعروف عن الميحية أيضاً أنها لا تؤمن بنبيٍّ جاء بعد المسيح عليه السلام .

فإذا كان ذلك صحيحاً فإنَّ الوحي قد انقطع عن اليهود بعد ملاخي ، وانقطع عن الميحية بعد المسيح عليه السلام .

ولقد جاءت نبوة محمد ﷺ لتعلن أنَّ الوحي إلى اليهود والوحي إلى الميحيين قد استمر على لسانه ﷺ .

وليس ذلك لأنَّ اليهود والميحيين أهل كتاب فحسب ، بل لأنَّ الوحي قد استمر فعلاً على لسان محمد ﷺ إلى كافة مخلوقات الله على كافة مللهم ، ونحلهم ، على اعتبار أنَّ آخر رسالة سماوية كان المكلف بها هو محمد ﷺ ؛ لأنَّه خاتم الأنبياء حيث لا نبيَّ بعده .

فلقد جاء الوحي يخاطب أبناء آدم والناس والمؤمنين وأهل الكتاب عامَّةً ، واليهود خاصة ، والنصارى مؤمنهم ومشركهم ... ومن ذلك الأمثلة التالية :

١- خطاب إلى أبناء آدم : قال تعالى :

﴿ يَبْنِيْ ءَادَمَ قَدْ اَزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَاسًا يُورِي سَوْءَ تَكْمٍ وَرِبَاشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ ۝٦٦ يَبْنِيْ ءَادَمَ لَا يَفْنِيَنَّكُمْ الشَّيْطٰنُ كَمَا اَخْرَجَ

أَبَوْنَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ بَيْتِهِمَا إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَنْوَنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿[الاعراف : ٢٦-٢٧] .

٢- خطاب إلى الناس كافة : قال تعالى :

﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

[البقرة : ٢١] .

٣- خطاب إلى أهل الكتاب على عموميتهم : قال تعالى :

﴿ يَأَيُّهَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَكَأَنْتُمْ هَكَوَلَاءَ حَمَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٥-٦٧] .

٤- خطاب إلى أهل الكتاب الميحين : قال تعالى :

﴿ يَأَيُّهَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُمَا خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَمْ يَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء : ١٧١] .

٥- خطاب إلى أهل الكتاب اليهود : قال تعالى :

﴿ يَأَيُّهَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَأَيُّهَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٠-٧١] .

٦- خطاب مباشر إلى اليهود : قال تعالى :

﴿ يٰٓبَنِي إِسْرٰٓءِيْل اذْكُرُوْا نِعْمَتِيَ الَّتِي اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاَوْفُوا بِعَهْدِيْ اُوْفٍ بِهٰدِكُمْ وَلِيَّتِيْ فَاَرْهَبُوْكُمْ ۝۱ وَاٰمِنُوْا بِمَا اَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُوْنُوْا اَوَّلَ كٰفِرٍ بِهٖ وَلَا تَشْتَرُوْا بِعٰٓبَتِيْ ثَمَنًا قَلِيْلًا وَلِيَّتِيْ فَاَتَّقُوْنَ ۝۲ وَلَا تَلْبِسُوْا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوْا الْحَقَّ وَاَنْتُمْ تَعٰمُوْنَ ۝۳ وَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَءَاتُوا الزَّكٰوةَ وَآزَكُوْا مَعَ الرّٰكِعِيْنَ ۝۴ اَتَاْمُرُوْنَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ اَنْفُسَكُمْ وَاَنْتُمْ تَتْلُوْنَ الْكِتٰبَ اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ ۝۵ وَاسْتَعِيْنُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلٰوةِ وَلِيْنٰهَا لَكِبْرَةٌ اِلَّا عَلَى الْخٰشِعِيْنَ ۝۶ ﴾ [البقرة : ٤٠-٤٥] .

٧- خطاب مباشر إلى المسيحيين : قال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيْنَ قَالُوْا اِنَّكَ اللهُ هُوَ الْمَسِيْحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيْحُ يٰٓبَنِيْ إِسْرٰٓءِيْل اَعْبُدُوْا اللهَ رَبِّيْ وَرَبَّكُمْ اِنَّهُ مِنْ يُّشْرِكِ بِاللّٰهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَاوِيْنَهُ النَّارَ وَمَا لِلظّٰلِمِيْنَ مِنْ اَنْصَارٍ ۝۶۷ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيْنَ قَالُوْا اِنَّكَ اللهُ تَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ اِلٰهٍ اِلَّا اللهُ وَحْدٌ وَّحْدٌ وَّاِنْ لَّمْ يَنْتَهُوْا عَمَّا يَقُوْلُوْنَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ۝۶۸ ﴾ [المائدة : ٧٢-٧٣] .

ينضح من الأمثلة السابقة أن محمداً ﷺ جاء نبياً للبشرية كافة في الوقت الذي كان الأنبياء السابقون له مرسلين إلى أقوامهم حصراً .

ففي القرآن الكريم تجد الخطابات الموجهة إلى كافة أبناء البشر على عموميتهم وعلى خصوصيتهم ، في حين أن توراة موسى عليه السلام والأنجيل لا تخاطب إلا بني إسرائيل حصراً .

وهذه السمة المميزة لنبوة محمد ﷺ تجعل رسالة الإسلام التي كلف بها محمد ﷺ رسالة عالمية بكل ما لهذه الكلمة من معنى ، ناهيك عن أن المخاطبة المباشرة لفئات البشر المختلفة هي دليل على الوحي ؛ لأنه يتناول تفصيلات لا يمكن لأي أن يخوض فيها أبداً .

* * *

دليل الوحي الفردي السابع

القرآن الكريم

القرآن الكريم هو الكتاب الذي أنزله الله على محمد ﷺ وحيًا مثلما أنزل الإنجيل على المسيح عليه السلام ، بينما أنزلت التوراة على موسى عليه السلام مكتوبة على حجرين .

إذاً جميع الكتب السماوية مصدرها الله تعالى مهما اختلفت طريقة الإيحاء بها ، فالكتب السماوية إذاً معجزة حسية بالنسبة لموسى عليه السلام ، وهي معجزة تدل على إحياء الله بها كدليل على النبوة عند المسيح عليه السلام ، بينما عند محمد ﷺ فإن القرآن الكريم هو معجزة عقلية حسية خالدة مستمرة في إعجازها طالما هناك بشر في المعمورة .

وهذا ما يبرر لنا اعتبار القرآن دليل وحي فردي ، في حين أن هناك توراة تنزلت مكتوبة وإنجيلاً موحى به إلى المسيح عليه السلام من الله تعالى .

فالقرآن الكريم هو معجزة فريدة لم تحدث لنبي غير محمد ﷺ ، والسبب في ذلك : أن التوراة والإنجيل معجزة من حيث الإيحاء بها ، وبذلك تتشابه مع القرآن الكريم من حيث الوحي .

أما القرآن الكريم فهو معجز في كل ما فيه ، ولن أدخل في تفاصيل إعجاز القرآن الكريم لأنه قد أُلّف في إعجازه ليس كتباً بل مكتبات ، وكلها تدل على إعجاز هذا القرآن العظيم ، لكن الشيء الذي يخصنا في بحثنا هو :

سؤال ربما طرحه أو يطرحه شخص ما ، فيقول :

إنكم تفترضون أنَّ القرآن وحيٌّ معجزٌ ، وهو دليل وحي لا يتوفر لنبي غير محمد ، فما هو الدليل على أن القرآن هو من عند الله أصلاً ؟
ثم ما هو الدليل على أنَّ القرآن الحالي لم يتبدَّل ، وهو هو الذي أنزل على محمد ؟ .

أقول : إنَّ سؤالاً كهذا ، وبهذه الطريقة يكون سؤالاً غير منصف ، فإذا أردتم أن يكون سؤالكم منصفاً عليكم أن تطرحوه بالشكل التالي :
ما هو الدليل على أنَّ التوراة والإنجيل والقرآن كلُّها من عند الله ؟
ثم هل هذه التوراة والأنجيل والقرآن هي هي المنسوب إلى أنبيائها ؟
فإذا طرح السؤال بهذه الطريقة أصبح سؤالاً موضوعياً يستحقُّ البحث فيه والإجابة عليه ، وعندها لن يكون ذلك السؤال تجريحاً ، بل سيكون علمياً ، لا يقصد منه الإساءة لأيِّ نبيٍّ .

ولا أجد ما يمنعنا من الإجابة على مثل هذه التساؤلات شريطة تقديم البراهين والأدلة الموضوعية على ذلك ، من أجل ذلك فإننا سوف نجيب على هذه التساؤلات ضمن العناوين الرئيسة التالية :
أولاً : الكتب السماوية الثلاثة المنزلة من الله .

ثانياً : الكتب الثلاثة ومقدار تطابقها مع الأصول التي جاء بها أنبياءها .

أولاً : الكتب السماوية الثلاثة المنزلة من الله :

من الثابت اليوم أنَّ موسى عليه السلام قد ظهر في القرن الثاني عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام وظهر محمد ﷺ بعد المسيح عليه السلام بستة قرون .

فإذا توافقت بعض نصوص التوراة التي نسبت لموسى عليه السلام مع نصوص وردت في القرآن الكريم ؛ فإن ذلك يعني أن مصدر التوراة والقرآن واحد ، فطالما أن توراة موسى عليه السلام وحي ؛ فإن قرآن محمد ﷺ هو وحي أيضاً لاستحالة اتفاق شخص مع الذي جاء بعده بثمانية عشر قرناً ، ولا يعقل أن محمداً ﷺ قد نقل من التوراة لأُمّيته وعريته التي تعيقه من نقل نصوص يونانية أو عبرية حتى إذا رغب في ذلك .

وما ينطبق على موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ينطبق على المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم .

ومثال على هذه النصوص المتوافقة ما ورد في التوراة سفر الخروج : « وكان موسى شاباً حين خرج يوماً إلى بني قومه لينظر إلى حالتهم ، فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من بني قومه . فالتفت يميناً وشمالاً فما رأى أحداً ، فقتل المصري وطمره في الرمل . وخرج في اليوم الثاني ، فرأى رجلين عبرانيين يتشاجران ، فقال للمعتدي : لماذا تضرب ابن قومك ؟ فأجابه : من أقامك رئيساً وحاكماً علينا ؟ أتريد أن تقتلني كما قتلت المصري ؟ ! » (١) .

وجاء في القرآن الكريم ما يوازي ذلك النص في سورة القصص : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ هَٰذَا وَمِنَ الْغَوِيَّةِ فَأَسْخَفَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَةِ هَٰذَا عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ ﴾

(١) الخروج (٢، ١١، ١٢) .

إِسْمُهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّى أَرِيدُ أَنْ نَقْتُلَنَّكَ كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿القصص : ١٤-١٩﴾ .

كذلك فإنَّ ما جاء به المسيح عليه السلام في إنجيله وما جاء به محمد ﷺ في القرآن يتوازيان بوضوح كما في بعض النصوص مثل ما جاء في إنجيل متى : « وقدم لهم مثلاً آخر ، قال : يشبه ملكوت السموات حبة من خردل أخذها رجل وزرعها في حقله في أصغر الحبوب كلها ، ولكنها إذا نمت كانت أكبر البقول »^(١) .

وجاء في القرآن الكريم :
﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] .

هذا التوافق ما بين التوراة والقرآن وما بين القرآن والإنجيل يدلُّ على أن الموحى بهذه الكتب هو واحدٌ ، وليس أحداً سوى الله تعالى .
لكن المؤشرات تدلُّ على أنَّ التوراة والأنجيل تعاني من التكرار والتناقض والضعف العام في الشكل والمضمون ، والسبب هو تلاعب أيدي البشر بها .
ودليل ذلك ما سنورده من أدلة على تحريف كلٍّ من التوراة والإنجيل :

١- أدلة تحريف التوراة :

على الرغم من أنَّ اليهود يؤمنون بصحة التوراة ، وتجمع فئاتهم على تقديس أسفارها دون جميع أسفار العهد القديم ، مع ذلك فإنَّ هناك دلائل

(١) متى (١٣ ، ٣١ ، ٣٢) .

واضحاً تؤكد تحريف وعدم صحة التوراة المتداولة اليوم ، ومن هذه الأدلة :

١- اللغة الأصلية :

يؤكد اليهود أنَّ اللغة العبرية هي اللغة التي كلّم الله بها موسى عليه السلام ، وبالتالي فإنَّ التوراة تنزلت باللغة العبرية .

فإذا علمت أنَّ أقدم نص عبري للتوراة يعود إلى القرنين الأول والثاني قبل الميلاد ، والتي ساهمت في إعداد أقدم نص عبري للتوراة والذي يرجع عهده إلى القرن التاسع بعد الميلاد ، فإنَّ ذلك يعني أنَّ هناك مرحلة زمنية تقدّر بألف عام على الأقل مجهولة تماماً ، لا يعرف فيها أحد ماذا حدث للتوراة منذ أنزلت على موسى عليه السلام وحتى اكتشاف أقدم المخطوطات !!!

الأمر الذي يضعف الترابط بين التوراة وموسى عليه السلام ، وبين موسى عليه السلام ولغته العبرية المزعومة . في الوقت الذي يجب أن يكون فيه هذا الترابط قوياً ليؤكد صحة التوراة عندما تنسب إلى موسى عليه السلام على أقل تقدير .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنَّ أولاد إبراهيم اليعقوبيين كانوا كلهم آراميُّون ، ابتداءً من إبراهيم وانتهاءً بالمسيح عليهما السلام ، فمن أين جاءت هذه اللغة العبرية المزعومة ؟

لقد اعترف موسى عليه السلام بأراميته^(١) ، وكذلك فإنَّ المسيح عليه السلام كان يتحدث الآرامية مع اليهود ، وكما توضح ملفوظاته باللغة الآرامية في الأناجيل ، انظر ما ورد على لسانه عند مرقس (٥ ، ٤١) .

(١) التثنية (٢٦ ، ٤) .

هذا بالإضافة إلى اعتراف كُتّاب المسيحية بأنّ اليهود كانوا يتكلمون الآرامية فيما بينهم حتى المسيح عليه السلام ذاته^(١) .

فإذا كان بنو إسرائيل يتكلمون الآرامية منذ إبراهيم وحتى المسيح عليهما السلام ، فكيف يمكن أن نفتنع بأنّ موسى عليه السلام قد أنزلت عليه التوراة بالعبرية ؟ صحيح أنّ الله على كل شيء قدير ، لكنّ الله لا يرسل نبياً إلا بلسان قومه ، وإلا فإنه يتوجّب علينا أن نصدق بأنّ الله قد أنزل توراته باللغة الصينية ، وليس بالعبرية التي لا يرتبط بها بني إسرائيل بأيّ صلة مثل حال اللغة الصينية تماماً!!!

بناءً على ذلك فإنّ الله تعالى قد أنزل توراته باللغة الآرامية ، فهل هناك نصوص أصلية للتوراة باللغة الآرامية ؟!

الحقيقة أنّ هناك نسخة معروفة بـ (البشيطا) وهي مكتوبة بالآرامية لكنها ليست أصلية ، حيث ترجمت من العبرية إلى الآرامية في القرن الخامس والسابع الميلادي ، كذلك فإنّ المخطوطات الآرامية والسريانية التي استخدمت في نسخة والتون هي عبارة عن ترجمات من العبرية إلى الآرامية ، وليست أصلية^(٢) .

إذاً ليس هناك نسخ آرامية ، فمن أين جاءت اللغة العبرية ؟

اللغة العبرية هي لغة الكنعانيين ، وهي لهجة السكان الأصليين لفلسطين ، وهي واحدة من اللهجات العربية المتعددة ، ويبدو أنّ استخدام هذه اللهجة كان عملاً منظماً ، خطط له عزرا صاحب السفر المعروف عندما عاد من السبي ، فأخذ يقرأ على الناس من التوراة

(١) تقديم الكتاب المقدس - د. أسطفانوس (ص ٢٢) .

(٢) دراسة الكتب المقدسة - موريس بوكاي (ص ١٩) .

بالعبرية ، فظهرت الحاجة عندها إلى ترجمة ما يريد قوله باللغة الآرامية كما يشير إلى ذلك سفر نحemia (٨ ، ٨) .

أخيراً إنَّ فقدان النسخ الآرامية للتوراة يعني انقطاع الترابط بين التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام وبين التوراة المتداولة اليوم ، وهذا أمرٌ غايةٌ في الخطورة ؛ لأنَّه يشكُّك على الأقل بمصداقية التوراة المتداولة اليوم .

٢- تناقض نسخ التوراة مع بعضها :

اليهود السامريون لهم توراتهم الخاصة ، واليهود لهم توراتهم العبرية ، ومع ذلك فإنَّ هناك توراة يونانية .

وتتضارب التوراة الثلاثة تضارباً واضحاً ، فقد جاء في :

- التوراة السامرية : عاش آدم إلى زمن الطوفان وأدرك نوح ، وعاش معه ٢٢٣ سنة .

- التوراة العبرية : آدم مات قبل نوح بمقدار ١٢٦ سنة .

- التوراة اليونانية : آدم مات قبل ولادة نوح بمقدار ٧٢٣ سنة .

ومع ذلك يتفق الثلاثة على أنَّ عمر آدم ٩٣٠ سنة^(١) ! ؟

وجاء في النسخة السامرية : فانصبوا لي الحجارة التي أنا أوصيكم في جبل جرزيم . التثنية (الحاشية ٢٧ ، ٤) .

وجاء في النسخة العبرية : فانصبوا الحجارة التي أنا أوصيكم في جبل عيبال ، وشيّدوها بالجصّ تشييداً^(٢) .

(١) تكوين (٥ ، ٣) .

(٢) التثنية (٢٧ ، ٣) .

وفي كلتا الحالتين أمرَ ببناء مكان واحد للعبادة واحد في جرزيم ،
والآخر في عيبال ، ومع ذلك يقول اليهود أنَّ تورا السامريين محرقة في
حين أنَّهم يقولون : إنَّ تحريف التوراة مستحيل بناءً على أقوال أشعيا « أما
كلمة الهنا فتثبت إلى الأبد » .

وهكذا تتناقض وتتضارب النسخ التوراتية فيما بينها وبشكل واضح
وفاضح . . . والشئ الأكيد في موضوع الاختلاف بين النسخ ليس خطأ
في النقل والترجمة بل هو تحريف مقصود ذو أهداف محددة ومرسومة
مسبقاً^(١) .

٣- وجود كتبة ساهموا في كتابة التوراة :

عندما تقرأ في التوراة تجد عبارة مثل « قال الله لموسى » تتكرر كثيراً ،
وتجد أيضاً عبارة « قال موسى للرب » تتكرر كثيراً أيضاً ، وفي كلتا
الحالتين تعرف أنَّ الله خاطب موسى أو موسى خاطب ربه ، وهذا كلام
معقول ومنطقي .

لكن من غير المعقول أن تجد آخراً يتدخل في وصف الأحداث أو
شرحها أو تفسيرها ، كما تجد في النصِّ التالي :

« وأخذ موسى زيت المسح ، ومسح المسكن ، وجميع ما فيه وقُدَّسه »^(٢) .

« فرحلوا من جبل الرب مسيرة ثلاثة أيام وتابوت عهد الرب راحل
أمامهم ليختار لهم محلة ، وسحابة الرب عليهم نهراً في رحيلهم من
المحلة »^(٣) .

(١) التوراة د. مصطفى محمود .

(٢) اللاويين (٨ ، ١٠) .

(٣) العدد (١٠ ، ٣٣) .

» ثم فرز موسى ثلاث مدن في عبر الأردن شرقاً ليهرب إليها كل قاتل يقتل أحداً بغير قصد ، وهو غير مبغض له من قبل ، يهرب إلى إحدى تلك المدن فينجو بحياته «^(١) .

إذاً هناك متحدث يتحدث ضمن الأسفار غير معروف الهوية يستطيع أن يكتب ما يشاء سواء ، بحسن نية أو بسوء نية ، وهذا ما يجعل التوراة عرضة للتحريف ، والمغالطات ، والتحيزات ، وحتى الانحراف في التوجيه .

وربما كان الكاتب واحداً أو مجموعة ، وربما كان هذا المتحدث عدة أشخاص كتبوا في عصورٍ عديدة جعلت التوراة لا تعبر عن العصر الذي أنزلت فيه ، أو حتى كتبت فيه ، بل هي تتحدث عن عدة عصورٍ في وقتٍ واحدٍ .

ومن العجيب أن ينسب المدافعون عن التوراة وصحتها الإلهام إلى هؤلاء الكتبة ، حيث رفعوهم باعترافيهم هذا إلى مراتب الأنبياء ، في حين أنّ هؤلاء الكتبة لا يليق بهم سوى مرتبة المعلقين على أحسن تقدير .

يقول الدكتور القس عبد المسيح أسطفانوس في كتابه تقديم الكتاب المقدس للقارئ العربي ص ٢٠ ما نصه :

« فالمسيحيون لا يؤمنون بأنّ الكتاب المقدس - التوراة والأنجيل - كتاب نزل من السماء بكل كلماته وحروفه ، ولكنهم يؤمنون بالوحي » .

« إنها لمعجزة كبيرة أن يجتمع في الكتاب المقدس عمل روح الله مع تعبيرات البشر ، ولهذا نجد تلك المكتبة (الكتاب المقدس) الكبيرة تقدم لنا فكراً واحداً منسجماً ومضموناً واحداً في توافق مبارك ، رغم العدد

(١) التثنية (٤، ٤١) .

الكبير من الذين شاركوا في تدوين الأسفار ، وفارق مئات السنين بين كاتب وكاتب » .

هذا وسنجد لاحقاً أنَّ الكتاب المقدس ليس متوافقاً بل متناقضاً نتيجة مشاركة هذا العدد الهائل من البشر في كتابة الكتاب المقدس ، هذا من جهة ، ومن جهةٍ أخرى فإنَّ اعتبار الكتبة ملهمين بروح القدس يجعل أتباع الكتاب المقدس يستنبطون تشريعاتهم من هؤلاء الكتبة ؛ الأمر الذي يعدُّ في غاية الخطورة .

٤- من دلائل التحريف تناقض نصوص النسخة الواحدة مع بعضها :

تشير الدراسات الحديثة للتوراة إلى أنَّ هناك اثنين وعشرين نصاً شكلت التوراة المتعارف عليها اليوم حسب دراسات لودز LODS عام ١٩٤١م^(١) .

وعلى الرغم من أنَّ مساهمة اثنين وعشرين شخصاً في كتابة التوراة على أقل تقدير يعتبر مشكلة ، إلا أنَّ المشكلة الحقيقية تكمن بأنَّ هؤلاء الكتبة لم يكونوا على انسجام تامٍّ فيما بينهم ، فلكلٍّ منهم رغبته الخاصة ، وتوجهاته ، وتطلعاته جعلته يكتب دون أن يلتفت إلى ما كتبه غيره من الكتبة الذين ساهموا في كتابة التوراة ، الأمر الذي يجعل هؤلاء الكتبة بعيدين كلَّ البعد عن الوحي ، ولا تمَّت كتابتهم بصلة إلى روح القدس!!

ونورد فيما يلي الأمثلة على ذلك :

ورد في سفر التكوين : أنَّ الله قال لنوح : « فتدخل السفينة أنت وبنوك وامراتك ونساء بيتك ، واثنان من كلِّ نوعٍ من الخلائق الحيَّة لتنجو بحياتها معك . ذكراً وأنثى تكون : من الطيور بأصنافها ، ومن البهائم

(١) دراسة الكتب المقدسة - موريس بوكاي (ص ٢٩) .

بأصنافها ، ومن جميع دواب الأرض بأصنافها . وخذ من كل طعام يؤكل»^(١) .

وورد في سفر التكوين أيضاً : أنَّ الله قال لنوح : « ادخل السفينة مع جميع أهل بيتك ، لأنني رأيت أنَّك وحدك صالح في هذا الجبل ، وخذ معك من جميع البهائم الطاهرة سبعة سبعة ، ذكوراً وإناثاً ، ومن البهائم غير الطاهرة اثنين ، ذكراً وأنثى ، ومن طيور السماء سبعة سبعة ، ذكوراً وإناثاً ، ليحيا النسل على وجه الأرض كلها»^(٢) .

وورد أيضاً في سفر التكوين : « ودخل نوح السفينة مع بنيه وامراته ونساء بيته ؛ للنجاة من مياه الطوفان ، ومن البهائم الطاهرة وغير الطاهرة ، ومن الطيور وجميع ما يدب على الأرض ، دخل السفينة مع نوح اثنان اثنان ، ذكوراً وإناثاً ، كما أوصى الله نوحاً»^(٣) .

نلاحظ في النص الأول أنَّ الله أمر نوحاً أن يحمل من جميع الخلائق ذكوراً وإناثاً من طيور وبهائم وجميع دواب الأرض ، وأن يحمل في السفينة طعاماً له وعلفاً للحيوانات .

لكنه في النص الثاني يظهر نوح أنَّه تلقى أمراً مختلفاً حيث حدّد له أن يأخذ معه سبعة أزواج من كل من الحيوانات الطاهرة والنجمة ، ومن الطيور دون أن يأمره بأخذ الطعام والعلف ، ولا يأخذ ما يدب على الأرض!!

أما في النص الثالث فإن نوحاً حمل معه من الحيوانات الطاهرة والنجمة والطيور وجميع ما يدب على الأرض دون أن يأخذ طعاماً

(١) التكوين (٦ ، ١٩) .

(٢) التكوين (٧ ، ١) .

(٣) التكوين (٧ ، ٧) .

ولا علفاً ، ولم يحمل من كل الخلائق ، كما ورد في النص الأول !!!
إن أيَّ عاقلٍ يتأمل هذه النصوص الثلاثة الواردة في سفرٍ واحدٍ التي
تحدث عن موضوع واحدٍ لا يمكن أن يقبل أن تكون كلها حياً من الله ،
قد أوحاه إلى كاتبٍ أو مجموعة كتاب بشكل متعارض ، بل ومتضارب .
فالكتابة إذاً ليسوا متفقين ، كما أنهم ليسوا منطقيين ، كما لا يمكن
وصفهم بالصدق ؛ لأنَّ اثنين من هؤلاء الثلاثة على الأقل كان كاذباً في
روايته ، الأمر الذي يجعلنا نشكك في نصوص التوراة نتيجةً لهذا
التناقض .

٥- من دلائل التحريف التلاعب بالكلمات :

في أيَّ لغة من اللغات تؤدي أيُّ كلمةٍ معنى واحداً أو عدّة معاني ،
وممّا لا شكّ فيه أنَّ تبديل أيِّ حرفٍ في أيِّ كلمة - مهما كانت اللغة - يؤدي
إلى تغيير المعنى ومدلول الكلمة .
ويمكن أن يكتشف أيُّ دارسٍ للتوراة بنصوصها الأصلية المختلفة أنَّ
تلاعباً في كتابة بعض الكلمات قد تمَّ عند ترجمة التوراة من لغةٍ إلى لغةٍ
أخرى ، ومثال على ذلك نورد نصَّ بركة يعقوب المترجمة إلى العربية عن
طريق الأصل اليوناني المترجم بدوره عن العبرية :

« لا يزول الصولجان من يهوذا ولا عصا السلطان من صلبه إلى أن
يتبوأ في شيلوة من له طاعة الشعوب »^(١) .

إن كلمة « شيلوة » وردت في جميع النسخ الأصلية دون حرف جر
قبلها . وكلمة شيلوة وتكتب بالسريانية (ش - لوه) وتعني : (هو أو
الذي - له) أو يمكن أن تكون (الذي تخصه) .

(١) التكوين (٤٩ ، ١٠) .

أما شيلوة في العبرية فتكتب (شين - يود - لاميد - هي) وهي اسم شخص قد اشتق من العبرية من فعل (شَلَّه) SHALAH ويعني : سالم - هادىء - وديع - موثوق .

وعلى الرغم من أنَّ شيلوة وردت في النسخة العبرية بنفس الرسم ، إلا أنَّهم فسروا كلمة شيلوة على أنها قرية^(١) ، وهذا غير صحيح ؛ لأنَّ شيلوة اسم المكان تكتب (شين - لاميد - هي) دون حرف يود ، كما أن المقطع الأخير من الكلمة قد كتب (هي = Hi) عوضاً عن (هيت = HET) وذلك لأنَّ الكلمة تصبح (شلواح) التي تعني رسولاً ، وعندها تكون كلمة شيلوة تعني رسول الله ، الأمر الذي لم يرغب في كشفه كتبة التوراة .

وبذلك تصبح بركة يعقوب كما يلي :

« لا يزول الصولجان من يهوذا ، ولا عصا السلطان من صلبه إلى أن يتبوأ رسول الله من له طاعة الشعوب » .

والجدير ذكره أنَّ النُّسخ اليونانية حافظت على عبارة (شيلوة) كما هي عندما ترجمت من العبرية ، على الرغم من أنَّ (شيلوه) تأخذ نفس المعنى باللغة اليونانية ، وإذا تأملت حاشية الكتاب المقدس للفقرة (٤٩ ، ١٠) وجدت أنها تعني : إلى أن يأتي من له الصولجان .

ومما تقدم يتبين أنَّ التحريف كان مقصوداً ، وذلك لإزالة الإشارة إلى النبي الحاكم الذي ستدين له الشعوب ؛ الذي سيكون علامةً على انتقال النبوة والسلطة من اليهود إلى ذلك النبي^(٢) !!!

(١) حاشية الكتاب المقدس لتفسير كلمة شيلوة - تكوين (٤٩ ، ١٠) .

(٢) محمد في الكتاب المقدس - عبد الأحد داود (ص ٨٠) .

٦- من دلائل التحريف الكذب على الله وأنبيائه :

يؤمن اليهود بالله الواحد الحيّ القدير الجبّار القادر على كل شيء ، ومع ذلك فإنهم نسبوا إلى الله ما يتنافى مع إيمانهم هذا . فعلى الرغم من أنهم يؤمنون بأنّ الله قويّ جبّارٌ ، نسبوا إليه التعب عندما خلق السموات والأرض ، وكتبوا أنّ الله استراح في اليوم السابع . وعلى الرغم من أنهم يؤمنون بأنّ الله يعلم كل شيء ، نسبوا إليه الجهل بتصرفات آدم ، فكتبوا أنّ الله لم يعلم لماذا أخطأ آدم . وعلى الرغم من أنهم يؤمنون بأنّ الله قدير نسبوا إليه الندم على خلق الإنسان .

ليس ذلك فحسب ، بل جعلوا الله ينسى ، ويغضب بلا سبب ، بل تمادوا إلى درجة أن جعلوا الله أماراً بسرقة النساء المصريات قبل خروجهم من مصر!!!

وكل ذلك يتنافى مع صفات الله وأفعاله التي حددتها التوراة نفسها لله تعالى . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنّ التوراة قد شنت أبشع حملة على الأنبياء ، فلا يكاد يخلو نبي من أنبيائهم من وصمة عار ألحقها به كتبة التوراة . فقد نسبوا إليهم الزنى تارة ، وزنى المحارم تارة أخرى ، والسرقه تارة ، وعبادة الأوثان تارة أخرى ، حتى أنّ موسى وهارون عليهما السلام لم يُتركا من تلفيق التهم ، ونسب أبشع الأقوال والأفعال إليهما .

٧- من دلائل التحريف الأسفار المفقودة :

تشير أسفار التوراة إلى أنّ هناك أسفاراً مهمةً مفقودةً ، لكنّ المدافعين عن التوراة يبررون فقدانها على أنّها أسفار غير قانونية استبعدت عند كتابة التوراة .

لكنَّ الحقائق تشير إلى أنَّ الأسفار المفقودة كان معترفاً بها من قبل أنبياء بني إسرائيل أمثال يشوع ، حيث تلا مقاطع من سفر ياشر المفقود عندما كلم الرب بعد انتصاره على الأموريين^(١) .

كذلك فإنَّ منسى الذي كان ملتزماً بتعاليم موسى ، وكثير الصلاة ، ومستجاب الدعاء لدرجة أنَّ بني إسرائيل دوَّنوا له سفرأ خاصاً به تضمَّن صلاته ، وأدعيته ، ومراثيه في سفر (أخبار الرائيين) الذي فقد تماماً^(٢) .
أيضاً هناك سفر ملوك إسرائيل الذي فقد جزئياً ، ثم كلياً ، والذي كان يتضمن وصفاً لتوبة منسى ، وكيفية تطهيره للهيكل من الأوثان ، وتقديم الذبائح لها ، وكيفية صلاته ، وعبادته ، وأفعاله ، وخطبه^(٣) .

كذلك سفر حروب الرب الذي تضمَّن معجزات موسى عليه السلام على شكل أناشيد لم يبق منها إلا بعض المقاطع ، علماً بأنَّ موسى عليه السلام قد كتب هذا الكتاب بأمر الرب^(٤) .

ويبدو أنَّ هذه الأسفار قد أبيدت عن قصد كلياً ، أو ما تبقى منها عندما بدؤوا بكتابة التوراة بهدف إضاعة الأدلة كافة التي تبين تلاعب الكتبة بالتوراة .

هذا من جهة ، ومن جهةٍ أخرى إذا سلمنا أنَّ هذه الأسفار قد فقدت فعلاً دون قصدٍ ؛ فإنَّ ذلك يعني أن جزءاً غير قليل من أقوال وأفعال موسى عليه السلام قد فقد ، وهذا يشكل نقصاً خطيراً في دين أتباع موسى عليه السلام ، وتلك مشكلة أخرى تضاف إلى مشاكل التوراة!!!

(١) يشوع (١٠ ، ١٣) .

(٢) أخبار الأيام - الثاني - (٣٣ ، ١٩) .

(٣) أخبار الأيام - الثاني - (٣٣ ، ١٤ - ١٨) .

(٤) الخروج (١٧ ، ١٤) والعدد (٢١ ، ١٤) .

٨- من دلائل تحريف التوراة العبارات الخاصة :

من المعروف أنَّ التوراة أنزلت على موسى عليه السلام أثناء ترحال بني إسرائيل في الصحراء ، وهذا يعني : أنَّ بني إسرائيل كانوا جماعة من البدو الرحَّل ، ينتقلون حسب أوامر موسى عليه السلام على أقل تقدير .

فإذا نظرنا إلى عبارة مثل « إلى يومنا هذا » التي تتكرَّر كثيراً في التوراة^(١) ، وعبارة مثل « السعر الرسمي » والتي تتكرر كثيراً أيضاً^(٢) ، إذا نظرنا إلى هذه العبارات والتي يفترض أنَّها نزلت على بدو ينتقلون في صحراء وجدنا أنَّ هذه العبارات غريبة على تلك البيئة الصحراوية التي لا تعرف نفسها في أيِّ يومٍ هي ، ولا ما هو السعر الرسمي الذي تعتمد عليه ، حيث إنَّ التقويم اليهودي كان بعد موسى ، والسَّعر الرسمي كان لدولة من الدول التي كان اليهود رعايا فيها .

إذاً فإنَّ التوراة كتبت في عصر ، أو عصور لا علاقة لها بعصر موسى عليه السلام وكتبها كتاب متباعدون ، قدَّروا السعر الرسمي حسب تقدير الدولة التي كانوا تحت رعايتها .

وبالتالي فإنَّ توراة موسى عليه السلام لم تكن تحتوي لا على عبارة السعر الرسمي ، ولا على عبارة مثل هذا اليوم ، الأمر الذي يظهر احتمال الإضافة الكبيرة لعبارات من الصعب كشفها إلى التوراة الحالية !!!

٩- من دلائل تحريف التوراة التزوير الجغرافي :

تُظهر التوراة أحياناً أنَّ خروج بني إسرائيل من مصر تمَّ عن طريق البحر الأحمر ، إلى سيناء ، ثمَّ إلى الأراضي المقدَّسة .

(١) التثنية (٣٤ ، ٦) .

(٢) اللاويين (٢٧ ، ٣) .

وفي أحيان أخرى تظهر التوراة أنَّ خروج بني إسرائيل كان عبر البحر الأحمر ، ولكن من أواسط سواحل مصر الشرقية إلى الشاطئ الغربي للجزيرة العربية حيث جالوا في الجزيرة العربية .

ويورد كمال صليبي في كتابه « خفايا التوراة » الأدلة والبراهين التي تدعم رأيه^(١) .

١٠- من دلائل تحريف التوراة المبالغة في جميع الأرقام الواردة فيه :

تجد في التوراة أرقاماً مربوطة بحوادث معينة في تاريخ بني إسرائيل ، وهذه الأرقام ملفتة للنظر فعلاً ، وذلك لأنها تتناقض مع ما تعتبره التوراة حقائق ثابتة .

ولتوضيح ذلك فإننا نضرب المثال التالي :

دخل يعقوب إلى مصر ومعه أولاده وأحفاده فبلغ عددهم سبعين نفساً^(٢) . ولكن موسى عليه السلام خرج بعد أربعمئة وثلاثين عاماً بنحو ستمئة ألف رجل ، ما عدا النساء والأطفال والأغراب^(٣) . والشيء الذي لا يصدق أنَّ ستمئة ألف رجل من الرجال الذين يقودهم نبيٌّ لا يستطيعون أن يقفوا في وجه فرعون ؛ الذي لم يكن له في كل أنحاء مصر مثل هذا العدد من الرجال ، ولا حتى أي ملك كان له مملكة على سطح الأرض وقتها .

ولو كان فعلاً بنو إسرائيل لديهم مثل هذا العدد لما استطاع فرعون أن يتبعهم إلا بعددٍ يماثلهم على الأقل ، الأمر الذي لم يحدث أبداً ، كما أنَّ

(١) خفايا التوراة، د. كمال صليبي.

(٢) تكوين (٤٦، ٢٦).

(٣) الخروج (١٢، ٣٧ و٤٠).

هذا العدد من رجال بني إسرائيل كان سيكون رادعاً لفرعون حتى لا يعطي
أمراً بقتل الذكور من بني إسرائيل ، لأنّ ذلك سيكون حافزاً يدفع بنو
إسرائيل للقيام بثورة على فرعون على الأقل ، هذا إن لم نقل القضاء على
سلالة الفراعنة بأكملها .

فما هي حقيقة القصة ؟ ؟

من أجل كشف السرّ لابدّ لنا أن ننطلق من الفرضيات والمسلمات
التالية :

أ - عدد أحفاد يعقوب القابليين للتناسل دون أبناء يعقوب $70-12 = 58$
حفيد ، وقد أهملت التوراة عدد زوجات أبناء يعقوب ، لذلك أسقطناهم
من الحساب .

ب - عدد الذكور في أحفاد يعقوب ٢٩ وحفيدات يعقوب ٢٩ ، ولما
كان المصريون لا يتزاوجون من بني إسرائيل فسوف تجري زيجات بين
أبناء العمومة من بني إسرائيل ، أعني زواجاً داخلياً .

ج - متوسط تجدد الأجيال عادة هو ٣٠ سنة ، حيث تتجدد الأجيال
كل ٣٠ سنة .

د - من الثابت أنّ نسبة التجدّد العالمية عند أي زوجين هي ٤ أفراد
منهم اثنان من الذكور واثنان من الإناث ، أما عند بني إسرائيل فكانت
النسبة $58/12 = 4,8 = 5$ نصفها ذكور ونصفها إناث .

هـ - من الثابت أنّ خروج موسى عليه السلام كان سنة ١٢٠٠ قبل
الميلاد تقريباً ، وبناءً عليه فإنّ ثلاثة عشر جيلاً قد تكاثروا في مصر ابتداءً
من عام ١٥٦٠ قبل الميلاد ، في حين أنّ تاريخ دخول يعقوب إلى مصر
يقدر أنه حدث في عام ١٥٩٠ قبل الميلاد .

و - بذلك فإنّ الجيل الأول المتكاثر من بني إسرائيل هو ٢٩ ذكراً مع

٢٩ أنثى على فرض تساوي الجنسين في أحفاد يعقوب .

وبذلك سيتكاثر أحفاد يعقوب وفق النسب التالية :

الجيل الأول سنة ١٥٦٠ ق . م ← ٢,٥ ذكر + ٢,٥ أنثى لكل فرد من أفراد بني إسرائيل .

الجيل الثاني سنة ١٥٣٠ ق . م ← ٥ ذكور

الجيل الثالث سنة ١٥٠٠ ق . م ← ١٠ ذكور

الجيل الرابع سنة ١٤٧٠ ق . م ← ٢٠ ذكراً

الجيل الخامس سنة ١٤٤٠ ق . م ← ٤٠ ذكراً

الجيل السادس سنة ١٤١٠ ق . م ← ٨٠ ذكراً

الجيل السابع سنة ١٣٩٠ ق . م ← ١٦٠ ذكراً

الجيل الثامن سنة ١٣٦٠ ق . م ← ٣٢٠ ذكراً

الجيل التاسع سنة ١٣٣٠ ق . م ← ٦٤٠ ذكراً

الجيل العاشر سنة ١٣٠٠ ق . م ← ١٢٨٠ ذكراً

الجيل الحادي عشر سنة ١٢٩٠ ق . م ← ٢٥٨٠ ذكراً ، وذلك لكل ذكر من أحفاد يعقوب الذكور الـ ٢٩ .

في ذلك الوقت بلغ تعداد بني إسرائيل الذكور ٧٤٨٢٠ ومن النساء ٧٤٨٢٠ أيضاً ، إذاً أصبح مجموع أفراد بني إسرائيل ١٤٩٦٤٠ فرداً تقريباً ، وهو رقم كبير في ميزان مدن الشرق القديم ، الأمر الذي نبّه فرعون مصر إلى أن بني إسرائيل أصبحوا يشكلون خطراً على مصر ، فقال : « انظروا كيف صار بنو إسرائيل أكثر وأعظم منا ، فقالوا نحكم القبضه عليهم لئلا يكثروا ، فإذا وقعت حرب ينضمون إلى خصومنا

ويحاربوننا ، ويسيطرون على أرضنا»^(١) .

حاول فرعون أن يرهق بني إسرائيل بأعمال السخرة ، لكن ذلك لم يؤثر على تعدادهم ، فأمر فرعون قابلات بني إسرائيل أن يقتلوا الذكور من مواليدهم ، فلم يفعلوا ، فأصدر فرعون الأوامر لشعبه وجنوده بقتل الذكور ، والاستبقاء على النساء .

في هذا الوقت يبدو أن قرار فرعون بقتل المواليد بدأ بعد ولادة هارون وقبل ولادة موسى عليهما السلام ، فإذا بعث موسى وعمره ٨٠ سنة وهارون وعمره ٨٣ سنة عرفنا أن عام قتل المواليد هو تقريباً ١٢٩٠ ق . م ؛ لأن خروج بني إسرائيل تم في عام ١٢٠٠ ق . م تقريباً .

فلقد ولد موسى عليه السلام ، وأنقذه الله من يد جنود فرعون ، لكن بني إسرائيل نتيجة أوامر فرعون لابد أنهم لجؤوا إلى تهريب الحوامل ، أو تهريب الذكور ريثما يكبروا تنصلاً من تنفيذ أوامر فرعون التي تقضي بقتل المواليد الذكور فقط .

وبالطبع فإن بني إسرائيل لجؤوا إلى الإقلال من نسلهم نظراً لصعوبة تهريب المواليد الذكور ، الأمر الذي خفّض عدد الذكور كثيراً ، فأصبح عدد الذكور في الوقت الذي بعث فيه موسى عليه السلام نبياً ٩٢٨٠ ذكراً على أبعد تقدير ، هذا إذا افترضنا أن تعداد الذكور انخفض بنفس نسبة ازدياده في الأحوال العادية ، وبالتالي فيكون الحساب كما يلي :

عدد الجيل الثاني عشر سنة ١٢٦٠ ← ١٢٨٠ ذكراً للفرد الواحد من أحفاد يعقوب .

عدد الجيل الثالث عشر سنة ١٢٣٠ ← ٦٤٠ ذكراً للفرد الواحد من أحفاد يعقوب .

(١) الخروج (١، ٩) .

عدد الجيل الرابع عشر سنة ١٢٠٠ ← ٣٢٠ ذكراً للفرد الواحد من أحفاد يعقوب .

وهذا يعني أنّ تعداد ذكور بني إسرائيل ٩٢٨٠ ذكراً على أبعد تقدير ، فلو تأخرت نبوة موسى عليه السلام لجيلين آخرين لقضى فرعون تماماً على ذكور بني إسرائيل ، وسيتحول نساء بني إسرائيل إلى جوارٍ وخدم . بناءً على ذلك فإنّ موسى عليه السلام خرج من مصر برفقة ما يقدر ٩٢٨٠ ذكراً بالإضافة إلى ما يقدر بـ ٥٩٨٥٦٠ أنثى ، وهذا يعني أنّ التوراة أوردت رقماً مقبولاً لكنّه رقم يشير إلى عدد الإناث ، وليس إلى عدد الذكور .

وهذا ما يبرر احتقار فرعون لبني إسرائيل الذين قلّ فيهم عدد الرجال إلى حدٍّ كبيرٍ ، الأمر الذي دفعه إلى اللحاق بموسى عليه السلام بهدف القضاء على الرجال بالجملة ، واسترقاق النساء أيضاً بالجملة ، هذا مع ملاحظة أن الذكور المسموح ببقائهم أحياء من قبل فرعون كانت تزيد أعمارهم عن ٨٣ سنة ، وهذا ما يبدو مطابقاً لعبارة التوراة (شيوخ بني إسرائيل) لأنه لم يكن لدى بني إسرائيل شبابٌ صغار السن .

فلو افترضنا أنّه صحّ : أنّ عدد الخارجين مع موسى هو : ٦٠٠,٠٠٠ ألف رجل لكان خبر زيادة مواليد بني إسرائيل غير صحيح ، وبالتالي فلا داعي أن يبعث الله موسى عليه السلام نبياً ، خصوصاً أنّ التوراة أكّدت أنّ مهمّة موسى عليه السلام الأساسية هي إخراج بني إسرائيل من مصر .

أما كون عدد الذكور في بني إسرائيل الذي قدرناه بحوالي ٩٢٨٠ فإنّه يبدو منطقياً ؛ لأنّه يؤكد منطقية هروب بني إسرائيل من مصر ، وبالتالي ضعفهم في ردّ بطش المصريين خصوصاً أنّهم طاعنون بالسن ، وهذا ما يبرر أيضاً إباحة شريعة موسى عليه السلام في عدم تحديد عدد

الزوجات اللائي يحقُّ لذكرٍ واحدٍ من ذكور بني إسرائيل أن يتزوجهنَّ دفعةً واحدةً .

كما أنَّ تقدير عدد ذكور بني إسرائيل بـ ٩٢٨٠ ذكراً يكشف المبالغة في عدد الذين ماتوا بضربة مجامر النار والبالغ عددهم (١٤٧٠٠ ذكراً)^(١) كما يكشف أيضاً المبالغة في إيراد عدد الذين ماتوا بضربة الزنى (٢٤٠٠٠ ذكراً)^(٢) سيما وأن ذكور بني إسرائيل كانوا من كبار السن !! .

ومع ذلك فإنَّ كتبة التوراة لم يتفقا على عدد ذكور بني إسرائيل الذين خرجوا من مصر على الرغم من اتفاق الجميع على المبالغة في إيراد الأرقام في سفرٍ واحدٍ أحياناً .

حسب الزوج (١٢ ، ٣٧) عدد ذكور بني إسرائيل (٦٠٠ ، ٠٠٠) ذكور .

وحسب العدد (٢ ، ٣٢) عدد الذكور المحاربين من بني إسرائيل (٦٠٣,٥٥٠ محارباً فوق سن العشرين) يضاف إليهم (٢٢٠٠٠) من اللاويين الذكور^(٣) .

وحسب العدد (٢٦ ، ٥١) عدد ذكور بني إسرائيل المحاربين الذين سُنُّهم فوق العشرين (٦٠١ , ٧٣٠) محارباً يضاف إليهم (٢٣٠٠٠) من اللاويين الذكور الذين لهم من العمر شهر وما فوق .

ورغم أنَّ كتبة التوراة قد برَّروا الإحصاء الثاني بأنَّ موسى عليه السلام أحصاهم بعد ضربة الزنى التي أزهقت أرواح (٢٤٠٠٠ ذكراً) مع ذلك تجد أنَّ الإحصاء الثاني أبرز أنَّ تعداد بني إسرائيل قد نقص بمقدار

(١) العدد (١٧، ١٤) .

(٢) العدد (٢٥، ٩) .

(٣) العدد (٣، ٣٩) .

(١٨٢٠ ذكرأ) في حين أنه من المنطقي أن ينقص بمقدار عدد الزناة الذين ماتوا!!!

هكذا فإنك تجد أن جميع الأرقام الواردة في التوراة لا يمكن الوثوق بها بأي شكل من الأشكال ؛ لانعدام مصداقيتها ، ومنطقيتها ، وواقعيها .

١١- من دلائل تحريف التوراة ورود قصص ليس لها معنى :

من الصعب على عاقل أن يقتنع أن كتاباً من المفروض أن يكون مقدساً يحوي قصصاً ترد فيه وليس لها معنى ، والحقيقة أن هناك الكثير من القصص لا تحوي أي معنى تناولتها التوراة ، مثل ما ورد في سفر الخروج : « بينما موسى في الطريق لاقاه الرب في مكانٍ للمبيت وحاول أن يميته فأخذت صفورة امرأته صوانه فختنت ابنها ، ومست بها رجلي موسى ، وقالت : أنت الآن عريس دم لي ، فغف عنه الرب عندما قالت : عريس دم لي من أجل الختان »^(١) .

إن قصة كهذه القصة أجدر بحكواتي يروي خرافات في مقاهٍ أو على أرصفة الطرقات ، وليست جديرة بكتاب من المفروض أن يكون وحياً ، أو كتبه ملهم بوحى من روح القدس!!

١٢- من دلائل تحريف التوراة احتواؤها على تشريعاتٍ بهلوانية :

رغم احتواء التوراة على تشريعات معقولة ومقنعة إلا أن الكثير من هذه التشريعات يفتقر إلى الموضوعية والعقلانية ؛ بل وأحياناً تنفجر ضاحكاً عندما تقرأ شريعة الأبرص في التوراة والتي نصّها : شريعة الأبرص بعد طهره : (التكوين ١٤ ، ١-٣٢) : « وكلم الرب موسى فقال : هذه

(١) الخروج (٤، ٢٤).

تكون شريعة الأبرص في يوم طهره : يؤتى به إلى الكاهن ، فيخرج الكاهن إلى خارج المحلة ليفحصه . فإذا رأى أن الأبرص بريء من بلوى البرص ، يأمر الكاهن بأن يأخذ للمتطهر عصفورين حييين طاهرين ، وعدد أرز ، وقرمز وزوفى . ويأمر الكاهن بذبح واحد من العصفورين في وعاء خزف ، على ماء جارٍ ، ويأخذ العصفور الحي ، وعدد الأرز ، والقرمز ؛ والزوفى ، ويغمس هذا كله في دم العصفور المذبوح على الماء الجاري ، ويرش على المتطهر من البرص سبع مرات ، ويطهره ، ويطلق العصفور الحي على وجه الصحراء . ثم يغسل المتطهر ثيابه ، ويحلق جميع شعره ، ويغتسل بالماء ، فيطهر ، وبعد ذلك يدخل المحلة ، ويقيم في خارج خيمته سبعة أيام ، وفي اليوم السابع يحلق جميع شعر رأسه ، وذقنه ، وحواجب عينيه ، وجميع شعر بدنه ، ويغسل ثيابه ، ويستحم بالماء فيطهر .

وفي اليوم الثامن يأخذ خروفين صحيحين ونعجة حولية صحيحة وثلاثة أعشار القفة من الدقيق قربان تقدمه ملتوتة بزيت ، وحق زيت .

ويوقف الكاهن المطهر الرجل المتطهر مع قرابينه هذه أمام الرب عند باب خيمة الاجتماع . ويأخذ الكاهن أحد الخروفين ليقربه ذبيحة إثم ، مع حق الزيت ، فيحركها تحريكاً أمام الرب . ويذبح الخروف في الموضع المقدس حيث يذبح ذبيحة الخطيئة والمحركة ، لأن ذبيحة الإثم هي للكاهن كذبيحة الخطيئة ، مقدسة كل التقديس ، ثم يأخذ من دم ذبيحة الإثم ويضع على شحمة أذن المتطهر اليمنى ، وعلى إبهام يده اليمنى وإبهام رجله اليمنى . ويأخذ الكاهن من حق الزيت ويصب في راحة الكاهن اليسرى . ثم يغمس إصبعه اليمنى في الزيت الذي في راحته اليسرى ، ويرش منه بإصبعه سبع مرات أمام الرب . ثم يأخذ مما بقي من الزيت في راحته ومن دم ذبيحة الإثم ، ويضعه على شحمة إذن المتطهر

اليمنى ، وعلى إبهام يده اليمنى ، وعلى إبهام رجله اليمنى . وباقي الزيت في راحة الكاهن يصبه على رأس المتطهر ، ويكفر عنه أمام الرب . ثم يعمل الكاهن ذبيحة الخطيئة ليزيل عن المتطهر نجاسته ، ويذبح المحرقة ويصعدها مع التقدمة ، على المذبح ، ويكفر عنه الكاهن ، فيطهر»^(١) .

وهكذا وبهذه الطريقة يطهر الأبرص بعد شفائه ، إنَّ تشريعاً كهذا لا يمكن أن يكون موسى قد تلقاه عن الرب ، فهذه الوصفة تصلح أن تكون وصفة دجال ، وليست كلاماً قد أوحاه الله إلى نبيّه موسى . . ناهيك عن أن البرص بالذات هو مرض وراثي ليس قابلاً للعدوى ، ولا للعلاج ، ولا للشفاء .

وتمتلىء الأسفار الخمسة بمثل هذه التشريعات التي لا يمكن أن تصدر عن إله موسى كما يدّعي أنصار التوراة!!!

١٣- من دلائل تحريف التوراة تناقض نصوصها مع العلوم والمعارف :
إنَّ كلاماً يصدر عن الله لا بدَّ أن يكون كلاماً علمياً صحيحاً ؛ لأنَّ قائله لا بدَّ وأن يكون عالم كل شيء ، وبناءً على هذه القاعدة قام الدكتور موريس بوكاي بدراسة الكتب السماوية الثلاث ، فتوصّل إلى النتيجة التالية حول التوراة : « بنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأنجيل . أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول . أي : سفر التكوين . فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخاً في عصرنا »^(٢) .

(١) اللاويين (١٤ ، ١-٣٢) .

(٢) دراسة الكتب المقدسة . د . موريس بوكاي (ص ١٣) .

١٤- من دلائل تحريف التوراة إشارة القرآن الكريم إلى هذا التحريف :

كنا قد بينا في فصل سابق بأن القرآن الكريم هو كلام الله الذي أوحاه إلى محمد ﷺ دون أدنى درجة شك ، وسواء آمن اليهود به أو لم يؤمنوا ، فلا بد أن نبين لهم الآيات القرآنية التي تدل على تحريف توراتهم ، ولقد بينا سابقاً دلائل التحريف التي تبدو غير مقنعة ولا منطقية ، لكن الله تعالى أكد في كتابه العزيز أن هناك من كتب وأضاف إلى التوراة ونسبها إلى الله لمنع الناس من مناقشتها على اعتبار أنها مقدسة ليحقق غايات دنيوية ، وقد توعد الله هؤلاء بقوله : ﴿ قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كُتِبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُوبُونَ ﴾ [البقرة : ٧٩] .

وبعد أن كتب اليهود ما كتبوا ، وأضافوا إلى توراتهم ما أضافوا ، لجؤوا إلى طريقة أخرى ، وهي تحريف الكلام عن موضعه ، ومثال ذلك ما أثبتناه على كلمة (شيلوه) التي أظهرها على أنها قرية ، وهي في حقيقتها تعني (رسول الله) (راجع التحريف عن طريق التلاعب بالكلمات من هذا البحث) .

ويفضح القرآن الكريم تصرفات هؤلاء ، فيقول عز من قائل :

﴿ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَافِيَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاصْفَعْ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة : ١٣] .

وأخيراً فإن كتاباً يحوي كل هذه الثغرات والمآخذ لا يمكن أن يكون كتاباً موحى به من الله ؛ لأن الله لا يخطيء حسب إيمان جميع المؤمنين بالله ، وبالطبع فإن المسيحيين يؤيدهم المسلمون في أن التوراة أنزلت على موسى عليه السلام بالوحي ، ولكن المسلمين يختلفون معهم في

أنهم يؤمنون بأن التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام هي ليست التوراة المتداولة اليوم قطعاً ، وهذا ما أكدته الأدلة والبراهين السابقة .

لكنَّ السؤال الذي يطرح نفسه هاهنا : أين توراة موسى عليه السلام الحقيقية ، وكيف ضاعت ، ولماذا ، ومتى ؟

وهذه الأسئلة عادةً يطرحها المدافعون عن التوراة كلما فتح باب النقاش عن موضوع تحريف التوراة ، فيسألون كيف ، ولماذا ، ومتى ضاعت التوراة ؟

ولا نخفي سرّاً إذا قلنا : إنّ كلّ واحدٍ من المدافعين عن التوراة يعرف موجبات تحريف التوراة ، لكن بناءً على الأحداث التاريخية الثابتة وبعض نصوص التوراة نستطيع أن نورد ما يلي :

إنَّ علماء اليهود وأخبارهم يعلمون تماماً أنَّ التوراة التي يتداولونها اليوم ليست عين التوراة ؛ التي أنزلت على موسى عليه السلام ، لكنَّهم يكتمون ذلك ، ويقبلون بها لأنها تحوي شيئاً من الحقيقة ، وليس الحقيقة كلها .

فعندما أنزلت التوراة خاف موسى عليه السلام على أتباعه من انقسامهم من بعده على التوراة ؛ لذلك حصر موسى عليه السلام تداول التوراة في أبناء أخيه هارون ، وهذا ما أكدته التوراة في سفر التثنية حيث تقول : « وكتب موسى هذه التوراة وأعطاهم لכהنة بني لاوي »^(١) .

لذلك كرّس موسى عليه السلام أبناء أخيه الهارونيين لخدمة البيت المقدس ، وجعلهم أئمة بني إسرائيل ، وحصر فيهم خدمة القرايين^(٢) .

(١) التثنية (٣١ ، ٩) .

(٢) الخروج (٢٩ ، ١) .

كما أكل موسى عليه السلام بتوراته إلى أبناء أخيه ، فدفع إليهم كتاب الشريعة كاملاً ، فقال اللاويون : « وكتب موسى هذه الشريعة وأعطاهم لكهنة بني لاوي »^(١) .

بينما لم يبدِ موسى عليه السلام لكافة بني إسرائيل إلا بعض النصوص من الشريعة « فإذا أصابتهم شرور وأضرار كثيرة ينشدون هذا النشيد أمامي شاهداً عليهم لأنه لن ينس من ذاكرة ذريتهم »^(٢) .

وهكذا فإنَّ الهارونيين اللاويين كانوا يحفظون التوراة كاملة ويصونونها ، بينما أفراد بني إسرائيل كانوا يعرفون بعضاً منها .

بقي الوضع كذلك حتى حلت النكبة ببني إسرائيل ، حيث اجتاحت نبوخذ نصر سنة ٥٨٧ ق . م البلاد المقدسة ، وهدم الهيكل ، وذبح أمراء ورؤساء وكهنة بني إسرائيل اللاويين حفظة التوراة وسدنة الهيكل على دم واحد ، وأتلف الكتب التي وجدها في القدس ، وكل ذلك لأنَّ نبوخذ نصر كان يعتبر أنَّ ديانة بني إسرائيل هي سبب متاعبه معهم ، لذلك فإنه قضى على كتبها ورموزها تماماً ، وفي نفس الوقت ترك نبوخذ نصر البسطاء من بني إسرائيل كالفلاحين والعمال يعيشون في البلاد المقدسة ؛ أما أطفال وصغار بني لاوي ؛ فقد حملهم نبوخذ نصر معه إلى بابل ، ومن هؤلاء دانيال ، وحننيا ، وعزريا ، وميخائيل^(٣) .

وبعد سقوط بابل في يد ملك الفرس كورش سنة ٥٣٩ ق . م الذي سمح لليهود بالعودة إلى فلسطين ، كان من بين العائدين عزرا الذي كان من اللاويين ، وكان في ذاكرته ما تبقى من التوراة الحقيقية ، مثله مثل

(١) التثنية (٣١ ، ٩) .

(٢) التثنية (٣١ ، ٢١) .

(٣) دانيال (١ ، ٦-٣) .

غيره من اللاويين العائدين ، فجمع عزراً ما استطاع جمعه من التوراة الحقيقية من بقايا ذاكرة الأويين وذاكرته ، وجمع تشريعات موسى عليه السلام من بقية أفراد بني إسرائيل .

لذلك فإنَّ التوراة تحوي في مضمونها شيئاً من توراة موسى عليه السلام ، وتحمل الكثير من التشريعات التي كان يعرفها شعب بني إسرائيل .

وفعلاً كتب عزرا الكتاب ، لكنَّه استخدم اللهجة الكنعانية عوضاً عن الآرامية في كتابة كتاب الشريعة .

ولما اجتمع بنو إسرائيل لسماع كتاب الشريعة الذي أنجزه عزرا الكاهن ، احتاجوا لمن يترجم لهم ما كان يقرؤه عزرا من كتاب الشريعة^(١) .

وبالطبع لم يقف كتاب الشريعة عند هذا الحدّ من الكتابة ، بل تلتته تعديلات كثيرة خلال عصور عديدة إلى أن وصل إلى أيدينا بشكله الحالي .

وهذا ما أكدته الدراسات الحديثة للتوراة ، حيث ثبت أنَّ هناك اثنين وعشرين مصدراً مختلفاً للتوراة^(٢) .

وهكذا نكون قد أجبنا عن أسئلة المدافعين عن التوراة من خلال التوراة نفسها ، فبيّنا متى ، وكيف ، ولماذا حرّفت التوراة .

* * *

(١) نحيا (٨ ، ١-٨) .

(٢) دراسة الكتب المقدسة - مورييس بوكاي (ص ٢٩) .

٢- الأناجيل وإنجيل المسيح عليه السلام الحقيقي :

يعترف الميحيون بأنّ إنجيل المسيح عليه السلام الحقيقي مفقودٌ ، لكنّهم يؤمنون بأنّ الذين كتبوا الأناجيل هم بشرٌ قديسون ملهمون من الروح القدس ، كما يقول الدكتور القس عبد المسيح أسطفانوس حول هذا الموضوع في كتابه : تقديم الكتاب المقدس - ص ٢٠ :

« فالميحيون لا يؤمنون بأنّ الكتاب المقدس كتب نزل من السماء بكل كلماته وحروفه ، ولكنّهم يؤمنون بالوحي : فقد دون - أناس الله القديسون - كلمات الكتاب المقدس كلّ بأسلوبه المتميّز ومفرداته الخاصة . إلا أنّهم جميعاً كانوا - مسوقين من الروح القدس - أي : محمولين أو مدفوعين بعمل الروح القدس فيهم تماماً ، كما تدفع الرياح السفن » .

إنّ مقولةً كمقولة الدكتور أسطفانوس جيدة ، لكن ينقصها تقديم البراهين التي تثبت أنّ كتبة الأناجيل قد كتبوها بوحي من الروح القدس فعلاً .

وهذا أمر صعب للغاية ؛ لأنّ مضامين الأناجيل لا تدلّ على أنّ كتابها قد ألهمتهم روح القدس عندما كتبوا الأناجيل ، بل على العكس من ذلك فإنّ غالبية نصوص الأناجيل تثبت أنّ كتبة الأناجيل لم يكونوا ملهمين من الروح القدس ، كما أنّ الكتبة لم يكونوا يوماً تلاميذاً للمسيح ؛ بل لم يشاهدوا المسيح عليه السلام أصلاً .

وبالطبع فإنّ إنكارنا لتدخل روح القدس في كتابة الأناجيل الحالية لا يعني رفض كافة نصوص الأناجيل ، بل إنّنا نعني أنّ هناك نصوصاً صحيحة قد وردت في الأناجيل بدليل أنّنا استخدمناها لإثبات نبوءة المسيح عليه السلام ، وذلك بما يتوافق مع قوانين النبوءة التي نبحث فيها .

وهذا يعني أنَّ هناك شيئاً من الحقيقة في الأناجيل على الرَّغم من أن الأناجيل لا تحوي كلَّ الحقيقة .

ونظراً لأننا نفترض هذا الاعتراض على صحة الأناجيل فإنَّه يتوجَّب علينا إثبات عدم صحة الأناجيل ، أو تقديم الأدلة على أن الأناجيل الحالية هي أناجيل محرفة عن الإنجيل الحقيقي للمسيح عليه السلام .

فما هي أدلة تحريف الأناجيل ؟

١- من أدلة تحريف الأناجيل اندثار نصوص الإنجيل الأصلية :

من المعروف بل والثابت عند الجميع : أنَّ المسيح عليه السلام كان يتحدث اللغة الآرامية (اللهجة العربية الآرامية) التي كان يتكلمها أبناء منطقته أيضاً .

ومن الطبيعي أن يكون الكلام المقدس الذي كان يقوله المسيح عليه السلام كان منطوقاً بالآرامية ، وبالتالي فإن تلاميذه لابدَّ أن يكتبوا تعاليم معلمهم المسيح بلغتهم الآرامية ، ولغته الآرامية على الأقل لتثبيت حرفية الكلام الذي كان يقوله معلمهم المسيح عليه السلام .

إذاً فإنَّ تلاميذ المسيح عليه السلام قد كتبوا بالآرامية ، فهل أصول الأناجيل آرامية ؟

الحقيقة أنَّ إنجيل متى كتب بالآرامية على الرغم من أن النسخة الآرامية لا وجود لها ، ولا يعرف أحد تاريخ تأليفها ، وقيل : إنَّ إنجيل متى اليوناني ترجمةٌ لإنجيل متى الآرامي وعلى الرغم من ذلك فإنَّ المترجم غير معروف ، لا هو ، ولا تاريخ ترجمته^(١) .

(١) المسيحية د. شلبي (ص ١٧٨).

أما إنجيل مرقس فقد كتب باللغة اللاتينية مع التركيز على شرح التعبيرات الآرامية التي كان يستخدمها مرقس ليتحدث مع اللاتين^(١) .

وكتب لوقا إنجيله باليونانية ، وكذلك فعل يوحنا^(٢) . . .

إذاً فخلاصة القول : إنَّ الحدود الدنيا لقبول قداسة كتاب تقتضي أن يكون هذا الكتاب مكتوباً بلغة الوحي التي أنزل بها على الأقل للمحافظة على حرفية الوحي ، في حين أنَّ ثلاثة أناجيل كتبت باليونانية وواحد باللاتينية ، وهذا يقلل من شأن الأناجيل الأربعة لكونها فقدت جزءاً من دقتها .

٢- من دلائل التحريف أنَّ كتاب الأناجيل لم يكونوا تلاميذاً للمسيح :

تعتمد الكنيسة أربعة أناجيل على أنَّها أناجيل مقدسة ، لأنها موثقة ، قد كتبها تلاميذ المسيح الذين عاشوا ، وعاصروا ، وشاهدوا الأحداث التي جرت مع المسيح ، ويروق للكنيسة دعوتهم خدام الكلمة .

لكنَّ دراسةً لشخصية وحياة كل كاتب تظهر أنَّ الكتب الأربعة ليسوا كما تصفهم الكنيسة!!

إنَّ إنجيل متى لم يكتبه الموظف في كفرناحوم الذي أطلق عليه مرقس ولوقا اسم ليفي ، والذي كان أحد حوارى المسيح الاثني عشر ، بل الذي كتبه شخص آخر ليس هو متى بل واحد آخر متبحر في الكتب المقدسة ، والتراث اليهودي ، وهو يحترم رؤساء الشعب اليهودي حتى وإن أغلظ في خطابه لهم ، كما أنه أستاذ في فنِّ التدريس ، وفي إفهام قوم المسيح لمستمعيه ، مع تأكيد الدائم على النتائج العملية لتعاليمه .

(١) دراسة الكتب المقدسة - موريس بوكاي (ص ٨٤) .

(٢) نفس المرجع السابق (ص ٨٤) .

وهذا يتفق مع ملامح يهودي متأدب اعتنق المسيحية ، وكذلك فهو معلم حاذق « يخرج من كنزه جديداً وقديماً » كما قال في إنجيله « ١٣ ، ٥٢ » .

من هذا الاختلاف بين الشخصيتين نستدلُّ على أنَّ الكاتب لإنجيل مَتَّى ليس هو مَتَّى (ليفي) أحد حواربي المسيح ، ويؤكد ذلك أنَّ إنجيل مَتَّى كتب بين عامي ٨٠-٩٠ م أي : في الوقت الذي كان مَتَّى حواربي المسيح قد مات^(١) .

كذلك فإنَّ إنجيل مرقس لم يكتبه مرقس ؛ لأنَّ مرقس قُتل سنة ٦٢ ميلادية في حين أنَّ إنجيل مرقس قد حرر ما بعد سنة ٧٠ ميلادية!!

وعلى الرغم من أنَّ مرقس كان مترجماً لبطرس أحد حواربي المسيح ومساعداً أيضاً لبولس ، إلا أنَّ مرقس مات قبل بطرس الذي مات ما بين ٦٥ - ٧٠ م!! مع العلم أنَّ مرقس لم يكن يوماً تلميذاً للمسيح^(٢)!!

وكما أنَّ مرقس ليس تلميذاً للمسيح فإنَّ لوقا أيضاً ليس تلميذاً للمسيح ، بل هو تلميذ لبولس الذي لم يكن تلميذاً للمسيح أيضاً .

وعلى الرغم من أنَّ لوقا لم يعاصر ، ولم يشاهد المسيح ، فقد كتب إنجيله ما بين عامي ٨٠ - ٩٠ ميلادية ، وأهداه إلى ثاوفيلس ، كما تشير مقدمة إنجيله^(٣) .

أما إنجيل يوحنا فأجمعت الآراء أنَّه كتب في نهاية القرن الميلادي الأول ، الأمر الذي يفترض أن يوحنا بن زبدي أخو جاك قد مات بعد

(١) دراسة الكتب المقدسة - موريس بوكاي (ص ٨١) .

(٢) دراسة الكتب المقدسة - موريس بوكاي (ص ٨٥) .

(٣) لوقا (١ ، ١-٣) .

تأليف هذا الإنجيل ، وبالتالي فإن يوحنا قد عاش قرناً من الزمن ، الأمر الذي لا نستطيع قبوله في زمن كان القضاء على أتباع المسيح الشغل الشاغل له خصوصاً تلاميذ المسيح الاثني عشر الذين اعتبرهم اليهود رؤوس الفتنة^(١) .

والجدير بالذكر أنَّ دائرة المعارف البريطانية قالت عن إنجيل يوحنا ما يلي :

« أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتابٌ مزوَّر أراد صاحبه به مضادة اثنين من الحواريين أحدهما الآخر ، وهما القديسان يوحنا ومثي ، وقد ادعى هذا الكتاب المزور في متن الكتاب أنَّه هو الحواري الذي يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاقتها ، وجزمت بأنَّ الكاتب هو يوحنا الحواري ، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه ، وإننا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصياد الجليل ، فإنَّ أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى »^(٢) .

والخلاصة : أنَّ الحواريين مثي ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا ليس لهم علاقة بالأناجيل المنسوبة إليهم ، ولم تكن يوماً من تأليفهم ، بل هناك من ألفها ونسبها إليهم .

(١) دراسة الكتب المقدسة - موريس بوكاي (ص ٩٠) .

(٢) المسيحية د. شلبي (ص ١٨٢) .

٣- تناقض الأناجيل الأربعة :

تضارب نصوص الأناجيل تضارباً واضحاً ، لدرجة أنك لا تحتاج إلى مزيد من الجهة لتكتشف هذا التناقض .

فكل إنجيل يتناقض مع الآخر كما يتناقض مع الباقي ، وكذلك تتناقض الأناجيل الأربعة مع بعضها البعض ، وهكذا . . .
والأمثلة على ذلك كثيرة :

- تناقض متى مع مرقس :

يقول متى : إنه من قَبْل تلاميذ المسيح فقد قَبَله^(١) . أمّا مرقس فإنه يقول : من قَبْل طفلاً فقد قَبَل المسيح^(٢) .

- تناقض متى مع لوقا :

يقول متى في نسب المسيح (١ ، ١٧-١) خلافاً لما يقوله لوقا (٣ ، ٣٨-٢٣) وهذا الاختلاف يأتي بأعداد وأسماء أجداد المسيح الذي ليس له أب أصلاً ، وإنما له أم المفروض أن يعود هذا النسب لها على حين ينسب الإنجيلان نسب المسيح إلى نسب يوسف الذي لا يعتبر أبوه الحقيقي في حال من الأحوال .

- تناقض متى مع يوحنا :

ففي حين يقول متى : قائد مئة توسل إليه أن يشفي خادمه فقبل المسيح أن يذهب معه ، ورفض ضابط المئة ، وقال له : من هنا تستطيع شفاؤه^(٣) ، وفي نفس الرواية يقول يوحنا : إن موظفاً في حاشية الملك

(١) متى (١٠ ، ٤٠) .

(٢) مرقس (٩ ، ٣٦) .

(٣) متى (٨ ، ٥) .

توسل إليه أن يشفي ابنه ، فرفض المسيح الذهاب وأتب هذا الموظف ،
ثم قال له : ابنك حي^(١) !!

- تناقض مرقص مع لوقا :

في حين أنَّ مرقص يقول : إن يسوع ظهر بهيئة أخرى لاثنيين من
التلاميذ^(٢) دون تحديد المكان ، يقول لوقا : ظهر المسيح في عماوس
لتلميذين من تلاميذه ، لكن عيونهم عميت عن معرفته ، ودار حوار بينهم
وبين المسيح لكنهم عرفاه مؤخراً بعد أن أظهر نفسه لهما^(٣) .

- تناقض مرقص مع يوحنا :

يروى مرقص : أنه بينما كان المسيح في بيت عينا عند سمعان الأبرص
قامت امرأة فكبّت الناردين على رأسه ، وذلك بعد عيد الفصح^(٤) ،
ويقول يوحنا : إنه بينما كان المسيح في بيت عينا عند اليعازر الذي أقامه
من بين الأموات قامت مريم وسكبت قارورة عطر على قدمي المسيح ،
ومسحتهما بشعرها^(٥) .

- تناقض لوقا مع يوحنا :

يروى لوقا : أنَّ المسيح أرسل اثنين من تلاميذه ليأتوا بجحش إلى
المسيح ليدخل به القدس ، ليظهر على أنه ملك^(٦) .

بينما يروي يوحنا : أنَّ المسيح وجد جحشاً ، فركبه ، ودخل إلى

(١) يوحنا (٤ ، ١) .

(٢) مرقص (١٦ ، ١٢ و ١٣) .

(٣) لوقا (٢٤ ، ١٣ - ٣٥) .

(٤) مرقص (١٤ ، ٣) .

(٥) يوحنا (١٢ ، ١) .

(٦) لوقا (١٩ ، ٢٨ - ٣٩) .

القدس ؛ ليظهر للجموع التي جاءت لتشهد اليعازر ؛ الذي أقامه من بين الأموات^(١) .

- تناقض الأناجيل الأربعة مع بعضها مجتمعة :

من الأمور الأساسية التي يقوم عليها الإيمان المسيحي الميلاد العذراوي للمسيح ، و صلب المسيح ، و قيامة المسيح ، و صعوده إلى السماء ، و مع ذلك فإن هذه الإيمانيات تفتقر إلى التأكيد الذي يجب أن تحويه الأناجيل على أقل تقدير ، حيث إنَّ الأناجيل الأربعة تعطي روايات متضاربة تصل إلى مرحلة التعارض التام في بعض الأحيان ، و لبيان ذلك نقول ما يلي :

أ - تناقض الأناجيل الأربعة فيما تقوله عن الولادة العذراوية للمسيح :

يهمل كلٌّ من إنجيل مرقس وإنجيل يوحنا ذكر ولو شيء يسير عن الولادة العذراوية الإعجازية للمسيح ، لكنَّ متى (١ ، ١٨) يكتفي بالإشارة إلى أن مريم حملت بالمسيح من الروح القدس فقط ، أما لوقا فذكر بعض التفاصيل عن ولادة المسيح العذراوية (١ ، ٢٦ - ٣٨) .

إنَّ تجاهل اثنين من كتبة الأناجيل لهذه الولادة الإعجازية وإشارة آخر لها ، و حديث لوقا بشيء من التفصيل عن هذه الحادثة جعل الكثيرين من معتقي المسيحية يرفضون الإيمان بذلك الميلاد الإعجازي للمسيح بينما البعض الآخر من الذين يقبلون الأناجيل على علاقتها يقبلون هذه الولادة الإعجازية مكفين بأقوال لوقا عنها متجاهلين تجاهل ذكر تفاصيل الولادة من قبل ثلاثة من كتبة الأناجيل الآخرين ، وعلى ذلك فإنَّ الآخرين يؤمنون بهذه الحادثة على الرغم من أنَّ درجة الثقة بحدوث هذه الحادثة لا تتجاوز ٢٥٪!!

(١) يوحنا (١٢، ٩-١٩) .

وربما أثر في رأي معتنقي الميحية الذين يرفضون ولادة المسيح العذراوية ، بالإضافة إلى إهمال الأناجيل الثلاثة لذكر تفاصيل هذه الحادثة ، فإنَّ اليهود قد شهدوا في تلمودهم أنَّ المسيح حملت به أمه من العسكري الروماني باندرا عن طريق الخطيئة!!! ولم لا طالما أنَّ الميحية تعتبر كتب اليهودية مرجعها الأساسي على الرغم من أنَّها كلها من تأليف اليهود^(١) ؟

أما المؤمنون بالميلاد العذراوي للمسيح من معتنقي الميحية فإنهم يعتمدون رواية لوقا ، ويحاجُّون في ذلك معتمدين كل التفاصيل التي ذكرت في القرآن الكريم حول ولادة المسيح العذراوية الإعجازية ، في حين أنَّهم لا يؤمنون بالقرآن الكريم ، وهذا من التناقضات العجيبة عند المؤمنين بقداسة الأناجيل المطلقة .

يقول الدكتور القس إبراهيم سعيد ، وهو من المؤمنين بقبول الأناجيل على علاقتها منتقداً الباحثين الغربيين الذين حاولوا أن يؤمنوا عن طريق قبول منطقية الأناجيل ، ومنتقداً أيضاً الإرساليات التبشيرية التي تتكلف الأموال الطائلة لإقناع معتنقي الميحية بهذا المبدأ ، منبهاً إلى أنَّ اتباع هذا المبدأ سوف يجعل المسيحيين يتركون الميحية ليعتنقوا الإسلام ، فيقول : « أنا أو من بميلاد المسيح من عذراء لأنني لا أستطيع أن أقبل النتائج الوخيمة التي تترتب على إنكار هذا الاعتقاد المقدس . فإذا لم يكن المسيح قد ولد من عذراء ، فهو ليس بمسيح . وإنجيله ليس بالإنجيل ؛ إذ يصبح إنجيلاً بلا قوة - كشمشون بعد زوال قوته عنه . بل يكون مسيح القرآن أشرف وأسمى من « مسيح الإنجيل » لأنَّ مسيح الإسلام ، ولد بمعجزة ، وكان هو نفسه معجزة المعجزات - لا يؤمن الملمون بأن

(١) أحمد شلبي - اليهودية - (ص ٢٧٥) .

المسيح هو معجزة المعجزات بل هو معجزة فقط ، ومعجزة المعجزات هو القرآن لخلود إعجازه ، كما سنشير في بحث لاحقٍ من هذا الكتاب ، إذاً فعلام التضحية ؟ وعلام الإنفاق الكثير ؟ فليرجع المرسلون الكرام إلى أوطانهم بين أهليهم وذويهم ، ولينظروا في بلادهم ، حتى يقوم عثمان وعفان وآغا خان ؛ من عدنان وقحطان وأفغانستان . ليشرّوا الأمريكيين ، والإنجليز ، والألمان بمسيح أشرف وأسمى من مسيحهم الجديد ؛ الذي مسخوه بدلاً من أن يمسخوه ويتوجوه ملكاً مكرماً على هامة بني الإنسان!!!»^(١) .

والخلاصة أنّه ما كان المسيحيون ليختلفوا لو أنّ الأناجيل الأربعة ذكرت تفاصيل الولادة الإعجازية للمسيح ، وإنّ عدم ذكر هذه الولادة الإعجازية هو ما يدعو إلى الشك والريبة في صحة الأناجيل الأربعة ، أو على الأقل عدم دقّتها ، وموضوعيتها .

ب - تناقض الأناجيل الأربعة فيما تقوله عن صلب المسيح :

على الرغم من أنّ الأناجيل الأربعة تجمع على أنّ المسيح قد صلب ، ويدعي كتبها أنّهم شاهدوا عملية الصلب بأنّ أعينهم إلا أنّ الحقيقة تدلّ على أن كتبة الأناجيل الأربعة لم يشاهدوا عملية الصلب مطلقاً ، ودليل ذلك ما يرويه كلّ واحدٍ منهم للعبارة التي قالها المسيح قبل أن يسلم روحه ، حيث ينقل كلّ واحدٍ منهم عبارة حرفية يدعي أنه سمعها من فم المسيح قبل أن يسلم روحه وهو على الصليب :

يقول متى : « إيلي إيلي لما شَبَقْتَانِي ؟ »^(٢) .

(١) لماذا أوّمن - القس إبراهيم سعيد (ص ٣٤) .

(٢) متى (٢٧ ، ٤٦) .

يقول مرقس : « إيلوثي - إيلوثي ، لما شَبَقْتَانِي ؟ »^(١) .

ويقول لوقا : « يا أباي في يدك أستودع روحي »^(٢) .

ويقول يوحنا : « تَمَّ كُلُّ شَيْءٍ »^(٣) .

هذا من جهة ، ومن جهةٍ أخرى فإنَّ العبارة التي يوردها لوقا لا تدلُّ على الخصوصية التي يتمتع بها المسيح حسب الإيمان المسيحي ؛ لأنَّ جميع البشر مستقرُّ أرواحهم لدى الله ، وليس المسيح فقط .

أمَّا العبارة التي يوردها يوحنا فإنَّ حذفها من الإصحاح الذي وردت فيه لا يغير المعنى أبداً ، وذلك يدلُّ على أنَّها عبارة مضافة أضافها من لا يملك حقيقة ما قيل فعلاً في هذا المقام !! .

إن هذه الحقائق تقودنا إلى سؤال أكثر أهميةً وهو : هل صلب المسيح فعلاً ؟

إنَّ المعلومات التاريخية المتوفرة تدلُّ على أنَّ هنالك عملية صلب حدثت في ذلك الوقت ، لكنَّه لا يتوفر أبداً دليلٌ ، على أنَّ الذي صلب هو المسيح . . .

يقول مؤرخ اليهود يوسفوس الذي ولد بعد المسيح : « إنَّ بيلاطس حكم على المسيح بالصلب بطلب من رؤساء الشعب بيننا . والذين أحبُّوا المسيح أولاً لم يتركوه ، وهامهم باقون إلى الآن يدعون مسيحيين نسبةً إليه » .

وجاء في تلمود اليهود أنَّه : « إنَّ يسوع قد صلب قبل الفصح بيوم

(١) مرقس (١٥ ، ٣٤) .

(٢) لوقا (٢٣ ، ٤٦) .

(٣) يوحنا (١٩ ، ٢٩) .

واحد . ونودي أمامه مدّة أربعين يوماً أنّه سيقتل لأنّه ساحر . وقصد أن يخدع إسرائيل ويضله . وبما أنّه لم يتقدّم أحدٌ للدفاع عنه ، صلب عشية الفصح»^(١) .

ويقول المؤرخ تاسيتوس المؤرخ الذي ولد بعد المسيح بعشرين عاماً ، والذي كتب تاريخ الإمبراطورية الرومانية منذ موت أوغسطس قيصر سنة ١٤ م حتى موت نيرون سنة ٦٨ م . يقول هذا المؤرخ في الفصل الخامس عشر من مؤلفه :

« إنّ اسم المسيحيين مشتق من المسيح الذي قتل بأمر بيلاطس النبطي الوالي أثناء حكم طيباريوس »^(٢) .

وحقيقة الأمر أنّ مرقص ومثّى لم يسمعا ، ولم يشاهدا عملية الصلب ؛ لأنّ هذه العبارة مأخوذة من دعاء الصباح وهو مزمور معروف في عهد داود ، مزمور (٢٢ ، ٢١) ، كان كلّ من مرقص ومثّى قد اقتبسا افتتاحية المزمور ونسباها إلى المسيح . وهذا المزمور هو دعاء توجه به داود إلى الله تضرعاً ؛ لأنّ الله لم يستجب دعاءه ، فقال : (إلهي ، لماذا تركتني وامتنعت عن نجدي وسماع أنيني ؟ في النهار أدعو ولا تجيب ، وفي الليل فلا تحرك ساكناً)^(٣) . ومن نفس المزمور اقتبس يوحنا عبارته التي تتحدّث عن الصلب^(٤) والتي تقول : (يقتسمون ثيابي بينهم ، وعلى لباسي يقترعون)^(٥) .

(١) تلمود اليهود ص ٤٣ - طبعة أمستردام سنة ١٦٤١ م - فصل : سنهدريم .

(٢) لماذا أو من . د . القس إبراهيم سعيد (ص ١١٦-١١٨) .

(٣) المزمور (٢٢ ، ٢ و٣) .

(٤) يوحنا (١٩ ، ٢٤) .

(٥) المزمور (٢٢ ، ١٩) .

والخطر في عبارة مرقس ومتى أنّ هذه العبارة (إلهي ! إلهي ! لماذا تركتني ؟) والتي ترجمناها إلى الآرامية نقلاً عن المزمور تعني : أنّ المسيح قد اعترض على صلبه ، كما تدلّ العبارة ، ويؤكد معنى المزمور (٢٢) الأمر الذي يتعارض مع الإيمان المسيحي الذي يؤكد أنّ المسيح صلب بمحض إرادته ورغبة منه في التكفير عن خطيئة البشر الأصلية !!

حيث توضح هذه العبارة أنّ المسيح صلب رغماً عنه لدرجة أنّ المسيح قال لربه : (لماذا تركتني ؟) لأنّ المسيح شعر في هذه اللحظة أنّ الله تخلّى عنه لدرجة أنه سمح بإهانتة ، وإذلاله ، وتعذيبه ، وصلبه ، وموته بهذه الطريقة المذلة !! التي تساوى فيها مع اللصوص والقتلة ، تلك الطريقة التي لا تليق بشخص يتمنّع بمواصفات المسيح !! .

وهذا المعنى أيضاً قد حملته العبارتان اللتان أوردهما يوحنا ولوقا ، عندما أوردا عبارة المسيح الأخيرة ، والتي حملت عند الاثنين معنى اليأس والقنوط من إنقاذه .

إنّ الثغرة المشتركة بين جميع النصوص التي تتحدث عن صلب المسيح قد جاءت من أشخاص كلهم ولدوا بعد المسيح بفترة أقلاًها عشرون عاماً ، وهي شهادة غير مقبولة ، لأنّه لا يجوز إطلاق صفة شاهد إلا على الشخص الذي رأى ، وسمع ، وعانى الحدث ، ولديه دليل على معاصرته الحدث بنفسه ، وإلا فإنّ للقارئ الكريم حقّ الشهادة على انتحار أو قتل أو موت نابليون بونابرت في الوقت الذي لا يمكن قبول شهادة حول هذا الموضوع إلا من أحد مرافقي نابليون المقربين أثناء نفيه إلى جزيرة هيلانة ، ولديه ما يثبت أنّه من مرافقي نابليون .

من ذلك نستطيع أن نقول : إنّ عملية الصلب ليس من المؤكد تماماً حدوثها ، وذلك لعدم وجود نص قطعي موثوق به يؤكد صحة حدوث

عملية الصلب ، أو ينفيها إلى أن ظهر الإسلام وحسم المسألة .

خلاصة القول : إنَّ العبارات التي يرويها كتبة الأنجيل الأربعة حول الكلمات الأخيرة للمسيح متناقضة في حرفيتها ، وإذا قبلنا بأنَّ لها مدلولاً واحداً ؛ فإنَّ ذلك يتناقض مع الإيمان المسيحي .

إنَّ هذه التناقضات تدلُّ على أنَّ آباء الكنيسة قد بنوا آراءهم دون أصول إنجيلية ثابتة ، وذلك لأنَّ كتبة الأنجيل أنفسهم لم يكونوا تلاميذاً أو شهوداً للمسيح ، كما أنَّهم لم يكونوا ملهمين من الروح القدس عندما كتبوا أنجيلهم لسبب بسيط ، وهو أنَّه من غير المعقول أن تملي الروح القدس إملاءات متناقضة على أربعة كان من المفروض أن تلهمهم الروح القدس !!

جـ- تناقض الأنجيل الأربعة فيما يتعلق بقيامة المسيح :

تعتقد المسيحية أنَّ المسيح قد قام من الموت بعد صلبه وموته بثلاثة أيام ، كما تعتقد أنَّ المسيح قد أخبر تلاميذه قبل أن يصلب ويموت بأنَّ قيامته سوف تحدث بعد موته بثلاثة أيام !!

الحقيقة أنَّ الروايات متضاربة جداً بين كُتَّاب الأنجيل الأربعة حول قيامة المسيح لدرجةٍ مذهلة .

فعند متى : قدمت (مريم المجدلية ومريم الأخرى) إلى قبر المسيح (للزيارة) فحدث (زلزال) ونزل (ملاك) من السماء أخبرهما أنَّ المسيح قد (قام) من الموت فذهبتا لإبلاغ التلاميذ ، فظهر المسيح لهما في (الطريق) وقال لهما : (اذهبا وقولا لإخوتي أن يمشوا إلى (الجليل) فهناك يرونني)^(١) .

(١) متى (٢٨ ، ١-٩) .

وعند مرقص أنَّ النساء (ثلاثة) وهنَّ : مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ، وسالومة قد ذهبن إلى قبر المسيح (لسكبِ العطر على جسده) فوجدنَّ القبر مفتوحاً وبداخله (شاب) يلبس البياض من الثياب ، وأخبرهن أنَّ المسيح قام من الموت . وقد ذهبن إلى الجليل ، وكنتموا الخبر من شدَّة الخوف^(١) .

وعند لوقا ذهبت نساء (غير محددات العدد ولا الأسماء) إلى قبر المسيح يحملن الطيب والحنوط ، وصلياً كن قد أعددنه لجسد المسيح ، فوجدن القبر مفتوحاً ، فدخلن إلى القبر ، فظهر لهن (رجلان) يلبسان ثياباً براقَةً فأخبرهنَّ : أن المسيح قام ، وهو في الجليل ، فذهبت النساء إلى التلاميذ وأخبرهنَّ أنَّ المسيح قد قام^(٢) .

وعند يوحنا : ذهبت (مريم) وحدها إلى قبر المسيح ، فوجدته مفتوحاً لا جسد فيه ، فأعلمت التلاميذ بذلك ، ثم ظهر (لمريم المجدلية) المسيح وأخبرها أنَّه صاعدٌ إلى إلهه^(٣) .

في هذه الروايات عن قيامة المسيح لا تتطابق قائمة النساء الآتين إلى القبر ، ولا أعدادهن ، كما لا يتفق الأربعة على غاية النسوة من الذهاب إلى القبر ، واختلفوا في وجود الملائكة في القبر ، ومن أكد وجودها اختلف مع غيره في لباس الملائكة وعددهم ، وفي حين أكد بعضهم إخبار الملائكة للنساء عن قيامة المسيح أكَّد الآخرون إخبار المسيح نفسه للنساء بقيامته .

وبينما يتحدث متى عن ظهور المسيح لمرَّةٍ واحدةٍ بالجليل يؤكد يوحنا

(١) مرقص (١٦ ، ٨-١) .

(٢) لوقا (٢٤ ، ١-١٢) .

(٣) يوحنا (٢ ، ١٨-١) .

أنَّ المسيح ظهر مرَّتين خلال ثمانية أيام في بيت المقدس ، ومرَّةً ثالثة بالقرب من بحيرة طبريا (الجليل) . أما مرقص فقد ظهر عنده المسيح في برية بيت المقدس مرتين فقط .

إنَّ رواية الأحداث بهذه الطريقة المتناقضة يدعو إلى عدم الثقة في الرواية الأساسية وهي قيامة المسيح ، ناهيك عن أنَّ الأناجيل التي أشارت إلى أنَّ المسيح قد أعلن لتلاميذه أنَّه سيقوم بعد ثلاثة أيام قد أوقعت نفسها في تناقضٍ آخر ، وهو أنَّ المسيح لم يبق بالقبر ثلاثة أيام بل يوماً كاملاً وليلتين فقط ، وليس كما يقول متى (١٢ ، ٣٩) .

وتجمع كافة الأناجيل بما فيهم متى نفسه أنَّ المسيح قد اكتشفت قيامته صباح الأحد ، وأنه مات يوم الجمعة عصرًا ، فبذلك يكون قد دفن يوماً كاملاً وليلتين على أبعد تقدير!!!

ولابدَّ أخيراً من الإشارة إلى أنَّ القيامة من الموت حتى وإن حدثت للمسيح فإنها لا تعني الألوهية ؛ لأنَّ المسيح أقام العازر كما أقام إيليا الغلام ، فإذا كانت القيامة من الموت من صفات الربوبية فإنَّه لابدَّ أن يتمتع العازر بها كما يتمتع بها غلام إيليا بنفس درجة تمتع المسيح بها .

د- تناقض الأناجيل الأربعة فيما يتعلق بصعود المسيح :

تؤمن المسيحية أنَّ المسيح بعد أن دفن في قبره قام منه وقابل تلاميذه ، ثم صعد إلى السماء ، وتسمى هذه الحادثة بالصعود .

لكن حادثة الصعود لا يشير إليها من قريب ولا من بعيد إنجيل متى ولا إنجيل يوحنا ، بينما يكتفي مرقص بالقول : « رفع إلى السماء ، وجلس عن يمين الله »^(١) .

(١) مرقص (١٦، ١٩).

أما لوقا فإنه ينهي حادثة قيامة المسيح بانفصاله عن تلاميذه الأحد عشر وارتفاعه إلى السماء ، وذلك في قرية بيت عينا^(١) ، هذا بالإضافة إلى أنَّ مرقس قد تجاوز كل الحدود عندما روى أنَّ المسيح جلس عن يمين الله ، وهو لا يعلم بالضبط أصلاً من الذي صعد .

لكنَّ لوقا وهو كاتب أعمال الرسل يعود ليؤكد أنَّ المسيح استمر ظهوره لتلاميذه مدة أربعين يوماً بعد الفصح ، وعلى هذا الأساس تمَّ تحديد عيد الصعود المسيحي بأربعين يوماً بعد الفصح^(٢) .

إذاً فإنَّ فكرة قيام المسيح وعيد الصعود في العقيدة المسيحية مبنية على أساس راوٍ واحد من أصل أربعة رواة ، وهذا لا يعطي درجة ثقة لهذا الحدث أكثر من ٢٥٪ على أكثر تقدير .

وهكذا نجد أنَّ تناقض الأناجيل الأربعة يتضمن أهم نقاط الإيمان المسيحي من الولادة الإعجازية إلى الصلب إلى القيامة ، وحتى الصعود ، الأمر الذي يدعو إلى توجب وجود دليل أقوى من الأناجيل الأربعة ليحسم اختلافات فرق المسيحية ؛ التي اختلفت حول هذه النقاط الهامة ، وهذا الشيء الذي كانت ولا زالت تفتقر إليه المسيحية .

٤- من دلائل تحريف الأناجيل التلاعبات اللفظية :

من المعروف أنَّه لا تستطيع لغة استيعاب لغة أخرى عند تحويل نصٍّ من لغة معينة إلى لغةٍ أخرى ، وهذا أمر معروف ، ومتفق عليه .

لكن من غير المتفق عليه أن تستخدم كلمة استخداماً خاطئاً مقصوداً لإعطاء كلمة في لغة معينة معنى لا يقترب من الأصل أبداً عند تحويلها إلى

(١) لوقا (٢٤، ٥١) .

(٢) أعمال الرسل (١، ٢-٣) .

اللغة الأخرى ، وقد راحت الترجمات تبيع المعاني إلى درجة عكس الاتجاه والتضليل أحياناً أخرى ، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها :

أ- كلمة الآب :

استخدمت الترجمات العربية كلمة (الآب) للدلالة على معنى الوالد أبي الابن ، وحقيقة الأمر أنه لا يوجد في اللغة العربية معنى لكلمة (آب) بل يوجد معنى واحد لكلمة (أب) والفرق بين الكلمتين هو أنَّ الأولى بالمدة ، والثانية العربية بالهمزة ، فمن أين جاءت كلمة (آب) الموجودة في الأنجيل ؟

إنَّ كلمة (آب) كلمة آرامية تعني (الله) لكنَّ مترجمي الأنجيل عمدوا إلى ترك هذه الكلمة الآرامية عند الترجمة العربية لإعطائها مدلول كلمة - أب - ولإعطاء كلمة (آب) معنى (أبي الابن) فإنَّ عليهم أن يستبدلوا المدة بهمزة ، وبذلك تأخذ المعنى الذي يقصدونه^(١) .

ويتضح من خلال كلمة (آب وأب) أنه عند استبدال كلمة (آب) بكلمة (أب) أينما وردت في الأنجيل مقدار المعنى الذي يختلف من جراء هذا التبديل ، والذي قصد منه التحريف قطعاً .

ب- كلمة إنجيل :

تستعمل كلمة إنجيل لتدلُّ على الكتاب المؤلف من أربعة كتب ، وكل كتاب يطلق عليه اسم إنجيل ، وبطبيعة الحال فإنَّ الإنجيل هو الكلام المقدَّس الذي قاله المسيح موحىً به من الله ، وقد ورد ذكر هذا الإنجيل في إنجيل مرقس : « جاء يسوع إلى الجليل يعلن بشارة الله ، فيقول : تم

(١) المسيحية. أحمد شلبي (ص ١١٥) نقلاً عن «الإنجيل والصليب» لعبد الأحد داود (ص ٨) بالهامش.

الزمان ، واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل»^(١) .

ومعنى هذه العبارة : أنَّ المسيح جاء عندما تمَّ زمانه ليعلن بشارة الله بأن ملكوت الله قد اقترب وعلى الناس أن تتوب وتؤمن بالإنجيل . إذاً بناء على ذلك فالإنجيل يتضمن بشارة الله بأنَّ ملكوته قد اقترب .

إنَّ المعنى الآرامي للإنجيل هو (البشارة) والمعنى المترجم له إلى اليونانية هو (الحلوان) وهو ما تعطيه لمن أتاك ببشرى .

هذا ولقد فهمت المسيحية بشارة الله بملكوته على أنَّ ذلك هو الخلاص ، وهو معنى مبهم لا يوضح عبارة بشارة الله بملكوته . في حين أنَّ الإنجيل الذي طُالب المسيح الناس أن تؤمن به بعد أن يتوبوا كان يجب أن يتضمن تلك البشارة ، ووصف لملكوت الله الذي أغفلته أسفار العهد القديم بمجموعها .

لكن الواقع يظهر أنَّ الأناجيل بمجموعها لا تصف ملكوت الله ، ولتلك البشارة التي وعد بها من يؤمن بالمسيح الذي كان يبشر بملكوت الله!!

فأين وصف ملكوت الله الذي كان يجب أن تتضمنه الأناجيل لترغيب الناس باتباع المسيح ، وترهيبهم من عصيانه؟!
الحقيقة أنَّ ذلك غير موجود ؛ لأنَّ هذه الأناجيل ناقصة على أقل تقدير .

ج- عبارة باراكليتوس :

ورد في إنجيل يوحنا آخر أحاديث المسيح ، والذي قاله أثناء العشاء الأخير وقبل القبض عليه حسب روايات الأناجيل ، غير أنَّ يوحنا ينفرد

(١) مرقس (١٤، ١) .

عن الأناجيل الثلاثة بذكر الإصحاحات الأربعة التي يسرد فيها المسيح خطبته الأخيرة (من ١٤ حتى ١٧) .

وعلى الرغم من أنَّ ذكر يوحنا لهذا الحوار يزيد درجة الشك في الأناجيل كلها ، إلا أنَّ مجريات الأحداث بعد زمنٍ من اعتماد الأناجيل القانونية يؤكد صحة رواية يوحنا فيما يخص موضوع الباراكليتوس الذي وعد به المسيح تلاميذه قبل رحليه .

لقد كتب يوحنا إنجيله باليونانية أصلاً الذي ورد فيه عبارة (PARAKLETOS) ومن ثم حورت جميع الترجمات المختلفة إلى لغات العالم معاني متنوعة لكلمة باراكليتوس وتلك المعاني هي معانٍ متضاربة ، ومتناقضة ، ومتعاكسة أحياناً .

سنذكر هنا النصوص الواردة في إنجيل يوحنا والتي تشير إلى (PARAKLETOS) وذلك في النسخة العربية التي أخرجت بناء على جميع المخطوطات الأصلية للأناجيل كما يقولون :

١- « سأطلب من الآب أن يعطيكم (باراكليتوس) معزياً آخر يبقى معكم إلى الأبد »^(١) .

٢- « متى جاء الباراكليتوس (المعزي) الذي أرسله إليكم من الآب ، الباراكليتوس (روح الحق) المنبثق من الآب ، فهو يشهد لي »^(٢) .

٣- « صدقوني ، من الخير لكم أن أذهب ، فإن كنت لا أذهب لا يجيئكم (الباراكليتوس) المعزي ، أما إذا ذهبت فأرسله إليكم . ومتى جاء وبخ العالم على الخطيئة والبر والدينونة »^(٣) .

(١) يوحنا (١٤ ، ١٦) .

(٢) يوحنا (١٥ ، ٢٦) .

(٣) يوحنا (١٦ ، ٧) .

٤- « متى جاء روح الحق (الباراكليتوس) أرشدكم إلى الحق كله ،
ولأنّه لا يتكلم بشيء من عنده بل يتكلم مما يسمع ويخبركم بما
سيحدث ، سيمجدني لأنه يأخذ كلامي ويقول له لكم »^(١) .
نلاحظ أنّ عبارة باراكليتوس قد ترجمت عدّة ترجمات ، تارةً معزي ،
وتارةً روح الحق ، ويقصدون بها روح القدس .
لقد تمّ التلاعب بعبارة باراكليتوس عن طريقين :

الأول : تلاعب الترجمة :

سنحاول أن نعرف معنى كلمة باراكليتوس بالعديد من اللغات :

- العربية : ليس لكلمة باراكليتوس معنى .

- السريانية : المرادف لكلمة باراكليتوس هو (مسعايا Misaaya) أما
كلمة باراكليت (فاراقليط) الواردة في نسخة (البشّيا) فإنها مكونة من
كلمتين (باراق PARAQ) ومعناها ينقذ أو يخلص من ، وكلمة (ليتا
LITA) ومعناها الملعون . وعلى ذلك فإن باراكليت تعني بالسريانية
(المخلص من الملعون) . ولا تعني معزياً ولا روح الحق ، أو روح
القدس .

- العبرية : إنّ لكلمة باراكليتوس لا تعني المعزي ؛ لأنّ المرادف
لكلمة معزي هو كلمة « مناحيم » .

- اليونانية : إنّ كلمة باراكليتوس (PARAKLETOS) لا تعني المعزّي
والكلمة المرادفة اليونانية للمعزي هي (باراكلون PARACALON) وهي
تعني المنادي المعزّي - المناشد - الراجي ، أما عندما نقصد كلمة معزي

(١) يوحنا (١٦، ١٣) .

فيجب أن نستخدم (POPYGORYTYS) باريجورتس بمعنى (أنا أعزي) .

وكلمة محامي باليونانية (SANEGORUS) وكلمة شفيع أو وسيط (MEDITEA) فهي لا تدل على معنى (PARAKLETOS) .

بناء على ذلك فإن جميع الترجمات قد استخدمت معاني خاطئة لكلمة باراكليتوس .

الثاني : تأويل النصوص المتحدثة عن الباراكليتوس تأويلاً خاطئاً :

لقد حاولت الكنيسة تأويل نصوص يوحنا المتحدثة عن الباراكليتوس تأويلاً يتماشى مع معتقداتهم ، وليس تأويلاً منطقياً سليماً ، وذلك بأن جعلوا الباراكليتوس هو بولس أحياناً ، أو روح القدس أحياناً أخرى .

وحقيقة الأمر أنه إذا اعتمدنا على النصوص المذكورة في إنجيل يوحنا لمعرفة من الذي تنطبق عليه صفات الباراكليتوس ، لوجدنا أن الباراكليتوس سيأتي بعد المسيح و يسمع ويتكلم بوحى من الله على الملأ . وبناءً على ذلك فهو ليس بولس ، لأن بولس عاصر المسيح ، وهو ليس روح القدس ؛ لأن روح القدس حسب الإيمان المسيحي يحل في المسيحي ويكلمه فقط ، ولا يتكلم على الملأ فالباراكليتوس إذاً إنسان يسمع ، ويتكلم . ومهما كانت قائمة المرشحين طويلة لأخذ منصب الباراكليتوس فلن نجد سوى محمداً ﷺ ينطبق عليه تماماً وصف الباراكليتوس ، والدليل على ذلك أنه إذا بدلنا في نصوص يوحنا المتحدثة عن الباراكليتوس باسم أو صفة من صفات محمد ﷺ لسلم المعنى الذي أكدّه الواقع فيما بعد ، وصحت نبوءة المسيح به :

١- « سأطلب من الله أن يعطيكم نبياً آخر يبقى معكم إلى الأبد » .

٢- « متى جاء محمد الذي أرسله إليكم من الله ، محمد المبعوث من الله فهو يشهد لي » .

٣- « صدقوني من الخير لكم أن أذهب ، فإن كنت لا أذهب لا يجيئكم محمد ، أما إذا ذهبت فأرسله إليكم . ومتى جاء وبخ العالم على الخطيئة والبر والدينونة » .

٤- « متى جاء محمد أرشدكم إلى الحق كله ، لأنه لا يتكلم بشيء من عنده ، بل يتكلم بما يسمع ويخبركم مما سيحدث ، سيمجدني لأنه يأخذ كلامي ويقول له لكم » .

نلاحظ بهذا التبديل أنَّ المقصود هو محمد ﷺ بالباراكليتوس ، ولا يمكن في حال من الأحوال قبول أي شخص آخر يحلُّ محله عند تبديل عبارة الباراكليتوس .

هذا وإنَّ انطباق هذه الصفات على محمد ﷺ يدلُّ على أنَّ هذه النصوص قد قالها المسيح فعلاً ، وقد كان صادقاً فيما قال ، وكذلك فإنَّ هذه الرواية التي أوردها يوحنا في إنجيله كانت منقولةً نقلاً صادقاً في حال قبول أنَّ محمداً هو المقصود بالباراكليتوس ، أما إذا قبلت الكنيَّة بأيِّ شخصٍ آخر فإنَّ ذلك يظهر تناقض نصوص إنجيل يوحنا ، وعدم صدق نبوءة المسيح من جهة أخرى !!

وحقيقة الأمر أنَّ الكنيسة لن تقبل بهذا التفسير أبداً ؛ لأنَّ ذلك يعني أنَّ هناك نبياً آخر بعد المسيح ، في حين أنَّ الكنيسة تؤمن بأن المسيح هو آخر الأنبياء (مع التحفظ على صفة النبوة) .

وبذلك يتضح أنَّ التلاعب اللفظي ، والتلاعب في الترجمات كان مقصوداً ، وليس خطأً اقترفه المترجمون وحسب ، وتلك مصيبة كبيرة ألحقها الكنيسة بالأناجيل ، بل وبالمسيح نفسه ، وعن عمد .

٥- من دلائل تحريف الأناجيل ضياع أصولها تماماً :

لقد نشر الأبتان بينوا وبومار R.R.P.P. BENOIT ET BOISMARD طبعة الأناجيل المتوافقة SYNOPSIS DES QUATRE EVANGILES بدار نشر EDITIONS DV CERF في باريس عن دراسة أجريها في معهد الكتاب المقدس بالقدس (١٩٧٢ - ١٩٧٣ م) .

وخلاصة هذه الدراسة أنه :

- هناك أربعة وثائق أساسية هي أ - ب - ح - ق تمثل المصادر الأصلية للأناجيل (انظر المخطط البياني) .

- الوثيقة أ وثيقة نبعت في أوساط يهودية - مسيحية تلك الأوساط التي آمنت بالمسيح على أنه نبيٌّ من الأنبياء ، وذو شريعة تتقارب من تشريع اليهود ، وقد ألهمت هذه الوثيقة متى ومرقص .

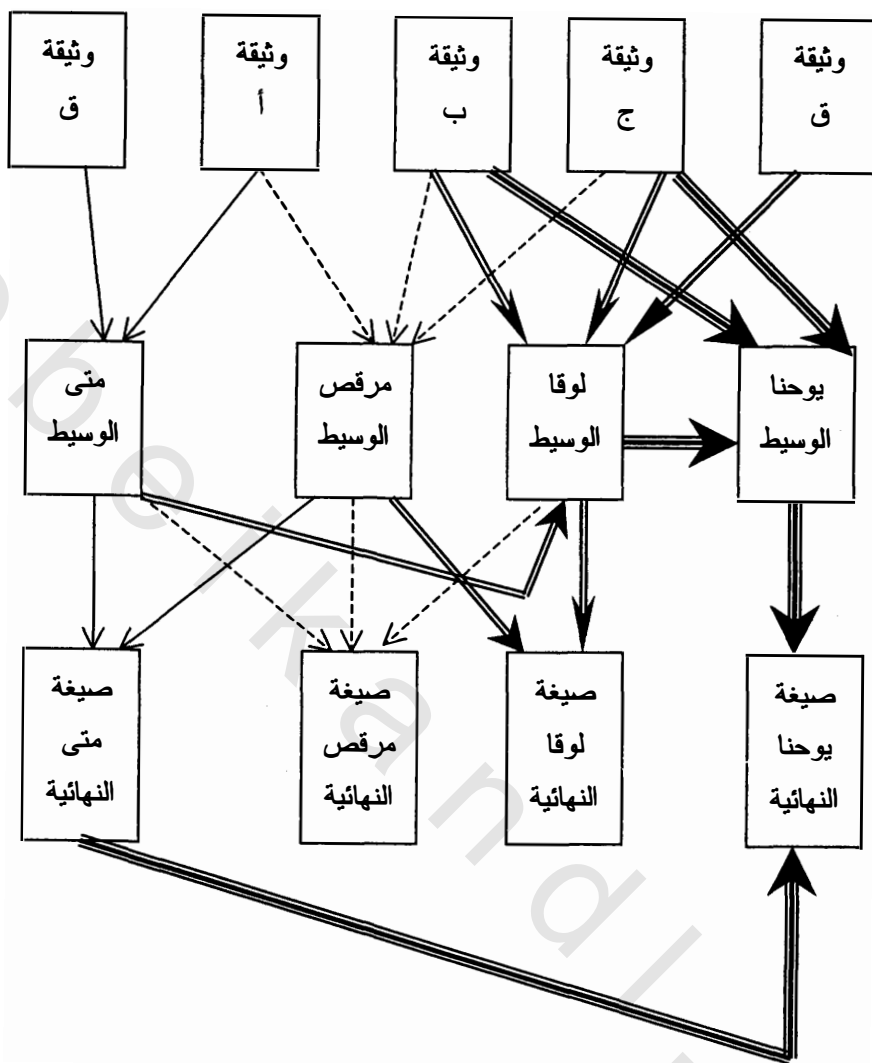
- الوثيقة ب هي إعادة تفسير للوثيقة أ ، استخدمتها الكنائس الوثنية - المسيحية ، والتي تقول : إنّ المسيح إله أو على الأقل ذو جزء إلهي قد رفع التكليف عن أتباعه من أن يطبقوا أيّ شريعة ، وقد ألهمت هذه الوثيقة كل المبشرين ما عدا متى .

- الوثيقة ج ألهمت مرقس ، ولوقا ، ويوحنا .

- الوثيقة ق كونت معظم المصادر الشائعة بين متى ، ولوقا ، وأنها الوثيقة المشتركة في نظرية المصدرين المشار إليها .

- هناك نصوص وسيطة لكافة الأناجيل تدعى بالنصوص الوسيطة أخذ منها كل كاتب إنجيل وفق ما يرغب ليشكل إنجيله النهائي . انظر المخطط^(١) .

(١) دراسة الكتب المقدسة - موريس بوكاي (ص ٩٦) .



يتضح أن الوثائق المستخدمة لصياغة كل من الأناجيل هي:

- ← متى: أربعة مصادر المشار إليها بالمخطط
- ← مرقص: ستة مصادر المشار إليها بالمخطط
- ← لوقا: خمسة مصادر المشار إليها بالمخطط
- ← يوحنا: خمسة مصادر المشار إليها بالمخطط

يُتَّضح مما سبق مقدار التصرف الذي تصرف فيه كتبة الأناجيل ؛ ليقدم كلُّ منهم إنجيله حسب وجهة نظره التي أراد أن يقنع بها قراءه .

ومن غير المعقول أن نقبل بقداسة هذه الكتب بعد أن تبين لنا أنها من تأليف بشر كتبوها بناءً على آرائهم الشخصية ، مع ملاحظة أنَّ الأصول الأساسية لهذه الأناجيل غير موجودة حالياً .

٦- من دلائل التحريف اللامعقول في روايات الأناجيل :

مما لاشكَّ فيه أنَّ جميع الأنبياء يؤيدون بمعجزات ، وبطبيعة الحال فإنَّ المسيح لابدَّ أن يكون له معجزات سواء كانت معجزاته التي حدثتنا عنها الأناجيل حدثت أم لم تحدث ، فليس من المفيد البحث فيها ؛ لأننا نناقش مسألة التحوير ، والتبديل بما جاء به المسيح ، والتشكيك بمعجزاته تشكيكٌ بنبوته ، وهذا يلغي بحثنا أصلاً ؛ لأننا نبني آراءنا على نبوة المسيح ونتحدث مع من يؤمن بالمسيح ، وليس مع المنكر لنبوته .

إذاً فإنه من المعقول جداً أن يكون للمسيح معجزات لكن من غير المعقول أبداً أن تتضمن الأناجيل روايات عن أعمال قام بها المسيح ، ولا يمكن حدوثها ، ومن هذه الحوادث تجربة الشيطان للمسيح التي ورد ذكرها عند متى ، ومرقص ، ويوحنا .

تقول الأناجيل : إنَّ روح القدس قاد المسيح إلى البرية ليجربه الشيطان بعد أن صام أربعين يوماً وليلةً ، ثمَّ جربه إبليس فنجح المسيح في هذا الاختبار^(١) .

فإذا ما صحت هذه الرواية فإنَّ ذلك يعني أنَّ الشيطان ذو سلطة قوية تجعل روح القدس يأتمر بأمر إبليس ليقود المسيح إلى حيث سيجربه

(١) متى (٤، ١-١١) ومرقص (١، ١٢ و١٣) ولوقا (٤، ١-١٣) .

الشیطان ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنَّ المسيح لابدَّ له أن يكون على علم مسبق بأنَّ الشیطان سيجربه ، فانصاع له ، وقبل بإجراءات الاختبار ، فصام أربعين يوماً ؛ ليفوز بهذا الاختبار المزعوم .

فإذا قلنا أنَّ هذا الاختبار قد تمَّ فعلاً ؛ فإنَّه علينا أن نقبل أنَّ طالب درجة الدكتوراه عليه أن يمتحن لدى طالب ابتدائية ليمنحه درجة الدكتوراه!!

وطبعاً فإنَّ هذه المقولة تعتبر مرفوضة على أساس أنَّ الشیطان يتمنَّع بأعلى مراتب الكفر ، ولا يمكن تصنيفه في صنف المؤمنين الطائعين .

فكيف يمكن لروح القدس وهو الأقنوم الثالث أن يقود المسيح الذي هو الأقنوم الثاني في ثالث المسيحية المقدس إلى الشیطان أحقر المخلوقات مرتبةً ليجرَّب ما تدعوه المسيحية ابن الله الأوحده ؛ فيما إذا كان يصلح لمهمة التبشير على الأرض أم لا!!!

وحسب رواية الأنجيل عن تجريب إبليس للمسيح تنقلب المفاهيم النبويَّة رأساً على عقب ، وذلك لأنَّ روح القدس كان قد قاد المسيح إلى إبليس ليجربه ، ويعطي رأيه فيه ، فيما إذا كان يصلح لهذه المهمة أم لا!! الأمر الذي يظهر الله تعالى وكأنَّه يبعث مبعوثه دون أن يدري أيصلح ذلك المبعوث للمهمة المحددة له أم لا ، هذا من جهة ومن جهةٍ أخرى فإنَّ الله تعالى لا يمكن أن يعطي للشیطان سلطة على عبد من عباده الصالحين ، فكيف يعطي للشیطان سلطةً على من تدعوه المسيحية ابن الله ؟!

إنَّ تلك الرواية تتناقض تماماً مع الإيمان المسيحي الذي يفترض أنَّ المسيح هو الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس لديهم ، فهو ابن الله الوحيد ، فهل من المعقول أن يسمح الآب للشیطان بأن يجرَّب ابنه الوحيد ؟ إنَّ الإجابة على هذا السؤال لا يمكن أن تكون إلا الرفض ، ومع

أنَّه لله المثل الأعلى فإنَّه لا يسمح الواحد منا لابنه أن يصفاح فاسداً من أقرانه ، فهل يمكن أن يقبل الآب حسب الإيمان المسيحي بأن يترك ابنه الوحيد كما يعتقدون برفقة إبليس ليختبره متنقلاً به ما بين البرية والهيكل ، وعلى قمم الجبال !!!

ثم إنَّ الشيطان ليس بهذه السذاجة التي تصفه بها الأناجيل ليطلب من إنسان أن يلقي بنفسه من شرفة الهيكل ليثبت أنَّه ابن الله ؛ لأنَّ أيَّ إنسان لا يقبل أن يلقي بنفسه كما أجابه المسيح ، كما أنَّ الشيطان الملعون لا يطلب من شخص أن يحول الحجارة إلى خبز لأنَّ ذلك من أعمال المحرة ، الأمر الذي لم يستجب له المسيح أيضاً كما أنَّ المسيح ليس بهذه السذاجة ليستجب لعبادة الشيطان حتى يتملك الدنيا ومجدها ؛ لأنه كما تعتقد المسيحية ابن مالك كل شيء ، ويعرف أنَّ الشيطان لا يملك شيئاً أصلاً ، فكيف يستجيب لدعوته !!! ويتضح أنَّ الذين كتبوا عن تجربة إبليس للمسيح كانوا من السذاجة بمكانٍ بحيث جعلوا المسيح ساذجاً والشيطان أشدَّ سذاجةً منه ، وهذا ينافي خبث الشيطان ، وإلهام المسيح ، وسعة علمه .

كذلك فإنَّ الأناجيل تحوي روايات مشابهة لقصة تجريب إبليس للمسيح من حيث عدم المعقولية ، ومنها انفتاح القبور ، وخروج القديسين ودخولهم إلى المدينة المقدسة !!

يذكر متى (٢٧ ، ٥١) أنَّه عندما صلب المسيح انشق حجاب الهيكل شطرين من أعلى إلى أسفل . وتزلزلت الأرض ، وتشققت الصخور ، وانفتحت القبور ، فقامت أجساد كثير من القديسين الراquدين . وبعد قيامه يسوع ، خرجوا من القبور ، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثير من الناس .

من الثابت أنَّ تهديم الهيكل حدث في سنة (٧٠ م) الأمر الذي يعني أنَّ كاتب هذا الكلام قد كتبه بعد هدم الهيكل ، فهو لم يراه لحظة تهديمه ، وبالتالي فإنَّ قيامة الأموات ودخولهم إلى المدينة المقدسة أمرٌ غير مقبول ؛ لأنَّ الشاهد يتحدث بعد أربعين عاماً من صلب المسيح !!!

٧- من دلائل تحريف الأناجيل اختلاف الطبعات المتلاحقة للأناجيل :

تختلف طبعات الأناجيل وفقاً للمذهب المسيحي ، حيث إنَّ لكل مذهب مسيحي طبعة خاصة به ففي حين تعترف الكاثوليكية بجميع أسفار الكتاب المقدس تحذف البروتستانتية من كتابها المقدس الأسفار اليونانية ، وتعتبرها أسفاراً مزوّرة . كذلك فإنَّ هناك فئاتٍ من المسيحية لا تؤمن إلا بقداسة الأناجيل الأربعة ، وتحذف كلّ الأسفار الباقية المضافة إليها والمشكلة للعهد الجديد .

بالرغم من ذلك فإنَّ الطبعة الواحدة لنفس المذهب تختلف عن الطبعة التي تليها ، وأنت تقرأ في مقدمة كل كتاب مقدس عبارة تكاد تكون ثابتة وهي : « طبعة منقحة تستند إلى أفضل النصوص » .

إنَّ هذا الاختلاف يدلُّ على أنَّ المسيحية أعطت لنفسها الحقَّ في تعديل كلّ نصٍّ ، لا يتوافق مع توجهاتها الإيمانية ؛ الأمر الذي يضعف الثقة بالأناجيل إلى درجة كبيرة .

٨- من دلائل تحريف الأناجيل ما جاء في القرآن الكريم :

لقد تضمَّن القرآن الكريم وصفاً للمواضيع الأساسية التي يجب أن يحتويها الإنجيل الأساسي الذي أنزل على المسيح ، ولقد ورد ذلك في سور متعددة ، ومواضع مختلفة ومتعددة أيضاً .

ولقد أشار القرآن الكريم بصراحة إلى تحريف الإنجيل ، والإضافات التي أضافها آباء الكنيسة إلى الديانة المسيحية من تأليه للمسيح وأمه ، أو تثليث ، أو رهبنة أو الدعوة إلى تقديس بعض الرهبان . . .

وسنكتفي هنا بما أشار إليه القرآن الكريم حول تحريف الإنجيل ، وسوف نذكر في فصل لاحق الأمور الأخرى التي ذكرها القرآن الكريم حول ما أضيف إلى المسيحية .

قال تعالى : ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُّهُ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُكُمْ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة : ١٤-١٦] .

٩- من دلائل تحريف الأناجيل تحويرها لإقناع اليهود بالمسيح المنتظر :

كانت اليهود ولا زالت تعتقد بأنه سيظهر لليهود نبيٌ مسيحٌ منتظرٌ يتصف بثلاث صفات أساسية ، وهي أنه لا يعرف اليهود من أين جاء ، وأنه يجب أن ينحدر من سلالة داود فيتعبد عرش أبيه ، ويقيم مملكة لليهود خالدة ، وذلك لأنه يدوم فيهم إلى الأبد ، ويخلصهم من الاضطهاد والإذلال الذي تعرّض له اليهود على مرّ العصور .

ولما ظهر المسيح رفض اليهود دعوته إلا القليل ، واضطهدوه ، وهمّوا بصلبه بعد أن لاحقوا أتباعه للقضاء على دعوة المسيح كلياً . الأمر الذي لم يظهر المسيح على أنه المسيح الذي ينتظره اليهود ، فالمسيح جاء

من مريم التي حملت به بمعجزة ، وهو لا ينحدر من نسل داود لأنه ليس له أب فيزيولوجي أصلاً ، كما أنه لم يستطيع أن يقيم المملكة الموعودة ، بل إنَّ الأمر تعدَّى ذلك لدرجة أنَّ الرومان حرقوا مدينة القدس وحولوا المدينة إلى بساتين وطرّدوا اليهود منها ، وشرّدوهم في جميع أنحاء العالم ، وذلك في عام / ٧٠ ميلادية/ ذلك العام الذي كتبت بعده الأناجيل الأربعة المعروفة .

ومن هنا انقسمت المسيحية إلى قسمين :

الأول : مسيحيون تتلمذوا على يد تلاميذ المسيح ، التزموا بأعماله ، وأقواله ، وتشريعه الذي أخذ من اليهودية صحيحها ، وترك إضافات الكهنة التي ألحقوها بالتشريع اليهودي ، وآمنوا بالمسيح على أنّه نبيّ ، وتمسّكوا بإنجيله ، أو على الأقل بما تبقى من الإنجيل دون أن يعدّلوا شيئاً فيه ، متجاهلين العهد القديم والمسيح المنتظر .

الثاني : نظر إلى المسيح على أنّه هو نفسه المسيح المنتظر ، فأخذوا من الإنجيل أو ما تبقى من إنجيل المسيح نفسه ، وعدّلوا عليه تعديلات تؤكد أنّ المسيح هو نفسه المسيح الذي تنتظره اليهود ، وأخذوا يبحثون في العهد القديم على ما يؤكد صحة ادعاءاتهم الأمر الذي جعل المسيح لدى هؤلاء مختلفاً عن المسيح الحقيقي الذي ظهر بين اليهود . ومهما كان هذا التوجه بريئاً أم مقصوداً ؛ فإنّه أدّى إلى امتناع اليهود تماماً عن الدخول في المسيحية ، بينما راقّت صفات المسيح الموضوعه للوثنيين وخصوصاً اليونانيين والرومان ، بينما ابتعد الشرقيون عن اتباع هؤلاء .

وأبرز الذين يمثلون الاتجاه الثاني كان (بولس) الذي تتلمذ على يده تلميذه الحبيب لوقا الذي كتب عنه سفرّاً كاملاً أضيف فيما بعد إلى الأناجيل ، واعتبرته المسيحية كتاباً مقدساً أفرغ فيه لوقا أفكار أستاذه ، سمي فيما بعد « أعمال الرسل » .

إنَّ سفر أعمال الرسل هو المفتاح الذي تستطيع من خلاله أن تعرف التعديلات التي طرأت على الأناجيل الأربعة ؛ التي اعتبرت فيما بعد أناجيل قانونية .

وإثباتاً لهذا الرأي نورد ما أوردته الأناجيل من نصوص ، كان الهدف من إضافتها هو تقديم أدلة لليهود بأنَّ المسيح هو من كانت تنتظره اليهود :

أ- المسيح :

كل رجل يهوديٍّ مسحه الكهنة بالزيت المقدس على أمل أن يكون هذا الرجل هو المسيح المنتظر ، علماً بأنَّ اليهود كانوا ولا زالوا حتى اليوم يمسحون ذكورهم المتدينين ، آمليين أن يكون ذاك الذكر هو المسيح المنتظر ، ولأنَّ هذا المسيح سيخلص شعب اليهود ؛ لذلك لازالوا يطلقون عليه صفة (يشوع) وهي كلمة عبرية تعني مخلص ، ولكي تؤكد الأناجيل أنَّ المسيح هو نفسه المسيح المنتظر جعلوا له عدة أسماء فهو يشوع بالعبرية ، ويسوع بالآرامية ، ومخلِّص بالعربية ، وهو المسيح الذي تطلق عليه اليهود اسم (MESSYHA أو مسيا) .

لذلك أغفلت الأناجيل الاسم الذي أطلقته مريم على ابنها ، وأكَّدوا على صفاته بأنها هي عدَّة أسماء له ، ولم يعرف الاسم الحقيقي للمسيح إلا بعد ظهور نبوة محمد ﷺ .

ونظراً لأنَّ المسيح لم تمسحه اليهود بالزيت المقدس ؛ لذلك ربَّوا له طريقة أخرى وهي التعميد ، فجعلوا يوحنا يعمد المسيح في نهر الأردن ، وهذا يعني أنَّ قصة التعميد في نهر الأردن التي يذكرها متى ، ومرقس ، ولوقا قصة مضافة إلى الأناجيل المذكورة .

إذاً فإينما وجدت الكلمات : مسيح ، أو مسيا ، أو يسوع ، أو مخلص ، أو يشوع ؛ فإنَّ ذلك يعني أنَّها صفات لشخص غير معروف

اسمه الحقيقي ، وهو عيسى ابن مريم الذي أكد ذكره في القرآن الكريم وبالتالي فهي صفات مضافة إلى الأناجيل ، وليست أساسية .

ب- المسيح لا يتب إلى سلالة داود :

لقد ولد المسيح بمعجزة إلهية دون أبٍ بشريٍّ ، لذلك فهو ليس له نسب مثل بقية البشر ، لكن كتبه إنجيل متى وإنجيل لوقا جعلوا له نسباً من جهة من تزوج أمّه مريم بعد حملها ، وهو يوسف ، وجعلوا يوسف ينحدر من سلالة داود فوقعوا في مشكلة تضارب شجرتي النسب بين الإنجيلين وإحصاء الأجداد من جهة وإيراد أشخاص لم يوردوا بكرسي داود ، كأمثال (الياقيم) ونتاجين عن زنى محارم أمثال (فارص بن يهوذا) .

يتضح من ذلك أن شجرتي الأنساب عند متى وعند لوقا مضافتين إلى الأناجيل ، وليستا نصوصاً أساسية .

ج- المسيح المنتظر مجهول المصدر :

إنَّ المسيح المنتظر عند اليهود المفروض لديهم ألا يعرفوا من أين جاء ، لذلك حذف مرقص ويوحنا من إنجيله قصة الميلاد العذراوي للمسيح ، بينما اكتفى متى بالإشارة إليها ، أما لوقا فقد وضعها ظناً منه أنَّ ذلك يؤكد أنَّ المسيح مجهول القدوم ، علماً بأن مصدره معروف ، وهو مريم أخت اليصابات زوجة زكريا أبي يوحنا المعمدان ، رغم أنَّ ولادته تمت بمعجزة .

لذلك فإنَّ حذف الميلاد العذراوي عند مرقص ويوحنا ، كان مقصوداً تماماً ، في حين أنَّه كان المفروض عليهما أن يذكرنا شيئاً عن هذه الولادة الإعجازية .

د - المسيح سيستعيد كرسي داود لليهود :

يعتقد اليهود أنَّ المسيح المنتظر سيني مملكةً يكون هو الملك فيها ، وهو ذو سلطة واسعة يأمر وينهى ، يبني مملكة تدوم إلى الأبد ، تستعد أعداء اليهود وتذلهم .

لكنَّ المسيح ظهر ورضي بالخضوع لقيصر ، ولم يعلن ثورةً ، ولم يشكِّل مملكةً ، ورفض اليهود دعوته ، وأذلوه وصلبوه كقاطع طريق ، وهذا طبعاً لا يجعل المسيح ملكاً متوجاً يقنع اليهود بأنَّه هو المسيح المنتظر .

لكن المسيحيين الذين يرون بالمسيح أنَّه هو المسيح المنتظر التفوا على تلك القضية برفع المسيح إلى مرتبة أعلى من مرتبة موسى وأنبياء اليهود أجمعين ، وذلك بأن جعل بولس المسيح (ابن الله) بناءً على حادثة حدثت معه وهو في طريقه إلى دمشق ، فظهر له المسيح ، وأمره أن يذهب ، ويكرز بأنَّ المسيح ابن الله!!!

من ذلك يتضح أنَّ بولس أضاف بوضوح تام عبارتين أساسيتين للأنجيل ما لبثت هاتان العبارتان أن تحولتا إلى مبدأين أساسيين ؛ الأول : أنَّ المسيح ابن الله ، والثاني : الكرازة والسماح للأمم الأخرى غير اليهود بالدخول في المسيحية ، وكانت النتائج التي انعكست على الأنجيل كما يلي :

١- أصبح المسيح ابن الله : لقد برر بولس عدم ظهور سلطة المسيح الزمانية بأنَّ سلطته كانت روحية ، وهي أقوى من السلطة الزمانية حسب رأيه ؛ لأنَّه ابن الله ، لذلك فإنَّ إضافة عبارات (ابن الله) في الأنجيل تتناقض مع نفسها ومع بعضها ؛ لأنَّها كلها تذكر عبارة (ابن الإنسان) أيضاً .

وقد أدى ذلك إلى استخدام بعض العبارات للدلالة على هذا المعنى ،
مثل كلمة (آب) الآرامية عوضاً عن (الله) واستخدام عبارة (رَبِّي)
الآرامية وتركها في الترجمات العربية لتأخذ معنى (الله) ، وهي تعني في
الآرامية : معلمي .

نستنتج من ذلك أنَّ كلاً من العبارات (ابن الله) و (آب) و (ربي)
عبارات مضافة إلى الأناجيل ، وليست كلمات كانت قد استخدمت في
النصوص الأصلية .

٢- الكرازة : تجد في الأناجيل كلّها أنَّ المسيح لم يأمر تلاميذه إلا
بدعوة يهود الجنوب فقط إلى اتّباعه ؛ لدرجة أنه لم يسمح لتلاميذه
بالذهاب إلى يهود السامرة لدعوتهم لاتباع المسيح ، إذ فإنَّ دعوة المسيح
كانت محصورة ومحدّدة في يهود الجنوب أو خراف بني إسرائيل الضالة
كما يصفها حرفياً ، إذ ليس المسيح مبعوثاً للبشرية على إطلاق الكلمة .

وقد تم التكريز بأنَّ المسيح ابن الله بناءً على رواية بولس التي أمره
المسيح نفسه بموجبها بأن يكرز بأنَّ المسيح ابن الله للعالم كله !!!

ووجد أتباع بولس المخطوطات الأولية لإنجيل عيسى ، أو ما بقي منه
تنتهي بموت المسيح ، وأرادوا أن يجعلوا أوامر الكرازة تنطلق من فم
المسيح ، فأضافوا إلى الأناجيل التي تنتهي بموت المسيح الروايات التي
تحدث عن قيامة المسيح من الموت ، وإعطائه لتلاميذه أوامر بنشر الديانة
المسيحية بين أجناس البشر .

إذاً فإن الإصحاحات الواردة في الأناجيل ، والتي تتحدّث عن قيامة
المسيح من بين الأموات والتعليمات التي أعطاه لتلاميذه اصحاحات
مضافة إلى الأناجيل ، وليست أساسية .

٣- الصعود : إنّ قيام المسيح من بين الأموات يقتضي إيجاد نهاية

غريبة توازي قيامة المسيح من بين الأموات ، وعجز متى ويوحنا أن يجدا
حلاً لهذه المعضلة ، بينما يشير مرقس إلى أنَّ المسيح صعد إلى السماء ،
وجلس عن يمين عرش أبيه .

أما لوقا فيؤكد أنَّ المسيح انفصل عن تلاميذه ، ورفع إلى السماء ،
وهم يشاهدون الحدث ، فسجدوا للمسيح بعد صعوده .

هـ- إشارة الأناجيل إلى صفات المسيح في العهد القديم :

لجأ من يؤمنون بأنَّ المسيح هو المسيح الذي تنتظره اليهود إلى
الاعتماد على فقرات من العهد القديم أضافوها إلى الأناجيل ؛ لإقناع
اليهود بأنَّ مسيحهم المنتظر قد ظهر . وذلك بأن اقتطفوا عبارات
لا تمت ، ولا تتصل ، ولا تشير إلى المسيح من قريب أو بعيد .

- مثال ذلك ما ورد عند متى : « ستجبل العذراء ، فتلد ابناً يدعى
عمانوئيل »^(١) . الواردة في سفر أشعيا^(٢) .

والحقيقة أنَّ المسيح ليس هو عمانوئيل ، والنبوءة المذكورة في أشعيا
قالها أشعيا للملك مبشراً إياه بأنَّ حصار القدس سيتهي عندما تلد زوجته
صبياً وتسميه عمانوئيل ، وقد ولد الصبي وأسموه عمانوئيل ، وذهب
الآراميون إلى دمشق وانفك الحصار . وليس للمسيح علاقة لا بالحادثة ،
ولا بعمانوئيل .

- وكذلك ما ورد عند مرقس : « أحصوه مع المجرمين »^(٣) إنَّ العبارة
هذه ترد في أشعيا في (٣٥ ، ١٢) التي تدل على العبد الذي انتصر

(١) متى (١، ٢٢) .

(٢) أشعيا (٧، ١٤) .

(٣) مرقس (١٥، ٢٨) .

وأعجب به الناس ، وسكت الملوك في حضرته ، يصل إلى هذه المرتبة بعد معاناة وجهدٍ ، فيعيش طويلاً سعيداً مع أولاده .

أما المسيح فلم ينتصر ، وأمر الملك بصلبه ، وليس له سلالة ، ومات وعمره ٣٣ عاماً على أبعد تقدير . فما قرابة المسيح من صاحب النبوءة الواردة في أشعيا ؟

- كذلك ما ورد في لوقا : « واقتسموا ثيابه مقترعين عليها »^(١) . إنَّ العبارة هذه ترد في المزمور (٢٢ ، ١٩) وهي عبارة عن نشيد لداود يشتهي ويتضرّع إلى الله أن ينصره على أعدائه الذين اقتسموا ثيابه بينهم ، واقترعوا عليها ، وليس للمسيح علاقة من قريب ولا من بعيد بهذه العبارة ، حيث إنها دعاء لم يدع به المسيح ، ولم ينتصر على أعدائه ، في حين أنَّ داود قد انتصر على أعدائه الذين اقتسموا ثيابه وهو حيٌّ ، وليس كالمسيح الذي اقتسموا ثيابه وهو ميت .

- كذلك ما ورد في يوحنا : « سينظرون إلى الذي طعنوه »^(٢) . لقد وردت هذه العبارة في سفر زكريا^(٣) وفيها يتحدّث السفر عن أنَّ الدمار سيصيب الأمم القادمة لمهاجمة أورشليم ، فينظر من هو من نسل داود إلى الذي طُعن أثناء الحرب بحنانٍ وحزنٍ كأنه ابن له وهو ليس منهم ، وبالطبع لا تمتُّ هذه الحادثة إلى المسيح بأيِّ صلة حتى ولو كان المسيح من نسل داود ، فإنه هو الذي سيشفق على المطعون أثناء مهاجمة الأمم لأورشليم وليس العكس ، وهذا ما لم يحدث للمسيح .

لقد أوقع أنصار المسيح الذين يؤمنون بأنَّه المنتظر أنفسهم في هذه

(١) لوقا (٢٣، ٣٤) .

(٢) يوحنا (١٩، ٣٧) .

(٣) سفر زكريا (١٢، ١٠) .

المشكلة اعتقاداً منهم بأنَّ اعتقاد اليهود بظهور المسيح المنتظر اعتقاداً لا يرقى إليه الشك ، ولو أنَّهم بنوا رأيهم على أنَّ اليهود يعتقدون اعتقاداً خاطئاً لكان ذلك أراحهم من حذف وإضافة نصوصٍ إلى الإنجيل الذي وصلهم ، وأراحوا أنفسهم ومن بعدهم .

إنَّ فكرة المسيح المنتظر لا أساس لها من الصحة ، فلا زال اليهود وحتى اليوم ينتظرون ، فهم يذهبون إلى حائط المبكى في بيت المقدس ينفخون في البوق ، ويصلّون ويقرؤون في التوراة استدعاءً واستعجالاً لظهور ميحهم المنتظر ، ولا زالوا ينتظرون... فلينتظروا... وستنظر... ولن يظهر المسيح المزعوم لأنَّ فكرة المسيح مبنية على أساس كتاب يعتقدون أنَّه مقدس ، وهو محرّف .

و- ورود صفات المسيح المنتظر في الأناجيل الأربعة :

لقد توازعت الأناجيل الأربعة صفات المسيح المنتظر ، فقد ذكر متى أنَّ المسيح هو ابن داود^(١) وذكر مرقس أنَّ المسيح هو ملك اليهود ؛ الذي يعيد مملكة داود^(٢) ، وقد ذكر لوقا أنَّ الناس كانوا ينتظرون المسيح^(٣) ، أما يوحنا فقد ذكر أكثر صفات المسيح ، حيث ذكر أنه هو المسيا^(٤) ، وذكر أنه لا يعرف أحدٌ من أين جاء^(٥) ، وأنَّ المسيح يبقى إلى الأبد^(٦) .

والحقيقة أنَّ الإشارة الموزعة لصفات المسيح المنتظر كانت

(١) متى (٢٢، ٤١) .

(٢) مرقس (١١، ١٠) .

(٣) لوقا (٣، ١٥) .

(٤) يوحنا (٤، ٢٥) .

(٥) يوحنا (٧، ٢٧) .

(٦) يوحنا (١٢، ٣٤) .

مقصودة ، وذلك حتى لا ترد في إنجيل واحد ، فتصبح عرضةً للتشكيك .

وإذا كانت صفات المسيح المنتظر يتناقضها اليهود حتى اليوم ، فإنه من الغريب أن يذكر المسيح أنَّ كلَّ من يدعي أنَّه المسيح المنتظر بعده هو كاذب^(١) ، وهذا ما أكدّه لوقا^(٢) .

بناءً على ذلك فإنَّ اليهود كانت ولا زالت تنتظر ميحاً مزعوماً لا وجود له ، ومحاولة إسقاط المسيح على صفات المسيح الذي تنتظره اليهود كان أمراً مقصوداً أوقع الأنجيل ومن بعدها العقيدة المسيحية في مطبات كثيرة أهمها : تحريف الإنجيل الأساسي ، بل قل : إعدامه .
ونستطيع بناءً على نظرية المسيح المنتظر التي قدّمنا لها أن نتبين ملامح الإنجيل الحقيقي الذي جاء به ابن مريم .

مواصفات الإنجيل الحقيقي :

- ١- إنه إنجيل مكتوب بلغة مجتمع المسيح نفسه ، وهي الآرامية .
- ٢- إنه إنجيل يصف المسيح على أنَّه من بني الإنسان ، وليس فيه عبارات تدلُّ على الإلهية مثل ابن الله لأنَّها من اقتراح بولس ، ولا عبارة (آب) بل كلمة (الله) ولا عبارة (ربِّي) بل معلمي مع بقاء كلمة باراكليتوس دون ترجمتها لمعرفة المقصود منها مستقبلاً .
- ٣- إنه إنجيل لا يحوي على فقرات تظهر على أنَّ المسيح المنتظر هو ابن مريم ؛ لأنَّ المسيح المنتظر كذبة من أكاذيب العهد القديم ، وليس لها وجود ، ولن تتحقّق مستقبلاً .

(١) مرقص (١٣ ، ٥) .

(٢) لوقا (٢١ ، ٥) .

٤- إنه إنجيل يتحدث عن الولادة الإعجازية لابن مريم بإسهاب ، ويتحدث كذلك عن طفولته الإعجازية أيضاً ، لأنها مرتبطة بولادته الإعجازية الأمر الذي أغفلته الأناجيل .

٥- إنه إنجيل يحدد الاسم الذي حمله المسيح ، وأطلقته عليه أمّه ، وليس صفاته من : مسيا ، ومسيح ، ويشوع ، ومخلص ، ويسوع ، وبناءً على قوانين النبوة فإنّ المسيح عليه أن يحمل اسماً متميزاً في عالم النبوة .

٦- إنه إنجيل لا بدّ وأنه يحمل في طياته وصفاً لملكوت الله الذي بشر به المؤمنون بالمسيح ، ولا بدّ أنه يحوي أيضاً توعداً للذين رفضوا دعوة ابن مريم .

٧- إنه إنجيل يحوي تشريعاً أبسط وأسهل وأكثر منطقية وقبولاً للتطبيق من الشريعة اليهودية .

٨- إنّ إجماع الأناجيل الأربعة على علاقتها حول انحسار دعوة ابن مريم في اليهود يدلّ على أنّ الإنجيل نزل إلى الموحدين لله فقط ، وليس للوثنيين ، وهذا يلغي فكرة الكرازة ، ودعوة جميع الأمم إلى الدخول في دين ابن مريم ، ومن هنا فإنّه يجب ألا يحوي الإنجيل الأصلي على فكرة الكرازة .

٩- لا بدّ للإنجيل الأصلي من أن يحدد الشخص الذي وقعت عليه عملية الصلب ، لأنّ النصوص الإنجيلية المتوفرة تدلّ على أنّ كتبة الأناجيل لم يشاهدوا هذه العملية مطلقاً . كما أنّ النصوص التاريخية لا توضح من هو المصلوب فعلاً .

١٠- الإنجيل الحقيقي لا بدّ أنه يحوي شيئاً عن يوحنا المعمدان لكنّه لا يظهر يوحنا المعمدان على أنّه المبشر والممهد والمعمد للمسيح ،

حيث إنَّ يوحنا كان نبياً له وظيفة ليس لها علاقة بوظيفة المسيح ، وليس هناك رابطة بينهما .

١١- لابدَّ أن تكون نصوص الإنجيل قد احتوت نصوصاً يظهر فيها جلال الربوبية التي نستطيع أن نجزم عند قراءتها على أنَّ المتحدث هو الله دون أدنى شك ، حتى لو كانت النصوص تقرأ بلغة مترجمة عن اللغة الأصلية للإنجيل .

١٢- لا يحوي الإنجيل الأصلي على شجرة الأنساب ، لأنَّ المسيح لا أحد يستطيع نسبه إلا إلى أمّه ، على اعتبار أنَّه ليس له أب فيزيولوجي .

١٣- إنَّه إنجيل يصف ابن مريم على أنَّه نبيٌّ ، وهي صفة لا تقلل من أهميته ، بل إنها مرتبة عظيمة لم يرق إليها في تاريخ البشرية الطويل سوى أعداد محدّدة من أبناء آدم . على عكس صفة الألوهية التي تعطي المنسوين إليها صفة الأساطير ، وعدم المنطقية ، حيث إنها شخصية جسّدتها أساطير بابل وكنعان والمصريين والفينيقيين ، واليونان ، والرومان ، والفرس ، وكافة الوثنيين ، وليس لمثل شخصيات أبناء الآلهة وجود على أرض الواقع بل بين سطور الأساطير .

١٤- إنَّه إنجيل لا يتحدّث عن القيامة (أي : قيامة المسيح بعد الصلب من قبره) ؛ لأنها حادثة لم تحدث كما بينا .

١٥- إنَّه إنجيل ليس فيه ذكر للصعود لأنَّ المسيح لم يقم أصلاً بعد دفنه . هذا إذا افترضنا أنَّه دفن أصلاً .

بناءً على هذه المواصفات نستطيع أن نتصور الإنجيل الواحد الذي جاء به ابن مريم عليه الصلاة والسلام .

إنَّ إنجيلاً بهذه المواصفات لابدَّ وأن يكون جديراً بابن مريم النبيِّ الذي أَرهقه قومه ، وأعيوه تنبيهاً ، وتقريعاً ، ونصحاً ، وإرشاداً ،

فأنكروه ، وراحوا ينتظرون مسيحهم الذي لم ولن يأتي حسب مارسموه ووصفوه حتى قيام الساعة .

وأخيراً فإننا لابد أن نشير إلى أنَّ المسيح الذي كان اليهود ولا زالوا ينتظرونه ليس مسيحاً كما يعتقدون ، بل إنَّهم ينتظرون المسيح الدَّجال الذي حدَّر كلُّ من موسى والمسيح ومحمد ﷺ المؤمنين منه . ودليل ذلك أنَّ المسيح الدَّجال تنطبق عليه صفات المسيح المتظر عند اليهود :

أ - المسيح يبقى إلى الأبد حسب التلمود وحسب الأناجيل ، والمسيح الدَّجال لا يستطيع أحد أن يقتله ، وبالتالي فإنه يتمتع بالخلود لفترة محددة حسب نبوة محمد ﷺ .

ب - المسيح لا يعرف أحدٌ من أين جاء حسب التلمود ، وحسب الأناجيل ، والمسيح الدَّجال يأتي من بلادٍ غريبةٍ عن الأراضي المقدسة ، وبالتالي فلا أحد يعرف من أين جاء ، كما ورد في نبوة محمد ﷺ .

ج - المسيح يصبح ملكاً لليهود بحسب التلمود وحسب الأناجيل ، والمسيح الدَّجال يتبعه كلُّ اليهود ، حيث يتبعه من يهود أصفهان سبعون ألفاً ، ويتبعه كل ضالٍّ فيصبح ملكاً ذا سلطة زمانية ، ومكانية على أتباعه ولا يستطيع قتله والقضاء على أتباعه ، إلا عيسى ابن مريم في منطقة اللد حسب نبوة محمد ﷺ .

ومن هنا فإنَّ اليهود لا ينتظرون سوى المسيح الدَّجال!!!

كيف ضاع إنجيل المسيح ؟

مما لا شكَّ فيه بأنَّ المسيح قد قال كلاماً مقدَّساً ، يعتبر مجموعته هو ما اتفق على تسميته إنجيلاً ، مهما كان المسيح : نبياً ، أو ثالث ثلاثة ، أو ما آمنت به أن يكون .

ومن المعلوم أنَّ دعوة المسيح استمرَّت من سنةٍ إلى ثلاث سنوات علَّم فيها أصحابه وتلاميذه ما يقولون ، وما يفعلون ، وانتهت دعوته تاركاً أتباعه يحفظون أقواله وأفعاله .

وبتحرير من اليهود وعونهم اعتبرت الدولة الرومانية المسيحيين ثواراً على الدولة الرومانية ، فأخذ اليهود على عاتقهم ملاحقة أتباع المسيح ، وسجنهم في السجون الرومانية ليواجهوا عقوبة الموت صلباً ، أو حرقاً ، أو إطعاماً للأسود ، ومن النادر من يفلت من الموت ليواجه السجن .

وفي ظلِّ هذه الملاحقة أخذ أتباع المسيح يعتزلون الناس ، ويهربون إلى المناطق النائية ، الأمر الذي أدَّى إلى انقطاع أتباع المسيحية عن تلاميذ المسيح المصدر الرئيس للإنجيل .

وعلى الرغم من ذلك هناك من أتباع المسيحية الجدد من كان قد حصل على شيءٍ من الإنجيل الصحيح ، وأخذ أتباع المسيحية الجدد يتبادلون ما لديهم من وثائق .

ونتيجة كون المسيحية تمارس سرّاً ؛ فقد دخل المسيحية وثائق لا تمت إلى المسيح بأيِّ صلة ، سواء أكان ذلك عن حسن نيّة ، أم سوء نيّة .

استمرَّ الوضع كذلك حوالي ثلاثة قرون إلى أن أعلنت الدولة الرومانية اتباعها المسيحية ، فعقد في نيقية (Nicaea) سنة (٣٢٥ م) مجمعٌ حضره (٢٠٤٨) أباً روحياً ، اختلفوا على بشرية المسيح ، واختلفوا لدرجة العراك ، فأمر الإمبراطور بفضّ الاجتماع ، ثم أعيد عقد الاجتماع ، فلم يحضره إلا (٣١٨) عضواً من أصل (٢٠٤٨) عضواً هم الذين نادوا بألوهية المسيح فقط^(١) .

(١) المسيحية أحمد شلبي (ص ١٦٦) وهداية الحيارى - ابن القيم (ص ٢٠٥) .

وفي نفس هذا المؤتمر الذي انعقد بحضور (٣١٨) عضواً فقط تمَّ انتخاب أربعة أناجيل من بين ٤٠ - ٥٠ إنجيلاً ، وانتخاب (٢١) رسالة من رسائل لا تعدُّ ولا تحصى ، وصادق عليها ، وكانت الهيئة التي انتُخبت الأناجيل والرسائل هي تلك الهيئة التي قالت بالوهية المسيح^(١) .

ومن الواضح أنَّ هناك أناجيل ورسائل فُتيت في عهد الاضطهادات الأولى التي عانتها المسيحية ، ولكن بقي جزءٌ كبيرٌ من الأناجيل والرسائل أخفاه ذووه ، ثم أظهروه بعد أن غلبت المسيحية أعداءها ، فقدّموه لمجمع نيقية ، لكنَّ الأقلية التي انفردت برأيها القائل بالوهية المسيح قرَّرت إتلاف كلِّ الأناجيل المعارضة لها ، واعتبرتها كُفراً ، وزيفاً يجب إفناؤه ، ويعاقب من قال به ، أو حمّله .

لذلك أتلفت أناجيل مهمة جداً ، أولها إنجيل المسيح نفسه ، والذي ورد ذكره عند مرقس (١ ، ١٤) وفي رسالة بولس إلى أهل رومية (٩ ، ١٦) و (١٥ ، ١٩) .

وكذلك إنجيل السبعين ، وإنجيل التذكرة ، وغيرها من الأناجيل الكثيرة^(٢) .

وهكذا أبيد الإنجيل الأصلي تماماً على يد من ادَّعوا إيمانهم بالمسيح ، وارتكبوا بذلك أكبر عمل إجرامي في حقِّ التراث الإنساني سواء قصدوا ذلك أم لم يقصدوا ، ونعتقد أنَّنا في هذا التوضيح قد أجبنا عن تحدّي الدكتور عبد المسيح أسطفانوس ، فقلنا له : كيف ، ومتى ، وأين ، ولماذا تمَّ تحريف الكتاب المقدس !

(١) المسيحية أحمد شلبي (ص ١٧٥) .

(٢) المسيحية أحمد شلبي (ص ١٧٤) .

وقد بيّنا سابقاً أنَّ التوراة والإنجيل كتابان محرّفان ، وبيّنا كيف ، ولماذا ، ومتى حرف هذان الكتابان .

لكنَّ الموضوعية والمنطق يفرضان علينا معالجة موضوع دقة القرآن الكريم بنفس الطريقة التي عالجت فيها كلاً من التوراة والأنجيل .

لذلك فإنه يتوجب علينا الإجابة عن سؤالين اثنين ، يطرحهما دائماً أتباع العقائد الأخرى أقصد اليهود والمسيحيين وهما :

الأول : إذا كانت التوراة قد ضاعت ، أو حُرِفَت ، وإذا كان الإنجيل قد ضاع ، وبالتالي حُرِفَت الأنجيل ، فما الذي جعل القرآن منيعاً عن الضياع ، أو التحريف ؟

الثاني : وإذا كان كتبة التوراة كاذبين وكتبة الأنجيل كاذبين ، فلماذا لا يكون محمد كاذباً ، حيث إنه كما يعتقد المسلمون قائل القرآن الوحيد ؟ فما الذي يجعلنا نعتقد بأنَّ القرآن وحيٌّ ، ولم يتم بتأليفه محمد نفسه دون أن يكون الوحي هو مصدره ؟

والجواب بالطبع هو أنَّ محمداً ﷺ لم يؤلف القرآن بل القرآن وحيٌّ كاملٌ من الله ، لم يزد عليه حرفاً ، ولم ينقص منه حرفاً ، ودرجة الثقة في القرآن الذي بين أيدينا اليوم هي ١٠٠٪ وذلك للأسباب التالية :

أولاً : لماذا لم يضع القرآن كما ضاعت التوراة والإنجيل :

لابدَّ لنا قبل الإجابة على هذا السؤال أن نستعرض الفترات التي تمَّ توثيق القرآن الكريم بها على مرَّ العصور ، ثمَّ من بعد ذلك سوف نشرح الأسباب التي منعت حدوث هذا الضياع المفروض .

١- جمع القرآن في حياة محمد ﷺ :

خلال فترة امتدت اثنين وعشرين عاماً كان الوحي يتنزل على محمد ﷺ بطرق مختلفة ، كما أشرنا سابقاً ، ومهما كانت طريقة الوحي ؛ فإنَّ محمداً ﷺ كان يعرف أنَّ ما يوحى إليه هو قرآن أم حديث قدسي أم إعلام بالغيب . . .

وفيما يخصُّ وحي القرآن فإنَّ القرآن عبارة عن ١١٤ سورة تختلف السور في عدد آياتها ، وتختلف الآيات في طولها ، فمنها القصير ، ومنها الطويل ، وكذلك السور التي كان لكل منها اسم مأخوذ من فاتحتها أو من مضمونها .

ولما كان محمد ﷺ أمياً لا يعرف أيَّ قراءة بأيَّ لغة ، ولا كتابة بأيَّ لغة ؛ لذلك فقد كان يحفظ الوحي عن ظهر قلب ، ومن ثمَّ يقوم بإبلاغ أتباعه ما أنزل إليه من القرآن .

وكان أتباع محمد ﷺ على نوعين :

نوع يعتمد على حفظ ما سمع من محمد ﷺ عن ظهر قلب ، وكان هؤلاء على نوعين الأول يحفظ كلُّما سمع قرآناً من محمد ﷺ والثاني متفرغ لملازمة محمد ﷺ ، وحفظ قرآن عن ظهر قلب من محمد ﷺ .

وكان أغلب الصحابة من النوع الأول الذي يحفظ من محمد ﷺ ما تيسَّر له حفظه كلُّما سمحت ظروفه بذلك .

وأما النوع الثاني فكان متفرغاً لحفظ القرآن عن ظهر قلب ، لذلك فإنَّ هؤلاء كانوا قد حفظوا القرآن كلُّه من نبيهم محمد ﷺ ، ومن هؤلاء : عبد الله بن مسعود - سالم بن معقل مولى أبي حذيفة - معاذ بن جبل - أبي بن كعب - زيد بن ثابت - أبو زيد - أبو الدرداء . . . وغيرهم^(١) .

(١) تاريخ التشريع الإسلامي - الخضري بك (ص ١٣) .

أما النوع الآخر فكانوا الكتبة :

لقد كان من أصحاب محمد ﷺ نوعان من الكتبة :

كتبة متفرغون ، وكتبة غير متفرغين .

فالكتبة المتفرغون كانوا من الصحابة الذين كانوا يلزمون نبهم محمداً ﷺ لكتابة الوحي دون أن يمارسوا أي عمل ، فعملهم الوحيد هو كتابة الوحي من محمد ﷺ ، وكان من هؤلاء الكتبة معاوية بن أبي سفيان ، وزيد بن ثابت .

أما الكتبة غير المتفرغين للكتابة فكان يشمل كل المسلمين الذين يجيدون القراءة والكتابة ولا يستطيعون التفرغ لكتابة الوحي ، إلا أنهم كانوا يكتبون الوحي كلما سنحت لهم الفرصة لذلك ، ومن هؤلاء :

أبو بكر الصديق - عمر بن الخطاب - عثمان بن عفان - علي بن أبي طالب - يزيد بن أبي سفيان - الزبير بن العوام - خالد بن الوليد - عمرو بن العاص - عامر بن فهيرة - أبي بن كعب - ثابت بن قيس بن شماس - العلاء بن الحضرمي - المغيرة بن شعبة - عبد الله بن الحضرمي - محمد بن مسلمة ، حذيفة بن اليمان - معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي - حويطب بن عبد العزيز العامري . . . إلخ .

وعندما ينزل الوحي على محمد ﷺ كان يقول للموجودين : اكتبوا ما نزل علي من القرآن ، فيكتب الكتبة الموجودون ويحفظ الحفظة الموجودون ، لكن الكتبة أيضاً كانوا يكتبون على الوسيلة المتوافرة لديهم عند نزول الوحي ، فربما كتب البعض على عيب (جريد النخل) أو كتب على لخف (شريحة حجر رقيقة) أو على رقعة من الجلود .

وما أن ينتهي الكتبة من كتابة ما نزل من القرآن في ذلك الوقت يأمرهم رسول الله محمد ﷺ بأن يقرؤوا عليه ما كتبوا ، فإن تأكد من صحتها

أمرهم أن يكتبوا نسخةً له ليأخذ تلك النسخة ويضعها في بيته .
بالإضافة إلى ذلك فإنَّ محمداً ﷺ كان يدُلُّ أصحابه الكُتبة على موضع
ما يتنزل من الآيات ومن السور .

مميزات كتابة الوحي وحفظه في عهد محمد ﷺ :

أ - كان بيت محمد ﷺ يضم كامل مخطوطات القرآن موزعة على
رقع ، أو لخاف ، أو سعف النخل^(١) .

ب - جميع الصحابة كانوا يحفظون القرآن ، لكن حجم محفوظاتهم
كان يتراوح من سورة إلى القرآن كله .

ج - من الصحابة من كان لديه نسخة كاملة من القرآن كتبها بحضور
رسول الله ﷺ بالإضافة إلى حفظه للقرآن كله عن ظهر قلب .

د - من الصحابة من كان لديه بعض القرآن مكتوباً كان قد كتبه بحضور
رسول الله ﷺ ، وكان يحفظ ما كتب عن ظهر قلب أيضاً .

هـ - المسلمون عرب تنوعت قبائلهم التي تتلفظ اللغة العربية بلهجات
عربية سبعة معروفة ومحددة منها لهجة هُذيل ، ولهجة مضر . . .

وكان كل عربي يحفظ القرآن بلهجته على الرغم من أنَّ الوحي القرآني
قد اعتمد لهجة قريش المضرية .

و - كان القرآن مجموعاً في بيت محمد ﷺ بحجم كبير يصعب نقله ،
وتداوله ، والرجوع إليه ، وبمعنى آخر : إنَّ القرآن - وهو كلام الوحي
اللفظي - لم يكن مجموعاً في كتابٍ واحدٍ بل على عدَّة أشكال من
المخطوطات .

(١) تاريخ التشريع الإسلامي - الخضري بك (ص ١٣) .

ز - كان عصر كتابة الوحي عصر أميَّة ، فكلُّ كاتبٍ كان يكتب حسب درجة تعليمه ، وعلى الرغم من أنَّ كلَّ واحدٍ من الكتبة كان يستطيع قراءة ما كتبه فإنَّ قراءة مخطوطته قد تكون متعذرةً على غيره .

ح - كانت الكتابة العربية في عصر النبوة دون تنقيط ، ولا تشكيل لحروف الكلمات ، حيث كانت السليقة العربية هي المرجع الوحيد للقراءة ، فكانت مثلاً الحروف (ح ، ج ، خ) كلها تكتب (ح) وفي الحروف العربية يمكن أن يحدث مثل هذا الإشكال .

٢- حفظ القرآن في عهد أبي بكر الصديق :

على الرغم من أنَّ محمداً ﷺ قد اهتم بحفظ نسخة كاملة من القرآن الكريم ، لكنَّه اهتم أكثر بالحض على حفظ القرآن عن طريق حفظه عن ظهر قلب في صدور أصحابه .

وعندما توفي محمد ﷺ ارتدَّت بعض المناطق إلى شركها ، وتركت الإسلام الأمر الذي اضطر أبا بكر الصديق الذي خلف محمداً ﷺ في قيادة المسلمين إلى أن يجابه المرتدين بالمؤمنين المخلصين لنبوة محمد ﷺ .

وعلى الرغم من أنَّ حروب الردة أعادت المرتدين إلى حظيرة الإسلام ، لكنَّها أسفرت عن مقتل الكثير من حفظة القرآن ، وهو أمر أدركه عمر بن الخطاب الذي لفت نظر أبي بكر الصديق - وهو خليفة المسلمين وقتها - إلى ضرورة جمع القرآن كاملاً خوفاً من موت بعض الحفظة الذين ينفردون بحفظ ما انفردوا به من القرآن ، فيضيع شيءٌ من القرآن ، وخصوصاً أن حروب أخرى قادمة . يقول زيد بن ثابت : « أرسل إليَّ أبو بكر عقب مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : إنَّ عمر أتانا ، فقال : إنَّ القتل قد استحرَّ يوم

اليمامة بقراء القرآن ، وإنِّي أخشى أن يستحرَّ القتل بالقراء بالمواطن ، فيذهب كثيرٌ من القرآن وإنِّي أرى أن تجمع القرآن . قلت لعمر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير ! فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر » .

وقال زيد : « قال لي أبو بكر : إنَّك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمعه » .

ويضيف زيد : « فوالله لو كلفوني نقل جبلٍ من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما كلفاني ، وأمراني به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير ! فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر »^(١) .

لقد كانت المهمة التي ألقاها كلٌّ من أبي بكرٍ وعمر على عاتق زيد بن ثابت هي أن يحوِّل هذا المصحف الذي يملأ غرفةً إلى مصحف بين دفتين عن طريق النسخ من الرقاع ، والعسيب ، واللخاف بعد جمعها ، وأوكل إليه أبو بكر هذه المهمة لأنَّ زيد بن ثابت كان من كتبة القرآن والذين حفظوه غيباً ، وكان تقياً ، ورعاً ، وشاباً ذكياً ، وأميناً .

وعلى الرِّغم من كون زيد حافظاً للقرآن عن ظهر قلب إلا أنَّه اتَّبَعَ منهجاً علمياً فريداً ، فقد وضع شرطاً أساسياً لكتابة كلِّ آيةٍ هو : أن يُجمع عليها شاهدان يقرآن بلفظها وكتابتها بين يدي محمد ﷺ ، وكما سمعاها من محمد ﷺ^(٢) .

يقول زيد : « فتتبع القرآن أجمعه من العسب ، واللخاف ،

(١) . العواصم من القواصم لأبي بكر العربي المالكي (ص ٨١) .

(٢) من روائع القرآن د . بوطي (ص ٤٧) .

وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾ [التوبة : ١٢٨] حتى خاتمة سورة براءة .

وبالطبع فإنّ منهج زيد العلمي كان يشترط وجود شاهدين على كتابتها وقراءتها في حضرة رسول الله ﷺ حيث كان زيد هو الشاهد الثالث على صحة كلّ آية ، أما أواخر سورة التوبة فكان شاهداها فقط زيد وأبي خزيمة الأنصاري زميل زيد في كتابة الوحي لدى محمد ﷺ .

وهكذا خرج القرآن على شكل مصحف ، أو كتاب يتضمن كلّ سور وآيات القرآن في عهد أبي بكر الصديق ، وبقيت هذه النسخة إلى عهد عمر ، ثم انتقلت هذه النسخة إلى حفصة بنت عمر زوجة محمد ﷺ .

٣- حفظ القرآن في عهد عثمان بن عفان :

اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان ، ودخل في الإسلام الترك ، والفرس ، والديلم ، والروم... هؤلاء الأعاجم الذين لا يتقنون العربية كتابة ، ولا قراءة ، وكان لابدّ لهؤلاء أن يحفظوا من القرآن ما يكفي لأداء فريضة الصلاة التي يجب أن تكون باللغة العربية .

وكان يُعلم هؤلاء الصحابة المشاركين في جيش الفتح نصوص القرآن بلهجاتهم السبعة ، وينسخون لهؤلاء الأعاجم ما استطاع كلّ واحد منهم أن يكتب من القرآن من فم محمد ﷺ ، ولكن ليس كل القرآن ، الأمر الذي جعل الأعاجم يعتقدون أنّ هناك اختلافاً في لفظ أو في اكتمال آيات القرآن .

الأمر الذي أشعل نار الغيرة في نفوس بعض الصحابة ، ومنهم

حذيفة بن اليمان الذي كان في جيش الفتح على الجبهة الأرمينية ، وعاد إلى المدينة ليخبر عثمان بن عفان بخطورة هذه المشكلة فقبله ، وقال له :

« يا أمير المؤمنين! أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إليك بالمصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردّها إليك » .

« فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف » .

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة :

« إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن (يقصد القراءة) فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم » ففعلوا .

لقد حافظت هذه النسخ على الترتيب الذي أمر به رسول الله أن ترتب به السور والآيات مكتوبة بخط زيد بن ثابت باللهجة المضرية (القرشية) كاملة دون نقصان حرف ، أو زيادة حرف .

ونسخت النسخ على رفاق يمكن نقلها ، وجمعت كل سور القرآن في كتاب واحد سمي المصحف الشريف بالرسم (الخط) العثماني^(١) .

وأمر عثمان بن عفان بإعادة النسخة الأصلية إلى حفصة ، بينما وزّع على الأمصار نسخاً من المصحف العثماني وأرسل مع كل مصحف قرءاء لتثبيت القرآن مشافهة في قلوب الناس ، وأمر عثمان بن عفان أيضاً بإحراق جميع المصاحف التي لم تنسخ من القرآن العثماني .

(١) العواصم من القواصم - لأبي بكر العربي المالكي (ص ٨٣).

فلقد أحرق عثمان بن عفان كلَّ مصحف يتمتّع بالمواصفات التالية :

١- مصاحف ذات ترتيب سور مخالف لما أمر به محمد ﷺ مثال ذلك مصحف رتبت فيه سورة النساء بعدها آل عمران ، وقبل سورة المائدة ، وهذا ترتيب لم يأمر به رسول الله بل أمر أن تقع النساء بعد آل عمران ، وقبل سورة المائدة .

٢- مصاحف فيها آية زائدة تكراراً ، أو آية ناقصة في أي سورة من سور المصحف .

٣- مصاحف مكتوبة بلهجة عربية ، ولكن غير لهجة قريش المضرية .

٤- إنَّ عدد سور القرآن الكامل هو ١١٤ سورة ، وكل مصحف يحتوي على أقل من ذلك فهو غير صحيح توجب إحراقه .

٥- اعتبر بعض الصحابة أنَّ أقوال الرسول كلَّها وحي ، فأضافوها إلى مخطوطاتهم ، وهذا غير معترف به ، لأنَّ الوحي بالقرآن شيء ، والوحي بالأحاديث شيء آخر غير القرآن .

٦- كل نسخة تنقص حرفاً ، أو تزيد حرفاً في كتابتها تحرق مهما كان وضع صاحبها^(١) .

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو : ما هي ردود أفعال الصحابة على فعل عثمان بن عفان ؟

الحقيقة أنَّ الصحابة أجمعين أيدوا عمل عثمان بن عفان ، فما أن أصدر عثمان مصحفه حتى أحرق كلُّ من في المدينة المنورة صحفه ، وراح يسعى إلى استنساخ نسخة من مصحف عثمان نفسه ، لثقتة في دقَّة مصحف عثمان ، واعترافاً منه بضرورة عمل عثمان بن عفان .

(١) العواصم من القواصم - لأبي بكر العربي المالكي (ص ٨٣).

وكان من أكثر الصحابة تأييداً لجمع القرآن عليّ بن أبي طالب :

جاء في تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني : أنَّ علي بن موسى المعروف بابن طاووس (٥٨٩ - ٦٦٤ هـ) وهو من علماء الشيعة نقل في كتابه (سعد السعود) عن الشهرستاني في مقدمة تفسيره عن سويد بن علقمة قال :

« سمعت عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول : يا أيها الناس ، الله ، الله ، إياكم والغلو في أمر عثمان ، وقولكم حرق المصاحف ، فوالله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ ، جمعنا ، وقال : ما تقولون في هذه القراءة التي اختلف الناس فيها ، يلقي الرجل الرجل فيقول : قراءتي خير من قراءتك ، وهذا يجر إلى الكفر ؟ فقلنا : ما الرأي ؟ قال : أريد أن أجمع الناس على مصحف واحد ، فإنكم إن اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافاً . فقلنا : نعم ما رأيت ! » .

وروي عن عليّ بن أبي طالب أنّه قال عندما حاول بعض الناس لوم عثمان رضي الله عنه على أمره بإحراق المصاحف : لو لم يصنعه عثمان لصنعتة أنا ، فجزى الله عثمان عن الأمة خير الجزاء ، فقد أحسن وبرّ فيما صنع ، وكان له فضل ردّ الناس إلى قراءة واحدة كفضل أبي بكر في جمع القرآن^(١) .

مما سبق يتضح بالحجة والبرهان أنَّ قراءة القرآن ثابتة لم تتغيّر منذ نزلت على محمد ﷺ وحتى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، دون أن تتبدل نقطة واحدة من حرفٍ أو حركة تشكيل على حرف ، أو رسم

(١) حاشية العواصم من القواصم لأبي بكر العربي المالكي (ص ٤٨).

الحرف نفسه ، وعلى ذلك فإنَّ المصحف على درجة الثقة المطلقة التي لا يرقى إليها الشكُّ أبداً .

إننا اليوم وبعد خمسة عشر قرناً لا نملك إلا أن نجلَّ ونقدر عمل هؤلاء الصحابة الذين وثَّقوا لنا سجل الوحي الإلهي كما نزل تماماً على محمد ﷺ بطريقة علمية صحيحة بكل المقاييس ، فحفظوا للمسلمين وإلى الأبد كتابهم المقدَّس كتابةً ولفظاً ، والذي يبعث على الدهشة أنَّ هناك من المسلمين وفي جميع العصور من حفظ القرآن عن ظهر قلب كما لفظه رسول الله تماماً ، وذلك منذ عهده وحتى يومنا هذا بالتواتر السمي وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولتوضيح درجة الحفظ اللفظي للقرآن نورد الآية (٢٢) من سورة الغاشية حيث قال الله تعالى :

﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾ [الغاشية : ٢٢] وكلمة « مصيِّر » أصلها العربي مِصْطَر وتعني المتسلط الجبار ، وهي تكتب وتلفظ بالسين ، وليس بالصاد لكننا نلفظها مع ذلك أقرب إلى الصاد منه إلى السين ، والسبب في ذلك أنَّ رسول الله ﷺ قد لفظها هكذا لأنَّه أوحى إليه بها هكذا .

وأخيراً فإن دخول الكثيرين من الأعاجم في الإسلام أظهر مشكلة لفظ الحروف المتشابهة الرسم في القرآن ، فطرأت على المصحف تحسينات إعرابية وشكلية ، قام بها أبو الأسود بأمر من زياد بن أبيه والي العراق من قبل عبد الملك بن مروان .

ثم أتم الحجاج بن يوسف تمييز الحروف المشتبهة وهي الحروف المهملة والمعجمة كالحاء والجيم والعين والغين^(١) .

(١) من روائع القرآن د. بوطي (ص ٥٦).

وهكذا حفظ القرآن بأمانة ووصل إلى أيدينا لنقرأه كما كان محمد ﷺ يقرؤه دون أيّ تغيير ، أو تبديل ، أو تعديل .

بناء على ما تقدم فقد ثبت لدينا أنّ القرآن حفظ تماماً في حين أنّ التوراة والأنجيل قد حرفت وبدلت ، فما هي الأسباب التي حفظت القرآن وجعلته موثقاً دون تحريف ؟

١- كان أبناء هارون (اللاويون) هم حفظة التوراة وقد ذبحهم نبوخذ نصر عن بكرة أبيهم ، ممّا أفقد التوراة حفظتها الرئيسيين ، وتعرّض الإنجيل أيضاً إلى نفس المشكلة حيث استهدفت ملاحقة الرومان تلاميذ المسيح عليه السلام الأساسيين ، وبالتالي فإن قتل الحواريين قد أفقد الإنجيل حفظته الأساسيين ، في حين أنّ القرآن كان محافظاً عليه في صدور وفي مخطوطات أساسية من قبل أناسٍ أوكل إليهم محمد ﷺ هذه المهمة ، ولم يحصرها بهم .

٢- كانت القدس معقل اليهود الذي اقترحه نبوخذ نصر مستهدفاً التوراة بحفظتها ومخطوطاتها التوراتية والتي أحرقها على مشهد من بني إسرائيل ، أما المسيحيون فقد أتلّفوا بأيديهم حوالي خمسين إنجيلاً واعتمدوا أربعة أناجيل فقط ، وذلك في مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية ، بينما المدينة المنورة لم يستطع أن يقتحمها غازٍ أبداً طوال التاريخ الذي أعقب نبوة محمد ﷺ فحتى لو فرضنا جدلاً موت جميع أصحاب محمد ﷺ فإنّ نسخة القرآن الأساسية الموجودة في بيت محمد ﷺ كانت كافية لحفظ هذا القرآن بأكمله طالما أنّ غازياً لم يغز المدينة مستهدفاً مخطوطات القرآن الأساسية .

٣- حرر المصحف الأول في عهد محمد ﷺ ، بينما حرّرت جميع الأناجيل الأربعة الحالية في الفترة ما بين ٧٠ - ١٠٠ ميلادية ؛ أي : بعد

موت المسيح عليه السلام بأربعين عاماً من وفاته ، أمّا التوراة فقد كتبها عازرا بعد العودة من السبي ؛ أي : بعد حوالي ٦٠ - ٧٠ عاماً من إحراق التوراة .

إنّ فترة الانقطاع ما بين نهاية الوحي الأساسي وبَدْء التدوين تعطي انقطاعاً لا بدّ أن يؤدّي إلى الإسقاط ، أو إلى عدم الدقّة ، أو إلى التحريف ، الأمر الذي حدث للتوراة ، وحدث للإنجيل ، ولم يحدث أبداً للقرآن .

٤- تحوير اللغة : أنزلت التوراة بالآرامية ، وحوّرها عازرا إلى الكنعانية ، كذلك الإنجيل أنزل بالآرامية ، فتركوا الآرامية ، وكتبوه إما بالعبرية ، أو اللاتينية ، أو اليونانية ، وهذا التحويل في لغة الوحي من لغة إلى أخرى يعطي على الأقل عدم دقّة في الترجمة إن لم نقل : إنّ هذه الترجمات أوجدت للتحريف عن قصد .

بينما القرآن الكريم أنزل بالعربية باللهجة القرشية ، وبقي حتى هذا اليوم عربياً قرشياً ، ولا يجوز ترجمته إلى أيّ لغة من اللغات .

٥- الشخص الذي كتب القرآن ذا الحجم الكبير ثمّ النسخة القابلة للنقل ثمّ النسخة القابلة للتوزيع على الأمصار هو شخص واحد معروف كتب نسخ القرآن كلّها بخط يده ، وهو زيد بن ثابت فقط .

في حين أنّ الذي كتب النسخة الأولية للتوراة هو عزرا ، ثمّ ساهم بعده العديد من الكهنة في كتابة التوراة ، أما الأناجيل فقد نسبت إلى أشخاص لم يكتبوها كما بيّنا سابقاً ، فلم يكتب كلّ من متّى ، ولا مرقس ، ولا لوقا ، ولا يوحنا أناجيلهم ، بل أناس آخرون مجهولو الهوية تماماً .

٦- بعد العودة من السبي تطوّع عزرا لكتابة التوراة دون أن يختاره أحدٌ

من اليهود ، وإذا افترضنا أنَّ كتاب الأنجيل هم الناس المنسوبة إليهم الأنجيل ، فإن متى ، ومرقس ، ويوحنا كتبوا أنجيلهم دون أن يكلفهم ، أو يختارهم أحد لتأدية هذه المهمة ، في حين أنَّ لوقا أحبَّ أن يسدي خدمةً إلى ثاوفيلوس ، فكتب له إنجيلاً في وقت كثر فيه الكذب على المسيح ، فأهداه إنجيلاً يتضمَّن أصدق الروايات حسب تعبير لوقا نفسه في إنجيله .

في حين أنَّ مهمة تدوين القرآن أوكلت إلى زيد بن ثابت في المرّة الأولى من قبل النبي ﷺ ثم تبعه أبو بكر ، وعمر ، ثم تبعهم عثمان بن عفان ، فما هي ميزات زيد بن ثابت ؟

كان زيد بن ثابت يتمتّع بالمواصفات التالية :

- ١- كان زيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان كاتبين متفرغين لكتابة الوحي بين يدي رسول الله ، فلا عمل لهما غير كتابة الوحي القرآني . ولما كان معاوية مجنداً في جيش فتح الشام ، فإنَّ نسخ القرآن يقع على عاتق زيد بن ثابت لتغيب زميله معاوية بن أبي سفيان .
- ٢- إنَّ النسخة المكتوبة والموجودة في بيت رسول الله كانت مكتوبة بخط معاوية بن أبي سفيان أو بخط زيد بن ثابت ، وهذا ما يسهّل مهمته .
- ٣- إنَّ زيد بن ثابت كان كاتباً قارئاً بلهجة مضر (قريش) .
- ٤- إنَّ زيد بن ثابت كان يحفظ القرآن كلّهُ عن ظهر قلب ، بالإضافة إلى كونه يمتلك نسخةً مكتوبةً كاملةً من القرآن .
- ٥- كان زيد بن ثابت شاباً يتمتّع بذاكرة قويّة لا تزال محافظة على حافية لفظ القرآن الذي يحفظه كاملاً ، ومن فم رسول الله ﷺ .
- ٦- كان زيد من كتبة الوحي ، وبالتالي فإنه كان يعرف كلّ الصحابة الذين كانوا يكتبون الوحي في عهد رسول الله ﷺ ، كما أنّه يعرف حفظة

القرآن أيضاً ، وهذا يسهّل مهمته في الرجوع إلى الكتب والحفظ عند الحاجة .

٧- زيد بن ثابت هو الذي قرأ القرآن كاملاً على محمد ﷺ قبل وفاته ، فأقرّه محمد ﷺ على قراءته قبل وفاته .

٨- كان زيد بن ثابت تقياً ، ورعاً ، صادق الحديث مما أهّله لهذه المهمة .

٧- الأمانة والموضوعية :

يشير سفر عزرا إلى أنّ عزرا كان عالماً ماهراً في شريعة موسى التي أعطاها الربُّ إله بني إسرائيل^(١) .

وعزرا هذا هو أحد اللاويين الذين كان يحفظ كلُّ واحدٍ منهم فصلاً من التوراة ، فإذا كان عزرا كبيراً عند حدوث الاجتياح البابلي للقدس فإنَّ السيف سوف يطاله ، ولن يكون عزرا له وجود ، لكنَّ صغر سنِّ عزرا جعل نبوخذ نصر يصطحبه معه إلى بابل^(٢) .

وعند عودة عزرا إلى القدس كان عزرا يحفظ على أبعد تقدير فصلاً واحداً من فصول التوراة ، وبناءً على ذلك لن يستطيع أن يكتب التوراة اعتماداً على ذلك الفصل التوراتي . لذلك لجأ إلى العامة الذين تركهم نبوخذ نصر في فلسطين ، وأخذ عزرا يجمع من محفوظاتهم ما تبقى من شريعة موسى في أذهانهم .

ثم صاغ عزرا بناءً على محفوظاته ومحفوظات العامة كتاب شريعة

(١) عزرا (٧، ٦) .

(٢) أخبار الملوك الأول (٣٦، ١٧ - ٢٠) .

الرب^(١) ، باللغة الكنعانية ، وجمَعَ الشعب ليعلم لهم كتابهم الجديد^(٢) .

أما الأناجيل الأربعة فقد جمع كاتبوها معلوماتهم من أفواه أتباع المسيح دون التدقيق في شخصية الراوي ؛ لذلك فإنك تجد أنَّ رواية الحادثة الواحدة مختلفة أو متناقضة مع الرواية الأخرى .

أما زيد بن ثابت فكان بالإضافة إلى معاوية بن أبي سفيان يكتب كلَّ آية فور تنزلها ، ومن ثمَّ يَتْلُون ما كتبوا على مسمع محمد ﷺ ، فإن أخطأ أحدهما صحح له محمد ﷺ ذلك ، ثم أمره بنسخ الآية ثم يأخذها ، ويضعها في بيته ، ولما أمر أبو بكر زيد بن ثابت أن يجمع مخطوطات القرآن بين دفتي كتابٍ واحدٍ وضع زيد بن ثابت الخطة التالية :

١- كلَّ آية مكتوبة وموجودة في بيت رسول الله يلزمها شاهدان على كتابتها في حضرة رسول الله ﷺ^(٣) .

٢- اعتبر زيد بن ثابت نفسه الشاهد الثالث والأخير على صحة كلَّ آية من آيات القرآن رغم أنَّه يمتلك نسخة من كامل القرآن ، ويحفظه كله عن ظهر قلب ، وذلك حفاظاً منه على موضوعية الجمع ودقته .

٣- أخذ زيد بن ثابت نسخة القرآن الموجودة في بيت رسول الله ، وربَّها حسب السور ، وربَّب الآيات حسب السور كما علَّمه رسول الله ﷺ^(٤) .

٤- بهذه الطريقة الموضوعية جمع زيد بن ثابت كل آيات القرآن الكريم ، لكنَّه ونتيجةً لكونه يحفظ القرآن عن ظهر قلب أدرك أنَّ هناك

(١) عزرا (٧ ، ١٠) .

(٢) نحميا (٨ ، ٢) .

(٣) من روائع القرآن د. بوطي (ص ٤٧) سطر ١١ .

(٤) من روائع القرآن د. بوطي (ص ٤٩) .

آيتين ناقصتين في سورة التوبة نتيجة كونها قد كتبتا على حجرٍ تكسّر^(١) ،
ورغم أنَّ زيد كان يحفظ هاتين الآيتين الناقصتين ، وكان يملك
مخطوطاتها إلا أنَّه أصرَّ على أن تكون مكتوبة ومحفوطة عند أحدٍ غيره ،
فأخذ زيد يراجع جميع كتاب القرآن الذين كانوا يكتبون في حضرة
رسول الله ، فوجد الآية مكتوبةً عند أبي خزيمة الأنصاري ومطابقة لما
كتبه ، ولما حفظه ، وثبَّت هذه الآية في مصحفه بشهادة أبي خزيمة
وشهادته في حين أنَّ المصحف كلُّه ثبت بشهادة شاهدين غيره .

بهذه الأمانة وبهذه الدقة جمع القرآن بين دفتي كتابٍ أطلقوا عليه اسم
المصحف ، ولأوَّل مرَّة أصبح القرآن كتاباً قابلاً للنقل دون تلف ، فأخذه
أبو بكر ووضعه عنده .

لقد كانت الصيحة التي أطلقها حذيفة بن اليمان أمام عثمان بن عفان
نتيجة إحساسه بفداحة المشكلة التي ظهرت عند الأعاجم ، وهي قراءة
القرآن بطريقةٍ مخالفة للطريقة التي كان يقرأ بها رسول الله ﷺ .

هذه الصيحة ألقت على كاهل عثمان بن عفان مهمة ضبط القراءة
القرآنية كما كان يلفظها رسول الله ﷺ تماماً .

أدرك عثمان بن عفان أنَّ نسخ القرآن بجهود فردية سيؤدي إلى اختلاف
المصاحف في لهجتها ، لكن نسخ مصحف واحد بلهجة واحدة فقط هو
الذي سيمنع هذا الاختلاف بين المصاحف .

لذلك جمع عثمان بن عفان الصحابة وعلى رأسهم علي بن أبي طالب
وعرض عليهم المشكلة ، وخطته لحلها ، فوافقه الصحابة على خطته .

فما هي خطة عثمان بن عفان ؟

(١) من روائع القرآن د. بوطي (ص ٤٧) ١٧

١- على الرغم من أنَّ عثمان بن عفان كان من كتبة الوحي ، وعلى الرغم من قناعته بأنَّ النسخة الأولى للمصحف التي رتبت في عهد أبي بكر نسخة لا يرقى إليها الشكُّ ، إلا أنَّ عثمان أراد أن يكون تدقيق ألفاظ القرآن كما أنزل على محمد ﷺ تماماً عملاً جماعياً .

٢- شكل عثمان بن عفان لجنة من حفظة القرآن يرأسها زيد بن ثابت ، وأعضاؤها كلُّ من سعيد بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكلُّ هؤلاء كانوا من حفظة القرآن ، والذين حفظوا القرآن كلّه من غير نسخة (حفصة) .

٣- مهمة اللجنة اعتماد نسخة (حفصة) وتدقيقها لفظياً ، فأمر عثمان اللجنة أن تعيد كتابة المصحف باللهجة القرشية إملاءً (رسماً) ولفظاً قائلاً : « إذا اختلفتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن ؛ فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم » .

٤- بعد انتهاء اللجنة من تدقيق مصحف (حفصة) عليهم أن ينسخوا عدّة نسخ لتوزيعها على البلدان المفتوحة آنذاك .

وفعلاً دققت اللجنة مصحف (حفصة) تدقيقاً حرفياً ، ولم يختلفوا أبداً لكنّهم أقرّوا أنَّ الآية ٢٣ من سورة الأحزاب كانت ناقصة وهي :

﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

وربما كان سبب نقص هذه الآية قضم حشرة القراد لرقعة الجلد التي كتبت عليها الآية من نسخة حفصة ، وعلى الرغم من إقرار اللجنة بوجود نقص في هذه الآية إلا أنَّهم أجمعوا على عدم إضافة هذه الآية إلا إذا وجدوها عند حافظٍ آخر من غير الأربعة الذين يشكّلون اللجنة .

يقول زيد بن ثابت : « فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف ،

قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها ، فالتمسناها ، فوجدناها مع أبي خزيمة بن ثابت الأنصاري : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا...﴾ فالحقناها في سورتها في المصحف»^(١) .

بعد ذلك نسخت اللجنة سبعة مصاحف ، استبقى عثمان واحداً عنده ، وهو الذي سمي بالمصحف الإمام ووزع الباقي على الكوفة ، والبصرة ، والشام ، واليمن ، ومكة ، والبحرين .

ويقول ابن الأثير أنَّ نسخة الشام العثمانية كانت موجودة في الجامع الأموي في عصره الذي يوافق القرن الثامن الهجري^(٢) .

وعلى حدِّ علمنا أنَّ النسخة الشاميَّة بالخط العثماني هي تلك النسخة التي نقلها الأتراك إلى متحف استانبول ، ولا زالت موجودة فيه حتى الآن .

٨- تعهد الله بحفظ القرآن :

نلاحظ من الأسباب التي ذكرناها آنفاً ، وهي أسباب منطقية جعلت القرآن منيعاً على عمليات الإبادة ، أو التحريف ، أو التزوير .

لكننا نكون مغالين إذا تصوّرنا أنَّ هذه الأسباب كافيةٌ لحفظ هذا القرآن العظيم ، وذلك لأننا إذا نظرنا إلى التاريخ وإلى القرآن الذي بين أيدينا نجده صحيحاً قوياً عظيماً غير قابلٍ لإدخال أيِّ تبديلٍ عليه...

لكن لا أحد ممَّن يعلم ماذا سيحدث لهذا القرآن الموثق بين أيدينا اليوم بعد قرن أو قرنين أو عشرة أو أكثر...

هل سيبقى على حاله أم سيتعرض كما تعرضت التوراة والإنجيل من قبله إلى كوارث ؟

(١) العواصم من القواصم لأبي بكر العربي المالكي (ص ٣٨) .

(٢) من روائع القرآن د. بوطي (ص ٥٠) .

أقول : إنّ القرآن سيبقى ما بقيت السموات والأرض ، وذلك لأنّ الله تعالى قد تعهّد بحفظه إلى الأبد ، حيث قال تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

والله هو الذي هيأ الأسباب لحفظ القرآن في الخمسة عشر قرناً الماضية هو ذاته الذي سيهيء الأسباب لحفظ القرآن في القرون اللاحقة .

إنّ الأسباب التي ذكرناها عن حفظ القرآن ليست سوى حوادث جرت وفق مخطط إلهي مرسوم مسبقاً أدّت إلى حفظ القرآن من كلّ سوء .

وهكذا وبما تقدم نكون قد أجبنا عن الأسباب التي جعلت القرآن منيعاً عن التحريف .

يبقى أن نجيب عن السؤال الثاني ، والذي يشكك في مصدر القرآن . أقول : إنّ الله تعالى وحده هو مصدر هذا القرآن ، ومحمد ﷺ ليس سوى ناقل لما أوحاه الله إليه ، فهو لم يؤلف القرآن ، ولم يعلمه أحد من البشر القرآن ، ولا أحد من الجن ، ولا أحد من الملائكة . . .

وسنورد الأدلة المؤكّدة لهذا القول فيما يلي :

أولاً - القرآن هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ قطعاً :

من المستحيل أن يقبل رجل عاقل موضوعي أن يكون القرآن ليس من عند الله ، وأن مؤلفه بشرٌ ، أو ملاكٌ ، أو جنّيٌ .

١- القرآن هو كلام الله :

فالقرآن هو كلام الله ، ولا دخل لأيّ أحدٍ به حتى محمد ﷺ نفسه لا يستطيع أن يبدّل حرفاً من حروفه وأسباب ذلك ما يلي :

١- لأنَّ محمداً ﷺ ليس كاذباً :

فلو فرضنا أنَّ محمداً ﷺ كان كاذباً لقال في القرآن الذي أُلِّفه اعبدوني أنا ولا تعبدوا أحداً غيري ، لكنَّ الحقيقة تقول إنَّ محمداً ﷺ كان يقول : اعبدوا الله وحده دون أن يضع لنفسه مرتبةً فوق مرتبة البشر ، أو يدَّعي الألوهية ، أو حتى جزءاً منها ، ولو كان ذلك حدث لأورد منه محمد ﷺ في قرآنه شيئاً من هذا . لكن العكس صحيح تماماً حيث إنَّه ورد في سور كثيرة ما يؤكد بشريته ، وعلى سبيل المثال ما ورد في سورة فصلت :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ۗ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [فصلت : ٦] .

ومن غير المعقول أن يكذب رجل على الله ليقول بعدها أنا بشر مثلكم ويساوي نفسه بمن يخاطب ، فمنزلة البشر ينالها كلُّ شخص سواء كان صادقاً أم كاذباً!! وعلى العكس من ذلك فإن قمة الصدق أن يقول محمد ﷺ أنا بشر مثلكم أوحى إليَّ الذي أعبده أنَّ الله واحدٌ ، وهو يأمركم بالاستقامة ويحذر من لا ياتمر بأمره .

كذلك فإنَّ محمداً ﷺ قال : إنَّ من وظائفه كنبِّي هي التبشير بدخول الجنة ، والإنذار من دخول النار لمن يؤمن بالله واليوم الآخر .

فلو كان محمد ﷺ هو كاتب القرآن لكان أعطى لنفسه وظيفة أكبر وأعظم كحقِّ الحساب والدينونة مثلاً ، وهذا ما يؤكد قول الله تعالى في سورة هود :

﴿الرَّ كُتِبَ عَلَيْكُمُ اتَّقِيَ اللَّهَ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى اللَّهِ أَنْتُمْ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴿٦﴾ وَإِنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مِّنْهُمَا حَسْبًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٧﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [هود : ٤-١] .

وقد ورد أيضاً في إنجيل يوحنا ما يؤكد صدق نبوة محمد ﷺ من هذه الناحية حيث قال المسيح عليه السلام : « فالذي يتكلم من عنده يطلب المجد لنفسه ، ولكن من يطلب المجد للذي أرسله ، فهو صادق لا غشٍّ فيه » (١) .

٢- محمد ﷺ لا يمكن أن يتجرأ ليتقول على الله :

إذا كان محمد ﷺ يدعو إلى عبادة الله الواحد سيّد هذا الكون المطلق علّام الغيوب ، فكيف يمكن لمحمد ﷺ أن يتجرأ على خالقه ومرسله ، فيتقول عليه دون أن يخاف العقاب ؟

وقد فرض الله على أتباع محمد ﷺ الصيام في شهر رمضان ، وكان الرسول يصوم رمضان ويصوم أيضاً الخميس والإثنين من كل أسبوع ، وستة أيام من شوال وعاشوراء . . .

وفرض على أمته الحجّ مرّة واحدة في العمر فحج محمد ﷺ مرة ، واعتمر الكثير . . . وفرضت عليه الزكاة فتصدق حتى مات ودرعه مرهونة عند يهوديّ . . . وفرضت عليه الصلاة خمس مرات في اليوم ، وكان يصلي زيادة على ذلك عشرات الركعات .

وعندما سأله عن ذلك قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً » .

فكيف يمكن أن تتصور رجلاً بكلّ هذا الالتزام بتعاليم القرآن إذا كان هو مؤلفه ؟ لقد أصبح من الثابت اليوم أنّ أصحاب النظريات وواضعي القوانين هم أكثر الناس خرقاً لما وضعوه ؛ لأنهم يعتبرون أنفسهم استثناءً للقاعدة ، وفوق القانون . . . إلا الأنبياء ومنهم محمد ﷺ ، حيث لم يعرف عنه أنّه شدّ يوماً عمّاً رسمه له القرآن طوال حياته .

(١) يوحنا (٧، ١٨) .

٣- لو كان القرآن من عند محمد ﷺ لحذف العتاب منه :

محمد ﷺ كان بشراً يعالج بعض المواضيع من خلال علمه ، ومعرفته البشرية والتي يمكن أن تتأثر بالعواطف أحياناً ، طالما أنه لا يوجد وحي يحدّد له طريقه وكيفية التعامل مع مثل هذه المواضيع .

لكنّ الله كان يعاتب نبيّه فوراً إذا ما كان تصرفه لا يتوافق مع ما أقره الله للمسلمين ، ومن ذلك ما أورده الله تعالى في كتابه :

أ- في سورة الأنفال :

﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ لَهُ أَتَىٰ فِي الْأَرْضِ نَازِلًا عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ [الأنفال : ٦٧-٦٨] .

ب- في سورة التوبة :

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [التوبة : ٤٣] .

ج- وفي سورة التوبة أيضاً :

﴿ مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَتَغَفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة : ١١٣] .

د- سورة التحريم :

﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَيَّنَ لَكَ مَرْصَاتُ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[التحريم : ١] .

هـ- سورة عبس :

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴾ [عبس : ١-٢] .

وربما كان هذا العتاب ترخيصاً وتسهيلاً على المسلمين ، أو ربما كان الله يريد أن يعلم نبيه أنَّ عليه أن ينتظر الوحي القادم بالأوامر . . . ومهما يكن من أمر فإنَّ محمداً ﷺ كان يتغفر ربه أشدَّ الاستغفار ، والشيء الذي يهمنها هنا هو : لو كان محمد ﷺ يمتلك حقَّ التصرف في نصوص القرآن لحذف الآيات المعاتبة له ، لكنَّ محمداً ﷺ لا يملك حق التصرف في القرآن ، ولو في حركة حرف واحد مما أوحاه الله إليه . وهذا يؤكد أنَّ محمداً ﷺ ناقلٌ للقرآن ، وليس مساهماً فيه .

٤- لو كان القرآن من عند محمد ﷺ لما انتظر الوحي :

كان محمد ﷺ لا يستحي أن يقول : « لا أعلم » عندما تعترضه مشكلة تشريعية ، فتبقى تلك القضية معلقة حتى يأتي الوحي ليفصل في تلك القضية ، وبناءً على النص القرآني كان محمد ﷺ يتصرف في القضية . ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

أ- حادثة الإفك :

لقد أرجف المرجفون بعائشة زوجة رسول الله الطاهرة النقية ، النقية ، الورعة ، وخاض الناس في عفة عائشة رضي الله عنها . أما محمد ﷺ فكان يقول : « لا أعلم عنها إلا خيراً » حتى إذا بلغت القلوب الحناجر ، وانقضى زمن طويل نزلت براءة عائشة من السماء بآية قرآنية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١١] .

فما الذي منع محمداً ﷺ أن يقول هذه الآيات منذ البداية ويحسم الأمر ، ويحمي عرضه ويبرئ زوجته عائشة أحب زوجاته إليه وابنة صاحبه أبي بكر ؟

لا شيء يمنعه سوى أنه كان ينتظر الوحي من الله ليدله عما يتوجب عليه فعله .

ب - قضية المتخلفين عن الجهاد :

عندما دعا رسول الله ﷺ الصحابة إلى التجهز إلى غزوة تبوك ، تطوع المسلمون بأموالهم ، وأنفسهم ، وعلى الرغم من محاولة المنافقين أن تفشل هذه الحملة إلا أن الجيش خرج قاصداً تبوك بهدف قتال الروم .

لكن ثلاثة من المسلمين لم يكونوا من المنافقين ، ولا المرائين ، لعبت بهم أهواؤهم فلم يخرجوا مع جيش المسلمين وقتها .

وعندما عاد الجيش ذهب كعب بن مالك إلى النبي محمد ﷺ واعترف له بما ارتكب فقال له رسول الله : « قم حتى يقضي الله فيك » .

أمّا مُرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، فقد جلسا في بيتهما يبكيان انتظاراً لقضاء الله .

وامتنع الناس عن مكالمة الثلاثة ؛ لأنّ رسول الله امتنع عن مكالمتهم . وبعد ذلك أمر رسول الله الثلاثة المذكورين بأن يعتزلوا زوجاتهم .

لقد حزن أهل المدينة على هؤلاء الثلاثة لكنهم لا يملكون المراجعة ، ولا التوسط ؛ لأنهم يعلمون أنّ رسول الله بالمؤمنين رؤوف رحيم ، لكنّه ينتظر أمراً من ربه ، وشقي الثلاثة ، وكادوا أن يهلكوا . . .

وبعد خمسين ليلةً وبعد أن صلى رسول الله صلاة الفجر أتاه خبر السماء يعلن العفو عن هؤلاء المؤمنين المتكاسلين ، فنزلت الآية :

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ

يَوْمَ رَأَوْهُمُ الرَّجِيمُ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ [التوبة : ١١٧-١١٨] .

وهكذا نزل العفو عن الثلاثة من السماء ، فلماذا ينتظر محمد ﷺ خمسين ليلة ويقاطع ثلاثة من المسلمين البارزين في عائلاتهم ؟

لو كان الأمر في يده لعفا عن هؤلاء الثلاثة ، ولو كان هو يكتب القرآن لما كتب قضيتهم في القرآن ، لكنه لا يملك أمر العفو ، وليس هو كاتب القرآن ، إنما هو رسول الله ويأتمر بأمر الله .

ج- المجادلة خولة الخزرجية :

كانت خولة بنت ثعلبة الخزرجية زوجة لأوس بن الصامت ، وقد ذهبت إلى رسول الله ﷺ تعرض قضيتها ، فقالت له : إِنَّ أَوْسًا قَدْ تَزَوَّجَنِي وَأَنَا شَابَةٌ مَرْغُوبٌ فِيَّ ، فَبَعْدَ أَنْ كَبُرَتْ سَنِيَّ وَكَثُرَتْ أَوْلَادِي ، جَعَلَنِي كَأُمِّهِ وَإِنْ لِي مِنْهُ صَبِيَّةٌ صَغِيرًا ، إِنْ ضَمَمْتَهُمْ إِلَيْهِ ضَاعُوا ، وَإِنْ ضَمَمْتَهُمْ إِلَيَّ جَاعُوا ، ثُمَّ تَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ أَنْ يَصْلَحَ مَا فَسَدَ مِنْ أَمْرِهَا .

فقال لها رسول الله ﷺ : « ما عندي في أمرك شيء » . وكان زوجها أوس قد طلق خولة هذه أشد طلاق الجاهلية ، وهو طلاق مؤكَّد كانت تفعله العرب ، وقد فعل أوس ذلك نتيجة حالة من الغضب الشديد .

ولما أيقنت خولة أَنَّ رسول الله ﷺ لا يعلم شيئاً عن تشريع مثل هذه الحالة ، وأنه لابدَّ أَنْ يَتَلَقَّى الخبر من السماء لحل مشكلتها . . . توجَّهت بالدعاء إلى الله مرسل الوحي ، فعنده الحل وتفريج الهموم .

وبعد دعاء خولة وتضرعها الشديد إلى الله نزل الوحي على رسول الله ﷺ ، ونزل التشريع للأمة كلها ، فنزلت سورة المجادلة :

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١] .

٥- لا يمكن لمحمد ﷺ وهو أُمِّيٌّ أن يؤلف كتاباً معجزاً بلاغياً :

إنَّ للقرآن الكريم طريقة في التعبير اللغوي يعجز عنها أيُّ شخصٍ كائناً من كان ، هذا الشخص ومهما كان عصره في الماضي ، أو الحاضر ، أو المستقبل ، ويصل عجز البشرية عن طريقة التعبير هذه إلى درجة الإعجاز .

وهذا الإعجاز اللغوي اعترف به جميع علماء اللغة العربية منذ ظهر القرآن للوجود وحتى هذا اليوم . وكذلك العرب بجميع مللهم ، ونحلهم ، يهودهم ، ونصاراهم أجمعوا على أنَّ القرآن مصاغ لغوياً بطريقة يعجز عنها جميع بني البشر .

وظنَّ بعض المستشرقين أنَّ الإعجاز اللغوي للقرآن هو سبب إيمان المسلمين به وخصوصاً العرب منهم ؛ لذلك لجؤوا إلى صياغة العهد الجديد (كتاب الميحين المقدس) باللغة العربية بصياغة قرآنية ، ظناً منهم أنَّ هذه الترجمة العربية ستلاقي رواجاً بين العرب .

« فقد ظهرت في كلكتا في الهند ترجمة عربية للعهد الجديد عام ١٨١٦ م/ قام بها العالمان ثنائيل سابات ، وتوماس توماسون ، وعاونهما اللغوي المشهور هنري مارتن ، وقد صيغت هذه الترجمة بلغة قرآنية لتناسب احتياجات المجتمع ، كما كانوا يعتقدون . إلا أنَّها لم تجد قبولاً لدى الميحين ولم تلق رواجاً يذكر! »^(١) .

وإذا لاحظنا في هذا النص عبارة « تناسب احتياجات المجتمع » يتضح

(١) تقديم الكتاب المقدس د. القس عبد المسيح أسطفانيوس (ص ٧٨) .

أنَّ المقصود بهذه الطبعة هو استقطاب المسلمين العرب إلى الكتاب المقدَّس ، ولكن على العموم فإنَّ هذه الطبعة لم يقبل عليها حتى الميحيون العرب ، فقد أخطأ المشرقون عندما قلَّدوا ما لا يقلَّد ، ومثل هذه المحاولات لا يمكن أن يكون مصيرها سوى الفشل .

وللحقيقة نقول : إنَّ العرب بجميع أديانهم مدينون للقرآن الكريم الذي حفظ لغتهم ، وضبطها ، إنَّه هو المرجع اللغوي الأساسي للغة العربية .

وتلك الميزة التي لم تنلها أيُّ أمةٍ من الأمم أو أي كتابٍ سماويٍّ آخر على الرغم من أنَّ الكتب السماوية الأخرى نزلت في بلاد العرب ، واستخدمت لهجات عربية أخرى .

بل إنَّ للقرآن فضل على مسيحيي العرب حيث إنَّ ظهور الإسلام ، ووجود المسلمين ، وفكرهم المنفتح المتسامح جعلهم يترجمون الكتاب المقدس إلى اللغة العربية ، حيث يعود تاريخ أقدم مخطوطة عربية للكتاب المقدس إلى القرن الثامن الميلادي وهي موجودة في مكتبة الفاتيكان ، وتسمى المخطوطة الفاتيكانية العربية رقم / ١٣ / وهي مخطوطة معرَّبة عن السريانية مكتوبةً بالخط الكوفي المعدَّل .

ويكاد يجمع الدارسون للكتاب المقدَّس أنَّه لم تكن هناك ترجمات عربية قبل ظهور الإسلام أبداً^(١) .

إنَّ من يقرأ القرآن يتبيَّن له هذا الإعجاز اللغوي ، ويقتنع تمام القناعة بأنَّه من المستحيل على عالم لغةٍ عربيةٍ مهما بلغ علمه فيها أن يؤلف مثل هذا القرآن ، فهل من المعقول أن يؤلف هذا القرآن رجل أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب ، لا بالعربية ولا بغيرها ؟ بالطبع لا .

(١) تقديم الكتاب د. القس أسطفانيوس (ص ٦٨) .

٦- لا يمكن لمحمد ﷺ الأمي أن يضع تشريعات خالدة :

إنَّ ظهور مشكلة ما ، في مجتمع ما ، في زمن ما ، في دولة ما يجعل هذه الدولة تستنفر مفكرها وذلك لإيجاد قانون يعالج المشكلة التي ظهرت لديها ، وبعد أن يوضع القانون في التنفيذ لا يلبث هذا القانون أن يصبح غير مُجدي ، فترجع الدولة لتعيد الكرة مرةً أخرى ، وهكذا .

وقد قدّمنا هذه المقدمة لنظهر أنَّ دولةً بكامل كوادرها تعجز عن حلِّ مشكلةٍ ما إلى الأبد ، فكيف يستطيع فرد أميٌّ لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، ولم تكسبه بيئته إلا القليل من الثقافة أن يأتي بنظام للزواج ، ونظام للطلاق ، ونظام للرق ، ونظام للعبادات ، ونظام للاقتصاد ، ونظام للحرب ، ونظامٍ للسلم . . . وتصلح هذه النظم لكل الأزمنة!!!

إنَّ من المستحيل قبوله أن يقدّم فردٌ نظام حياةٍ كاملاً متكاملاً معتمداً على قدراته الذاتية فقط!! لكن من المنطق تماماً أن يكون هذا النظام صادراً عن الله فقط الذي هو خالق البشر .

ولنضرب مثلاً على ذلك :

قسم نظام الإرث الإسلامي الثروة التي يتركها الميت على أقربائه ، كلٌّ حسب درجة قرابته ، آخذاً بعين الاعتبار أنَّ الوارث يتوجب عليه النفقة على النساء الوراثات .

لنقارن هذا النظام ببقية الأنظمة التي وصلت إلينا أنباؤها ، فعلى سبيل المثال يحصر نظام الإرث الإنكليزي الثروة بالابن الأكبر حصراً .

بينما النظام الهولندي يعطي نصف الثروة للزوجة ، ويعود ليقسم الباقي بالتساوي بين الأولاد البنات والزوجة مرةً أخرى .

ولقد كانت بعض القبائل العربية وسكان شمال إفريقيا تحرّم توريث البنات ، ناهيك عن أنظمة أكثر غرابة حيث توجد مناطق في إندونيسا تجعل الميراث لابنة الخالة الكبرى وتحرم من سواها^(١)!!

وعندما كنت أحاور أحد المسيحيين سألته عن نظام الإرث المسيحي فقال : إنه لا يوجد نظام إرث مسيحي ، لذلك تبنى المسيحيون نظام الإرث الإسلامي ، وطلبوا تطبيقه عليهم .

وعندما سألته عن رأيه هو في ذلك قال : « إنه نظام عادل » فقلت له : ألا يوجد بينكم من يرفض هذا النظام ؟ قال : لا أحياناً تطلب بعض البنات أن تعامل معاملة الأبناء فيمنحها القانون المدني السوري حقّ إرثها بالتساوي مع إخوتها ، لكن عندها يسقط عن إختها حقّ النفقة عند الحاجة ، وأضاف إنه شخصياً لا يعرف عائلة مسيحية واحدة حدث فيها ذلك .

• يقول فارس الخوري ، وهو علم من أعلام الثقافة والسياسة ، والأدب السوري في الأربعينيات قال : « إنَّ محمداً أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية وتشريعية واجتماعية ، ولم يستطع علماء القانون إلا الاعتراف بفضل الذي دعا الناس إليه باسم الله ، وبأنها متفقة مع العلم ، ومطابقة لأرقى النظم والحقائق » . وأسلم فارس الخوري وأوصى أن يقرأ القرآن في مجلس تعزيتة ونفذت وصيته^(٢) .

وهكذا فليس محمداً ﷺ هو مصدر هذه التشريعات ، بل هو ناقل أمين عن ربّه العليم العلّام لتلك القوانين .

(١) الإسلام د. أحمد شلبي (ص ٢١٣) .

(٢) لماذا أسلم هؤلاء الأجانب - محمد عثمان مصطفى (ص ٨٨) .

٧- الإعجاز الإخباري في القرآن لا يستطيع محمد ﷺ معرفته :

لقد كان العرب في جاهليتهم يعرفون أماكن في جزيرتهم كانت تُثير تساؤلاتهم ، لكنهم كانوا لا يعرفون لذلك جواباً ، فعلى سبيل المثال مدائن صالح الخالية من السكان . وسد مأرب ، لماذا تهدم ، ومن هدمه ؟ .

وكانوا أيضاً يعرفون أسماء ولا يعلمون عنها سوى القليل مثل : إبراهيم ، وإسماعيل اللذين بنيا الكعبة ، كما يعرفون قومي عاد وثمود الذين بادوا . . .

ورغم أن اليهود كانوا يعلمون أخبار العهد القديم إلا أن العهد القديم نفسه كان يكتفم بعض القصص التي تُثير تساؤلات عامة اليهود ولا يجدون الأجوبة عنها ، مثل سبب تعظيم السبت ، وقصة ملكة سبأ (بلقيس) وقصة البقرة ، وأهل مدين . . .

والمسيحيون لم يكونوا بوضع أفضل من اليهود فعلى الرغم من أنهم يقدسون المسيح ، وأمه ، فلقد كانت أناجيلهم تفتقر إلى شرح عن حقيقة المسيح ، وتفاصيل عن حياته ، وكذلك أمه وعائلتها ونشأتها . . .

هذا ما يخص عامة اليهود والمسيحيين ، وعلى اعتبار أن اليهود والمسيحيين كانوا يتوزعون في أماكن جغرافية متفرقة ، لذلك فإن كل منطقة من مناطق تواجد اليهود أو المسيحيين كانت لديهم معرفة بقصة محددة لا يعرفها غيرهم تخص إيمانهم سواء كانوا يهوداً أو مسيحيين . وعندما ظهرت النبوة لمحمد ﷺ وتنزل عليه القرآن الكريم خاطب هذا القرآن الكريم أمثال هؤلاء المتوزعين قصصاً يعرفونها هم وحدهم دون غيرهم من أبناء ملتهم . ومثال على ذلك قصة أصحاب الأخدود التي كان يعرفها نصارى نجران ، وقصة المرسلين ويوسف الأنطاكي التي يعرفها

نصارى أنطاكية ، وقصة أصحاب الكهف التي يعرفها أهل (إيلياء)
القدس من النصارى ، وبعض يهود المدينة .

كما أخبر القرآن أيضاً بقصة أصحاب السبت ، وقصة بلقيس ،
والبقرة ، وأهل مدين ، وأخبر بالقصص الحقيقية غير الواردة في العهد
القديم عن داود وسليمان وغيرهم من أنبياء اليهود ، وأورد القصص
الحقيقية التي حرّفها اليهود كما حدثت وعلى حقيقتها ، مثل قصة
الخروج ، وحقيقة دعوة موسى عليه السلام .

كما أعلم العرب عن عاد ، وثمود ، وسبأ ، وإسماعيل ، وإبراهيم ،
والكعبة ، وأخبر عن حوادث وأقوام لم يكونوا ليعلموها لولا نبوة
محمد ﷺ .

فكيف عرف محمد ﷺ كل تلك الأخبار والحوادث التي جرت في
العهود القديمة ؟

لا يمكن أن يعلم محمد ﷺ من تلك الأخبار شيئاً بعلمه الخاص
قطعا ، وخصوصاً أنها أخبار منقطعة انقطاعاً زمانياً أو مكانياً لم يكن شاهده
هو أو حتى وصل إلى البقعة التي جرى فيها الحدث ؟
لكنه قطعاً كان يعلمها بتعليم ووحى من الله السّرمديّ علّام
الغيوب .

٨ - الإعجاز الأنبائي في القرآن ينفي مقدرة محمد ﷺ على معرفته :

من المتفق عليه أنّ العلم بالمستقبل ليس من مقدور أحدٍ من البشر إلا
الأنبياء ، ويوجد في القرآن الكريم شواهد تدلّ على إخبارٍ من الله لرسوله
بأمور سوف تتحقق وعلى محمد ﷺ أن ينتظرها .

ومثال على ذلك :

أ- انتصار الروم وانتصار المسلمين سيتحقق في وقت واحد :

كانت دولة الروم المسيحية ودولة الفرس الوثنية المجوسية تتصارعان على سيادة العالم كدولتين كبيرتين ، تسعى كل واحدة منهما للسيطرة على مستعمرات الأخرى ، لذلك فقد كانت الحرب سجالاً بين الدولتين .

فقد اجتاحت جحافل الفرس بلاد الشام ، ودخلوا القدس (إيلياء) وسرقوا الصليب المقدس ، وأتلفوا الآثار المسيحية وزحفوا إلى مصر حيث أتموا احتلال الإسكندرية في سنة ٦١٦ ميلادية .

وحيث إن الروم المسيحيين هم أهل كتاب قد تركوا مقدساتهم ليعبث بها الفرس الوثنيون نتيجة ضعفهم ؛ لذلك فقد أحزن الخبر رسول الله ﷺ لأن هذا الخبر كان يعني له : انتصار الباطل على الحق أي : انتصار الوثنية .

لكن الله أخبره في القرآن بأن الروم سوف تغلب الفرس بعد فترة تتراوح من ٣ حتى ٩ سنوات ، وذلك في أخفض بقعة في العالم ، وعندما يحدث هذا الانتصار فإن المسلمين سوف ينتصرون على أعدائهم في نفس الوقت !! ونزلت الآيات التي هي أوائل سورة الروم :

﴿ ١ ﴾ غَلِبَتِ الرُّومُ ﴿ ٢ ﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَاقِلَبُونَ ﴿ ٣ ﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفِرُّ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ ٤ ﴾ يَنْصَرُّ اللَّهُ يُنْصَرُّ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ ٥ ﴾ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ الروم : ١-٦ ﴾ .

شرح رسول الله الآيات للمسلمين وبشرهم بنصر الروم القادم ونصرهم القادم لا محالة ...

وبعد استعداد قيصر الروم هرقل للحرب وبعد بضع سنين من هزيمته

(وبضع في اللغة تعني من ٣ - ٩ سنوات) . زحف قيصر على بلاد الشام ، وانهزم الفرس في سنة ٦٢٤ م وتحقق الوعد الأول في معركة فاصلة جرت في منطقة طبريا قرب البحر الميت ، وهي أخفض نقطة في العالم على عكس قمة إيفرست أعلى قمة في العالم ، وهنا يتضح الإعجاز الربّاني في دقة التعبير ، ودقة الإخبار .

ولما كانت الآيات الكريمة قد قرنت انتصار المسلمين بانتصار الروم على الفرس ؛ لذلك فرح المسلمون فرحتين فرحة لانتصارهم على المشركين في معركة بدر ، وفرحة انتصار الروم على الفرس ، وكان ذلك في شهر آذار من عام ٦٢٤ ميلادية ، وقد تحقق الوعد الثاني ، فهل من المعقول أن يكون محمدٌ ﷺ قد علم الغيب بعلمه الخاص ؟

ب- الرؤيا والفتح :

بينما رسول الله ﷺ نائم رأى في منامه أنّه زار المسجد الحرام مع أصحابه ودخل المسجد الحرام فاستبشر ، واستعد للعمرة ، وأعدّ العدة لذلك مع أصحابه . سار حتى وصل إلى الحديبية وهي منطقة تقع على حدود مكة المكرمة . . . وفجأة امتنعت ناقة رسول الله عن المسير ووقفت في عرض الطريق فعلم رسول الله أنّ امتناع الناقة عن المسير هو أمر من الله بالتريث .

توقف رسول الله عن المسير فإذا قريش تعد العدة لحرب المسلمين . . . وكادت الحرب أن تقع بين الطرفين ، إلا أنّ المفاوضات نجحت أخيراً ، فعقد الطرفان صلحاً فيما بينهما سمي بصلح الحديبية . . .

وعندها نزلت الآية ٢٧ من سورة الفتح تؤكد صدق الرؤيا ، وتبشر رسول الله بفتح مكة ، فقال تعالى :

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح : ٢٧] .

وبعد ثلاث سنوات (البيهقي عن تفسير الجلالين) نقضت قريش الصلح . . . فسار محمدٌ من جديد يريد فتح مكة . . . وفتح مكة ، ودخلها سلماً ومنتصراً لكنّه متواضعاً حانياً ظهره ، شاكر أربه ، غاضباً طرفه ، يتلو قوله تعالى :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۖ ﴾ [الفتح : ١-٣] .

فهل من الممكن أن يكون محمد ﷺ هو مؤلف الآية ٢٧ ؟ وماذا يمكن أن يكون محمد ﷺ فيما لو لم تصدق هذه الآية ؟ ! .

٩- الإعجاز العلمي في القرآن يدلُّ على أنَّ محمداً ﷺ كان ينقل نقلاً حرفياً عن الله تعالى :

يتحدّث القرآن الكريم عن ظواهر متنوعة ومتعددة جداً من الفلك ، إلى الطب ، إلى الزراعة ، إلى المناخ ، إلى الحيوان ، إلى الحشرات ، إلى خلق الكون . . .

وعلى الرغم من تقدّم العلوم في يومنا هذا فإنّ العلوم والمعارف كافة لم تستطع أن تنكر آية من الآيات الواردة في القرآن الكريم ، بل على العكس . . . فإنّ العلم لا يزال يفسر ما هو مبهم ومتعصّر على الفهم من الآيات القرآنية التي تتحدّث في العلوم الدنيوية .

ومن الثابت أنّ القرآن الكريم يوجه حديثه دائماً إلى قوم يعقلون ، وإلى أولي الألباب ، وإلى كل ذي حجر ، وهو بذلك يحرض المؤمن

على استخدام عقله للوصول إلى الحقائق الإيمانية ، والكونية .

ومن الثابت أيضاً أنه لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من دعوة إلى التفكير في الحقائق الإيمانية والكونية ؛ لذلك فهو يستخدم عبارات مثل : أفلا يعقلون ؟ ألا يتدبرون ؟ أفلا ينظرون . . . إلخ .

وهكذا نجد أن القرآن الكريم جعل العقل وسيلة للوصول إلى الإيمان ، وبما أن العقل هو وسيلة الوصول إلى العلم أيضاً فلذلك نجد أن العقل هو وسيلة للوصول إلى العلم وإلى الإيمان ، وبهذا يصبح الترابط عضوياً بين العقل ، والعلم ، والإيمان ، وهذا ما نجده جلياً في القرآن الكريم ، فوجد القرآن يدفع المؤمنين إلى العلم والإيمان دوماً ، وبناءً على ذلك يكون أشد الناس معرفةً بالله هم العلماء مهما ضاق أو اتسع معنى كلمة علماء .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۚ ﴾ (٧٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ كَذَلِكَ ۚ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿ [فاطر : ٢٧-٢٨] .

إنّ هذا الأسلوب العقلاني في الدّعوة يجعل الداعي إليه ملتزماً بهذا التّهج ، بحيث لا يستطيع هذا الداعي أن يطرح قضية إيمانية دون تقديم دليلٍ منطقي على قضيته ، فلو كان محمّدٌ هو مؤلف هذا القرآن لما اتبع هذا المنهج العلمي أصلاً ، وكان فرض على أتباعه أن يقبلوا كلّ شيءٍ يقوله طالما أنّها إيمانيات مسلمٌ بها .

لكن الله أراد للمؤمنين أن يتعلموا طريقة التفكير الصحيح للوصول إلى الحقائق ، وعلى ذلك يكون القرآن هو منهج حيا وليس كتاب إيمانيات فقط .

لذلك تجد أنَّ الحضارة العربية الإسلامية هي التي علمت الناس في العالم أجمع طريقة التفكير العلمي للوصول إلى الحقائق ، وهؤلاء المسلمون قد تعلموا من قرآنهم كيف يفكرون ، ويبتكرون ، ويصلون إلى حقائق الأمور .

وقد انفرد القرآن الكريم بهذه الميزة عن الكتب المقدسة كافة عند الأديان الأخرى ، حيث إنَّ الكتب المقدسة للديانات الأخرى تضع فرضيات ، وتطلب من معتقيها أن يتبعوا هذه الفرضيات دون تفكير . وعلى سبيل المثال قال القديس أغطينوس وهو من قدماء الميحين :

« لما كنت شاباً سعيت إلى فهم معاني الأسفار المقدسة بقوة الإدراك العقلي ، وليس بالتوسل الخاشع لله . . . فأغلقت أمام نفسي بتسامخي وكبريائي الباب الموصل إلى الله ، وبذلك فبدلاً من أن أقرع فيفتح لي ، صار سعيي هذا سبباً في أن يغلق الباب أمامي »^(١) .

والملاحظ من تصريح أغطينوس هذا ، وهو قديس ، وليس من الناس العاديين أنَّه حاول أن يُعمل العقل في النصوص المقدسة ليصل إلى الإيمان . . . لكن هذه الطريقة العلمية أذهبت إيمانه بالمسيح تماماً ، فلم يجد أجوبة لأسئلته التي كان يطرحها ؛ لأنَّه أمام كتلة من المتناقضات تسمى الكتاب المقدس ، ولم يجد البديل ، فما كان من أغطينوس إلا أن أقلع عن ذلك وبرَّر عدم فهمه بأنَّه تكبَّر وتعجرفٌ يؤدِّي إلى انعدام الإيمان ؟ !

وعند المسلمين الحالة مختلفة تماماً ، فكلما تأمَّل المسلم آيات القرآن الكريم كلَّما زاد إيمانه ، وكلَّما أعمل عقله فيها كلَّما زادت إيمانه ،

(١) تقديم الكتاب المقدس د. عبد المسيح أسطفانيوس (ص ١٠١).

وخشوعاً ، ومعرفةً لله ، ولا يحتاج قارئ القرآن إلا إلى استخدام عقله والتمعن في كل كلمة يقرأها حتى يستطيع الوصول إلى الإيمان الحقيقي بالله .

١٠- ليس محمد ﷺ مؤلف القرآن لاستحالة نظرية العكس :

إن من الثابت أنَّ القرآن الكريم يتضمَّن إعجازاً بلاغياً ، وإعجازاً تشريعياً ، وإعجازاً إخبارياً ، وإعجازاً أنبائياً ، وإعجازاً علمياً ، وهكذا . . .

إنَّ هذه المعجزات المجتمعة في صفة القرآن الكريم الوارد على لسان محمد ﷺ توجب على محمد ﷺ أن يتمتع بالصفات التالية (فيما لو كان هو مؤلف القرآن - وحاشاه أن يفعل -) :

يجب أن يكون محمد ﷺ عالم لغة عربية لا يضارعه أحدٌ ، وعالماً بالتشريع القضائي والاجتماعي ، والسياسي ، والاقتصادي ، كما أنه لابدٌ أن يكون عالماً بالتاريخ الإنساني منذ فجره ، وحتى ظهوره ﷺ .

كما أنَّه يذكر حقائق علمية تدلُّ على أنه عالم بيولوجيا ، وطب ، وفلك ، وزراعة ، ومناخ ، وبحار ، وعلوم طبيعية ، وفيزيائية ، وخبير بعلم النفس ، وخفايا النفس البشرية . . .

فهل يمكن أن يجتمع لإنسان كلُّ هذه المعارف ، وهو إنسان ودون أن يخطيء خطأ واحداً في هذا القرآن ؟! وإذا كان محمدٌ قد تحدَّث عن معجزات علمية في القرآن كان قد تحدث عنها قبل أربعة عشر قرناً ، ونحن عرفناها اليوم ، فهل من المعقول أن يكون محمدٌ قال القرآن بعلمه الخاص دون أن يُكْتَشَفَ له خطأ علميٌّ واحدٌ ؟!

إنَّ هذا كله يقتضي أن يكون محمدٌ فوق البشر ، لكنَّ محمداً ﷺ قال : إنَّ ما يقوله هو من عند الله ، وما محمد إلا بشرٌ يوحي الله إليه .

١١- إنَّ محمداً ﷺ بشرٌ لا يستطيع أن يتحدث عن الربوبية بجلالها :

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي : إنَّ من آيات القرآن آياتٌ ذاتية ، أي : يتكلم الله عز وجل عن ذاته أمراً ، أو ناهياً ، أو مخبراً ، فإذا تأملت في هذه الآيات ، رأيتها تتسم بجلال الربوبية ، وصفات الألوهية ، ولم تجد فيها أيَّ معنى من المعاني البشرية والصفات الإنسانية^(١) .

إنَّ ما يقوله الدكتور البوطي صحيحٌ تماماً ، ويلزم به قارئ القرآن مهما بلغت درجة ثقافته .

فعندما تقرأ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس : ١٢] .

كذلك عندما تقرأ :

﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [١١] إِنَّ السَّاعَةَ ءَانِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه : ١٤-١٥] .

إنَّ آياتٍ مثل تلك الآيات التي ترد في القرآن الكريم لا يمكن أن يكون قائلها من البشر ؛ لأنه مهما تبجح هذا البشري فإنه لا يستطيع أن يقول ما يقوله الله عن ذاته ؛ لأنها معلومات تفوق قدرة البشر على المعرفة ، ولا يمكن أن يعلمها إلا الله ، ولا يقولها إلا الله جلَّ جلاله .

١٢- عدم وجود العيوب التوراتية والإنجيلية في القرآن يدلُّ على أنَّ القرآن ذو مصدر إلهيٍّ فقط :

إذا عدنا إلى أدلَّة تحريف التوراة والإنجيل وقارنَّاها مع الواقع القرآني نستتج أنَّ القرآن مُنِعت أيدي البشر من الوصول إلى صياغته ، وذلك للأسباب التالية :

(١) من روائع القرآن د. بوطي (١٥٧) .

أ - لقد نزلت التوراة والإنجيل بالآرامية ، وفُقدت النسخ الأصلية المكتوبة بهذه اللغة ، بينما القرآن أوحاه الله عربياً ، وبقي عربياً ، ولا زالت أقدم نسخة مكتوبة برسم عصرها ، ومتداولة بنفس الرسم حتى هذا اليوم .

ب - للقرآن نسخة واحدة ، وليس له عدة نسخ ، حتى تتضارب نسخة مع بعضها ، كما في التوراة والأنجيل .

ج - تجد في القرآن أنَّ الله يتحدث عن نفسه ، أو يوجه خطابه إلى الملائكة ، أو إلى عموم البشر ، أو إلى أهل الكتاب ، أو إلى النصارى ، أو إلى اليهود ، أو إلى نبيه محمد ﷺ أو إلى المؤمنين أو إلى المسلمين . وفي نفس الوقت تجد آيات يتحدث فيها الله عن خطابات الأنبياء له من آدم وحتى محمد ﷺ .

لكنك لا تجد أبداً متحدثاً آخر يروي الأحداث بشكل مشابه لما يوجد في التوراة والأنجيل .

د - الله تعالى في القرآن ليس كمثله شيء ، والأنبياء معصومون من الخطأ التشريعي ، لكنَّ التوراة نسبت إلى الله ما لا يليق به من ثوران ، ونسيان ، وجهل ، ونسبوا إليه صفاتٍ بشرية لا تليق به ولا بألوهيته . وكذلك فعلوا بأنبيائهم فجعلوهم يرتكبون أكبر المعاصي ، والآثام ، والشُرور ، ونسبوا إليهم ما لا يليق بنبوتهم .

كذلك فعل المسيحيون بالله ، فنسبوا إلى الله ما لا يليق به ، فطعنوا في وحدانيته ، ونسبوا إلى المسيح عليه السلام أفعالاً وأعمالاً لا تليق بقدر نبوته ظناً منهم أنهم يرفعون من شأن المسيح .

هـ - يتضمن القرآن الوحي القرآني فقط لمحمد ﷺ بينما أقواله ، وأفعاله ، وتعاليمه تضمنتها كتبٌ أخرى اعتمد في جمعها مبادئ علمية

دقيقة ، فكلُّ قولٍ أو فعلٍ ، أو تعليمٍ منسوبٍ إلى محمد ﷺ لا يمكن قبوله إلا باعتماد شهود ، ولا تقبل شهادة أيِّ شاهد لا تنطبق عليه مواصفات التقوى ، والصدق ، وقوة الذاكرة ، ومعاصرته للفعل ، أو القول ، أو التعليم الذي أعطاه محمد ﷺ .

في حين أنَّ التوراة الحالية تشمل كلَّ أنواع الوحي التوراتي ، أو القولِي ، أو الفعلِي ، أو التعليمِي المنسوب إلى موسى دون شهود ، أو على الأقل دون شهود معروفين ، كذلك الأناجيل ، على الرغم من أنَّ إنجيل المسيح عليه السلام واحد ، فقد نسب إليه أربعة ينقل كتابها جميع أقوال ، وأفعال ، وتعاليم المسيح عليه السلام دون شهود ، أو على الأقل دون شهود معروفين .

و- لا تجد في القرآن الكريم قصةً ليس لها معنى ولا هدف ، في حين أنَّ التوراة تحتوي - كما أسلفنا - قصصاً ليس لها معنى ، كما تحتوي الأناجيل مثل هذه القصص ، بحيث لو حذفت هذه القصص لما تغير شيء في التوراة ولا في أيِّ إنجيل ، في حين أنَّ القرآن لا تقبل آياته هذا الحذف أبداً ، لأنَّ مثل هذا الحذف يترك ثغرة كبيرة لا يمكن أن يملأها شيء آخر .

ز - تشهد الأناجيل والتوراة على نبوة محمد ﷺ التي ستكون مؤيدة بكتاب سماوي ، بينما شهد القرآن الكريم على وجود وتنزل التوراة والإنجيل ، وفضح مزاعم اليهود بصدق التوراة ، كما أعلن القرآن عن الأمور كافة التي ابتدعها المسيحيون في دينهم ، وتقوّلوها على نبيهم ، وبرأ الله تعالى موسى والمسيح عليهما السلام ممَّا نسب إليهم أتباعهم .

ح - كلّما مرَّ الزمان تظهر المكتشفات الأثرية لنصوصٍ توراتيةٍ كتبت في مراحل معينةٍ فروقاً بين التوراة السابقة والحالية ، ويبرّرها اليهود بأنّها

فروق طفيفة ، كما حدث عند اكتشاف مخطوطات البحر الميت .

كذلك فإنّ الاكتشافات الأثرية تظهر نصوصاً مسيحية كتبت في مراحل معينة ، فإن وافقت هواهم قبلوها ، وإلا فإنهم يكتفون بإطلاق كلمة هرطقة على كل نصّ لا يوافق هوى المسيحية ، كما حدث مع المخطوطات السينائية .

في حين أنّ القرآن له أصل واحد ، وكلّ النسخ مأخوذة عن هذا الأصل ، ولن تظهر المكتشفات أيّ أصل آخر .

أخيراً : إنّ جميع هذه النقاط التي أشرنا إليها يؤكدّها الله تعالى في القرآن الكريم بقوله : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] .

وهكذا وفي آية واحدة لحّص الله ميّزة من الميزات التي يمتاز بها القرآن على غيره من الكتب التي تحتوي على الكثير من الاختلافات ، وفي الوقت نفسه أكّد أنّ القرآن لا يوجد فيه أيّ اختلاف .

ثانياً - القرآن ليس مصدره الشيطان :

من المستحيل أن يكون القرآن هو وساوس شيطانية ، وذلك لأنّ الشيطان متعارف عليه عند الأديان كلها أنّه مصدر كلّ شرّ ، وهو يدعو إلى الشرك والضلال ، والكفر ، واتباع الشهوات ، وعبادة كلّ ما هو من دون الله . . . أمّا القرآن فإنّه يدعو إلى التوحيد ، والهداية ، واتباع أوامر الله ، والابتعاد عن نواهيه .

وقد وجّه القرآن أتباعه إلى ضرورة الاستعاذة من الشيطان قبل قراءة آيات القرآن ، ناهيك عن أنّ القرآن لا يذكر الشيطان فيه إلاّ بدم ، ولعن ، وطرد .

فالقُرآن إذا لم يؤلفه محمد ﷺ ، ولا هو من تأليف الشيطان ، فهل
ألفه ملاك ؟

ثالثاً - القرآن ليس من تأليف ملاك :

الملائكة كما هو معروف عنها في اليهودية والمسيحية هي مخلوقات
ملكوتية ، أو بعبارة أخرى الملائكة هم موظفو السماء .

وقد أظهرت نبوة محمد ﷺ أنَّ الملائكة مخلوقات نورانية مفطورة
على عبادة الله والتسبيح له والالتزام بأوامره ، وهي لا تعصي الله أبداً ،
في حين أنَّ الجانَّ مخلوقات خلقها الله من نارٍ ، مخيرة ما بين طاعة الله
وما بين عصيانه كما هي حال بني البشر ؛ الذين يختلفون عن الجان بأنهم
مخلوقون من تراب ، ولا يستطيعون رؤية الملائكة ، ولا الجان ، في
حين أنَّ الملائكة والجانَّ تستطيع مشاهدة أبناء البشر .

والملائكة يؤدُّون وظائف موكلةً إليهم بالتحديد ، بحيث لا يستطيع
ملاك أن يؤدِّي وظيفة ملاكٍ آخر ، فملائكة الجنَّة لا يستطيعون تأدية وظيفة
ملائكة جهنَّم لانحصار معارفهم في مهامِّهم ، فلا يمكن لملاكٍ أو حتى
مجموعة من الملائكة أن تؤلف قرآناً يشمل كتلةً هائلةً ومتنوعة من
المعلومات .

وجبريل المعروف لدى اليهود والنصارى هو ناقل رسائل بين الله
والأنبياء ، فكيف يؤلف قرآناً ، وينسب إلى الله ، ويعطيه لمحمد ﷺ دون
أن يكلفه الله بهذه المهمة ، وهو الذي فطره الله على طاعته ، كما فطر
كافة الملائكة المشابهين له بملائكيته ، وفي ذلك استحالة أن يتقول
جبريل على الله .

رابعاً - القرآن ليس من تأليف الجن :

الجن هم مخلوقات مفكرة خلقها الله من مارج من نار ، وهي مخلوقات عاقلة فيهم المؤمن ، وفيهم الكافر .

فإذا كان كافرهم هو من أعطى القرآن لمحمد ﷺ ؛ فإن على القرآن أن يحتوي كفراً وعصيانياً وإلحاداً ، وهو على العكس من ذلك .

وإن كان مؤمنهم هو الذي أعطى القرآن لمحمد ﷺ ؛ فإن ذلك يعني أن سليمان عليه السلام قد تلقى معلوماته النبوية كافة من الجن ؛ لأنه النبي الوحيد الذي أعطاه الله مقدرة السيطرة على الجن .

ومن ناحية أخرى فإن سورة الجن الواردة في القرآن الكريم تضمنت اعترافاً من مؤمني الجن بأن قرآن محمد ﷺ يحتوي كلاماً معجزاً لا يتنزل إلا على نبي .

إذاً فمن المتحيل أن يكون للجن علاقة بالقرآن لا من قريب ، ولا من بعيد .

خامساً : ليس القرآن من تأليف البشر :

ربما راق لبعض المشككين في نبوة محمد ﷺ أن ينسبوا القرآن إلى رجل آخر كان قد ألّف القرآن ، وكان يعطي هذا الشخص محمداً ﷺ آيات قرآنية كلما طلب محمد ﷺ ذلك ، وزعموا أن هذا الشخص نصراني أو يهودي!!!

بالطبع فإن هؤلاء المشككين لا يملكون دليلاً على ادّعائهم هذا ، بل إن العقل السليم لا يمكن أن يقبل بمثل هذا الادعاء للأسباب التالية :

١- إن استحالة تأليف سورة واحدة مكافئة لسورة من سور القرآن

الكريم من قبل مجموعة كبيرة من الناس مهما بلغت علومهم ، أو معارفهم يقتضي بالضرورة استحالة تأليف سورة واحدة من قبل شخص واحد .

وهذا التحدي الذي ورد في القرآن الكريم لا زال قائماً وحتى يومنا هذا ، ولم يفلح جميع الذين تجرؤوا على هذا التحدي بأن يقنعوا بأن كتاباتهم تعادل القرآن ، ناهيك عن أنَّ الأغلبية ترجعت بعد أول محاولة .

٢- إذا كان ثمة شخص عَلمَ محمداً ﷺ القرآن ، وتركه ليكون نبياً ، فلماذا يرضى هذا الشخص المزعوم بأن يكون جندياً مجهولاً ؟ أليس من الأفضل له أن يَعلمَ الناس عن وجوده وعبقريته ، فيكسب شرف النبوة دون محمد ﷺ !!؟

٣- لقد كان من دواعي سرور أعداء محمد ﷺ من المشركين أن يجدوا مثل ذلك الشخص المزعوم ليدحضوا دعوة محمد ﷺ ، ورغم أن المشركين قد وضعوا محمداً ﷺ تحت المراقبة طوال ليله ونهاره ، لعلهم يجدون ولو ثغرة واحدة في تصرفاته ، ومع ذلك لم يجدوا مأخذاً واحداً عليه !!!

٤- تخيل المشككون أنَّ رجلهم المزعوم الذي عَلمَ محمداً ﷺ القرآن يهوديٌّ أو مسيحيٌّ !!

فلو فرضنا جدلاً أنَّ هناك رجلاً يمتلك هذه القدرات ، فهذا يعني أنَّ القرآن يجب أن يدور في فلك التوراة أو فلك الإنجيل ، في حين أنَّ القرآن قد أورد تفاصيل مهمة في دين اليهود ، وفي دين النصارى أيضاً ، الأمر الذي جعل اليهود والمسيحيين المعاصرين لنبوة محمد ﷺ يذهلون من التفاصيل التي أوضحها لهم القرآن لدرجة أنَّ اليهود كانوا يأتون إلى محمد ﷺ ليسألوه في أمور شريعتهم التي لا يجدون لها جواباً في كتبهم .

إذاً فمن غير المعقول أن يكون القرآن صادراً عن بشرٍ لأنَّ القرآن أصلاً فوق طاقات البشر مجتمعين!!

فإذا كان القرآن لم يؤلفه الشيطان ، ولا الجنُّ ، ولا الملائكة ، ولا اليهود ، ولا النصارى ، ولا محمدٌ ﷺ إذاً لا يمكننا إلا قبول حقيقة مفادها : أنَّ الله تعالى هو الذي أوحى القرآن بناءً على سلسلة المستحيلات التي أوردناها آنفاً ، وبناءً على شهادة محمد ﷺ الذي صرح مراراً وتكراراً : أنَّ الله تعالى هو الذي أوحى له بالقرآن ، ومحمد ﷺ هو النبيُّ الذي بيَّنَّا فيما سبق أنَّه صادق في نبوّه ، وقدّمنا الأدلة اللازمة لذلك .

* * *